

الأستاذة د. دانيال ستيل

دانيال ستيل

DANIELLE
STEEL

www.mlazna.com

^ RAYAHEEN ^

القبلة

THE KISS

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.



www.mlazna.com-RAYAHEEN

القُبْلَة

THE KISS

DANIELLE STEEL
دانيال ستيل

www.mlazna.com

^RAYAHEEN^



الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers

يسمح نسخ أو استكمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة
تصويرية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي.
وللتسجيل على القرص أو القرصين أو أي وسيلة نشر أخرى
أو حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر

يضم هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

The Kiss

حقوق الترجمة العربية مخصص بها قانونياً من المؤلف
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع بينها وبين دار العربية للعلوم

Copyright © 2001 by Danielle Steel
All rights reserved including
the rights of reproduction in whole
or in part in any form.

Arabic Copyright © 2003 by Arab Scientific Publishers
ISBN 9953-29-904-8

الطبعة الأولى
1424 هـ - 2004 م

جميع الحقوق محفوظة للنشر



الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers

عين الله، شارع ساهية الجزائر، بناية الريم

هاتف: 860138 - 785107 - 785108 (961-1)

فاكس: 786230 (961-1) ص.ب: 13-5574 - بيروت - لبنان

البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

تمت الطباعة في:

٢٢٩

مطبعة المتوسط

هاتف: 860138 (961-1) - بيروت - لبنان

المحتويات

9	مقدمة بقلم المترجم
15	الفصل الأول
39	الفصل الثاني
67	الفصل الثالث
99	الفصل الرابع
141	الفصل الخامس
159	الفصل السادس
183	الفصل السابع
203	الفصل الثامن
211	الفصل التاسع
227	الفصل العاشر
241	الفصل الحادي عشر

الوقدراء
إلى زوجتي المخلصة
وابني الحبيب

أنطوان

253	الفصل الثاني عشر
281	الفصل الثالث عشر
303	الفصل الرابع عشر
323	الفصل الخامس عشر
365	الفصل السادس عشر
381	الفصل السابع عشر
395	الفصل الثامن عشر
411	الفصل التاسع عشر

مقدمة بقلم المترجم

تعتبر دانييل ستيل Danielle Steel من أشهر الكتّاب وأكثرهم انتشاراً في العالم، خاصة مع مبيع أكثر من 490 مليون نسخة من روياتها. إن أشهر الروايات التي نُقِيتْها ولاقت رواجاً هي: "وثبة إيمان"، "الرحلة"، "المزبل في شارع هوب"، "قوى لا تقاوم"، "غراي دن"، "الحلو المر"، "صورة مرآة"، "الشمع"، و"القبة".

وكتبت دانييل ستيل أيضاً قصائد شعرية ونشرتْها في ديوان "الحب". كما وأن لها أعمالاً غير قصصية مثل "إجذاب الحفل"، وكتاب "نوره الساطع" الذي تحكي فيه عن حياة وموت ابنها نيكولاس تريزا.

دانييل ستيل:

إن رويست دانييل ستيل ذات طابع رومانسي وهي الأكثر رواجاً في العالم. وإذا لمعنا النظر في حياة دانييل ستيل الشخصية فسنلاحظ من زوجها الأول وصولاً إلى زوجها الخامس وإيجابها لأولادها التسعة من هؤلاء الأزواج، نجد أنها مائلة إلى الرومانسية والخيال الجامح (الفانتازيا) إلى حد كبير. وهذا الميل، على ما يبدو، هو الذي قضى على كل علاقاتها الزوجية، لأن هذه العلاقات لا ترتقي إلى مستوى توقعاتها. وإذا قرأنا رواياتها يتضاءل نجد بعضاً من ملامح ولحظات حياتها تنعكس في صفحات رواياتها وتتخلل حياتها المهنية التي تعتبر ناجحة. وإذا نظرنا إلى حياتها وعلاقات الصداقة التي تربطها بمن حولها نجد أن حياتها لا تخلو من المرح والنشاط والحيوية مع أن هذا يتناقض تماماً مع الأخطار التي تعرضت لها في حياتها، وسوء الحظ الذي رافقها، خاصة بسبب أزواجها: فزوجها الأول، داني زغندر، اعتقل

القبلة:

في روايتها الثالثة والخمسين التي تلاقي رولاً كبيراً تظهر دانييل ستيل كيف أن لحظة تكسر يمكن أن تغير حياة الناس وإلى الأبد. رواية "القبلة" هي استعراض مؤثر لمباشرة الحياة، وقصة تحبس الأنفاس، تدور حول طائفة الحب القادرة على أن تشفي، وتعق، وتحول، أو تجمع شتات النفوس المعطمة.

في مسامير ستيل من شهر حزيران (يونيو)، تمر حافلة حمراء ذات طبقتين ممتلئة بالركاب في شارع في لندن. وعلى مسافة ليست ببعيدة يركب رجلان في سيارة ليموزين بعد أمسية ساحرة أمضاها في المرح والرقص والغشاش المشرب المفضل. وفي غلوتها داخل السيارة يقرآن في قبلة ذهنية. وفي لحظة مبرحة في ذاكرة الزمن ترتطم سيارتهما لليموزين وهي في أقصى سرعة بها لباس الضخم وتتحول إلى حطام من الحديد والبراج تحت ولادة نطفة الحافلة. ويبدأ رعاكها العاشقان رحلة طويلة نحو الشفاء والأمل والحلم بمستقبل جميل.

إيزابيل فوريستر امرأة فرنسية ولطيفة وحساسة للغاية. وهي زوجة شورون وهو مصرفي باريس مشهور كان قد أغلق قلبه دولاً منذ زمن طويل. إيزابيل جميلة وثرية ولطيفة، وغوردون طاعية حديم المشاعر. أما ابنهما تيدي Teddy فهو مريض جداً ويحتاج إلى عناية مستمرة. تعيش إيزابيل مسنولات في العزلة والفراغ العائلي فتصعب كل مشاعرها في العناية بابنها الميتوس من حالته. وفي بذل الجهد لجعل منزلهم الباريسي منزلاً سعيداً أكثر الإمكان بالنسبة إلى ابنتها المراهقة صوفي. وتسمح لإيزابيل لنفسها بنوع من السريرة الخاصة السرية؛ ألا وهي صداقة عن بعد وعبر الهاتف مع رجل أمريكي، بيل روبنسون، سياسي نافذ غني يعيش في واشنطن، وهو على غرار إيزابيل. يعيش علاقة زواج جوفاء مع زوجة تفونه.

يعتبر بيل أن إيزابيل نقيّة من السماء، امرأة ذات جمال فائق وفضول

وحكيم عليه بالسجن لارتكابه جرائم اغتصاب وسلب، وزوجها الثاني، بيل ثوث، كان مدمن هيروين. وبهذا تزوجت عدة زيجات بابت بالقتل والطلاق وصولاً إلى زوجها الخامس صاحب شركة سفن شحن، والذي أدنته المحكمة بجرم القتل غير العمد بعد حادث اصطدام سفن في جنوب فرنسا. والكارثة الأكبر في حياتها هي حادثة موت ابنها نيك، من زوجها بيل. ففي التاسعة عشرة من عمره أخذ جرعة زائدة من المخدرات أدت إلى وفاته.

إضافة إلى رواياتها وأعمالها غير القصصية، كتبت دانييل ستيل سلسلة كتب "ماكس ومرتا"، وهذه موجهة بشكل خاص للشباب لتساعدكم على مواجهة المشاكل وتحدي صعوبات الحياة. وكتبت أيضاً سلسلة كتب "فريدي" للأطفال. ولقد تبنى التلفزيون للعديد من روايات ستيل وصنع منها مسلسلات تلفزيونية. وأهتمت دانييل ستيل بقضية منع استغلال الأطفال وسوء معاملتهم، ودعت إلى إنعاش حالة الأطفال وتصنيها وتحقيق السعادة والاستقرار لهم. وتعلم أنها تعتني بأولادها التسعة جيداً، وتكثر من اهتمامها بكتبها التي تترك عليها ثروات طائلة سنوياً.

وعن أسلوب عملها وطريقتها في كتابة الروايات تقول دانييل ستيل: "أن كتبها تبدأ بصورة أو شخصية أو حالة معينة تهتم بها وتطورها إلى رواية خلال فترة قد تستغرق أكثر من سنتين. ولا تعتمد ستيل في رواياتها على شخصيات واقعية أو على حياتها الشخصية. بل بالمرى إليها تفصل عن تكون مبدعة ومبتكرة في قصصها على أن تتقدم بأبطال حقيقيين في واقع الحياة.

بدأت ستيل الكتابة منذ الطفولة. وفي آخر مرحلة المراهقة صار لديها شغف بالكتابة، وكتبت الكثير من الشعر، ولكملت أول رواية لها وهي في التاسعة عشرة من عمرها.

فكري، فيشعر أنها تولد روحه، وأنها تسنه وتتواصل معه، رغم البعد، بنظريها وتتمسكها العاطفي⁽¹⁾ اللطيف. لقد كانت علاقتهما نعمة من السماء وحبل نجاة لكليهما في خضم زيجات تعيسة لا يمكنهما أن يتخلصا منها ولا أن يحدواها.

يتفق بيل وإيزابيل على اللقاء في لندن لهنظمة أيام شينة وبرينة. فيجدان أن صداقتهما تكبد. ويعترف كل منهما بالحب للآخر. ولكن بيل لا يستطيع أن يطلق زوجته لأنه يخشى أن يؤثر هذا على مركزه السياسي. وإيزابيل بدورها تفضي الطلاق خوفاً من زوجها غوردون القاسي القلب الذي سيأخذ فيها يديها منها وقد يحرمه من العناية الطبية التي يحتاج إليها. ويتفق إيزابيل وبيل على أن ينفرا، ويودعان بعضهما بعضاً بقلعة حلوة مرة. ولكن سيارتهما تصطدم بالبابس بشكل مروّع ويثاقبان بشكل رهيب. ويقتلان إلى المثنى حيث يشقان طريقاً جديدة في الحياة، طريقاً مخوفة بالألم وأيضاً بالأمل.

وفي أوجحة المثنى الباردة المعصية في لندن تثبت بيل وإيزابيل بأهداب الحياة في حين أن جنسهما تبعثرا إلى أنلاء مهيمة يصعب شفاؤها. وخلال الأيام والأسابيع التالية يبدأ بيل وإيزابيل بالتمثل لتنفاء بيده وقد تملك التنصت منهما الجسد والروح والولاد، فيجب عليهما معاً، لا أن يبتقا الحياة من جديد فحسب، بل أن يواجها ما خلفها ورامسا. فيلتصبا لإيزابيل، يتحول زواجهما الفعلي من الحب إلى صراع قلبي مع زوجها. وأما بالنسبة لبيل فحين نظرة الاستشفاء كشفت عن جراح أصق من الجراح التي ألعتها الولاد في جسده، والوقائع والأحداث موفت تهر كعائه حتى الصمم.

وتتعد طبيعة العلاقة المتنامية بينهما، ويظهر في الألقا خطر يهدد علاقتهما بالانفصال. وهذه المرة قد يخسر كل منهما الآخر نهائياً.

في هذه الرواية المؤثرة والعاطفية، تسج داليل ستيل قصة شجاعة في

(1) لتمسك العاطفي (empathy): أو التوحد العاطفي: حالة ضحية يشعر المصاب بها بنص شعور شخص آخر أو جماعة ويوجد بين ذلك وذات الشخص أو الجماعة الأخرى.

مواجهة خطر خسارة لا تعرض. وبموجبها كفتاتصة مخوفة تسير أغوار القوة التي تحتاج إليها للتعطب على مخاوفها، وتظهر لنا كيف أن الميبرات الصحية الفلسفية تعود عليها بمكافآت وجوائز غير متوقعة، وكيف أن أطول الرحلات وأشدّها خطراً قد تبدأ بمجرد قيلة.

أخيراً:

ورغم أن رواية "القيلة" غير معروفة بشكل كامل⁽¹⁾، ورغم أن بعض النقاد يعتبرون شواذب في هذه الرواية من جهة التفكير، والأسلوب اللغوي الطغولي، ومتابعة بعض الشخصيات، إلا أنها رواية لا تتطلب كبير عناء لفهمها بحكمتها الميودرامية. ورغم ما كتبت على ظهر الكتاب بأن هذه الرواية "أحب قصصية"، إلا أنها بالعمري قصة رومانسية مؤثرة تجتذب الملايين من القراء الذين يلتهمون روايات داليل ستيل ويجعلون منها ظاهرة نشر أدبية فريدة في العالم المعاصر.

جدير بالذكر أن جميع الوثائق السقاية ليست في الرواية الأصلية، بل وضعناها لتجعل بعض التعابير والرواية عروماً وأضحة أكثر للقارئ الكريم.

نأمل أن تال هذه الترجمة تستلصكم، وأن تستمتعوا بقراءة هذه الرواية الجميلة، والله من وراء القصد.

أطوان عبد الله

(1) يحرر: (note): يد كتبت الآخرين للتشر.

الفصل الأول

وقعت إيزابيل فوريستر في نافذة غرفة نومها تنظر إلى الحديقة في منزلها الكائن في شارع غرينيل في الدائرة⁽¹⁾ السابعة في باريس. إنه المنزل الذي كانت قد عاشت فيه مع زوجها غوردون لعشرين سنة، والذي كان قد أصبح ولداً معروفاً. كان قد بُني هذا المنزل في القرن الثامن عشر وكان له طراز برونزية فنية طويلة من جهة الشارع تؤدي إلى الفناء الداخلي. كان المنزل مبني على صورة حرف (U) حول الفناء. كان المنزل مكوّناً من خشب، وجسده المسطح العائلي والألواح الإسكندنافية الرائعة⁽²⁾، والقوابل الجميلة والأرضية المفروشة بالباركييت⁽³⁾ بلون البرونزي. كان كل ما حولها يستحق وقد عني به أن يكون في منتهى الجمال والكمال. وكانت إيزابيل تكبر الصور المنزل وترتبه بنوق وبراءة فنية وإتقان، بيد رصينة حازمة ولكن لطيفة. وكانت الحديقة مشحونة بعناية، والأزهار البيضاء التي كانت قد عرستها قبل سنوات تُعتبر من أجل الورود في باريس. وكان المنزل يحفل بالعلاقات التي كانت قد جمعتها مع غوردون عبر السنين، مطبياً ومن خلال رحلات سفرهما. وكان العديد منها قد ألت بها من منزل والديها.

كان كل ما في المنزل مثقلاً، والخشب مدهوداً بالزيت ناعماً، والفضيات ملتصقة، وحوامل المصابيح البلورية على الجدران مثلاً تحت شمس حزيران

(1) دائرة (arrondissement): منطقة إدارية من مناطق مدينة باريس كبيرة. (المترجم)

(2) الألواح الإسكندنافية (boiserie): ألواح خشبية ناعمة مفروشة مطبوعة في العادة تسمى بها الجدران لتأخذ رونقاً وجمالاً. (المترجم)

(3) الباركييت (parquet): أرضية مفروشة بقطع أو ألواح خشبية مزخرفة تتشتمل بدل البلاط في أوروبا وأمريكا. (المترجم)

(يونيو) السلطة التي كانت تنسحب إلى غرفة النوم عبر المصائر. أدبرت إيزابيل وجهها عن منظر حنيقة ورودها وهي تنهك. لقد كانت منفصلة ولقطة بخصوص مغادرة بلارين بعد ظهر ذلك اليوم. لقد كانت قلما تخرج من المنزل، فقد كانت فرص أو مناسبات تلك الذفرة بالنسبة لها. أما الآن وقد سلحت لها الفرصة بذلك، فلها تشعر بالذنب حول ذلك، بسبب تيدي.

كانت صوفي، ابنة إيزابيل، قد مضت إلى البرتغال مع أصدقائها في اليوم السابق. كانت في الثامنة عشرة من عمرها وستذهب إلى الجامعة في الخريف. إنه ثيودور، ابن إيزابيل، هو من أبها في المنزل، ومنذ أربع عشرة سنة، فأنه وإن قبل أو أنه بثلاثة أشهر، تأذى للغاية عند الولادة، وبنتيجة ذلك ما كانت رستاد قد اكتمل نموها بعد هذا أصعب إليه. وكان يتلقى تعليمًا خصوصيًا في المنزل ولم يذهب ابنة إلى المدرسة. إنه في الثامنة عشرة من عمره، ولقد أكتفى بكل حيله طريق الفرائض، وكان يتجول حول المنزل من خلال كرسي متوالب كلما كان لا يقدر أن يقوم بذلك اعتمادًا على قوته. وعندما كان الجو جميلًا دائمًا كانت إيزابيل تأخذ على عربة ليتقظه في حديقة المنزل. واعتمادًا على حالته، كانت إما تساعد على السير قليلًا أو كان يكتفي بالجلوس في كرسيه. كانت حيويته لا تقهر، وكانت عياده تملأ من عتمة تدخل والنته إلى غرفته. لقد كان لديه دائماً شيء لطيف مضحك يخبرها عنه. إن الرباط الذي جمع بينهما تعجز الكلمات عن وصفه وهذا الرباط تعدى السنين والزمان والمخاوف والأخطار الخاصة التي واجههاها معاً. لقد كانت تشعر أحياناً أنهما شخصان بروح واحدة. لقد كانت تهتم في الحياة والقوة، وتحدث إليه لساعات طوال، وتقرأ له، وتضمنه بين ذراعيها عندما يأخذ منه النصف كل ما أخذ وتقطع معه كفاسه فيكاد لا يفرى على الكلام، وكانت تحبته بصدق ما أمكنها ذلك. لقد كان يرى الحياة من منظورها، وكان دائماً يتكرها بصغور صغير ضعيف مبهتس الجناح.

كانت وغوردون قد اقترحا على لطيفته إجراء عملية زرع رئة وقلب،

تلك التي كانت تجري في الولايات المتحدة، ولكن تبين في نهاية المطاف أنه أشد خطراً من أن يحتمل العملية الجراحية، أو حتى الرحلة نفسها. وبالقنلي لا تنفع المجازفة في هذا الأمر. كان علم ثيودور يتكلم من والدته وأخته، وتعدّه تخوم المنزل الواقع الأنيق الكائن في شارع جرينيل. كان والده منزعاً على الدول لإزاء مرض ابنه، وكان مضطراً على تيدي أن تُنسى به الممرضات طوال حياته، ولكن كانت أمه هي التي تعتني به معظم الوقت. مضى وقت طويل على التقلي عن أصدقائها واهتماماتها الخاصة وكل مظاهر الحياة الشخصية لديها. أما اتصالها مع العالم في السنوات الأخيرة فكان في النساء عند تواجد غوردون وكان هذا لئلاً جداً. كانت ترى أن رسالتها ومهمتها في الحياة هي إبقاء تيدي على قيد الحياة وإسعاده. وهذا ما جعل وقتها وعقليتها تتحولان على مر السنين عن شقيقته صوفي التي بدا لها أنهم كذلك، وكانت إيزابيل محبة لها على الدول. ولكن واقع تيدي فرض عليها أن تكون له الأولوية. لقد كانت حياته تعتمد على ذلك. في الأشهر الأربعة الأخيرة، وخاصة منذ بداية الربيع، تحسنت حالة ثيودور، وهذا ما أعطى والدته فرصة مناسبة لتقوم برحلتها السافرة والمتوقعة إلى لندن. لقد كانت هذه الرحلة من اقتراح بيل روبنسون، والتي بدت متخورة ظاهرياً الوطء الأولى.

كانت إيزابيل وبيل قد التقيا قبل أربع سنوات في حفل استقبال أقامه السفير الأمريكي في بلارين الذي كان من زملاء الدراسة لقدماء لوردون في برنستون. كان بيل في خضم الحياة السياسية، وكان معروفاً أنه من أقوى الشخصيات في واشنطن، وعلى الأرجح أكثرهم ثراءً، أخبرها غوردون أن وليم روبنسون هو الذي كان وراء إيفال الرئيس السابق إلى البيت الأبيض. كان قد ورث ثروة ضخمة تكاد لا تحصى وفقد إلى السياسة وإلى السلطة التي كتمتها له منذ شبابه. ولقد كان هذا ملائماً له، وفي الواقع كان يفضل أن يبقى وراء الكواليس. لقد كان له نفوذ وتأييد كبيران على المرشحين وعلى اللاديين على السواء، ولكن ما كثر في إيزابيل هو هدوءه وتواضعه

عندما تلقيا لأول مرة. عندما أوضح غوردون ظروف بيل لها بدا من الصعب أن تصدق مدى الفراء والسلطة اللتين كان يتمتع بهما. فقد كان بيل متواضعاً ومتحفظاً وهذا ما أعجبها فيه منذ اللحظة الأولى. لقد كان هادئاً سهل المعشر وبدا شاباً بشكل مشير للدهشة، وسرعان ما أبدى حسناً الدعاية والمزح. لقد جلست إلى جواره على العشاء واستمتعت بصحبته اللطيفة. وكانت في غاية السرور والدهشة إذ كتب لها في الأسبوع التالي، وبعدها أرسل لها كتاباً فنياً نافذاً كانا قد تناقشا حوله، وكانت قد أخبرته أنها تسمى ورده هذا الكتاب منذ زمن طويل. لقد أفذهت إذ تذكر ذلك، لاسيما وأنها تترك وطأة ضغط الأعمال والأشغال الكثيرة التي يوزج تحتها، وتكررت من أنه كلف نفسه عناء البحث عن الكتب وإرسالها لها. لقد كان مشغولاً بالكتب الفنية والنادرة.

كان حديثهما يكاد لا ينتهي حول سلسلة اللوحات الزيتية التي وجدت لذلك، بعد أن هربها النازيون سراً معهم خلال الحرب، وتم اكتشافها مؤخراً في كهف في مكان ما في هولندا. وامت حديثهما أيضاً ليتناول موضوع اللوحات المزيفة، وسرقات الفن، وأخيراً عمليات التجديد، والتي كانت ما قد قامت بها عندما التقت بغوردون. لقد كتبت مبيتة متفرقة في متحف اللوفر، وفي الوقت الذي تقاعدت فيه، وذلك عند ولادتها لصوفي، كانت تعتبر ماهرة وموسعة.

لما بيل فقد فنّ بنفسها، وهي أيضاً كذلك، وخلال الأشهر التالية نشأت صداقة غريبة ولكن مريحة بينهما وذلك عن طريق الهاتف والرسائل. وقد وجدت بعض الكتب الفنية النادرة لإرسالها له وفي المرة التالية لقي جاء فيها إلى باريس، اتصل بها هاتفياً ودعاها للعداء. ترددت في الردية ولكنها لم تستطع أن تقاوم، وكانت هذه من الفوائد التي تركت فيها ثيودور في وقت العداء. كانت صداقتهما قد بدأت قبل أربع سنوات، وكان يهدي في العاشرة من عمره لذلك، وحين الأرم، أبلعت صداقتهما وتطورت. فكان يتصل بها هاتفياً من وقت لآخر، في أوقات غير اعتيادية بالنسبة له، وذلك عندما كان يعمل حتى وقت متأخر، هذا الوقت الذي يكون صليماً بكرة عندها. لقد أخبرته أنها

تستطيع المساعدة الخامسة فجراً لكي تأتي بتيدي كل صباح. وبعد ستة أشهر أخرى سألها إذا كان غوردون يعارض اتصالها بها. في الواقع لم يخبره عن ذلك أبداً. لقد عنت صداقتها لبيل مسرعتها الخفية السرية التي بذلت جهودها لكي تحافظ بها لنفسها.

لماذا سيعارض؟ سألته بلدهاش. لم تكن لتريد أن تثبه عن الاتصال بها. لقد كانت تستمتع بمكالمته لها كثيراً، وكان بينهما اهتمامات عديدة مشتركة. والغريب في الأمر أنه هذا نافذة الاتصال الحقيقي الوحيدة لها بالعالم الخارجي. لقد توفقت استخلاها عن الاتصال بها منذ سنين. وزداد انقطاعها عن الآخرين بشكل مطرد. إذ كانت تعني أيلها وليالها في العناية بتيدي، ولكن كان لديها قلق بخصوص اعتراض غوردون على مكالمات بيل. لقد ذكرت له كيف كان الأولى التي كان قد أرسلها لها عند وصولهما وبدا غوردون مذهلاً ولكنه لم يتقوه بكلمة البتة. ولم يبد أي اهتمام معن بارسال بيل الكتب لها، ولم نقل له شيئاً عن الاتصالات الهاتفية. فيكون أصعب عليها أن تفسرها له، وهي في حد ذاتها مكالمات برينة للعناية. فالأشياء التي كانت يسارحان بهنهما البعث بها لم تكن شخصية على الإطلاق، ولم تكن خارجة عن البقية، ولم يبد أي منهما بالحديث عن حياته الشخصية، وكانا في بداية الأمر قلماً يتحدث أحدهما عن شريك حوله. لقد كان بالقسمة لها صوتاً لطيفاً ونوداً وصل إلى مسامعها فجأة في الساعات العالكة من الصباح الباكر. وبما أن جرس الهاتف ما كان يرن في غرفة نومهما ليلاً، فإن غوردون لم يسمعه. وفي الواقع كانت تتوقع أن يعترض غوردون على هذه الاتصالات، لو عرف، ولذلك لم يخبره البتة. لم تكن تود أن تضر نعمة مكالمات بيل لو صدقته لها.

كان بيل يتصل كل بضعة أسابيع في البداية، ثم لاذت ببعده مكالمته لها. وتقالوا للعداء معاً من جديد بعد حوالي سنة من لاقتهما الأول. ومررة حين كان غوردون خارج للمنزل أخذها بيل إلى العشاء. فتنالوا العشاء في مطعم

صغير هائل قرب المنزل، وقد صُنعت عندما هانت إلى المنزل وأُدرجت أن المساحة كانت قد تجاوزت منتصف الليل. لقد كانت تشعر وكأنها ورودة ذبالة ذلوية تشرب الشمس والمطر. إن الأمور التي تحدث عنها كانت تنفي روحها، وكانت مكافئة وزيراته الفائرة تنزّرها وتقربها. وبالمستاء لوالدها، ما كان لدى إيزابيل أحد تحدث إليه.

كان غوردون رئيس لكره المصارف الاستثمارية الأمريكية في باريس، وكان في ذلك المنصب منذ سنوات. وفي الثالثة والخمسين من العمر، كان بكر إيزابيل بسبع عشرة سنة. لقد ابتعدا عن بعضهما عبر السنين، وكلفت هي تكلف ذلك، وتظن أن السبب يعود إلى تيدي. لم يستطع غوردون أن يحتل جو المرض المستمر الذي كان يحيط بالطفل كسيف مسلول مسلط على وشك أن يهوي على حلق الغلام. ما كان غوردون يسمح لنفسه بأن يكون قريباً من تيدي، وكان الجميع يعرف ذلك. كانت كراهيته لمرض تيدي مفردة الغاية، بل كانت شبه رهابة⁽¹⁾. كان تيدي نفسه بشدة يدرك ذلك، وكان يظن وهو صغير أن والده يكرهه. ولكن مع نموه في السن صار يرى الأمر من منظور مختلف. عندما بلغ العاشرة من العمر أدرك تيدي أن والده كان يخاف بسبب مرضه. كان مذخوراً من مرضه، وكانت الطريقة الوحيدة لنفسه للهروب من هذا الشعور هو أن يتجاهله بالقوة، ويذعي أو يخبر أن الطفل لم يولد أصلاً. لم يلبث تيدي أي موقف من والده بسبب شعوره ذلك، ولكن كانت عنده صرامة وعقلاً مع إيزابيل، وعلامت الحزن دائمة على وجهها. أنه كان يمشي عن بلد يود لو يزوره ويعرف أنه ليس له إلى ذلك من سبل. كان لكل من والديه غريبا بالنسبة لبعضهما البعض كما لو أنهما لم يلتقا أبداً تقريباً. كان غوردون قد أوصد باب قلبه دونه، ووضع كل طاقته في عمله، كما كان يفعل

(1) القزافي (phobic): الرعب، الخوف أو التعف المرضي، خوف مبالغ فيه ومرضي من نوع من المايزات والأوضاع، وهو في كل الأحوال خوف غير منطوق وغير مبرر. الشرجم

لسنوات عديدة، وأقصى نفسه قدر الإمكان عن الحياة في المنزل، وخاصة زوجته. اقتصر الوحيد من أفراد عائلته الذي بدا متجنباً قليلاً إليه هو صوفي. لقد كانت شخصيتها أقرب إلى شخصيته منها إلى شخصيته وانتهت. وكانت هناك عدة وجهات نظر مشتركة بين صوفي وغوردون، وبرودة معينة معتدية في الهيئة والأسلوب. بالنسبة لغوردون، كان على مدى السنين يتبدد جنوفاً بينه وبين الجانب الأكثر حطافة في الحياة الذي كان يراه في جميع أحواله على أنه ضيق لا يروق له على الإطلاق. أما في حالة صوفي فيبدو ببساطة أنها ورودة عن والدها هذه الصفة التي غرسها في نفسها، فعلى عندما كانت طفلة صغيرة كان الجانب العاطفي عندما لال بكثير مما هو عند أبيها، وبدلاً من أن تطلب المساعدة من أحد، وخاصة من إيزابيل، إليها كانت تكثر من ذلك أن تطلب كل شيء بنفسها. إن برودة حواف غوردون أُنشئت في نفس صوفي الشخصية ذاتية ونوعاً من الاعتداد بالنفس المتشظ. وكانت إيزابيل عندما تكوناً صا إذا كان ذلك هو رد فعل غريزي لديها نحو تطلب المساعدة إلى الكثير من وقت وانتهت. قللاً تحصل على كل مما تحتاج في لو تطلب، كانت صوفي تنزع نفسها وعلمهاا القلص الصغير أنها ما كانت في حاجة إلى شيء منهم. لم تكن تتكلم الثقة والأمرار مع إيزابيل، وكانت تنمق عن الحديث عن حوافها ومشاعرها إن أمكنها تحاشي ذلك، وكانت على الدوام قادرة على ذلك وتصرف على هذا النحو. وكانت إيزابيل تعرف أن صوفي، إن كانت ستنق بأحد، فإن يكون بها وهي أمها، بل بالمستقلها. وكان الأمل يحدو نفس إيزابيل على الدوام بأنها ستجد مع صوفي عندما تكبر ليساً مشتركاً تقوم عليه صداقة بينهما، ولكن كان هذا بعيد المنال، فلم تكن علاقتها مع أختها الوحيدة يمثل تلك السهولة بالنسبة لها.

من جهة أخرى، إن برودة غوردون تجاه زوجته كان مبالغاً فيها. إن اعتماد صوفي الظاهر عن والدتها كان يمكن تعليله بمحاولتها التوافق على أفعالها وتكاملها على نفسها مقابل غوز أفعالها وحاجته المستمرة إلى أنه، وذلك

محباً منها لأن تكون مختلفة عنه، بالنسبة لها، بدا تقريباً أنها تحاول أن تحزن على أنها ليست في حاجة إلى الوقت والطاقة اللذين ما كتلت والذينها ففردت على منسجها لها، وبالنسبة لهوردون، إن المسألة على ما يبدو لها جنود أصلي بكثير مما كتلت، إيزابيل على الأقل تشعر بها أو تراها على أنها استياء كبير صديق منه تجاهها أو تجاه أسرة القصر الذي منحها ولداً معلماً كان هوردون يلقى تيمناً عليها هي.

كان لهوردون نظرة حادة إلى الحياة، وكان ينظر إلى الحياة صوماً من مسألة أمان كما لو أنه كان يرغب في متبعة مبراة دون أن يشأه في اللعب السواء خلافاً لتيدي وإيزابيل اللذين كانا عاطفيين تجاه كل شيء يشعرون به ويحبران عنه. إن الشعور المتكبد الذي كتلت تتشارك فيه مع الطفل هو الذي ألقى تيدي على قيد الحياة خلال حياته المليئة بالمرض. وتقريباً في النهاية بأنهما وتكريس وقتها له بعد هوردون عنها منذ وقت طويل، وعلى الصعيد العاطفي كان هوردون قد انخلى من حياتها الماطفة منذ منين، بتيد ولادة تيدي، وحتى قبل لتقلها ببيل بسنوات، كان هوردون قد تخلى عن النوم في غرفة نومهما. وكان هوردون قد حلق ذلك بقوله أنها كتلت تأتي إلى الفراش في وقت متأخر جداً وتجلس في وقت مبكر جداً، وهذا كان يزعجه. ولكنها كتلت تشعر وبكل تأكيد أن الأمر أكبر من ذلك. وبما أنها ما كتلت تريد للأمر أن تسوء أكثر من ذلك بينهما ولا أن تجاهله فإنها لم تيدي اهتماماً بالرد عليه إزاء ذلك. ولكنها كتلت تعرف ومنذ زمن بعيد أن حوالت هوردون لتوها قد انضطحت في البداية ومن ثم تلاشت نهائياً.

لم تعد إيزابيل حتى تذكر أمر مرة لسمها فيها أو فقها أو مرض الحب معها. لقد كتلت هذه حقيقة حياتية تفككتها الآن. وقد مضى وقت طويل منذ أن تلمست أن تحيا بدون حب زوجها لها. وكانت دائماً ما ترتب في أنه لم يكن فقط يربط مرض تيدي بها، بل أيضاً كان يلومها عليه، رغم أن الأطباء كانوا

لها أنها غير مسؤولة عن مرضه وبخلافه⁽¹⁾. لم تكتسب إيزابيل هذا الموضوع طبعاً مع هوردون، ولم يكن شمة وسولة أمامها لتكريس نفسها من اهتمامه المستمتع. ولكنها كتلت تشعر بها دائماً وتعرف أن لديه هذه الفكرة. لقد بدا وكأن مجرد رؤية هوردون لإيزابيل ينكره بحجة تريض الطفل (في المستشفى)، وكما أنه يذنب منذ الولادة، بدافع الرعب من طعنه ومرضه، فإنه لغيراً بعد إيزابيل لها من حياته. لقد شيد جذراً بينه وبين زوجته وذلك لكي يحول بينه وبين صور المرض التي كان يمتصها. لم يستطع أبداً أن يتنازل أو يتنازع مع ما فهمه على أنه حبيب منذ أن كان هو نفسه طفلاً. وهذا الجذر الصلب بينهما ما عادت إيزابيل تحاول أن تهدمه رغم أنها حاولت ذلك في البداية. لقد باتت محاولاتها بالتقرب منه بعد ولادة تيدي بالفشل، فقد كان هوردون يرفض كل محاولاتها، إلى أن قبلت لغيراً هذه الفكرة فوسعة من العزلة بينهما كثر والقع في حياتهما.

لقد كان هوردون دائماً بارد الأعصاب والمشاعر وصلباً جداً بطبيعته. وقيل أنه كان قسياً لا يرحم في العمل، ولم يكن لديه دفء من أي جانب في حياته، ورغم ذلك فقد كان عاطفياً محباً لها في البداية. لقد بدا اعتدائه بنفسه كله تدللاً لها وعلى غير ملوف بالنسبة لها. وبسبب طبيعته تلك فإنها اعتبرت كل ابتسامة فطرت بها وكل إيماءة دافئة حصلت عليها تنصراً لها وذلك لأنه ما كان يظهر مودة لأحد آخر غيرها. لقد كانت شابة فتية آنذاك، وكانت مأسورة به. لقد كان يبدو مقتراً وبلغ القوة في عوايها، ومؤثراً في كثير من الأحرار. لقد كان رجلاً يسيطر بشكل كامل على كل جوانب عالمه. وكان هوردون يرى في إيزابيل الكثير من الأشياء التي تروق له والتي كتلت تسجل منها زوجة مثالية بدون ريب. وبالتأكيد فإن لسمها ومحبها الكريم، وميراثها وصحتها الأرستقراطي، ورفيعاتها وحالها المهمة هي التي ساعدته بشكل كبير في مجال عمله في المصرف. كتلت تروى حائلها قد تبددت

(1) الخناج (premature birth): ولادة الطفل قبل أوقته.

قبل مفوت مضت، وأما أميتها في مروح الحلة الاجتماعية والسلمية فكانت لا تزال كبيرة، إن روليه منها زاد من مكانته الاجتماعية وكان عملاً هاماً بالنسبة له. قد كان لها دور كبير في تعزيز منزلته ومهنته، وإضافة إلى أصلها وشجرة نسبها الكريم كانت تتمتع ببراعة طويلة كانت لها الطريق بسهولة إلى قلبه.

لأ تكون دولته الاجتماعية الخفية إلا أنه كان يشعر بخيبة وحلوة إيزابيل القليلة التي كان يصحب على أي رجل أن يرافقها. قد كانت عاطفية، لطيفة، دونما رياء أو خداع. وسامه كبرياء مظهره وتطرس عذابه واضلعه الكبير بها عندما كان يتودد إليها في عطفاً تكثر إليه كيهل. قد كانت مغرورة بكنهه، مسرورة بملحمه وفوقه في الحيلة، وقد كان غوردون متعلقاً بها فيه الكفاية، وهو الذي كان يكبرها بسبع عشرة سنة، ليقول لها ما هو مناسب وفي الشكل المناسب، وحتى حلفتها كانت في غاية السورور عندما طلب بها الزواج. قد كان راضعاً بالنسبة لها أن غوردون سيكون زوجاً مثالياً وسينسى بها الفانية، أو هذا ما اعتقدت. وعلى الرغم من الصيت الملعون عنه بكنهه حازم في معاملته في المصروف، إلا أنه بدا لها غاية في اللطف، ولكن تبين فيما بعد أنه لم يكن هكذا تماماً.

في الوقت الذي تلت فيه إيزابيل بيل روينسون كانت امرأة تعيش في عزلة، وتسهر على صحة طفلها الميوس من حالته الصحية، وتعيش مع زوج كان قلماً يتحدث إليها، وتحيا حياة في غاية الوحدة. قد كان صوت بيل، أحياناً، نافذة اتصالها الوحيد مع راشد آخر طوق يومها، فيما هذا طبيب يهديه أو ممرضته. وبدا أنه الشخص الوحيد في عالمها الذي كان مهتماً بها حقاً ويصدق. كان غوردون، إن فعل، فلفراً ما يسألها عن أحوالها. جل ما كان يقول لها، وفي الحالات القصوى، هو أنه سيكون خارجاً من أجل العشاء ليلاً، أو أنه يزعم أن ينطلق في رحلة صبيحة اليوم التالي. ما عاد يشاركها مجريات أحداث أيامه. وكانت محادثتهما القصيرة المتقطعة تترك مراراً وتكراراً إحساسها بأنها لم تعد موجودة في حياته. أما الساعات التي كانت تقضيها في

الحيث إلى بيل قد قادت الفوف إلى عالم أوسع وأعلى. كانت تلك الساعات كخيمة وراء غل باليسية إلى إيزابيل، وحل دجة تلجا إليه في ليلها المعلقة. ومن خلال أصابتهما الحديدة المتعائلة مما حور السنين صار بيل صديقها المصمم، وهذا غوردون هو الغريب في حياته.

قد حاولت أن تشرح ذلك ليل مرة في إحدى محاضراتها القليلة في الصباح الباكر، في السنة الثانية من صداقتها. كان يدي مريضاً لأسابيع جديدة، وكانت تشعر أنها منهجرة ومليكة وليلة للسلوك، وكانت مكتبة بسبب برودة تحمل غوردون معها في القيلة القليلة. قد أخبرها أنها إما تندر وقتها سدى في حياتها بأنها لأن الجميع كانوا يرون بوضوح أن الفلام على وشك الموت عما قريب، وأنها يجب أن تستسلم لهذه الفكرة. قال لها أن وفاة الطفل في القيلة ستكون راحة للجميع. كان صرتها يتهدج بالكاء، والدموع تفرق من عيناها عندما راحت تمكث عن ذلك ليل الذي هادئ تمير قلب وقد الطلق وقصوده لهر إيزابيل.

أعتقد أن غوردون سئاه على جنا بسبب كل السنين التي استعنتها في قنينة يدي. إذ لم يكن لدي الكثير من الوقت لأغضبه معه كما ينبغي. هذا ما أسررت به له إذ كانت تعتقد أنها لم تخصص وقتاً له بالمقابل الذي كانت تعرف أنه يتقرب منها أن تتركه له. وكان غوردون وهذا زمن طويل قد رتب في ذهنها فكرة أنها خلقته كزوجة. وهال بيل أن يسمع مدى استعانتها لاقبل ما يقوله غوردون لها.

قال لها بيل بلطف: يبدو من المعلوم، وفي ظروفه، أن تكون لتيدي الأولوية في حياته يا إيزابيل. قد كان يستشير الأطباء من أجلها ولعدة أشهر على أمل أن يحصل على شفاء معجز لتيدي. ولكن ما قاله الأطباء له لم يكن مشجعاً. بسبب قول إيزابيل كل الطفل ينبغي من مرض متكرر⁽¹⁾

(1) مرض متكرر (degenerative): أي مرض يعمر كثير فكل مختلفاً من سيء إلى لواء.

يصيب قلبه، وكلفت رفتهما قصوراً⁽¹⁾، وأن جسده كله كان أخذاً في التلف على نحو بطيء. وكان الرأي مجتمعاً على أنه وبمجردة قط يمكن أن يعيش حتى العشرينات من عمره. وقد كان غواد بيل يمشي لإثباته ما تلقاه إيزابيل الآن وهما يتولجعه يوماً ما.

على مر السنين القليلة قليلة ازدادت صداقتهما صفاً. كانا كثيراً ما يتحدثان على الهاتف، وكلفت إيزابيل تكلم له رسائل طويلة، خاصة في الليالي التي كانت تضيها ساعرة جالسة إلى جوار سرير ندي. قد مضى وقت طويل منذ أن غدا ندي محور حياتها، وليس قط أنه أبداً من غورديون وحبيب، بل إنه غصها لها أن صوفي قتي كانت تقوم وقتها على ذلك لسي أكثر من مناسبة. قد تهمت وقتها باهتمامها بلونها فقط. والوحيد الذي لمكن إيزابيل أن تحتك عن ذلك كالي بيل، وذلك خلال لحفتهما الطويلة في قلب الليل.

لحظات المشاركة بينهما تجاوزت وقائع حياتهما اليومية، وكلفت مضغوطات طبخة السواسية تتلصق كالدمار عندما كان يتحدث إليها. وبخاصة إلى إيزابيل، عندما كانت تتحدث إلى بيل، كانت كما لو أنها تنقل إلى مكان وزمان تسمى فيهما مرض ندي ونيد غورديون لها وسط صوفي على الطاير. ولكنها ترتفع من الحياة التي تعيش إلى أماكن أخرى وموضوعات أخرى. وكانت يوماً ما تهتم بها بحق كبير. لقد أعطاهما بيل منظوراً جديداً للحياة، وكانت يتحدثان دونما كلفة وبضمان معاً. لقد حكى لها كثيراً عن زوجته، وعن نفس الذين عرفهم، والأسدقاء الذين افتم بهم، وبين الفينة والأخرى، وأحياناً عنه، كان يخبرها عن زوجته وأبنائه في الجامعة البعيدتين عنه. لقد تزوج عندما كان في الثانية والعشرين من عمره. ولم يبق من زواجه بعد ثلاثين سنة سوى قصور زواج. لقد صارت زوجته سيني نكره العلم السياسي الذي يعيش فيه.

(1) قصور (inadequate) في الرنة. أي أنها تميز عن أداء المهمة أو الوظيفة الأساسية لها.

وفلس الذين يلتقيان بهم، والوجهات المتوعة على بيل، والمناخات التي كان يفرس فيها حضورها، والوقت الطويل الذي كان يقضيه في السفر. لقد كانت تردى كلها بالمسلمين وتحرقهم. وكلفت نكره أن يكرس بيل حياته لهم.

الأشياء الوحيدة التي كانت تهتم بها سنيان، الآن وقد كبرت الفتاتان، هي استقلالها في كونفكتوت⁽¹⁾، وحضور حفلات، ولعب قنسن. وبدأ أنه ما كان يهمها أن يكون بيل جزءاً من حياتها. لقد تهمت حاضنها نحوه قبل عدة سنوات، وراحت تعيش حياتها دون أن تشعر بالأسى عليه. لقد رافقته ثلاثين سنة في كل شيء. وكلفت تثير حياته السياسية في مقدمة كل شيء. ولم يكن بيل من قبلها أبداً في أي حدث يخصهم كحفلة مثل حفلات التخرج، والأعياد. قد كان على القدماء في مكان آخر، يهيم مرشحاً للانتخابات الأولية⁽²⁾ أو كاتبة. وقد مضى في السنوات الأربع الأخيرة كثير القززد على البيت الأبيض. ما عهد يوش فيها، وكان يهيمها أن تخبره أن كل ما يفعله كان يضجرها. والأهم من ذلك أنها تبنت من حياتها الرجل الذي كانت تهتم مهنته. وكل ما كان يهيمها انتهى منذ زمن بعيد. لقد اكتشف في العام المنصرم أنها كانت تعيش عنه حقائق سرية مكتومة ومعد سنوات. لقد كانت هذه بمثابة انتقام منه على حشافة وحيدة ارتكبتها قبل عشر سنوات مع زوجة أحد أعضاء الكونغرس ولم يكرها ثانية. ولكن لم تكن سيني محبذة على الصلح.

خلافاً لإيزابيل وغورديون، كان وسيني لا يزالان يتشاوران غرفة النوم دون لجز حاج. لقد مضت سنوات منذ أن تشاركا الفراش، وكلفتها كانت تظفر تقريبا بأنها لم تعد مهتمة جنسياً بزوجها. لقد كلفت جميلة الشكل، ولها بشرة

(1) كونفكتوت (Connecticut)، هي ولاية الأمريكية الواقعة في أقصى جنوب كيو بيلاند في الولايات المتحدة الأمريكية. يحد من الشمال ولاية ماساتشوستس، وإلى الشرق رود آيلاند، ومن الجنوب خليج لونغ آيلاند ساوند، ومن الغرب ولاية نيويورك.

(2) انتخابات أولية (primary): انتخابات يجرها حزب لانتخاب مرشح ينفذ لارادة الجمهورية أو منتخب ما.

ممرء، وشعرها لتصل إلى لون شعر حبر السنين، وغريماً كلفت حتى نفس
 للدرجة من الجمال عندما تزوج بها قبل ثلاثين سنة مع بعض القصب في
 شخصيتها وطباعها الآن، وهذه ما كلفت لتجنب من نالهم. قد بقيت جديراً
 بينه وبينها يصعب عمنها، وما عاد يخطر له أبداً أن يحول ذلك. قد وضع
 طاقته في عمله، وكان يندفع إلى إيزابيل عندما يحتاج إلى يد يمسك بها أو
 تكف يمينه عليه، أو تلمس يده مع. قد كلفت إيزابيل في الشخص الذي
 كان ليمسك له بله متعب أو مضطرب. وكانت هي على استعداد دائم
 لتسفي إليه. قد شدة إليها لطف لم يجد له أبداً في زوجته. قد كان يحب روح
 سوندي الطيبة بالحياء، ومظهرها، ونشاطها، وحس الدخلة والحيث عندما. قد
 كان يطلب له أن يرثها وهما في مرحلة الصبا، ولما الآن فله يسأل فيما
 إذا كلفت حتى مستغنى إذا ما احتجى عن وجه الأرض. وكانت أبنائه يتدوون
 موحشين مثل والتهنئة عندما تكونان في المنزل ولكنهما غير مقررين به
 جوهرياً. وبعداً فله ما عاد أحد يهتم بوجوده أو لعدم وجوده في المنزل. قد
 كانوا يتمثلون معه وكف زفر غير مرقب عندما يصل إلى المنزل بعد رحلة
 صا، ولم يكن هو ليشعر بالانتماء إلى ذلك المنزل. قد كان كمال رجل بلا
 وطن. قد كان يشعر بأن ليس له جذور. وكان جزء من قلبه مطلقاً على ذلك
 للشخص الذي يفتن شارع روي غرينيل في باريس. لم يخبر إيزابيل أبداً
 بله بصبيها، ولا هي لفت ذلك، ولكن حدث عليه حتى الآن سنوات عديدة
 وهو متعلق بها بشدة. وكلفت إيزابيل محبة به كثيراً.

إن المتحضر التي حذر منها كل من بيل وإيزابيل للأمر كلفت لا تتدنى
 لصدقة رسمياً. لم يعرف أي منهما للأمر أو لبله بأن هناك أكثر من مجرد
 إصجاب وإرتياح واستمتاع بين الحور السنود. ولكن بيل قد لاحظ على نفسه
 حذر قسطن فله نصب بالقلق عندما لا تكتبه رسائل منها، وفه كان يشتاق إليها
 عندما كلفت لا تستطيع نقل مكالمة به سبب وضع يدي الصبي السن أو
 بسبب مرافقتها لخوردون إلى مكان ما. قد كان قلبه والتهنئة أكبر من أن

يستطيع الإصلاح عنه أو الإقرار به. قد صار وجودها رسماً في حياته وطيه
 كان يحول ويصعد. وقد كان يعني لها الشيء الكثير. فاستقاء إليها أبلغ من
 السر أربع عشرة سنة، كان بيل شخص فرح الذي كلفتها أن تتحدث إليه.
 قد كلفت تمهل لملأ من الحديث إلى خورون كما تتحدث إلى بيل.

قد كان خورون في الواقع إنكليزياً في شكله وأسلوبه أكثر مما هو
 أمريكي. قد كان والده أمريكيين كلاماً، ولكنه تزوج في إنكلترا. قد ذهب
 إلى أيتون، وبعداً أرسل إلى الولايات المتحدة كي يدرس في الجامعة، فحس
 إلى برينستون. ولكنه سرعان ما عاد إلى إنكلترا بعد التخرج، ومن هناك انتقل
 إلى باريس للعمل في المصرف. ولكن أياً كان أصله، إلا أنه كان يبدو بريطانياً
 أكثر منه أمريكياً بكثير.

لحق خورون بإيزابيل في فصل صيف في منزل جدها الصيفي في
 مانشير عندما كلفت تزورهم لفظة من باريس. كانت آنذاك في العشرين من
 عمرها بينما كان هو يناهز الأربعين، وما كان له تزوج أبداً من قبل. ورغم
 صف النساء الجيلات في حلقه، ويحسب سيكلفت على الأخرى، إلا أنه لم
 يجد أي منهن جذيرة باللائق أو بالزوج. كلفت والدة إيزابيل إنكليزية ووالدها
 فرنسي. وكلفت قد عاشت في باريس طوال حياتها، وكلفت تزور جديها في
 إنكلترا كل صيف. قد كلفت تتحدث الإنكليزية بدون لفظاء، وكلفت لفتة بكل
 معنى الكلمة. قد كلفت ساحرة لفظة، تكة، حائلة حكيم، وضجة رفقة القلب.
 وإن دلها وخفة ظلالها وفطنتها شبه السحرية خلقت آفة من أول لحظة رأها فيها.
 ولأول مرة في حياته، آمن خورون بله واقع في الحب. وكلفت للفرس
 الاجتماعية المحملة التي يلهمها له زواجه بها تروق له بشكل لا يلام. قد
 كان خورون يندحر من حائلة مضربة، ولكن ليست شهيرة أبداً مثل حائلة
 إيزابيل. قد كلفت وأنتها تندر من حائلة بريطانية عامة لها ارتباط كبير
 بمسألة المصروف، وتربطها حائلة قري بعيدة مع الملكة، وكان والدها رجل
 دولة فرنسي مرموق. وبالنتيجة كان خورون يرى فيها دأ مناسباً لتكون

شركة حياها. لقد كان نسبها سامياً، وكان خجلها وندامة خلقها وتواضعها وحسن لاعلمها تجعلها أقرب إلى الكامل. لقد ملكت وافتها قبل أن تتلقى إيزابيل بوردون، وكان والدها قد أعجب به، وبذلك قرعتهما بمولفته. قد غفر أن بوردون هو الزوج المثالي لإيزابيل. وثبت خطوبة إيزابيل وبوردون وتزوجا خلال عام. وكان هو الأمر القام. قد أوضح لها من البداية أنه هو من يتخذ كل القرارات في حياتهما. وكلفت إيزابيل توقع ذلك منه. قد اتخذ هذا الدور بسبب صغر سنها، إذ ما كانت تتعرض على ذلك. قد أخذ لها الأكفاس الذين يديها طوبى زيارتهم، والمكان الذي سيجلس فيه، وطريقة الحياة معاً، بل حتى إنه هو من اختار المنزل في شارع روي غريويل، واشترى حتى قبل أن تراه إيزابيل. كان لذلك قد صار لثمة مديراً للمصرف، وتمتع بمركز مرموق. ولقد تزوجت مزلته بسبب زواجه من إيزابيل. وكان عليه بالمقابل أن يؤمن لها حياة آمنة مضمونة. وسرعان ما لاحظت إيزابيل القيد التي وضعها عليها عندما كان الزمن يمر.

لقد أخذ لها بوردون من من أسندتها لم يحبهم، ومن كان بإمكانها أن تراهم، ومن لم يوافق عليهم. قد كان يتوقع منها أن تكون مضطربة وسخاء لصالح المصرف، ولقد تعلمت كيف تكون هكذا سريعاً. قد كانت خيرة ماهرة وبارعة وتمتع بحس ثرائي والتطهي لامتلاكها، وكلفت على استعداد كامل للعب تطميته. وأنها بدت تشع بأنه كان مصحفاً لأمها، بد أن كان قد أغشى من دافرة حياتهما الاجتماعية جداً من الناس الذين كانت تحبهم. قد قال لها بوردون بشكل قاطع بأنهم ما كانوا جديرين بها. أما إيزابيل قد كانت أكثر اقتناعاً على الناس الجدد والفرس الجديدة والمسلطت والمشاريع والمخبرات المختلفة المتوقعة التي تأملها الحياة. قد كانت تلميذة فنون، ولكنها كسفت وطيفة لها كبرمة آثار فنية مبتكرة في متحف اللوفر عندما تزوجت بوردون رغم احتجاجها. قد كانت هذه مسجلة مستفادها الوحيدة. ولقد لعبت الملل والناس الذين كانت تتلقى بهم هناك.

أو رمى بها في خضم القلير تحت رحمة الرياح والأقواء.

بعد تدي لم ينجها أي طفل. فما عاد غوردون يرغب بأن تزرُق بطلًا، وما عاد لدى إيزابيل وقت لتفكر. لقد وجدت كل وقتها ومشاعرها وكل ما لديها لابنها. وجسد غوردون يرحي لها، بشكل مباشر أو غير مباشر، بأنها خلقت. لقد كان الأمر وعقلها ارتكبت فكر الجرائم، ولكن مرض تدي كان خطيئا. لم يكن لدى الغلام ما يجعل غوردون يفر به، فلم يكن يرى مهواره وفكراته الفنية، أو حصيلته، ولا تكامه للامع، ولا حس الدعاية عندهم الأحياء التي يحصلها. ما كان يزجج غوردون فكر هو الشيء الذي كان يجده بين تدي وإيزابيل. ولم يكن يشعر إلا بالآثراء نوعها وبحق صديق صامت مكتوم لم يكن ليصرح عنه على الإطلاق.

ما لم تكن إيزابيل تعرفه، حتى لغورتها ليلة خلة غوردون بعد سنوات لاحقة. هو أن غوردون كان له أخ أصغر منه كان يعاني من مرض الشلل منذ الطفولة وله مات وهو في التاسعة من عمره. لم ينكر غوردون أو أي أحد أبداً لإيزابيل شيئاً عن أخيه. فالمصروع كان مضطوراً لتطرق إليه بالسمية له. ورغم أن ولادة غوردون كانت نحيه كثيراً عندما كان صغير السن، فإن القسم الأكبر من طفولته لأشياء يراقب ولقته تمكن بلغيه إلى الأبد. لم تكن ليلة الحلة مثلكة تماماً من طيبة المرض الذي كان يعاني منه شقيق غوردون. أو مما حدثت بالضيقة ولكنها كانت تفرح له. ولادة غوردون غطت طريحة القرائن بعد موت الغلام. وبعد ذلك حين كانت السيدة مريثين الذي دلم طويلاً ومقت في الفلوية موتاً بطيئاً مؤلماً. ولما الإنجاب الذي بقي لدى غوردون من جزء كل ذلك فهو إصطناع بخرقة أخيه وولادته له، وعدم اعتمادهما به وعدم منحهما له المكان والوقت، وأخيراً موتهما وهجره.

قلت ليلة الحلة أن ولادتها كانت تعرف تماماً أن والد غوردون قد مات بقلب منكسر، رغم أن ذلك كان بعد سنوات لاحقة، ولكنه لم يتف من وقع الحسارة المزوجة. في الواقع، كان غوردون يشعر أنه قد خلقه كلها بنتيجة

مرض طفل واحد. ولها بعد عشر وقت إيزابيل واعتمادهما الذين تكروا إلى مرض تدي. بفضل ما أوفضته ليلة الحلة لإيزابيل، أدركت هذه الأخيرة حقيقة ما كان يجري. ولكن عندما حاولت أن تحت غوردون عن تلك طلب منها بشكل قاطع أن تعي الموضوع، وقال لها أن هذه تزامنت، فلل لها بأنه لم يكن يمكن ليلة مشاعر حسنة لأخيه ولم يشعر أبداً بأي خسران، وأن موت والدته كان قد سار لذلك تكرياً باعته، وأن والده كان رجلاً صعب المرس. ولكن عندما تحدثت إيزابيل عن ذلك، ورغم اعتراضه، لاحظت نظرة طع في عينيه. فقد كان حينها طفل مجروح أكثر منها حيناً رجل غاضب. وعندما تساءلت إذا كان هذا هو السبب الذي جعله يتزوج مثلاً إلى ذلك الحد، والذي جعله يفر في منافي عن الجميع، ولديت لغيراً السبب الذي يجعله يرفض تدي، بل الأثقل. ولكن فهما السبب لم يساعدها في التفكير على غوردون. ثم تفتحت تلك أبواب المسئلة المسلوقة بينهما، ولاحظ غوردون أن إيزابيل وتدي يملكان حنيناً وبها هكذا.

ولدت أن توضح ذلك ليل، ولكن وجد أن هذه الحلة يصعب فهمها ولها قوة ووحشية من غوردون أن يصبرها عنه عطفياً. لقد كانت إيزابيل أحد أروع النساء التي رآهن، وقد حصل لطفها وإيقظها في جملها أكثر فتنة وجاذبية بالقيمة له. ولكن أي كان ما ينكر به تعامها إلا أنه لم يبد أي تلميح رومنتسي نوعها، وما كان حتى يسمح لنفسه بل بالفر في ذلك. لقد أقيمت إيزابيل بوضوح ومن البداية أنه ليس هناك خيار في هذا الموضوع. فإن كانا سيحفظان على صداقتهما يجب أن يحترم كل منهما زواج الآخر الجدير بالاحترام. لقد كانت مخلصنة وصانعة للقدية في علاقتها مع غوردون رغم قسوته نوعها أو ليمتددها في السنوات الأخيرة. لقد كان لا يزال زوجها، وكل يدهش بل أنها كانت تحفره وتقرر علاقة زولها تقديراً كبيراً. وكانت فكرة الطلاق أو حتى فكرة الخيانة يمينين جداً عن تفكيرها. كل ما كانت تطالبه من بل هو الصداقة. ورغم عزالتها مع غوردون في معظم الأحيان إلا

أفتر من سفرهما معاً. وما عاد يبق أي جهد أو محاولة لعضي إيجازته معها. فاقهم، ما حدا بعض الأسابيع العرضية يعضيها هنا أو هناك في هامبورغ. ويبدو أن ميدي كانت أكثر سعادة ضمناً لا يكون معها. ففي آخر مرة اقترح فيها أن يذهبا في رحلة معاً، أنه بطيون عذر كي لا يذهب، في حين أنها ذهبت لذلك في رحلة إلى لوروية مع إحدى أبنيتها. لقد كان الأمر طويلاً بينهما، لقد فارق زوليهما الفرح منذ زمن طويل، وهذا الأمر حقيقة رغم عدم رغبة أي منهما بالاعتراف به. لقد كانت تغلب ما يطرأ لها، ومع من تشاء، دون أن تحتاج إلى توضيح أي أمر. وكان بيل منشغلاً بالقضية السياسية التي يهرأها، وبسكاته القليلة مع إيزابيل في باريس. لقد كان هذا القلوب غريباً بينهما.

في نهاية الأمر، وبعد عدة أسابيع، ألقى بيل إيزابيل بالذهب إلى لندن. وعندما غرأوا ذلك كانت إيزابيل في غاية السوء والإثارة. ولذلك استطاعت أن تستقر موعد المعرض والقيام ببعض التسوق في لندن. لقد كانت تخطط للسزول في فندق كاريديج وربما كانت لتود رؤية صديقة قديمة لها من أيام المدرسة فتتقت من باريس إلى لندن.

وما هي إلا بضعة أيام بعد ذلك حتى اكتشف بيل أنه في حاجة لمقابلة السفير الأمريكي في إنكلترا. لقد كان مقررأً رئيساً لقضية الفرنسية الأخيرة، وكان بيل في حاجة إلى دعمه من أجل مرشح آخر، وكان يريد أن يطرح الموضوع معه بأسرع ما يمكن لكي يتوصل إلى أساس وقاعدة يستندون إليها من أجل التبرعات. فدمع هذا السفير يستطيع بيل إيجاع مرشحه. وكان من دواهي الصنف القليلة بالخدمة أنه لم تكن إيزابيل هناك في نفس الفترة. لقد أترك لديها التسوق للسفر عندما أخبرها أنه سيكون في لندن في الوقت نفسه.

سألته بلغة إنكليزية ذات لكمة بريطانية: "هل تصدت أن تكون هناك؟" كانت كلماتها مبتذلة بلغة فرنسية خفيفة كان يدها مسخرة. ورغم أنها في العادة والأربعين من العمر إلا أنها كانت لا تزال جميلة، ولا يدل شكلها على حقيقة عمرها. كان لها شعر بني دكن يشوبه لون أسمر، وبشرة تشبه اللون

أفتر قبلت هذا الأمر كواقع لسي في زوليهما. وما كانت تلمح لأكثر من ذلك. وكانت لتراض كل ما عدا ذلك في الواقع، ولكنها كانت لتفر الارتياح والسرور اللذين كان يعضيها بيل لها. لقد كان يحليها الفصح بخصوص أشياء كثيرة، وكان له معها نص الاختيار لمنظم الأتواء، وكانت على الأكل مبشور بالارتياح للحديث إليه بل حتى كانت تسمى كل قفها ومشغلها خلال ذلك. في نظرها كانت سدانة بيل حبة فائقة القيمة منحها لها وكانت موضع تقدير كبير بالخدمة لها. ولكنها ما كانت لتأثر من ذلك.

لقد طرأت فكرة الرحلة إلى لندن بالقصدة وببراعة وذلك خلال إحدى مكالمتهما في الصباح الباكر. لقد كانت لتتحدث عن معرض وشيك في بيت هالبري، لتعرق ثوباً لورويته ولكنها كانت تعرف أنها لن تستطيع ذلك إذ ليس في مخطط لقلوبهن عليه ذلك في باريس. فاقترح عليها بيل أن تسافر بالطائرة إلى لندن يوم أو حتى يومين فتشاهد العرض وتستمع ببعض الوقت هناك بعداً عن القلق حول زوجها ولطفها كعوج من التغيير. لقد كانت فكرة جديدة تماماً عليها إذ إنها لم تغلب ذلك أبداً من قبل. وفي البداية أصرت على أنه يصعب عليها القيام بذلك، على الأقل لأنها لم تترك ميدي يوماً من الأيام.

سألها بيل: "كم ٣٧ ومدة سافره الطويكتين وانضمأ حذاءه فوق طاوله مكتبه. لقد كان الوقت منتصف الليل عتد، وكان في مكتبه تلك اليوم من الساعة الثامنة صباحاً. ولكنه تروث في المكتب ليرحه لكي يتمكن من الاتصال بها. واختلف حديثه: "عذا جيد بالخدمة لك، كما وأن حالة ميدي قد خفت لفضل في الشهرين الأخيرين. وإذا طرأت مشكلة ما يمكنك أن تنودي إلى منزلك في غضون ساعتين".

لقد بدت الفكرة مغلوقة، ولكن لم يبق لها، خلال عشرون سنة زواج من هورودين، أن سافرت لأي مكان من دون هورودين. لقد كان زوليهما زولها لورويأً على الطراز القديم، وذلك خلافاً للارتباطات المتحررة التي تنبع منه ويسس سيدي، فقد كان مألوفاً بالقضية قبل وسيدي أن يسافر كل منهما وحده

كلون الخلف، وميلان خضراوان ولصعنت حيطان بلون الكيرمان. بناء على طلبهم كتبت قد أرسلت له قبل سنتين صورة فوتوغرافية لها مع ولديها. وكان كثيراً ما ينظر إلى الصورة ويتسم وهو يتحدث إليها في المكالمات الهاتفية في آخر الليل أو بولكو الصباح.

بالطبع لا. قال ذلك تلياً لسؤالها الذي لم يكن غير ملائم تماماً. لقد كان يعرف تماماً بمخططات سفرها عندما حدد الموعد مع السور في لندن. قال في نفسه أنه من الملائم أن ينسق جدول أعماله بحيث يكون هناك في الفترة نفسها، ولكنه في أصاقل قلبه كان يدرك أن الأمر هو أكثر من ذلك.

لقد كان يحب أن يراها، ويتشوق منذ انبعاث إلى بضع مرات التي اعتاد أن يراها فيها في باريس كل عام. فكان إما أن يجد مبرراً لذهابه، عندما كانت تنحس في حلبة فترة لا يراها، أو يوافق أيراما في طريقه إلى مكان ما آخر. لقد اعتاد أن يراها ثلاث أو أربع مرات سنوياً، وعندما يكون في باريس كلما يلتقيان على العشاء. ما كانت تكبر خوردون هن لقاتلتهما، ولكنها كانت، رغم ذلك، تؤكد لنفسها ولليل أنه ليس من خطب أو سرية في قاتلتهما. لقد كانت القنصيات التي يطلقها هي وييل على الأثماء مهيبة، لينة، مختصرة، وملائمة. لقد بدأ الأمر وكليهما كلما اتفقا يصلان وأبانت كعب عليها كلمة لصداقة. ولقد كانا كذلك بالمثل. إلا أنه مع ذلك كان يدرك ومنذ زمن طويل أن ما يشعر به نحوها كان أكبر مما يمكنه أن يخبرها أو يخبر أي شخص آخر عنه.

لقد كان يشق الوصول إلى لندن. فقلوه في السفارة ما كان مستغرق حله إلا بضع ساعات، وما عدا ذلك، فإنه كان يخطط لقضاء ما يمكنه من وقت معها. لقد أكد لها أنه كان هو أيضاً يتحرك شرقاً ليرى المعرض في الفيت. ولقد كانت تفرحها فكرة أن تشاركه في ذلك. فكالت القول لنفسها، أن هذا هو السبب الرئيسي في ذهابها إلى لندن أولاً ولأخيراً. وروية ييل سيكون ليراً إنشائها غير مرتقب. لقد حاولت أن تحدد كل شيء في ذهنها. لقد كانا صديقين

مكثبين وليس أكثر، ولما السبب في أنه ما من أحد عرف بصداقتهما فهذا إلى قضايلهما أن يكون الأمر على هذا النحو من البساطة. قالت في نفسها أن ليس هناك ما يخفوه. كانت في نظره ترتدي عباءة من الإصلاص بالمسؤولية بنت في غاية الأهمية بالقضية لها. فقد كانت قد وضعت حدوداً لمالكتهما، وهذه الحدود كان يسأل يحترهما من أجلها. فما كان ليفعل أي شيء يفسدها أو ينجيها. فما كان يريد أن يحرض أي شيء أو أي شخص للخطر، لقد صارت حالته بها شديدة بشكل لا يقدر بالقضية لها.

عندما وقعت في غرفة نومها في منزلها في شارع رو دي خريفل، نظرت إلى ساعتها، وتحدثت. لقد أن الأولى تقطر، ولكنها، وفي آخر لحظة، شعرت فيها كرامة لفكرة ترك عيدي. لقد كانت قد أعطت آلاف القنصيات للممرضات القوي سيحتجن به إتيان عولها. لقد كنّ نفس للممرضات القوي يحترن به دائماً، ولكن هذه المرة سوف ينش في الغرفة نفسها معه خلال عولها. وإذا فكرت بتعدي، سأرت على رؤوس أصابعها يرفق نحو الباب الذي يلي باب غرفة نومها. لقد أرغمت أن تأتي نظرة نظفية أخيرة على عيدي. لقد كانت قد فقت عليه فكرة نوعية القوداع ولكنها شعرت بغصة في قلبها لمجرد فكيريها بمفكرته. ولوهلة فكرت فيما إذا كان يجدر بها الذهاب إلى لندن. ولكنه كان نادماً بسبق وسلام عندما دخلت الغرفة، ونظرت إليها الممرضة بالتسلسل ولوحت لها بينما لكي تكبح سورها دون تكلم. كانت هذه الممرضة التي تسير عليه الآن إحدى أفضل الممرضات بالقضية لإيزابل. لقد كانت امرأة ضخمة الجثة باسمه الوجه شقراء البشرة من بريتين. ردت لها إيزابل القنصية، ثم عادت على أظفها وخرجت من الغرفة وأغلقت الباب. لم يبق لها ما تفعله، فلن الأولان لكي تلعب.

تلقطت إيزابل حليمة يدها وحشية صغيرة تضع فيها أعراسها حين تسوي فضاء الليل خارج المنزل، وألمت بالترتيب عندئذها وقد ارتكت بذلة سوداء، ونظرت إلى ساعتها من جدول. وعرفت أن ييل في تلك اللحظة لا

يزال مسافراً في مذكرته القلعة من نيويورك. قد كان يصل هناك في الليلة الأخيرة للقلعة. وفي أغلب الأحيان كان يقف دهباً وإلهياً إلى واشنطن.

وضعت حقيبته سفرها على المقعد الخلفي من سيارتها ووضعت حقيبتها من نوع هيرس كيلي على المقعد الأمامي بجوارها. فالتفت سيارتها عبر شارع رو دي غريويل بالقسامة في حينها وهي تستمع إلى مزياح السيارة، وقد حدثت وجهتها نحو مطار شارل دي غول، في حين أن ميل روبنسون كان ينظر من نافذة الطائرة خلفه تريم التي يملكها ويستلخصها دائماً. لقد كان يبتسم بينه وبين نفسه بينما كان يفكر فيها. لقد رغب الوصول لمذكرته إلى لندن في نفس وقت وصول إيزابيل إليها. ولقد كان يسميه الإحسان بالترتيب.

الفصل الثاني

مرّ ميل روبنسون عبر الجسر في مطار (هيثرو) ⁽¹⁾ وعليه حاكم المدينة فهداً وكله في حيلة من أسره. وقد كان هكذا بالفعل. ولم يستغرق سوى بضع دقائق ليؤترب حقيقته. وإذا حمل حقيبته يده ⁽²⁾ باليد الأخرى، خطأ نحو السائق من قبل كلاريدج الذي كان يقف بتوسط جانباً حليلاً لآلة صغيرة ككتب اسمها. لقد كان من حيلته أن ينزل في فندق كلاريدج كلما قدم إلى الفندق. وقد فتح ميل روبنسل لبناً بأن تمكث هناك. كان الفندق يحل بالتقيد القديم. وكان يمدداً له على الدول بأنه أفضل فندق في القارة، وقد كان يقع هناك منذ ثلاثين سنة. ولكن ما كان يروق له في الفندق هو أن القناصل عليه كل ما يهونه.

وضع السائق حقيبته سفر ميل وحقيبته يده في صندوق السيارة القمريين، ثم نظر إلى تلك الأمريكي الطويل القامة الأنثى الشعر، وأمسك للتي تلك الهائلة من الصفوف والنجاح التي تحيط به بشكل لافت للانتباه والتي يستحيل تجاهلها. كان ميل حيوان زرقاوان لامتناهات يرقان بتعبير لطيف، وشعر كان يوصاً لشعر رملي اللون ولكن غطته الشيب الأبيض. كانت القدي عليه حاكم الرجولة بشكل واضح جلي، وكان له نقن مربع حريض بشكل ملفت. كان يرتدي بملطاً فضفاضاً رملي اللون، وسكره فضفاضة، ولحمياً أزرق، ويضع ربطة عنق زرقاء داكنة من ماركة هيرس، وكان جذابه الجلدي الأسود قد أُنح بحماية شديدة قبل مغادرته لنيويورك. كانت تحيط به لسة من الألفة

(1) هيثرو (Heathrow): مطار يقع غرب لندن على بعد 25 كلم (15 ميلاً) من مركزها.

(2) حقيبته اليد (Briefcase): مظنة مسطحة لها محبض تستخدم عادة لحمل الأوراق أو الوثائق أو الكتب.

الفرقة، فكان حينئذ لم يبق لي مني شيء، لقيت أو مبرج. وبقيت في
الجميرة ليلاً فيها وهو يجلس في مقعد السيارة الخلفي، كانت النساء بالحقن
أسفل يديه الجيبين، وكان يصيح في مصمحة ساعة من مراكمة بكاء فلهيب
كانت سادتي قد أسلته لهما قبل سنوات مضت. كان كل ما يخصه، وكل ما
يرتبه له طبع الأكلة الفرقة والفرقة بحيث تحقق له الجاذبية للأكل
لتخصصه. ولكن الأهم بالنسبة ليول وويسون هو أنه كان يملك أن يبقى خلف
الكوبس، على الرغم من ارتباطاته الواسعة بالسياسة والفرص المتاحة له،
إلا أنه لم يكن في حيلة البتة لأن يكون رجل ولعبة. بل إنه في الواقع كان
يؤثر أن تكون الأمور على ما هي عليه. لقد كان يمتنع بالفرقة والإثارة
السياسية وكان يثق بولتون وظواهر الأحداث السياسية المتغيرة أبداً، وما
كانت له رغبة في أن يكون معروفاً شيئاً، بل بالحرى كان يهجم أكثر بكثير
أن يكون محتجباً مخفياً عن الأنظار. ما كان لديه حاجة أو رغبة أن يكون
المزيد من الضجة حوله أو أن يلفت الانتباه إليه.

لقد كان هذا في الحقيقة أحد جوانب شخصيته التي كان يشترك فيه مع
إيزابيل. فقد كانت هذه المسألة تهدي عندما في خجل، ولما بالنسبة له قد
كانت هذه إحدى الأدوات التي كان يستخدم بها نودعه خلف الأبواب المغلقة،
وعلى الرغم من المظهر الذي يراه عليه المرء وهو يدخل إلى حجرة ما، فمن
هولته أو من المظهر الذي يبدو عليه وبهله لما يريد دون أن يلبس بهت شتاء،
بدرج المرء أنه يفرض على الآخرين احترامه والالتزام إليه اعتقاداً على
صحته أكثر من اعتناقه على كلامه أو فعله. وعلى النوازل نفسه كان الناس
يسرون إيزابيل دونها حاجة لأن تقول شيئاً، وفي الواقع ما كانت لتتجر
بالإقحاح عندما يتركز الالتفات عليها، بل بالحرى كانت تشعر أنها حرة وعلى
سبيلها فقط عندما تكون في محادثات شخصية فردية كمثل تلك الأحاديث التي
كانت تدور بينهما. قد كانت تلك المسألة أحد الجوانب التي يحباها، ألا وهي
الطريقة التي تكون فيها صريحة معه. لقد كان يترك كل فصل يشعر به، وكل

ردة فعل لديها، وكل فكرة تخطر في ببالها، وما كانت لتتردد في مشاركتها
أصق لسرها. وكان هذا أحد الأشياء التي كانت تفتقر إليها في علاقتها مع
غوردون.

وصلت بيل إلى فندق كلاريدج وسجل اسمه، وسرعان ما عرفه البواب
توم وستر لرويته من جديد. وجد بيل نفسه يخوض حديثاً مثيراً لبقاً وديماً دلو
حول الفس والانتخابات المصطفة الأخيرة مع المدير المساعد الذي ولكنه إلى
خلفته. قد كانت هذه حارة عن جناح كبير تفتش في الطابق الثالث مزين
بفساتين مسجل مزخرف برسوم أزهار، وبسج حريري بلون أزرق باهت،
وعديدات ألوان مختلفة. ما إن دخل المدير المساعد الغرفة حتى جال بنظره
الحظة في أرجاء الغرفة وانقطت سماعه الهاتف. وانهم حلقا سمع صوتاً
مألوفاً جيبه.

- كيف كانت فرقة؟

- «صريحة جداً»، قالت إيزابيل وانضمت عندما سمعت صوته. لقد زلنا
وصولهما، فلم تضي إلا عشرين دقيقة على وصولها إلى الفندق كله. ومثلت:
كيف كانت رحلتك أنت؟

قال: «زائلة». لقد بدا كمثل. وإذا بهم ظهرت عليه العلامات الطفولية التي
تترك كل الأمرين، هذه العلامات التي كانت تختبئ النساء إليه دائماً. واستغفرت
بقول: «لقد شعرت» وكان فرقة سكوم إلى الأبد، وما كانت لطبق صراً
الوصول إلى هنا. قال ذلك وما يضحك ببعض الحسيرة. لقد مضى حينها
قريبة ستة أشهر مذ قلنا آخر مرة في (باريس). قد كان يعززم العودة عاجلاً،
ولكن تطورات ومطاميل سياسية غير متوقعة حالت دون ذلك هذه المرة،
وكان يتوق لرويتها.

سألها: «هل أنت متعبة؟ أتريدان أن نستريح بعض الوقت؟»

نفسحت وقالت: «بعد رحلة ساعة أعتقد لي على ما يرام. كيف حاله
أنت؟»

- 'جائع. هل تريدان أن نخرج ونقتول شيئاً؟ قد كنت لصاحبة الفلانة بعد الظهيرة.

- 'لقد ذلك. وأريها أمكنة أن نمنشي بعد ذلك. فلما لم نحرك طوق القمار. لقد كنت جالسة تقوي في القمار. لقد كنت مشوقة لرويتي، ولكنه أن يشعر بذلك من ذيرة صوتها. لقد كنت لقاتلها ما تلاوها بالقرع دائماً، وعندما يلتقيان كنا يتحلمان ساعت وساعات لا نهائية لها. دائماً كما كنا يضلان على الهاتف. لم يكن شيء قريب أو حرج لها بينهما، مهما كانت الفترة التي تكون قد مضت على آخر لقاء لهما.

- كيف كان ندي عندما تركته؟ لقد كان مهتماً كما هو على الدوام. لقد كان يعلم كم كان ندي مصدر قلق دائم لها.

- كان دائماً. ولكنه كان قد أمضى ليلة مائلة جيدة. وقد قصت صوفي من لايرتال ليلة أسس. إنها تعني وقتاً طويلاً مع أصدقائها. كيف أهدت؟

- 'تخبره على ما أظن. سوف تجيئان إلى هنا خلال بضعة أسابيع مع والديهما. ما عاد أحد يهزني بشيء. وإن كنت أعرف مكان تولدهما غير من خلال القرد التي تخصم من بطاقة الائتمان التي تخصني. سوف تلذهما سيدي إلى جنوب فرنسا قبل أن تلخا إلى (مين) اقربا والذي سيدي. سوف يلتقي بهما بيل بعد ذلك في هلمينور في نهاية الصيف كما اعتد أن يفعل على الدوام. ما حدث سيدي سألته أن ينضم إليهم، فقد كانت تعلم أنها ضحية خائفة، ومضطرب إذا ما أراد ذلك فعلاً. 'ما رقم غرفتي؟ سألتها وهو ينظر إلى ساعة يده. لقد كان لديها متسع من الوقت لشراء سريخ، وكان يضطرب ليلها إلى مطعم هنري من أجل تناول الشاء تلك الليلة.

- 314.

لنلقِ نقلاً: نحن في الطابق نفسه. لا أعرف أين هي غرفته. أنا في الغرفة 329. سوف أخرج عليك في طريقاً للخروج. هل تكفي عشر دقائق؟

- 'كلمة. وأبقيت بخجل حذو. وسألت لحظة صمت بينهما. ولطاحتها بالقول: 'أني سعيدة لرويتك يا بيل'. ويعدت فرنسية جداً لوطقة، وشعر بها فجأة ذبابة الخفية. لقد كانت تنفي أنه أكثر مما يستطيع أن يشرحه. لقد كانت على الصورة المتكيفة التي رسمها عن المروءة ولكن كان يميز من وصف هذه الصورة بالكلية. لقد كانت لطيفة، متحدة، صبوراً، مهيبة، مهتمة بقل ما يلزم، شغوفة، مرحبة، وهبة للمشاعر. لقد كانت بمثابة هبة غير مرتبطة في حقيقته كما كان هو بالنسبة لها. لقد كان يبعث الأمل في نفسها عندما ينادي كل ما حولها أو يلتفتي حيز السنين. ما كان حولها شيء من يستطيع أن يتحول عليه، فمسحة يدي كانت مصدر قلق دائم لها، وكانت تعرف أنها قد تنصرف في أية لحظة. وأما هورديون فكان بالنسبة لها رجلاً تشاكره نفس المنزل لفظ وقد ملحقها اسمه. ولكنها غالباً ما كانت تشعر بأنه ما عاد جزءاً من حياتها. وبليستاه ظهورها الطيني معه في بعض المناسبات العرضية فقلته ما عاد يحتاج إليها في حقيقته. وبحكم العمر الذي وصلت إليه صوفي فلها طاروت من عش حياتهم المتكيفة. وصارت إيزابيل تشعر في تلك الأيام بالفجدة والعزلة أكثر من أي وقت مضى. اللهم ما عاد الوقت الذي كانت تمشيه مع بيل شخصياً أو عبر الهاتف. لقد كان للدهلة الأسدية لحياتها، وفرحها، ومرحها، ورائحتها وحرارتها، وصديقها القديم.

- 'قال لها بلطف: 'ولما أبدأ سعيداً لرويتك. سوف أبدأ عليك خلال طرر دساق. وعندما يمكننا أن نرقب خططنا'. لقد كان يعرف أنهما سيذهبان إلى محروس نوت في اليوم التالي، وأن ذلك بعض صالات العرض الخاصة التي ذكرت أنه أنها تريد زيارتها. لقد كان يلوي أن يتقوى معها طعم الشاء في كلتا القلفتين. ولهاذا يود أن يأخذها إلى الممرح لأنه كان يعرف كم تحبه ولكنه كان لا يرغب في إضاعة الوقت الثمين في ذلك بينما هو يرغب في الجلوس معها والحدث إليها. لقد كان ذلك الوقت هو بعد ظهر يوم الثلاثاء، وسبيلهم هناك حتى ليلة يوم الخميس. وقالت أنها قد تستطيع الجاء حتى

صباح يوم الجمعة، فهذا يعتمد على وضع يدي الصمعي. وكانت تنمر بأنها يجب أن تكون في باريس من أجل صلاة نهاية الأسبوع. لقد بدا وكأن هناك مسبق مع الزمن وأن بضعة الأيام هذه هي هدبة فائقة الطبيعة لهما. لم تكن لهما هكذا فرصة من قبل. ولم تكن لديه دوافع خفية أو لوليا أو خلط. لقد كان يتوق إلى فرصة أن يكون معها وصحب. لقد كان ما يتشارك به تقياً وبريداً على نحو رائع.

حصل بيل بنده ووجهه، وحلق ذكاه على حبل، وهو ينكر برونيته، وما هي إلا حشر دقائق حتى كان يسير في البور بستاناً عن رلم هرفها. لقد كانت على بعد منطقتين ولكنه وجدها في النهاية. فزع الباب وراح ينتظر وبدأ الانتظار مطوّلاً حتى السام، ثم فتحت الباب، وولفت هناك تنظر إليه لولمة بلبسامة عجول.

مأثته: كيف حاله؟ وقد توارت بشرتها القشيرة اللون قليلاً، وقصص شعرها الطويل لذلك المتكلى خلف كتفها، وعينها تحقان إلى عينيه بشكل مباشر. واستأفقت قلقةً تنمر راعاً. وخلفت خرفجةً من الغرفة وعافته. سبق له أن قلّ إلا وجنتها، وهذا ما فعله الآن. لقد كانت حاكم سيرة لولمة على بشرته بتكرار صلاة نهاية أسبوع أيضاً في منزله في غريوتش قبل عدة أسابيع. في حين كانت بشرتها بيضاء قشيرة اللون. لقد وجدت متوقفاً على عطلات الصيف التي كانت تستمر⁽¹⁾ فيها بشرتها في أجوب فرنس قبل سنوات. أما غوردون فكان لا يزال يذهب إلى هناك في الهدية والأجر من مديري أصحابه، أو مرافقاً صوفي، بينما كانت إيزابيل تبقى في المنزل مع لولمة.

- وُلدت أيضاً تبدين رائعة. قال لها بإعجاب. كلما رأها كان ينذل بجمالها. لقد كلى ينسى ذلك أحياناً، ولكنه عندما يكون مأخوذاً إلى كتابها وفكرها وتبادل الآراء معها، ولقد كان مأسوراً بروحها أكثر منه بمظهرها.

(1) تستمر: أي تترس بفرها السيرة بالتعرض للشمس.

ولكنها كانت على القوم ذات جمال لفتاً. خلعت إلى جنبه ومنتت بندها في ذراعها بأفونتها العظيمة. لقد كانت لا تزال تتحرك كفتة، أكثر من المرأة التي اعتادت أن تكون. ولقد انتهاه على الفور فستلها الأسود الأنيق، وخفية من مركة هيرس، وحذاءها الأبيض ذا الكعب المرتفع. كانت تنصع في بندها عاتم زولمها، وانصع على ألتها لرفشاً من الجواهر المرصعة. وإذا نظرت إليها فذلك مشهد صعبة في أن تصدق بأنها تعمل عموماً في الحياة. لقد كانت لها لبسامة ذائعة مروحة وكان يصرها الفرح والسرور لمجرد رؤيته، يا إلهي، يا إيزابيل، إنك عسل في غاية الروعة. إنها لم تتغير أبداً، على الأقل خلال السنوات الأربع الأخيرة، ولكنها كانت جميلة أكثر مما كانت عليه قبل ستة أشهر. وكل جماعها الكلاسيكي، كانت تبدو غير عروسة للهدل عبر الزمن. لقد كان ينشر عرج طولي وهما ينزلا على الفرج متابلين ذراع بعضهما بعضاً، ويتحدثان عن الرحلة، وعن سالات العرض التي سيزورنها، وعن معرض سيات كما وتحتا عن ابتيحه. لقد كان يحب أن يغيرها قصصاً سلبية عن عروستها، وكانت تضحك بينما سارا مجازين البواب وصولاً إلى الأبواب الرئيسية للنادي.

وَأمر لها: لقد كنت لغشي أن يحدث ما يعنى هذه الرحلة. كنت لغشي أن تحول صحة يدي نون مجيئه. لقد كان دائماً يصارعها من فكره وهي أيضاً كذلك. وقد كان يهدي بالتمكيد من الممكن أن يشكل ماعداً لمجولها. وربما شكل غوردون عائقاً أيضاً إذا لم يسمح لها بالمشي. ولكنه بدا غير مبال بخلط دماها إلى لندن لبضعة أيام، وكان يهدي مسروراً لأن بإمكانها أن تستأجر. لم يكن سيجدي بحرف شيئاً عن بيل، ولكنه كان يحب أن يرى ولفته سعيدة، وقد أركه في الحال كم أنها كانت ترغب في الذهاب، لذا لم يؤد أن يلف حذاءً بينها وبين ذلك.

- واحترقت لسه قلقة: توأنا أيضاً كنت قلقة، ولكنه الآن في حال أفضل بكثير. لا أعتقد أنه كان في حال جيدة كهذه خلال السنوات الخمس الأخيرة.

لقد كانت المراقبة صعبة عليه وصار وضعه أسوأ خلال بضع الساعات الأخيرة، فبح نحوه أُنهيته لفته ورتقاء في مجالتهما معه. قالت له: قد أراني فعلاً أن أتى. ثمر بيل وكاله يحرقه ومذ سطين. ورغم أنه لم يعرف كيف، إلا أنه كان يملأ أن يلقى به يوماً.

ساراً خارجين إلى شارع بروك، ولغخت إيزابيل نساءً صينياً بينما واثت إلى جانب بيل مذنبطة نراعه. لقد كان يوماً رائعاً من أيام شهر حزيران (يونيو) ودافاً بشكل مفرط غير محوّل.

- حين تودين أن تذهب؟ سألتها وهو يضع في ذهنه الآلة بالاحتضالات، فكل ما كان يريد هو أن يكون معها. فسررد وجوده هناك كان بمثابة إجازة بالقسمة. له. فما كان قد اعتد على أن يخلو وقت استراحة بعد الظهور، أو أن يتناول طعام حشاه غير رسمي، أو أن يتمشى في الشارع مع امرأة إلى جانبه. لقد كانت حياته كلها متمحورة حول عمله، وكل ما كان يمله كان مرتبطاً بالسياسة. لم يكن لديه وقت فراغ في حياته، فلم يما حدا الوقت الذي كان يمضيه مع إيزابيل. ومن جانبها، بدا الزمن وقته توقفت، وأن إقامته ومصوره تغيراً. ما من أحد عرفة بشكل جيد كان يمكن أن يميزه الآن وهو واثت ينظر بالترساح ويتسلم إلى هذه المرأة الجميلة ذات الشعر الطويل اللدن اللون. أما رئيسك، بأن تتناول البيتزا في مكان ما؟ سألتها عرضاً، وتوالت برأسها ليجاباً. لقد كانت في حالة السعادة، تنظر إليه مبتسمة، وكانت بالتأكيد تستطيع التركيز على ما كان يقوله.

لاطفها قليلاً: أماذا تلتسقين؟ وهما يمشيان مشاهدين في الشارع من غير هدف. لقد شعرا كلامهما، وعلى الأكل في هذه اللحظة، أنه ليس لهما إلا الوقت.

- كني في غاية السرور. لم أفل مال هذه الأشياء أبداً في حياتي. لشر هذا في منزلة من كل ما يلقى ويرعجني. كانت تعرف أن عدي كان في أيد أسيئة وأن كل ما في الكون كان على ما يرام.

- هذا ما كنهته لك دائماً. أريدك أن تتفهمي وأن تسي كل شيء. وشبا في سيارة أجرة بعد بضع دقائق ونجا إلى مكان صغير للتفرغ بيل يبع في سوق شهارد. لقد كان قرب السفارة، وكان قد ذهب إلى هناك عدة مرات سحياً وراء وجهة مريضة يتناولها بين الاجتماعات. كانت هناك حديقة وكان مالك المكان ممروراً لزوجينهما عندما وصلا. لقد كانا يرتديان ثياباً أنيقة، وكان يحسب بهما جو من السحر بشكل كبير. أحضر لآلة المشروبات المفضلة لبيل، ودولهما لآلة الطعام لم خادما.

"هذا رائع." قالت ذلك وهي تقسم وتسد إلى كرسيها وتظر إليه. لقد رآه آخر مرة في باريس في افتتاح الماني قبل العيد بقليل، وأدناها هناك قاعاً جميلاً من مفركة هيرس وكتب من أول طربة كفا قد تصتا منه. لقد كن كتاباً ذا غلاف جلدي وناراً جداً، وقد لعبت ذلك الكتاب كما لعبت كل ما أصطفا إياه خلال السنوات الأربع الماضية. "لشر في منزلة جداً."

- "هذا حسن." روتت على ردها. لقد لقا على تناول نوع من البيتزا وطها سطة أيضاً وزجاجة من المشروب المفضل.

مؤرخته قليلاً: يبدو أنك متحمتي متسمة ونحن في منتصف التهاز. لقد كان يلهم من خلال تناولهما الشاء مما قبلأ لها تحب هذا المشروب المفضل.

- لا اعتد أن هناك على هذا الخوف. فلما خُزنته لأن أصبح متضاً كثر منه. قال لها ذلك رغم أنها كانت تعلم أنه لم يكل كثيراً خلال المناسبات التي رآه فيها. لقد كان رجلاً متخطلاً يخلو من التقصص والعيوب البارزة، ما خلا موله إلى العمل بعد كبير. "ماذا سنفعل إذا بعد ظهر هذا اليوم؟"

- كما تشاء. يكفيني سرور أن أكون هنا. لقد كانت تشر ولها حضور هرب من قس مطلي بالذهب، واقرح أن يجرلا على بعض صالات العرض ومصلات العنابت، وزعت لها الفكرة كثيراً. ولما يدرشان على الشاء، وكانت الساعة الرابعة والنصف عندما نادرا المطعم، ونادى متوقفاً مسيرة أجرة أخرى. لقد كانت هناك سيارة ليموزين تحت تصرفه عند باب

الفتنق، ولكلها كفا يريدان الاستمتاع بحرية التجول في لندن على راحتهما، ويوجد صالات العرض والمجلات، سيرا عاكسين إلى الفتنق. وكنت الساعة لذلك قد تجاوزت الساعة.

- ما رايك في قضاء الساعة القليلة سألها وهو يتسم لها. يمكننا أن نحس المشروب المفضل هنا ثم نذهب إلى مطعم هاري. كنت قد قرأت بأن هذا هو مطعمها المفضل كما هو بالنسبة له. قد كان المطعم جديراً بالاحترام، ولم يكن أي منهما يشعر بالحرج لوجوده هناك. لم يكن ليهما ما يخفيه مرأ، وحتى لو سمع هوردون عن ذلك في القهقهة، فلن تشعر بوخز ضمير إذا ما أخبرته أنها رأت بيل وروبنسون. لم تكن قوتي المبهرة بالمفارقة من ذلك، ولكن ليس ليهما سبب يجعلها تشعر بالقلق، ولم تقل ما تتخبر عنه. سأفعل إذا من غرائك الساعة القليلة. قال لها ذلك بيل وهو يضع يده على كتفي بينما هما يدخلان المصعد. ما كان يمكن لأي شخص يرئسا أن يصدق أن لهما غرضين منفصلين في الفتنق ولهما ما كانا مقروحين من بعضهما بعضاً. قد بدأنا متفكرين مع بعضهما بعضاً وعلى سيجتهما للغاية لدرجة أن من كل برنامجا سيحتد على الأكل بأن هناك علاقة غرامية تربطهما. ولكلها ما كانا يتفكران بسألاً إلى كل هذه الأمور بينما كانا نبحثان في طريقهما إلى الطابق الثالث ويشتبهان باتجاه غرفتهما.

قالت له: لقد كنت فترة بعد الظهر راقمة بالنسبة لي. وولفت على رؤوس أصابعها لتقبل وجهته. أنت طيب معي، ميد وروبنسون. شكراً يا بيل. قالت له ذلك برفقة وبثقت.

- لا أدري لماذا يجب أن تكون طيباً معك. قالت امرأة مخيفة وشخص مشهور تكلم الطفل. ولكن ينبغي علي تقديم بعض أصناف الصحة الإنسانية من حين لآخر. كما تعلمين، زوجات سيدسين، الفرج، والتفخين... وبعض الوقت معك. كما يقول برغوني. ضحكك من كلامه، ولحسن ذراعها برفق وهي تلاحق بلب غرفتهما. وقال لها: نخذي شيئاً من الرقعة قبل أن نخرج القليلة يا إيزابيل.

صوف أجمعك معيلاً. قد كان يعرف كم كانت حياتها مليئة بالضغط والفتور، وهم كانت تشعر بالمسؤولية طوال الوقت معتبةً بأنها، وكل يريدان أن يرتاح وأن تمتنع بمفارقة حقيقة هناك. قد كان يدرك مما قلته له أنه لم يكن هناك لصد يهتم بشئها كما يجب، وأرد أن يقوم بذلك بنفسه الآن في هذا الوقت القصير المتاح له. وعكسه أنها ستأخذ قيلولته، لم استقلت هناك في غرفتها ورأيت فكر في وهي في غرفتها مستلقية على السرير. قد كانت تفكر في كيف دخل إلى حياتها وفي مجريات الصنف المحضه خلال السنوات الماضية وهم فيها مطروقة.

ورأيت تتأمل من السبب الذي جعله يبقى مع زوجته ليهما. قد كان من السهل حيناً أن تتركه أنه لم يكن هناك تواصل حقيقي بينهما وأنه كان يستحق أكثر من ذلك. ولكلها كانت تعرف أيضاً أنه ما كان ليود الحدث من هذا الموضوع. إن حالة زواجه من سلتها كان أمراً واقعاً قبله، وتزوجاً اختار ألا يزعجه. قد كانت تشعر بأنه سيكون محرجاً له أن يغير هذا الوضع الذي يحشه، فلم يكن يريد أن تهب رياح الفضيحة عليه لو أن قالت الإقضاء له. إن جزءاً من قوته كان يكمن في حفاظه على لثباته بعيداً عن الأخطار، بحيث يستطيع أن يستخدم قوته دون أن تتأثر الأوضاع عليه. ولكن الطلاق كان سيترخي الإقضاء إليه، خاصة إذا كان لهماً ولائعاً. وقد كان يقول في معظم الأحيان أن سيدي كانت تروق لها الأمور على النحو الذي كانت عليه. لم تكن تريد الاستعجال فتم من الحياة التي تعيشها إذ كانت تهرب الاستفادة من المنافع العملية المثالية من كونها زوجة وليام وروبنسون، بشكل خاص في واشنطن، وفي أي مكان صوماً. ورهم أنها كانت تقرر أنها تترك السوسة إلا أنها ما كانت تستاء من أن يكون لها زوج له تأثير جدير بالاعتبار على الرئيس. ولكن إيزابيل كانت تشعر بالأسى لنحو. قد كانت ترى له يستحق أفضل مما لديه في علاقته مع سيدي. وهو بدوره كان يقول ذلك عن إيزابيل. فالجدة التي كانت تعيشها مع هوردون بالذات لم تكن هي الحياة الزوجية التي كانت

كيسه من أزياء سان لورن. إنك تضحى. لمذا حتى تهتم بالأزياء؟ لم يسبق لسه أبداً أن قال لها شيئاً كهذا من قبل. ولكن الأمور كانت مختلفة هذا. فلهيما منسج من الوقت، ويظن أن أسلها يومين كاملين.

- لمذا بدلت بارتكسه. أليس هذا القميص الذي توكيه اليوم هو زي شافيل؟ سألها وهو يدير شعراً بنفسه، فضحكت من كلامه من جديد.

- كما ستأخذ جذاً. على أن أنشئ إلى ما ألبسه من الآن فصاعداً، ولن أحرص على أن يكون متطابقاً مع نوكته.

- لا أريد أن أكون عليه أن تقضى. فالت بدت جميلة يا إيزابيل. قال لها ذلك بلهجة رقيقة. ولزلا بالمسند وهما يتكلمان إلى جوار بعضهما ويتلهسان بهدوء. فالت لسه أكلت بالمرحضة وحملت أن تبدي كان على ما يرام، وكنت سعيدة من خبره بذلك. لقد كان يريدنا فضلاً أن ترتاح وأن نمضي وقتاً ممتعاً. حتى الآن كانت الأفكار تتماثلهما. كان قد أمضى وقتاً طويلاً وهو يفكر في ترتيب برنامج للتمضية حين اليومين معهما. لقد أراد لهذه الرحلة أن تنهي في التفكير طول العصر لأنه من يدري إذا كانت الظروف ممتنع لهما بالقاء على هذا النحو من جديد. لقد كان يمشي أن يفكر بذلك. إذ كان يشعر أنه لا لا تمنح لهما فرصة أخرى لقاء معاً من بعد.

سار بيل خلف إيزابيل وهما يدخلان إلى المطعم في فندق كاتريدج، واستمرت روس عتيده تنظر إليهما وهما داخلان. لقد كلا يشكلمان شافيلاً جميلاً معاً وقد جلسا إلى طاولة في ركن المكان، وطلب المشروب المعتدل ومهماً غالية له، وطلب المشروب المعتدل لها. وكالمعتاد بعد أول رشفة لها بدأ يرددان حول الفن والسياسة والمسرح ومزجل علاقته الصبياني في هيرمونت، والأمكن التي كلا يحبان أن يذهبا إليها وهما أطفال، ولغيرته عن زيارتها لجنيتها في عشر سنهما عندما كلا على قيد الحياة وعن المرات القادمة ولكن الموفرة التي رأت فيها الملكة. لقد كان متفرداً بتقصصها، وكانت هي أيضاً مثله مشورة بتقصصه. وكما هو الحال دائماً، لقد كان هناك تشابه كبير

تصورها أو تلمح لها قبل عشرين سنة، ولكنها صارت ولها تقبله الآن وتكلمت معه، وما عادت تفكر فيه الآن وهي مستلقية على تلك السرير الكبير في فندق كاتريدج وتترقب ما سيحدث في تلك الأمسية التي ستضئها في الحديث والضحك مع بيل. في تلك اللحظة بدأ غوردون لإيزابيل وكله جزء من عالم بعد بل يكاد يكون غير موجود. لقد كان بيل يحطها دائماً تنسك وتظهر بالأمان والراحة. وكان كل ما ترجوه هو أن تكون معه في لندن.

نصت إيزابيل نوماً خفيفاً ليجع دققل ثم نهضت في الساعة السابعة واستمعت. ولعززت أن ترتدي فستاناً أسود اللون ضيقاً مشدوداً على الصدر وتشرأ حريزاً وحذاء ذا كعب، ووضعت حذاء من اللؤلؤ كانت قد ألبسته معها، وألبسها من اللؤلؤ والجواهر كانت أوفتها يوماً. لقد كان القميص معتقلاً جداً ولكن يظهر أنوثتها وفنقتها المثيرة بشكل واضح. وأصغت القروشة في شعرها على شكل جبيلة فرنسية ناصة، وعزجت بعناية، وعندما وقت ورجعت إلى الوراء لتتظر إلى نفسها في المرأة لم تجد في شيء لائق للاعتماد لسي شكلها. ولكنها فرحت برودة فم بيل عندما فتحت له الباب عند الساعة الثامنة لئلا، بعد أن التصت بالمرحضة تبدي وانماكت على صمته وهرعت في غوردون خراج المنزل وأن تبدي قد دام نوماً صيفاً قومه، ولذلك لا استجبت إليه، ولكنها كانت سعيدة لسماعها بأنه أكنسي يوماً طيباً. بعد ذلك منجها لمضي وقتاً ممتعاً تلك الليلة مع بيل.

- كما للروحة؟ قال بيل وهو يدخل إلى القلبي الذي إعجابها به. لقد وضعت القميص الحريري على كتفها على نحو حر فكشف عن كتفها شبه الصوري. أما القميص الذي كان مشدوداً على خصرها فقد كان يحيط جسمها شكلاً فلتاداً. لقد بدت أليفة وهيبية ولكن لجميل مما كانت تفعل، وهذا ما كان يزيد من سحرها. كبدن في غلبه الجمال. من صنع هذا القميص؟ سألتها مبدئاً معرفة فضحكت. إذ كانت تفكر أنه لا يعرف شيئاً عن مصممي الأزياء وليس له اهتمام بهم.

جدا بينهما في ردة فعلهما وفصلتهما، والگناه التي تهم كلا منهما، والفساد، والامتنان، وأصبة الروابط العائلية. وقد كانت إيزابيل من عطف لها بعد في سيرة التمسرين، في طريقهما لتناول العشاء، على أنه من الغريب أن الناس الذين تحبهم العائلة كثيرا يقعون في زيجات مع نفس بعيدين عنهم ويختارون أناسا ليس بهم في نفس عائلتي.

لقد كانت سيدي لكثير خطأ عندما كنا في الجسامة، ولكنها تحولت إلى امرأة مثقفة ساهرة نوعاً ما. لا أدري إذا كانت هذه عائلتي أم لا. قال بيل ذلك بطريقة متأنلة حاملة، وتبع: كنا مختلفين كثيراً تقريباً، ولا أظن أنني لبيت حاجاتها لسنوات كثيرة، وأعتقد أنها كانت خاضعة علي ومدة زمن طويل، أو على الأقل كانت خاضعة للأهل من جوار ذلك. لقد أوفيت أن أحس معها حياة اجتماعية خاصة في كونفكتوت ونويوروك. لم تكن أبداً مهتمة بالعلاقة السليمة في الأيام الأولى عندما استيركتي هذه الحياة وعرفت في ليجتها حتى أنني، لما الآن وأنا في جو أكثر نقاء، فهي أعتقد أنها ضجرت من هذه الحياة وتكافت. وقد أضعبنا منفردين مرة. ولكن إيزابيل كانت تعتقد أن الأمر بينهما كان أكثر من ذلك. لقد كان قد صرح إيزابيل ومدة عدة سنوات أنه كان يظن أن زوجته لم تكن مصلصة له في حياتهما الزوجية. وكان قد اعترف لإيزابيل عن علاقته الغرامية الوحيدة التي وقع فيها ذلك يوم. والأكثر من ذلك، كانت إيزابيل تشعر، من خلال ما قلته ومن خلال ما لم يقله، أن سنيها كانت بعيدة كل البعد من أن تكون عائلية أو دافئة المشاعر. ليس فقط أنها بعيدة عنه الآن، بل أيضاً هي تعاقبه على ما تصور أنه خطئها فيه. لم تسمح إيزابيل منه يوماً عن حبيبة العائلة بينهما أو عن قريبها من بعضهما بعضاً أو عن أي دعم عائلي بينهما. ولم تستطع إلا أن تتسائل فيما إذا كان الأمر مؤلماً جداً لبيل لدرجة لا يفرى معها على الاعتراف بمسألة أن زوجته ما حدث تصبه. من كل ما قلته، كانت إيزابيل تتسائل فيما إذا كانت حتى قد ليجته يوماً. لقد كتبت في ذهني التساؤلات نفسها المتعلقة بخورديون. ولكنها لم تزد أن تفسط

على بيل بشي زوجته. فلما كان ما يراه فيها، سواء حولت أم ماكن مصحوب، فإنها ما كانت ترحب أن تتحضره لتولجها لمر قد يسبب له الألم الكثير أو الحرج حين الاعتراف به أو مناقشته.

- أعتقد أن خورديون تكثر برودة بكثير من سنيها. بل ذلك بصدق، ولم تملكه إيزابيل الرأي في ذلك، رغم أن إيزابيل كانت من جديها على استعداد تام أيضاً لأن ترمي نفسها وتحتل نفسها مسؤولية الوضع الراهن لعائلتها مع خورديون.

- أعتقد في شكلت له غيبة ليل كبيرة. قالت هذا بهجوم، بينما كانت السيرة تسير بهما باتجاه بار هاري. أعتقد أنه كان يتوقع مني أن أكون اجتماعية أكثر أو منطلة أكثر مما أنا عليه. لقد كانت على استعداد لأن أوفه حبه وأتلقى بزوجته، ولكني لست ماهرة في العبارة تجاه الناس أو في تقديم طيهم. فهذا أمر صعب بالنسبة لي. لقد كتبت أشهر في الأيام الأولى من زواجنا بالنسبة دمية متحركة، وأن خورديون هو من كان يستخدم كل سلطته لتحقيق ذلك. لقد حدث لي ما أوفه للناس، وكيف أقصرو، وكيف ألتك، وبمنا أكثر. وفيما بعد، عندما كان تبدي مريضاً، لم يعد لدي وقت أو صبر لألتب هذه القامة بعد. وحتى عندما كانت صوفي صغيرة السن، لقد كانت مهتمة بها أكثر مما كانت مهتمة بولوكه. الناس السخيفين الذين كان يريضي أن أوتر حبيهم. جُل ما كنت أريده هو حياة عائلية ومزلة. أعتقد أنه يمكنك القول في خلقته بهذا المعنى. وأعتقد أن خورديون تكثر طموحاً مني. كان بيل يعتقد أن الأمر لكثير من ذلك، ولي نوع البرودة والقوة القليل وصلتهما له بهذا المقصودين ليجعل إيزابيل تشعر أن القواعد بينهما وبين خورديون كان عطفها صامداً. لقد بدا وكسلي خورديون كان يفتح ضمناً أنه لو حاولت إيزابيل ردم هذه القنطرة بينهما ليجي يأتري في حياتها، وكل لدى بيل لزيابيل في أن أسدب غولبه الآن ليس لها علاقة بها، أو يهدي، بل يكواه لم تكن إيزابيل قد بدلت حتى بالارتباب بها. ولكنه لم تزد أن يزعمها بهيئته لها بذلك، كما وأنها كانت على استعداد لرم

نفسها. وعلى الرغم من سوء خورودون تجاهها، كانت وفتة له وكانت تهر
إليه ما يطلبه وما يقوله لها على القوم. لقد كان بيل يرى أن سماحة النفس
تأتي لديها له غير جديرة به ولكنها إما بدافع مثالياتها.

- لا أرى كيف لك من الممكن أن نخفي ليا كان، يا إيزابيل. لم أهرف
لبداً أي شخص يسعى لمنح نفسه للأخرين كما أنت قطيعي، وبكل استطاعتك.
ولما واثق أنك كنت هكذا منه. لقد كانت على استعداد لأن تصنع الجميع
وتضمر تقريباً عن كل شيء، وكانت تقبل ذلك خطأ. واستغف بيل: كما ولي
مرض ندي منذ لحظة ولادته ليست عذبة.

- أعتقد خورودون في صفت شيئاً خلال فترة صلي شجب في ولادته
سبل لوفه. يقول الطبيب أن شيئاً ما حصل أثناء العمل، ولكني لم أسمع أن
أسمع خورودون بأن ذلك ليس ندي. ما قلته لك إيل شعوره حيل ما ينقله
خورودون تجاهها.

فسي الواقع إن بيل لم يرق له خورودون في المناسبات القليلة التي به
لحسبها. لقد وجده مغروراً متفائلاً متفطراً ومتكبراً، وطريقة حديثه التهامية
الصغيرة إلى إيزابيل كانت تجعل جلد بيل يتقلص. لقد كان يظنها وكفها طفلة،
ويبذلها عذراً بكلمات حادة، ويتحدثها بشكل صريح ويطلب منها الصغرة
بستويحة من يده. ولكنه لم يعمل بيل هكذا لأنه كان متأكداً بشخصيته، بينما
كان يتجاهل زوجته طوال الوقت. لقد كان خورودون يتقوهر أن يكون ساعراً
جذياً عندما أراد ذلك مع أليس اعتبرهم محبين ويمكن أن يكونوا مبدئين له.
ولكن بدا الأمر وكأن خورودون كان في حاجة إلى معاقبة إيزابيل لما هي عليه.
لقد بدا كأن لطفها وحلوها ولينتها وإليقتها قد أثار ازدراءه فصب. وشعر بيل
أن كل ذلك يعود إلى تأثر خورودون بعائلتها وشعوره أنه غير ملائم لديها إلى
حد ما، ربما بسبب ارتباطها بالعائلة الملكية، ولكنه كان في حاجة إلى أن
يحسبها ويعلمها بالقسوة لكي يحد تكبره نفسه. لم يذعن أسلوب خورودون
ووجهة نظره قلب بيل. ولكن من أجل إيزابيل، حتى الأكل، نظاره ببعض

الاحترام نحو خورودون عندما كانت تتحدث عنه. لم يؤد أن يضعها في موضع
الافتخار عن الرجل. لقد كان إيلاسها وولادها ونفساً، وسيبقى خورودون
زوجها أولاً وأخيراً. ولكنها ما عانت تدهي أمام بيل بأنها كانت سعيدة مع
خورودون، وبمسألة إيلها قبلت رولها منه على أنه فشلتها في الحياة،
وصارت تأتي القصر من طريقة سير الأمور. لقد كانت متعلقة بوجود بيل إلى
جوارها تحدث إليه، وتضع إليه، وكان يطلب لها أنه دائماً يحطها تضعه.

كان هناك حشد كبير في مطعم هاري تلك الليلة حتى أنهم بالكاد
استطاعوا أن يدخلوا من باب المطعم. كانت هناك نساء يرتدين ثياب السهرة
ومسافرن حبات الكوكيتيل ويقفن إلى جانب بعضهن في المقام مع رجل
يرتدون بذلات سوداء وقمصان بيضاء وربطات عنق داكنة. بدا الحشد متحماً
متقافاً وحسن التماس، وكان مظهر إيزابيل مناسباً جداً للمكان مركبة فستائها
الأسود الضيق على خصرها. وبدا بيل متشرباً وأيقاً وهو يرتدي بذلة زرقاء
داكنة لها طينتان على الصدر كان قد اشتراها قبل الرحلة مباشرة.

كانت الطاولة في انتظارهما، وسارع رئيس الخافقين لاستقباله حليماً وأمه
وحياً إيزابيل بالمشمة. لقد خصص لهما طاولة في ركن المكان حيث كان
يعرف أن بيل يحب الجلوس فيه، واستكما أن يربا عدة شخصيات محروقة
محروقة في المجتمع يطمسون إلى الطولات إلى جوار الجدار. فكان هناك عدة
مسلكت، ونهم سيمالي مشهور، وبعض الشخصيات الأدبية، وطاولة مجلس
إليها رجال أصال من البعريين، وأخيراً من السعدية، وطاولة مجلس إيلها
أمر يكون من الطبقات العليا أحدم حلق ثروة من القسط. لقد كان الحشد مميزاً
بشكل لافت، وتوقف عدة أليس ليلقوا التحية على بيل، ورحلتهم على إيزابيل
دون تردد مناسباً إيلها بالسيدة فوريستر دون أن يدرج لهم من تكون بالنسبة
له. وبينما هما وسط العشاء رأت إيزابيل مصرية فرنسية شهيراً كانت التقت
بها قبل سنوات، ولا بد أنه كان يعرف خورودون، ولكنه لم يلق بالاً إيلها، ولم
يسم عظيمها في طريقه خارجاً.

قلت له: "لا أدري من يظننا الناس". ولم يبدُ عليهما قلق بل كانت مستعدة. كان ضميرها مرتاحاً رغم أنه كان أمراً غير اعتيادي بالنسبة لها أن تكون في لندن ولي تتناول طعام العشاء مع رجل في مطعم هاري.

"على الأرجح أنهم يظنون أنك نجمة سينمائية فرنسية. وأنت رجل أمريكي ريفي جلف استلذت أنت في توليفه بجبالك. ضحك وهو يقول ذلك. بينما راح القناد يضع الكريستال الذي جاء مع الكوسبر⁽¹⁾. لقد تناولوا وجبة احتفالية وكأسين من المشروب المفضل حتى الآن. أكلا وشبعوا. وكفنا مسرورين ومرتلحين.

لأن إن الكثيرين يعرفون من تكون يا بيل على الرغم من أنك تظن أن ما من أحد يعرفك. ولكنهم لا يعرفون من تكون أنا. قلت له مزحة.

"يمكنني أن أعلل لهم هذا إذا أحببت. أو يمكننا أن نمر عليهم طولة طولة في طريقنا ونحن خارجان، ويمكنني أن أترك الجميع عليك. ويمكنني أن أقول لهم أنك صديقتي للقرية الصبية. هل تعتقدن أن هذا يكفيهم ليعرفوه؟ ما كان الناس هناك يرونه فهما هو شقيقي رافع للشاية يستمتعان برفقة بعضهما البعض. وإن افترض إلهما جبل الناس يشعرون في سرور. ربما. هل تظن أن مشايكا كانت تشاء لو سمعت بذلك كانت تتناول طعام العشاء مع امرأة أخرى؟ سألته إيزابيل في فضول كما هو حالها دائماً أحراراً.

"هل تريدن الصراحة؟ سألتها وهو يمشي. لقد كنت دائماً صريحة معها. لقد كان وعداً قلمه على نفسه منذ زمن بعيد، أنه إن برز أول الحقيقة أبداً مهما كان العرج الذي يسببه التصريح بهذه الحقيقة. وعلى حد علمه كانت على قدم صريحة معه، وكانت تؤكد له أنها كانت كذلك فعلاً. لقد كان في دجها انطباع حقيق عن الصدق والصراحة التي كانا يتشارك بها. بكل صراحة يا إيزابيل لا أنش أنها كانت لتهم. اعتقد أنها تجاوزت هذه

(1) الكوسبر (dossier): كلمة فرنسية الأصل وتعني القصة أو الملف أو غيرها التي تؤكل بعد الطعام.

لمرحلة منذ أمد بعيد. فطالما لي لا أعمل منها حقاً. علاقة على الأقل. فهي أعتقد أنها متعبر أن ما فعلته هو شئني الشخصي. سوف أن ترغب في أن أسألها عن حياتها. وفي قواقع لديها أشياء كثيرة تخفيها أكثر مني. كان قد سمع إشاعات عنها لمدة سنوات. وسألها عن ذلك فقط في أول مرتين، وبعدما كان قد قرّر أنه هو نفسه ما عاد يريد أن يعرف.

قلت لإيزابيل وهي تستظر إليه: "يجزني هذا للغاية. ما هكذا يكون الزواج؟"

- "يختم بنفسه أن يكون هكذا. ولكن يبدو أن الزواج فيه إمكانية لاستخدام فكرة عديدة متقاربة. وإن الزواج قضي منته به أنت وأنا ليس هو الزواج الذي يتكلم به الناس. لدينا ما يجعل المرء يحيا حياة استقرار في الزواج. وماذا الزواج بعد زمن طويل؟"

- "حسن حق". قالت ذلك وهي مستغرقة في التفكير، بينما كان القناد يلاحظ عليهما كويماً من المشروب المفضل.

- "هل شعرت بهذا الاستقرار في زواجك؟" كان للمشروب المفضل الذي خرمته لأن تفكر عليها إذ جعلها أكثر حيوية مما هي في العادة.

- "حسن لدي حوار. إذا لم أتكلم وأدع الزرع الذي أعيشه، فلن يكون مستلحاً لمشي إلا أن أخرج من الحياة التي أعيشها. وربما لدينا نص الأساليب المختلفة بالنسبة لكل منا، وما من أحد يرغب بذلك. أسئلتها تريد حالة المسؤولية التي تعيد بها وقتي لأمنها لها وطريقة الحياة التي تعيشها. وأنا لا أريد أن أهرض من جراء طلاقها. ولذلك نفي الحال على ما هو عليه. وعلاوة على ذلك، إذا ما طلقنا ستنشأ الفتتان. لا أهتم لماذا لم أقل ما كنت أعتبه من الأشياء أو الناس. لم يكن في يده حيلة على الأقل. لقد تكلم مع حالته، كما تطمئ إيزابيل، وخلال زمن طويل. ولكنها أيضاً تتسائل عن السبب. فتكون في التنبؤ والخس من العصر، كان لا يزال أنها إلى حد يسكنه معه أن يبدأ حياة أخرى. وقد كان يستحق السعادة، هذا ما كانت تفكر به إيزابيل بكل حال من

الأحمر. لقد أصلي لكثير ولم يَأْتِ بالمقابل إلا قنذر السمور. وكان بيل يفكر بنفس الشيء تجاه إيزابيل.

- سوف أن تستطيع أن تجد أي شيء لو أي شخص آخر بدأ طلباً أنت مقبلاً بها؟ قالت ذلك ثم ارتفعت المشروب الفضل.

- هل تفرحين أن تطلقني؟ بدأ مندهلاً، فهي لم تتحدث بهذا الأمر بشكل مباشر هكذا من قبل. وراح يتساءل عن السبب الذي يجعلها تقول ذلك الآن.

- لا أدري.. ولكنني أحتاج أحياناً إذا ما كنا نخرج حيالاً مدني. ليس لدي خيار بسبب مهدي. وسوف أن أحرص على الإطلاق بأي شكل من الأشكال. فلم يحدث مثل هذا أبداً في حياتي. وفي مثل صري، سيكون من الصعب أن أبدأ من جديد. لما بالنسبة الرجل فالأمر مختلف. لأذهل لسامعه ما تقول فهو لم يعتقد أبداً أنها فكرت يوماً بهجر خورديون، وكانت هذه أول مرة تفكر فيها هذا الأمر.

قال لها بهوده: ليس الأمر مختلفاً بالنسبة الرجل. ثم لك أصغر ملي بلبدي عشرة سنة. وإذا كان أحياناً سيتكر بحياة جديدة، فهو أنت يا إيزابيل. فأنت وخورديون لم تعيشوا حياة زوجية حقيقية منذ سنين. وأنت تستعجن لكثير من ذلك بكثير. لقد كانت هذه أول مرة يكون فيها حازماً معها هكذا، ولكنها فحنت له المجال ليقول لها هذا، وقد كان مسروراً لقوله ذلك.

قالت بهوده: ما كان ليتمكن أن يفعل ذلك، وأنت تعلم... وسوف تصاب كل من يعرفه وكل من تربطنا به لفة علاقة بالرعب إذا حدث هذا، كما وأنتي لا تستطيعين أبداً أن أترك حياة مهدي. فإنه أفكر عشقة من أن يصعد بعد حدوث هكذا تحول خطير وكبير في حياته. ثم لن خورديون سوف أن يتساءل في ذلك. إنه ليقتلني قبل أن يدهني لأحب. ليس لدي شك في ذلك. إن الإطلاق لم يكن أبداً لعضالاً ولو بعيداً في فكرها. بنت متزدة رصينة وهي تقول ذلك، ولكنها شعرت القلقة، ولأول مرة، فيها مثل أمير نمعد بالأهول الهرب من سجنه. لم تكن تسمح لنفسها أبداً بل تفكر كم كان منزلها في باريس كئيها محبطاً، وكم

كانت حياتها محدودة، وكم كان خورديون غريباً تماشاً من البيت. ولجاء الآن، وهي تجلس في مطعم هاري مع بيل. أدركت تماشاً ما كانت تظن أنه في حياتها. ولكنها كانت تصر في قرارة نفسها على أن سببه هو تركيز حياتها حول طفلها المبرح. لم تكن على استعداد لأن ترى أن حياة العزلة التي كانت تعيشها كانت في مجملها هكذا لأنها مدفونة عاطفياً ولسان من قبل الرجل الذي تروجه.

- ثم أعتقد أبداً تتحدثين هكذا؟ قال لها بيل وهو يضع يده على يدها. لم تكن غلباً مستعدة أبداً لأن تترك نفسها أو له يدي تلمستها. وكانت دائماً تضع الأعداء لذلك، ولم تحرف أبداً صراحة كم كان خورديون قوة هذبة كلفتة. تسأل بيل إذا ما كان خورديون قد هدهها يوماً. ولكن سواء فعل ذلك أم لا، فإن إيزابيل بنت متزدة تماشاً لطبيعة الرجل، ومدى قسوته، ليس فقط نحرها، بل أيضاً نحو طفلها. ما الذي يجعله يقولين ذلك الآن يا إيزابيل؟ هل هدهها؟ لم تقل أبداً من قبل أن خورديون كان ليقتلها إذا ما تركته، ويتساءل الآن إذا ما كانت قد تطرقت في الموضوع مع خورديون في وقت من الأوقات. تدرس بيل في حولي إيزابيل بينما تهتمت له. كانت عيناها توجيان بالعق والحكة والحرارة تحت إهتسبتها. ما كانت تتوقع أي حياة لها في المستقبل ما هذا الحياة التي تعيشها. لقد أصابها الأمل بحياة أفضل وضلها قبل سنوات عديدة.

- أعتقد أنك تخطئي. قالت له باهجة معتردة ولكنها كانت تشعر وكلها سجين لا بالفرار، وما صلت تريد أن تفرق أو هي بوحدها بالصمت الذي فلتحه على نفسها يوماً. فهي الجذب الأخر من القتل الإنكازي شعرت فجأة بولاء نحو خورديون كل مما كانت تشعر به في المنزل، كما كان بيل يعرفها جيداً.

ضحك بيل وهو بألف رشقة أخرى من كفه: أريد لو جعلتك تضحكين. كانت لأود أن أرى ماذا ستكونين وأنت مندهلة يا إيزابيل. هلا نحاول ذلك؟

- إنك مفيد. ما إنك تلقى من أن تكون موضع فضيحة، وفي الوقت نفسه تعرضني على أن أفسد بطريقة فاضحة. إذا استمرت في صلب المشروب المفضل لي فلما متلكة بالذات مستحضر لأن تخرجني من مطعم عاري مضطربة.

- سوف في الليل أي شيء سوى أن قلتي بك على كفي وأقول لك أني وجدت تحت طاولتي. ولا أعتقد أن أحداً سيحترق عليّ.

- "ولماذا ستظل حذافاً. ولقيعت للتصور ما يمكن أن يفعل بهاء. لقد كنت في روح مضطربة حالية، وكنت تريد أن تمتد تلك الأهمية إلى الأبد. في خلفية أفكارها كانت تصيح ذلك طربح الساعة تشير إلى مرور الوقت. بعد هذه الليلة، سيأتي لها وليل قط فولة ونهاران يكونان فيها معاً، أو فيلتي إذا مكثت حتى يوم الجمعة. ولكن بهذا، سيوجب على كليهما أن يعودا إلى هيلتهم العادية. لقد كنت تشعر بنفسها وكأنها سادريلا في لحظة الرقص، وما كنت لتتوهم أن يعود الحزني إلى وضعه الأول كجود أبيض، ولو إلى حين.

- أعتقد لي، سأذهب إلى نادي ألبيل للرقص". كانت الفكرة قد غطرت له لتتوهم فتسحكت إيزابيل.

- إنها فكرة طريفة. فلما لم أذهب إلى نادي ألبيل منذ سنوات، بل حتى منذ قبل أن أتزوج. لقد انصرفت بعد ميلادي الثامن عشر هناك، ولغزني والذي مرة إلى هناك بعد أن خطبني غوردون. ولم أذهب إلى هناك من جديد منذ ذلك الحين. فغوردون يكره الرقص كرهاً شديداً.

- إذاً فلماذا سذهب إلى هناك الليلة. وحالما تخرجين كأنت. قال لها ذلك مزاحاً إذ كان يعرف أنها لن ترتشف إلا رشقة أو اثنين، لقد كان كأنها لا يسأل شبه مثلي. لقد كنا معيدين كالأصا. في الواقع كنا ملططين بنشوى وجودهما معاً.

كيس في وصفي إلهاده. قالت إيزابيل مترفة، وهي تنظر بعيداً

واستون في حيله، بينما تقوم هو رغبة بأن يحيطها بذراعه. ولكنه لم يكن من الصالحة حتى يقوم بهل هكذا تصرف، ثم أنه ما كان يرغب بأن يسيء إلى صحتها أو أن يضمها في موافق مخرج.

- إذاً لم يكن بخيرك إلهاء كلك من المشروب المفضل. إذاً فلماذا إلى نادي ألبيل. قال بيل بلهجة تصميم، في حين أحضر لهما القفل طبقاً من الشوكولا والفكر التي أصعبت إيزابيل. لقد أضحت وقاراً راقماً، ولم تكن تضيع في حسابها الذهاب إلى أي مكان آخر ما هذا العودة إلى القنديل. لم تكن تضيع بالسرير ولم تتوقع أن يذهبها للرقص. قال لها من جديد ملاطفاً: كدي فكرة. سأقول أن تكلي لومي شوكولا بدلاً من إضفاء كل الكلس، وسأضفك إلى نادي ألبيل. كان يريد أن يذهب معها الآن إلى هناك.

سأنت: هل أنت جاد؟ وبنت ملطحة ومسرورة وهي تزود قطعة شوكولا صغيرة وتظهر إليه نظرة تحد: "ما هي أول واحدة.

فلولها قطعة أخرى من الشوكولا وقال لها: تكلم واحدة أخرى. - هذا مرصوب. أنت لا تريدني قط أن أدخل بل أن أفسد بالهدنة لينة.

- هذا مستغرق وأنت لثول من جهك للتأخير". قال لها وهو يبتسم لبسامة عريضة، وتقول قطعة من الشوكولا هو لينة. إذاً ما بنا إلى نادي ألبيل. قال ذلك وهو يشير القنديل ليحضر له الفكرة.

- أأعتقد لي سلتلعب الرقص بعد. بالإضافة إلى ذلك إنك شابة وكأ مقدمة في السن. فالرجال هناك كبار في السن بسر والدي، ويرقصون مع فتيات بسر صولي.

- يمكنك أن تجعبي في الاختيار، ولكن لمني أن أقتل أنا في ذلك. ولكن أنا يمكن من أسر سبيل جهنم. أنا أنت راقصاً براعاً، ولكن أعتقد أن الأمر سيكون مثلياً. قال ذلك وهو يبدو مرتاحاً ومسروراً. وبينما هما يغفلان لسكوت رؤوس الفتيات لحرهما. لقد كذا يشكلان شيئاً جميلاً.

أن يكون قد فعل ما بهطلها تشاء منه، ولكن على الحكيم، ما كنت قد شعرت به دخل إلى أصغرها وأثر بها كثيراً حتى إنها لم تستطع أن تجد الكلمات المناسبة لتعبر عنه.

- فما على ما يروى. كل ما هناك ألي سعيدة جداً في هذا المساء حتى يتي فرد ألا يكون لهذه الأسمية اقتضاء.

- سوف أن تنتهي. قال لها ذلك بلطف، ولكنها كلاهما كانا يدركان أنهما قد لا يستطيعان أن يلتصقا من جديد إلا بعد سنين. لما كان بهكادها أن تستند على ظهرها إلى لندن، وإذا تغيرت حالة يدي إلى الأسوأ، فلها قد لا تمكن من الصعود إلى هناك قبل سنوات. ولم تكن تشعر بأنها تستطيع أن تراه في أي بحيرة كما فعلت هذا. فغضبوا أن يتكلم ذلك لبدأ، وما كان يمكنها أن تشرح لك الأمر. قال لها بيل: "عندنا لا تفكر بما سيأتي فيما بعد يا إيزابيل، مع ما استمتع بهذا الوقت معاً الآن ما يمكننا ذلك". ولما أتت برأسها، وانصرفت، ولكن بصريح في عينيها. لقد كانت تشعر بأنها ما هي إلا لاصفات تمر بها، أن قلت له مرحباً حتى تودعه، وما يتبقى لهما هو أصواتهما على برفة من جديد. وقد كان يكره أن يعود إلى حياة العزلة التي كانت تعيشها. لقد كانت فتية جميلة، مليئة بالحياة، وكانت تستحق وجود شخص إلى جانبها يقدر كل ما كانت تسليه. فطلب منها أخيراً أن "تلا ترافس من جديد" وأولمت موافقة. فأسكت بيدها هذه المرة وعاد إلى ساحة الرافس. وبينما هما يرافسان بنت ترافس على مقربة أكثر منه، لم ينطق ببيت شقة، بل أخصص حينه وهو يحتويها بين ذراعيه. لقد كانت تلك لاجل لحظة يمتصها معاً، وكلها جوهرة وحيدة مثلكة مظفة في مساء الليل.

غداً نأتي ليليل يهدوء وقطعاً نصف طريق العودة إلى الفندق دون أن يتكلمنا.

حسبت إيزابيل بسرعة: قد كان وقتاً رائعاً هذا الذي أسميته الليلة. وكانت تشعر وبشكل مدهش كم كان لطيفاً معها ووسماً.

استغرق منهم الوصول إلى نادي ليليل بضع دقائق قليلة، وعندما وصلوا ومن جديد، بدا أن الجميع يعرفون بيل. قد كان قد ذهب إلى نادي ليليل ليل سنة أشهر برفقة السفير، وكان يتناول طعام مثلكه هناك بين القهنة والأخرى مع استئذنه كلما كان في لندن. كانت إيزابيل تهمس في حين كان المضيف يتناولهما إلى طاولتهما. لقد شعرت فجأة بأنها فتية، وشعرت بأنه من السهل أن تكون هناك، ولكن شعرت بالإطراء لأنها برفقة بيل.

كان هناك حشد كبير في نادي إيزابيل تلك الليلة، وعديد منهم كانوا أولاداً كثرين وصنعتهم إيزابيل ليليل، رجالاً مسلمين مع نساء شابات جداً، ولكن كان هناك جدة أرواح بمنزلة عمر بيل وإيزابيل أيضاً. كان هناك العديد من الناس يجلسون إلى الطاولات بجوار الجدار ويتناولون طعام العشاء في حين كان بعض الناس يندشرون ويحشرون المشروب المفضل في قنادي الصمى القاسي. وعندما جلس بيل وإيزابيل إلى طاولة قرب ساحة الرافس، أبلغت إذ رأت نظرة في عيني بيل. لقد كانت نظرة لم تعدها سابقاً. وعزت ذلك ليس إلى المشروب المفضل الذي كانا يشربانه وحسب، بل إلى ما في عينيها من حزن وندم. بنوق العادة تليها في نظرتها لها وهو يمشي إلى ساحة الرافس بعد عهده دون أن يبين بيت شقة. لقد كانت صرورة لأغنية ليلية كانت تبعها دائماً، وفوجئت أن بيل لم يكن يقدر عليها ما عدا أن يمشي معها مسجماً معها تماماً في الرافس. لقد أحاطها بذاق قوية وقريبة جداً، ورأيت ترافس معه برفقة في ساحة الرافس، وشعر بأنها هي التي كانت مسلاً وطعنناً منها منذ سنين. فتنقلا من أغنية إلى أخرى دون أن يغلرا ساحة الرافس. وبدا أن ساعات مضت عندما عاد أخيراً إلى طاولتهما، وطالبا المزيد من المشروب المفضل.

ارتفعت من كلها رشفة، واتفقت أصحهما من جديد من فرق كأسيهما، ثم أدبرت طرفها بعد عهده. لقد كانت تشعر بالخوف مما بدأت تصب به نوم، ولاحت نظراتها في الحمال وشعر بالقلق: "أنت على ما يروى؟ كان يخشى

- ولما لهذا؟ قال لها ذلك وهو يحيط كتفها بذراعه مستخدماً يدها وقد انصرفت به. لم يكن بينهما أي خداع أو شعاع أو حرج أو توتر أو تردد. بل إنها كانت تشر بهجرته بمسادة غامرة وهدهد وسلام لائق الطليعة. توقفت بهما السيارة أمام الفندق، وابتا مسكنين لوطلة، وانظروا السائق بلقب عارج السيارة دون أن يفتح الباب.

- "هلا نزل؟" قلها بيل متلصفاً وتحرره بالتقال مبتعداً عنها، ولا رأى السائق حركة الركبتين في السيارة فتح الباب.

تبع بيل إيزابيل إلى ردة الفندق مروراً بالباب الذي يدور حول محور. كانت الساعة قد دلت ثمانية صباحاً، وكان هناك حطيان يمتلئ الأرضية الرخامية. تناوبت إيزابيل بملس وهما يصعدان في المصعد الذي توقف بهما في الطابق الثالث.

سألها بيل: متى ترهين أن تبدأ صباح خد؟ قال لها ذلك وهو يتمنى لو أنه يمضي الليلة معها. قد كان يدرك أن هذا الأمر مرفوض نهائياً، وأنه لا يريد أن يعرض صدقتهما للخطر بأن يطلب منها ذلك، أو أن يعمل ما يجتهدا تقدم عليه. قد كان يلزم إلى أي درجة تعاطف إيزابيل على نفسها وعلى الصواب.

- الساعة العاشرة، ما رايك؟ لا أعتقد أن أتمكن من الصبح بفتح أبل لك. كلا والذين على حاية باب غرفتها آنذاك، وقد بدت كل مرة لملوكة. قد كان ذلك الأسماء تكبر هائل في نفسها من عدة نواح.

- ما رايك في تناول الإفطار الساعة التاسعة؟ سوف أخرج عليك ولنزل إلى الأسفل. اقترح طيباً ذلك وهو يقف على مقربة شديدة منها.

- فكرة طريفة. قالت ذلك ثم التفتت من جديد وانكفت حلسة له: لقد لمحتت بوجودي معك الليلة... شكراً لك.... قالت ذلك بينما هو يفتح الباب بمفتاحها، ثم قبل أعلى رأسها.

- لقد لمحتت ولما ملوكة؟ قال ذلك وهو يتشم لها وهي تخطو دليظة إلى غرفتها وانكفت إلى الطابق ضامكة.
- فما سجد؟ قالت ذلك وهو يلوح لها بيده ثم يختلي في الرواق ماضياً إلى غرفته. كان جل ما تفكر به هو كم أنها مطبوخة لأن لها صديقاً مثله. رحت تفكر بذلك وهي تطلق باب غرفتها بهدهد وتطلع حذاتها.

الفصل الثالث

فخرج يسوع بلب عرفة إيزابيل في صباح اليوم التالي، ليبحثا على أمة الاستعداد وقد ارتكت ملابسها وراحت تنتظرم. وهذه المرة كانت ترتدي بذلة القطن من الكتان بلون أزرق بحري داكن. كانت تحمل حقيبة بلون أزرق بحري مزرقة كئيبي ومرتدي حذاء أزرق داكن من جلد القنطور^(١). ووضعت وشاحاً أخضر ساطعاً حول عنقها، وحلقاً من الزمرد والياقوت الأزرق. لقد بدت جميلة وقوية وراقعة كما هي دائماً وليمة للفاية.

- "كبهين راقعة اليوم". خلق بهذا القول بينما كانا لأن السلام جنساً إلى جنب. كهل نمت؟.

قالت مهتمة: كمت بدون حراك مثل حشرة. ولنت؟
- "نمتُ مثلكم إذا ما كنت نمت بحري لم ألبستك إغاسيد، ولكني أشعر نسي على ما أراهم اليوم". لم أكن لها منذلاً فلة أسس، وما كنت تعتقد أنه سندهل حقاً. لقد كان يمارسها بعد، وهذا هو روح مطوية عالية وهما يسيران داخلين إلى غرفة المصباح كان قد تمسك وحيز طاولة، لطلاب وليمة القنطور كبيرة لكليهما.

قال: يا عاتول: لا يعني أكل كل هذا. نظرت إلى ما كان قد طلبه: القمح، والحب، والقمح، وتسمى^(٢)، وكرواسانت^(٣)، ووجبة شوفان،

(١) القنطور: (alligator): سمح له رلي عريض.

(٢) وال: (walrus): نوع من الكهك الطري نوعه الطحين والبيض والطحيب أو قشاه.

(٣) تسمى: (kroasent): ككه مطبوخ من فول الصويا.

(٤) الكرواسانت: (croissants): كلمة فرنسية الأصل وهي نوع من المعجنات المصنوعة على شكل رقائق لسطوانية.

والركبة، وعصير برتقال، وقهوة - قد كان ذلك أكثر مما يحتاج إليه جيش
يخوض جرحاً، هذا ما عثقت به وهي تهم.

انضم لها أختها حريصة بوداعة وقال لها: كم أحرف ماذا تعين على
الإعطار. لذلك قد طلبت كل الأعراج، هذا تكلمين في العادة سألها بفضول، إذ
كان يحب أن يعرف أدق التفاصيل عنها.

قلت: "هذه كهوة مع ثوبت محض جيداً، ولكن هذا أكثر تسلية".
ووضعت الوائل والبعض وتبسي في صحبتها، ثم أضلعت بعض القريب.
واعتصمتها، قد كتبت مقداراً كبيراً من الطعام الذي كان قد طلبه، وأني هو على
معلم البالي. وعندما غادرا القلق كفا في سرور يتضاحك ويترجحان على
ما لكلاء، وعلى مدى ليلتهما التي سجتان إليهما. لا بأس في ذلك طمعا في
أرك بضع مرات في السنة. قالت تلك وهي تستل اليومين التي كانت في
استطراهما. وقالت: "إنا وأنت أكثر من ذلك سوف أصبح بدينة للغاية". وبدأ
مستغرباً حليماً وهو ينظر إليها. قد كان يفكر كم يكون جيلاً لو أمكنه أن
يتناول طعام الطيور معها كل يوم. قد كانت امرأة تطو مرافقتها ويرتاح
المرء إليها. قد كتبت نذراً ما تبدو سيرة المزاج حتى عندما كل يتصل بها
حدة مرات في الأسبوع. أما سيدي فكانت دائماً تقول لها تكره الاحتكاك أو
الاتصال مع الناس قبل الظهيرة. ولكن إيزابيل كانت حذرة ومتقنة في حديثها
إلى بل طوال الطريق حتى صلاة الغلت.

لقد كانت تحبته عن كل الوجوه التي سرقها، وعن تزيين هذه
الوجوه، وأصلها ومصدرها، وتقنية المستعملة فيها والتفاصيل المميزة
لمعظمها. لقد قامت بوظيفتها وكلفت في غاية الفطنة لربارة المعرض في
وقتته. وقد استمتع بمشاركتها حملتها. وخلال توالها في المعرض بدت
على معرفة صيغة شاملة بكل لوحة، فتمتص أحد التفاصيل، وترجع له
كل شيء. قد كانت زيارة المعرض معها خبرة جديدة تماماً عليها، وعندما
غادرا المعرض حد الظهيرة شعر وكأنه قد درس منهاجاً مكثاً من الفن.

- في لديك معرفة هائلة مذهلة. لماذا لا تكتبين من كل ذلك ما
يزيل؟ قالت تعرفين الكثير عن الفن فلا يجوز أن تذهب هذه المعرفة هباءً.

قالت بحزن: "أما حد حدي وقت. فلما لا أستطيع أن أترك قيدي".
- وهذا هو قمت ببعض أصناف القوم في المنزل، وهكذا الباقين إلى
جوار؟ ومن الشهرة التي تحصلين عليها، يمكنك أن تؤسسي متحف أو ورشة
عمل في مكلي ما. لا بد أن المنزل كبير بما يكفي لذلك.

- أعتقد أن خورون سيجعل هذا الأمر صعباً للغاية. قالت ذلك بدهوء
ومسحة من الحزن والأسى تهدي في صوتها. واستأففت: كم ترقى له أبدأ
لكرة صلي. قد كان ينظر إلى ذلك على أنه نوع من البهيمية وذلك عندما
كتب أصل في القور. لا أعتقد أن الأمر يستحق وجع الرأس الذي يسببه
ذلك. قد كتبت، ومنذ زمن بعيد، قد تخلت عن فكرة العمل، ليس فقط من أجل
خورون، بل من أجل ليهما أيضاً.

- أعتقد أن هكذا عمل بنفسك تماماً. قال لها بل ذلك بطريقة صافية.
قد كان معجباً بالمعرفة التي لديها، وبالأسلوب اللطيف الذي شاركته فيها. قد
كسب الأسر وكلها تشاغلوه شغفا بالقرن، فلم يشعر أبدأ بأنها كانت تنظر له
تجعله يشعر بأنه جاهل، رغم أنه لم تكن له أية دراية بالقرن تضاهي معرفتها
به. قد كانت تملأ بالفقرى القويح ويتواضع مخاضين هتفا في سلوكها وفي
حديثها. وسألها باهتمام: "هل ترسمين شخصيات؟".

- قد كتبت أرسام. أنا لست ماهرة في ذلك، ولكن كنت لعب الفن عادةً.
- يمكنك أن تؤمسي بذلك أيضاً إذا كان هناك متحف. وأعتقد أنه
سيكون مثقلاً جيداً بالفنية لك. أهتمت للتفكر، ولكنها كتبت لتعرف كم سيكون
خورون مستاء من جراء ذلك. قد كان يحتاج على الدوام بسبب حليها وذلك
لسبل أن ينجها صوفي، وكان على لبارد يصر عليها لأن تغطي عن ذلك منذ
ولادة الطفلة. قد كان يصر أن هذا العمل لا يليق بمزاجها نوعاً ما، ومجال
عملها في الفن لا يتناسب الصورة التي كانت لديه عنها أو أراهما لها. كل ما

كسب يريدونه منها أفداه هو أن تعجب له الأطفال وأن كبير أمور منزله وباتفاقي فعل ما كان يصعبها قبل الزواج، وكل ما كانت تعلمه وتعلمه يوماً ما عاد له أي أهمية بالندية له. قد كل يود له الأمر الآن بأن يوجه ويقرر ويستعكم ويحظر على كل شيء ولن يعللها كشيء يستعكه. فالاستكافة كانت مهمة بالندية له.

- أعتقد أن غوردون سيحذر الأمر تحدياً له إذا ما حدث إلى الرسم أو الترميم الآن. قد قللها في مراعاة عندما أجبها الأطفال أن هذا كان جزءاً من صباه وما عاد تلبية أو وسيلة تمضية وقت مناسبة لأمرك متروجة.

- وما هو الأمر الصليب المتضي به المرأة المتروجة وكما لا يمكنها بيل وقد بدا مزحجاً. أريد بيل أنه كان يكره الرجل وكل ما كان يظه في نظره. لقد كان متكرراً وسطيحاً ومستعداً، وكان وانضماً بالندية بيل أنه لم يكن لديه أي لعتوم لها على الإطلاق، أو لشيء لعضام من أي نوع بما كانت تعب أن تلتبه، أو بما كانت هي عليه. قد كانت مجرد شيء قد اكتسبه لكي يحزّر حياته المهنية ووضعه الاجتماعي. وعندما حدثت له ذلك، ما عاد لديه أي اهتمام بها. لقد بدا بيل أن في هذا إجمالاً شديداً بحق إيزابيل. قد كانت تلتحق أكثر من ذلك بكثير.

- أعتقد أن كبير المنزل هو كل ما يريدني غوردون أن أقوم به، والندبة بالأطفال، وأن تكون في ملأى عن الظهور إلى أن تستعني الضرورة ذلك، وهذا ما عاد له كبير أهمية أو دأج. أعتقد أنه يتساهل معي إذا ما كنت ببعض الفصل الكبرى في جمعية إنسانية يوماً ما، طامحاً يستحسن هو هذه الجمعية مع وجود ألس الآخرين ويكرهم مليونين له أو يلقون به. غوردون لا يؤمن بعمل أي شيء ما لم يخدمه بشكل من الأشكال، وإلا فله يكرهه منجذبة للوقت.

قل بيل مطلقاً بأسي: يا له من أسلوب حياة حزين!

- لقد اعتاد على ذلك وندج فيه. ولربما هو الآن المصري الأكثر

المصيبة في أوروبا، والتكبد في فرنسا، وصل إلى له شعرة جيدة في الولايات المتحدة أيضاً. فالجميع في دول سحرية⁽¹⁾ وكل دول أوروبا الكبرى يعرفونه.

- وماذا بعد؟ ماذا يخبئ من كل ذلك في نهاية القلار يا إيزابيل؟ ماذا يكون المرء عندما ينتهي كل شيء ولا يبقى له إلا مهنة؟ أي نوع من البشر يكون حينئذ؟ قد كانت تتساءل هكذا كثيراً في السنوات الأخيرة. قد كانت أعتقد أن ذلك هو كل ما هو مهم، وأن عكافت الفصل تجعل المرء يعتقد أنه شخص مهم. ولكن ماذا حينئذ؟ ماذا يخبئ ذلك إذا لم تكن لديه حياة عقلية يعيشها، وإذا كانت زوجته تستمر حياته أو موته سواسية بالندية لها، ولولاها لا يستطيعون حتى أن يستكروا أنصر مرة تناولوا طعام الغشاء معه. أريد من الناس أن يفكروا أكثر من ذلك حتى. قد كانت هذه أحد الأشياء العديدة التي أحبها فيه. ألا وهي أن قيم بيل وإصاحبه بالأولويات كانت واضحة كالبور. ولكنها كانت تسرد أيضاً أنها لم تكن راسخة ثابتة على الدوام وقد دفع غالياً من الدروس التي تعلمها. قد كان زواجه غرضاً على زولجها، وما كانا لينكر في ذلك، ورغم أنه كان يحب ليلته إلا أنه لم يكن قريباً منهما. قد أعتنى ربحاً كبيراً من الزمان يسمى وراء الحياة السياسية وصنع قروساء، وكان أحياناً يهتم الأمر ليلته عندما كانتا صغيرتين. وفي السنوات الأخيرة، بذل جهداً ليمضي وقتاً ليلول معهما، وحصل على بعض النتائج المرضية. قد كانت ابتداء كتابهما مستمتعان بصحبته وتلقونه به رغم أنه كان لا يزال يسافر كثيراً. أما الآن وقد سافر إلى لندن، فقد اتفق معهما على موعد يتصل فيه بهما هاتياً. ولكن تفرته المطرد من سبلدي كان له وقته على العائلة. قد كانوا قلماً يلتقون جسمياً كمجموعة، وعندما كان يلتقي بيلته، كان ذلك لقاء يكون قريباً في الصائد، وهذا أيضاً كان ناجحاً. أما إيزابيل فقد كانت أوفر منه خطأ، قد كان الأمر الوحيد الذي يبهما هو تيدي وصوفي، وكانت تمضي وقتاً طويلاً معهما ودائماً. ولكن لا يمكن أن نقول لشيء نفسه من غوردون. فلقد كان كذا

(1) دول سحرية (Wall Street): موضع سوق البورصة في نيويورك.

هربين عنه، حتى صوفي التي كانت قوية عنده.

لا أعتقد أن هورفون قد بلغ مرحلة الاستشارة التي وصلت إليها. قالت له إيزابيل ذلك بصوت، ولا لأن له قد بلغ ذلك أبداً. هذه الأشياء لا تهمه إلا في حالة الضرور لكونه مهما في علم المال. وكل ما حدا ذلك ليس بشيء أصمية بالقسمة له.

قال بيل: "سوف يؤول إلى رجل حزين يوماً ما، وحدهذا أنا أيضاً في الصباح مثله. قال ذلك وهو ينظر إليها بألم في حين كنا يجران لوراهم إلى السيارة. واستغف: حسب أن هذا ما سيحدث لي أنا أيضاً في النهاية ولكن ربما في وقت متأخر عنه. فلما أحش حياة والعية معك يا إيزابيل كثير مما فطنت مع سيدي لو افئذين. أتمنى أن يكون ذلك القلوب قد فكتي منذ زمن بعيد. فلما لم أكن هناك من ألهما.

قالت إيزابيل بالهف: "أنا واقفة بأنهما سكهمن السبب. ففئذتان قد بلغت الرشد تقريباً الآن ولا تزال ليهما حياة تشركك فهما.

ألم أن ينظرا إلى الأمر على هذا النحو. فلهما حياتهما الفاسدة الآن وقد حاولت والنتهما أن تقعيما كم أنا فلي ذلك. ولربما كانت على صواب. قال ذلك ثم نظر إلى صديقته مبشراً وتكلم كلامه: قد أحببت أنجل ما في نفسي. ولم فعل هي ذلك أبداً. وليس ليهما نفعه علمي. ولست متأكداً فهما إذا كانت تريدني أبداً على ما أنا عليه الآن حقاً. وأعتقد أنها كانت تتخاف فعلاً من هذا النوع من العودة الصعبة التي تشاكرها معاً. حتى ولو كلفت على الهالكه معظم الوقت. ما كانت تريد أن تكشف ذاتها لي، أو أن تتعلم مع ذاتي. فقد كان ما بهما هو أن يكون هناك، وأن أذهب إلى حفلات معهما. وهذا ما لست أنا، فلما أحب أن أضي وقتاً طويلاً، ولكني لم أترك أبداً كم كنت أفقد وجود شخص ما في حياتي لأبحث إليه. لست بين سيدي وأنا أي فطاط لقاء على الإطلاق، ولا لتبادل المشاعر، حتى وإن كنا نتسلط الغرفة نصها. وهذا سوف أن يتغير أبداً.

حاولت إيزابيل أن تشجعه وأن تظهر أنها مثقلة بما بلغت فقلت: ربما لمعدنا ذلك إذا أردنا. ولو أصطنها فرصة وكنت مفتحاً عليها، ربما تعلم أن صبح ودودة ومتفكة معك.

- سيدي ليست هكذا. قال ذلك وقد تدي بعض الأسي في حياته. واستغف: ولكني ما كنت لأطلب هذا بعد. قد انتهى الأمر بيننا منذ زمن بعيد، وفي الواقع أعتقد أنه من الأفضل أن يكون الحال هكذا. ليس ذلك خيبة ليل، أو ألم. فطالما أظهر من فترة لأخرى من أجل مصلحتها، ولما كنت على نفسي للارتسار، ولا أتمنى أن أضر حفلات تخرج بطني، فهذا كل ما تريده مني الآن. ليس تعيش في عطفين مختلفين. وكنا نشر بأن هذا الوضع أكثر أمناً وسلاماً، على ما أعتقد. لقد كان علي بأن ما كان بشر به، وما كان يضي أن يكون لديه هذا الإحساس.

- كنه لمن المذل ذلك الذي فعله لحياتنا، أليس كذلك؟ قالت إيزابيل ذلك في تهدد وهما يتنظان مجلسهما في المقعد الخلفي من سيارة الليموزين من جديد، وهو يحكي السابق عنوان المطعم الذي سيتناولان فيه طعام الغشاء. لقد كانت إيزابيل قد سمعت عن تلك المطعم، ولكن لم تعرف مكانه. وقد كان المطعم المفضل للكثير دينا لصوت جديدة. قالت إيزابيل: قد سمعت نفسك بأن تجرف بعيداً عن سيدي وعن بذلك. وأنا سمعت لهورفون أن يصطلي من حياته دون اعتراض، لعلنا نتسلط مع الآخرين الذين يظفون هذا بلذا لعلنا دفع الآخرين يفتنون ذلك الخوف دون أن نحتج، أو على الأقل أن نبدى رأينا. قد كانت تشر بالذهول وهي تفكر بالأمر الآن. لقد بدت الأمور واضحة الآن أكثر من أي وقت مضى.

قال: السبب هو أنهما كانا يسلكان هكذا معاً على الدوام. لم أكن نظم ألهما مصححان هكذا وأن ما أعجبنا فهما ميلاشني. قد كفت سيدي راحة عضلنا كفت في الجملة، وكانت مثقلة، فائقة، ومرحة الغاية، ولكنها لم تكن عطفية على الإطلاق. ربما تكون أكثر النساء لانية وتلاعياً ومكرراً على وجه

البسطة. وهوردون لاني، بارد الحوليف، ومستبد. وما كان لأي شيء. لعل
أن يغير نسي طباعهما. المشكلة أننا كنا نرب في الأسطول في البحر
الزوجية، سواء اعترفنا بذلك أم لا. والسؤال هو لماذا كنا نعتقد أن ذلك هو كل
ما كنا نستطيعه؟

- لقد كان والدي هكذا. قالت إيزابل في هدوء، وهي تنظر إليه بعينها
الغضاروين الواسعتين، ولأول مرة، واستغلت كلامها: قد أحببتهما، ولكنهما
كنا بعيدين عني ومنحطين.

قال: كذلك والدي. لقد كان أطول بكره من الأطفال، وكنا قد صمنا
بنجباً لطفلاً، ولكني وكنت وصا في الأربعينات من العمر وكان ذلك مفاجئاً
لهما. وكنا دائماً يتكلمني، ويخبر لاني، أو يجمعتني أشعر أنهما كنا يصلان
مصرفاً كبيراً نحوي لإحبيهما لي وتربيتهما لي. وما كنت ألتحق صديراً
للمسرح من ذلك المصعب إلى أن ذهبت إلى الجامعة. وقد توفها كليهما في
حادث تصطم طائرة عندما كنت في الخامسة والعشرين من عمري. لم أكن
تلك حطفاً. شعرت، عندما اتصلت بي شركة الطيران، وكان الشخص
الذي من منى غريجان عني. لم أكن ما أقول. لا أعرف من كان حطفاً
تسعين في غاية الفكاك وبني معها شافي عشرة سنة، وكنا
عندما انقلقت متباعدة عنهما. لا أري ما كانا لهما في لاني عائلتهما أو عائلتهما
أو قلت لهما في أحببتهما. لا أفكر أن والدي اعتنقني. ولكني كنت
كنت طفلاً. لقد كانت دائماً تتحدث إلي من الطريق لأمر الغربة، والدي لم
يحكي علي الإطلاق. وسندي هكذا، إنها تتكلم إلي من عليهما مرة فقام
بل وأبد من ذلك إن أحببتهما.

- من الصعب أنه لم تعد حطفاً بعد. قالت لاني إيزابل بتسلف، بالحد
أمكنها أن تكلم طرفة، ومن عدة نواح، فهي نفسها ما كانت قد كانت طفلة
مستغلة عنه. لقد حظيت بالحق والقبول من والديها، ولكن كان هذا بالمثل
قطر، وخلف ذلك كان هناك بعض الحب فقط. قد كانت لاني إنكليزية جداً.

أعتقد أنها كانت تريد أن تحمي، وعلى الأرجح أنها كانت تمل ذلك، ولكنها لم
تصرف كيف. لقد كانت متخلفة جداً وبمودة جداً. قد توفيت والديها وهي لا
تدرك بعد طفلاً رضيعاً، وكان والديها بارد الحوليف تجاهها. وقد أرسلها إلى
مدرسة دولية⁽¹⁾ عندما كانت في الثالثة من العمر، وتركها هناك إلى أن
تزوجت من والدي. قد ظننت به وهي تقدم من رفعتها في المحبة، وأعتقد أن
جدي كان قد رتب لهذا الزواج لكي يخرجها من المنزل. وبعد أن ذهبت، عاد
لمستخرج من جديد، من امرأة كان على علاقة معها منذ سنوات، حتى قبل وفاة
زوجته. لقد كان الجانب البريطاني من العائلة يحل بالعائلة العظمى والأسرة
والتي كان لها ما كان ناسج لنا بأن نذكرهم أو نحدث عنهم. كل ما كان لنا أن
نطلب من ليس على نحو لاني. ولي تكون مهينين، ولي نذهي لي كل شيء
على ما يريه من ندي لاني فكرة عن حيلة شعور والدي تجاه أي شيء.
ولقد كنت والدي منفساً في الحياة السياسية، وما كان لنا وجود تذكر في
حياة. كنت لاني وأنا في سن المراهقة، وما كان لدي لاني وقت لنتحدث
إلي أو نكون مصري، رغم أني أعتقد أنه كان رجلاً طريفاً رائعاً. لقد كان
وكليهما يشبه إلى حد كبير زولمي من هوردون، وهذا ما جعلني لا أستغرب
أن أحسب حياة مع زوج وضع حلزاً بياني وبنيته. لم أفكر كثيراً في هذا
الموضوع، ولكن كان هذا هو نموذج الزواج الوحيد الذي أعرفه.

- الأمر مثير بالنسبة لي لحيته. قال لها مخرأ عن طفلة. لم يكن من
شيء يخفي عن إيزابل. أعتقد أنه لو كانت سيني أكثر محبة وعطفة من
والدي، لما كنت سأعرف كيف أتعامل مع الأمر في تلك الأيام. لقد كنت في
الثانية والعشرين من العمر عندما تزوجنا، وأعتقد أن جزءاً مني كان سعيداً
لسنوات. عندما بدأ يتحدث إلي إيزابل قبل أربعة سنين، عندما لفت انتباهت
الأمر لاني وتغيرت وجهات نظره كثيراً. لقد كان متجنباً إلى ندي إيزابل

(1) مدرسة دولية: (boarding school): مدرسة يتم فيها، ليس فقط تربية الطلاب، بل
لهم أيضاً تقديم السكن والخدمة والفصل لهم.

الغلات. ولكن أنا وأنت لدينا الكثير من الحبوب. فهذه مستمدع إذا ما قمنا
عن سبدي الآن. وأنت فيه بخل مريض للغاية. أنا أهتم السب الذي يجعلنا
منه كلاً على هذا النحو. يمكنني أن أفسد ذلك. ولكن على الرغم من ذلك
أفكر أحياناً بأننا كلاً لسحق. لو كنت لدينا الشجاعة حقاً، ولأننا بنقنا لضعفنا
الاستبداد. ولكن لا أعتقد أن أي منا سوف يفعل ذلك. ما كان حديثه إبنه لها
لو نفسه، بل كان مجرد تحبير عن الحقيقة كما كان يراها.

قالت بحزن: "أعتقد أنك على صواب."

- "لن ألتصق على ذلك يوماً ما. فالحياة قصيرة. لقد مات والدني
وهنا في السجلات من العمر، ولا أعتقد أنني قد فسمتها بحياتيها. لقد فعلنا ما
كنا نؤمن أنه يجب علينا فعله. أما أنا فلا أعني بذلك. ولكني لم أعرف
كيف أحصل على ذلك."

قالت إيزابيل بسدى: "لما لا أزع نفسي أفكر بالأمر. لقد كنت بالاختيار
منذ حشرين سنة وحافظت على هذا الاختيار."

- "هذا أبل منه". قال لها ذلك وهو يضع يدها في يده وهما يركبان
السيرة. ولكنهم لا يتخمنون لنا مكثات لقاء ذلك. وفي النهاية، ليس هناك من
يهم أو يلاحظ ذلك. وإن يعلق أحد أي وسام أو ميدالية على صدورنا لأننا كنا
شجعاناً."

- "ماذا قصد بذلك؟"

- "كنت مثلك. ولكني أفسد أحياناً من كل الأسباب التي أضعها للنفس
تبريراً لطريقة الحياة التي أعيشها. بل في كنت مثلك من أي لا أرق لومن
بهذا الهراء شخصياً بعد. وحتى أصدقك القول، يا إيزابيل، فالواقع أني عندما
أفكر أو أبحث إليك أفسد ماذا نامل بحق المحرم."

- "لقد ماذا يفعل كل هذا لأخرك؟ وبنت خالقة وهي تتساءل إذا ما كان
يخبرها بأنه سوف أن يراها بعد. ونظرت إليه بجهل متسعين."

- "لا، بل أفسد ما يفعله كل منا مع الآخرين. فلما وأنت الوحيدان

وإوربا كمثل القرعة إلى اللهب، وبشكل أو آخر، أبقته على قيد الحياة منذ ذلك
ولكن أفسد بيدها وبين زوجته جملة بشر بغير فكر عن سبدي بعد كل ذلك
المتين. لقد صار يرى كم كنا مضاعفين ومدد زمن طويل.

- "تساءل كم كان الأمر ليخطف أو أنا كنا نعرفه عندما تزوجنا، كل
ما نعرفه الآن."

- "ما كنت لأتزوج سبدي لو أني قتلت بها اليوم". قال بيل دون تردد
كلنا لا نستطيع التواصل معها، ولم أستطع يوماً. إنها تكره الحديث عن
المشاعر، ولا تحتاج إلى الحزن الحقيقي. بل بالحري إنها تنفقه. كل ما يهمها
هو رواج يدو جيداً، ولما ما وراء ذلك فلا يهمها على الإطلاق. أكره أن
أعطيها تدوير سطحية هكذا، بينما لديها بعض الميزات الرائعة، ولكني تزوجت
من امرأة ظلت غريبة بالقضية لي طوال الثلاثين سنة التي ضنا فيها معاً.

هناك: "فما ترقى تكوي الاستمرار على هذا القوال ثلاثين سنة
لغري؟"

- "يبدو الأمر هكذا، أليس كذلك؟" أجابها بمرحمة، ولكنه مؤخراً راح
بشأن نفسه عن سبب ذلك. ولكن الطلاق سيشكل لديه حقبة خطيرة. فإن
يحافظ على صفحته بوضاء، غلوة من المشاغل، كان أيراً ألسياً في نظره. إذ
ما من رئيس أو مرشح للفرقة سوف يقبل بالتصديق معه إذا ما جفت سبدي
الأمر شاقة عليه، وكان قد مضى وقت طويل مذ شك بأنها قد فعلت ذلك. ما
كنت أتردد أن أفسد الأمور طامساً هي لسلعها. فآخر ما تريده سبدي هو
الطلاق. لقد كانت مرتحلة إلى الوضع القوام.

"لست متحمدة للقوام بنفس الشيء؟ أي أن تعاطفي على زواج حال من
السبب بقية حياتك؟ سأها بيل وهو يعرف جوتها. لقد كنا قد ناقشنا هذا
الموضوع من قبل.

- "ليس لدي خيارات."

- "كلنا لدينا خيارات، إذا كنا من الشجاعة بمكان بحيث نلخذ هذه

العاقلان، ثم تكن ينظر على الحديث إلى أحد كما تحدث إليه، ليست تترك
الطريقة التي يتبعون أن يستخدمها مع الجميع.

أولاً برأسها وهي فكر بكل ما قلته، هكذا الأمر الآن، ولكني ما كنت
بناصرة على فهم ذلك وأنا في البداية والمشريرين من الحر عندما تزوجت. جل
ما كنت أكرهه فذلك هو أن أعمل ما كانوا يطلبونه مني. قد كان لودودون
نفس سلوك والدي. قد كان يحد لي متى أبيض، ومتى أوي إلى سرير، وما
أقول، وما أعمل، وبهذا الفكر. أعتقد أنني كنت لحد الأمر مريحاً آنذاك. فلما لم
أدرك أنه كان لي خيار، وأن هناك طرقاً أخرى للحياة.

- والآن؟

أ زلت لا أملك خيارات يا بيل. وأنت تعلم ذلك. ما الخيارات التي
أملكها؟

- كل ما تريدون. هذا بيت القصيد. كلنا نتحدث عن اثنين الباطل الذي
يجب أن نطعمه لتغيير حركتنا. لماذا عن اثنين الباطل الذي نطعمه إن بقينا في
ظروف حياتنا على حالها؟ هل فكرت أبداً في ذلك؟

- أحاول ألا أفعل ذلك. قلت بصراحة. فلما ذلك من أجل تهيئ، ومن
أجل صوفي، سواء أفركا ذلك أم لا.

- 'هل أنت على يقين بأن هذا هو سبب وجودك هناك؟ هل أنت متأكد
من ذلك؟' سألهما وهو ينظر إليهما بإسمل. لم يكن جنياً فكاً في حديثه معها من
أجل، وكانت إيزابيل مستغوية. ونماضت عما تثير. قد بدا وكأنه لم يرد راسياً
عن حياته، أو عن حياتها. وسأل من جديد: 'هل أنت واثقة أن سبب وجودك
هناك هو أنك تخافين القتل بأي أمر آخر؟' لاني أنا أتعشى ذلك. إذ إلي أعف
أن أومس كل لوروسي حياً وأن أخرج من حياتي التي أحبها متحلاً
مضططت ذلك. فلا بد لأحد أن يفكر بأي إنسان ولكي إنسان كل من كفل، أو
حتى إن أدي حياتك حقيقة. تعلمي ذلك.

- 'هل تقول لي بأنه تروي مجرماً؟' قالت إيزابيل منقطة مسوقة.

أحاول التسلل لتي كفا يتحفظان فيها مما كان دائماً يقول لها بأنه إن وأهم
غري زوليه بها وهي ضحا أن تقل ذلك.

'ما أقوله، أو على الأقل ما أفكر به، هو في أمتي لو كانت لدي
التشجاعة كسي أممورما. قال ذلك وحزم أن يخطو خطوة كبيرة. وحتى لو
خسبت منه وسارت مبتعدة عنه، قد شعر أنه كان يجب أن يقول لها ذلك،
لأن هذا هو ما كان يدر به. وما كان يستطيع تجاهل الأمر. فقال: 'أعني من
أهلك أن تكون حبيبتك التشجاعة لتتركها. إنه يقتضي أن أصفى إليك عندما
أفصل بك، فأنت مثل سجين في ذلك المنزل، تملكين الحرمان والإهمال
وهشمة، وذلك لتعين كل مرة. عندما أود لو أنني إليك فأفعلت لك أنت وبدي لو
أن أعمل أي شيء أفضلك منه ومن ذلك المنزل. إن هودون لا يستحق يا
إيزابيل لئلا كما أن سيدي لا يستحق. وما كان أبداً يستحقنا. كلاهما كان
محبباً في حقنا ولستين. أعني لو أن الحياة كانت أبسط مما هي عليه. ولكنها
ليست كذلك. إنها معقدة بالنسبة لكليانا. أيتها لم تكن كذلك، لئلا تبدأ حياتنا من
جديد.'

- 'هذا ما أقوله أنا أيضاً. قالت في هدوء: 'ولكن ليس في وسطنا ذلك.
وأنت تعلم ذلك مالي تماماً. قد رأت إيزابيل فكرة نطعمه من ماله
الزوجية. ولكن في الحقيقة كانت تعرف أن هذا الأمر سيكون مشدراً له. وهو
أيضاً كان يعرف ذلك. فلما تحدث لك سيدي فنتيجة سوف تهازل كل حاله
السياسية فوق رأسه. قد أفضت ذلكين سنة تهيئ ذلك. فهل أنت راضية في
أن تخلي عن كل ذلك؟ ومن أجل الحرية؟ هل أنت متأكد في هذا الحد؟ ومن
أجل قتل أمتي تومن بها؟ وماذا يفعل بحدلاً؟ وماذا علي؟ قد أكوني
هودون منذ زمن بعد باني إنا ما فكرته فهو يرى في سلوات جوعاً في
أشوارع بنتيجة ذلك. فلما لم أرت شيئاً. قد ذهب الإرث كله إلى أمتي. وعندما
سكنت في حشرة ورثه أولاده من بعد. أنا مقتدة على هودون كلياً. ولا
أستطيع أن أعمل بمفاتي أرمي له. وإن لم أستطع أن أصرخ على أمتي. وإن

لاستطيع أن أضمن له العملية الطبية التي يحتاج إليها، فبذو تلك ثروته، ورغم أن غورديون لا يحل بي أو يقدي إلا أنا وامن له كل استجلبته بكل سهولة ودون أن ترش له عين، لماذا تقترح يا بيل؟ أن أعرض يدي للخطر المتكسح، بدافع نزوة، لم أن أخطئ عنه وأتركه ورثي؟ لا، هذا مستحيل وأنت تعلم ذلك تمام العلم، علاوة على ذلك، فإن عهدي سوف أن ينجو بعد الانقلاب والثورات والتغيير الذي سيحصل له، إنها ليست بفكرة سيئة أن أخطئ عن غورديون إذ يبدو أنه لا يصحني، ولكن الحب هو رافعة وشيء تقوي في حياتي، لقد كان هذا لمرأاً يصحب قوله أو التفتيش معه ولكنه خطئي في حياة إيزابيل، لقد كانت تتكلم على غورديون لتأمين أفضل ما ترغب به من أجل أبنائها، ولقد حطم قلب بيل أن يرى مدى استحقاقها للحب هكذا، رغم أنه هو يعيش نفس الحالة فعلاً، لقد كان كلاماً قاعاً بما لديهما، وبينما يناقش شيئاً باضاً من ذلتهما.

- أعتقد أنه طينا أن نبتل لصلواتي جيندا في ذلك، قال بيل بهدوء وهما يسترجلان من السيارة أمام المطعم الذي اختاره ليقبلا فيه طعام الغداء، لقد كان المطعم إيطالياً، وشعبياً بشكل هائل، وفي غلبة الترهيب والألفة.

- ربما تكونين على حق، ربما ليس لدينا خيارات، رغم أني أعرف أني أفكر بهذا، ولكن في حياتنا ما أشك أنه لي يرضي أي شخص، مع أنه كان يصعب عليه أن يصدق أن المحاكم الفرنسية سوف تسمح لغورديون بل بقرعة زوجته وأبنتهما المريض يتضوران جوعاً، ولكن ربما كانت هي على حق، وربما سيتضوران جوعاً بالفعل.

أقلت إيزابيل والحزن على صياحها: إذا ما هجرته سيؤذي هذا الفصل الأكثر أساسية الذي قد أقوم به على الإطلاق، فإن يخطئني غورديون أي شيء أكثر مما يتوجب عليه، وسوف أن أستمع أن أضع يدي في نفس الحالة من الإرتياح التي يعيش فيها، قد أقوم بذلك من أجل نفسي ولكن أتي لي أن أؤمن بذلك من أجل الطفل؟ إن التوازن سوف أن يكون كلياً ومضموناً كما هو عليه

فعل الآن.

قال بيل ببساطة: ليس في مقدورك القيام بذلك، وأنا لا أؤمنك أو لؤيتك، أعتقد أن الطمع أصابني بعد أن قضيت بعض الوقت معه، في لرى الآن ألة حية كان يمكن أن تكون لقاء، وهي ليست متوفرة لأي منا.

ربما الأمر كذلك بالنسبة لنا لأن كل ما بيننا هو تصالات عاطفية ويضع ساعات نضعها معاً كل عدة أشهر، وربما لو كنا قد تزوجنا معاً لأختلف الحال عما تصوره.

هل تفتني ذلك فعلاً؟ سألتها ذلك وهو ينظر إلى حينها مباشرة، ترددت طويلاً ثم هزت رأسها بسمت، ولوقت: لا، لا أعتقد، ولكن أتي إذا لم تعرف، ليس لنا حتى أن نقرر في ذلك، قالت ذلك وهي تلمد بكرة حشرات في زجاجة.

هل تعلم ذلك هو عرف آخر لا يستطيع أن نعيشه مثل الحب؟ سألتها ذلك وهو حزيناً.

أعتقد ذلك، فإذا ما طينا أكثر مما لدينا الآن أو حولنا أن نحصل عليه فبينا إما سنؤذي بعضنا وحسب في نهاية الأمر، أعتقد أن طينا فقط أن نكون مرتين لما لدينا وألا نطلب المزيد، أنت الصديق الصديق العزيز الذي لي في العلم، ولأنك لأجل ذلك، أنت تعرف ذلك يا بيل، فدعنا لا نفقد الأمر بالرغبة في المزيد، لقد كانت تشعر نحوه بنفس الانجذاب الذي كان يشعر به عند الفتاة الفتنة، لقد كان راعاً أن يكون معاً، وأن يسموا، ويتحدثا، ويضحكا، ويرقصا، ويتشاركوا في كل الرغبات والفكر والصفات، ولكن ماذا بعد؟ ماذا سيحدث عندما يعودان إلى وطنهما؟ سوف أن أسمع ليل بأن يتعاقب، حتى لو أراد ذلك، فقد كانت تعلم أن هناك حدوداً بينهما لا يمكن تجاوزها، لقد كانت ترغب حقه بالمرء الأخرى ولكنها كانت تعرف أن هذا أن يكون لهما وتقبل بذلك، ولكن بيل بدا حزيناً وهو ينظر إليها قبل أن يفتح المساق باب السيارة.

قال بيلاد: أنا لطمح المزيد، فالتقت ضحكة رقيقة.

- ليس لنا ذلك. وأنت طلق مثل.

- انظر أنني على قيد الحياة لأول مرة منذ سنين. وهذا فضلاً على هذا السحر. وهي أيضاً كذلك. لقد شغرت وكفها قد حلفت حشر سنين إلى الزمان منذ ليلة أمس.

- اعتقد أن التناقض على الإطلاق قد أخذ مأربه منك فسد إلى راسك. لقد فكرت أن الطريقة الوحيدة لتعالج الأمر هي ألا تتفقد على محفل الجدة، ولكنها فوجئت بكل ما قلته. ربما تستطيع أن تنطق على لقاء هنا مرة كل مدة لبضعة أيام مثل هذه. وربما يكون هذا كافياً. لقد كان هذا كل ما استطاعت أن تفكر به كبديل عن الحياة معه.

قال لها بصبر ورحمة: أنت تظنين أنني أن هذا خير كاتب.

- لماذا أقترح إذاً أن أهرب معاً إلى نيويورك؟ كن جدياً يا بيل. فكر بما أقول. لا تكن مجنوناً. ولا توقع مني أن أكون أنا أيضاً مجنونة. لا أستطيع ذلك. لقد كان يعرف جيداً أنها ما كانت لتتطلى عن زوجها أبداً. وكانت هذه نقطة أساسية بالتمسك بها. ولكنه ما كان متأكد من أنها قد تتطلى عن غوردون بأي شكل من الأشكال. لقد كانت أكثر رغبة من أن تقوم بعمل شاق كهذا. وحتى لو كان بنوعاً جاداً بالنسبة لها، فإنها ستبقى معلقة له لفظة.

- لا تستطيعين أن تأبلي سوء معاملته لك.

- لا، لا أستطيع. ومطقتني لي ليست مينة. كل ما هناك هو أنه جعل حلواً بياني وبيته.

- لقد أصعبت عاطفياً منذ سنوت عديدة. لهذا يبقى إذاً سوى أنه يدفع فواتير تيدي.

- هذا يكفي. فهذا كل ما أحتاج إليه.

- هذا غير محلول. أنت في الحقيقة والأربعين من العمر، وفي حاجة إلى أكثر من ذلك.

- ما حدث فكر أبداً بهذا الأمر. قلت له أنك بحزم محاولة أن تقوم

كل الفحيت والمشار التي أصبت بها لعمري.

- إذاً يجب أن تطلي.

- اعتقد أنك تحتاج إلى كل من المشروب الضعيف. وأن تأخذ عيولاً، وربما مسكن للألم. لم تكن قد رأت له أو سمعته يتحدث هكذا من قبل. لقد أثر بها، ولكن لم تكن لتستطيع أن تفعل أي شيء حول ذلك. وكانت تعرف ذلك. فبعد يوم آخر أو اثنين على الأكثر سوف تعود أدراجها إلى منزلها. جل ما يمكننا أن نقطعه هو أن نشتد بالقول الذي في عقولنا وألا يساهم بطلب المزيد. ولكن فجأة بدأ لغضباً لهذا، ولكنه يسمى إلهام الأمر برغبته في المزيد. فقلت له: كن حليلاً الآن.

- لماذا تنكحها وهما يخرجان من السيارة.

- أنت تعرف لماذا. سواء شئت أم أبيتاً، ليس لنا خيار آخر. إنك تضرب نفسك وحسب، أو تضربني على الأكل. لك الحق في أن تحرر نفسك من زوجتك، وربما ينبغي عليك ذلك. أما أنا فلا، فحققتي أكثر تعقيداً من ذلك. إذ أن حياة تيدي تعتمد على ما يفعله غوردون له. وما كانت لتستطيع الاحتفاظ على شخص آخر حتى ولو كان بيل. فغوردون كان والد الطفل وكان يدين له بذلك على الأكل.

- لا بد أن يكون متوحشاً إذا ما توفيت عن تاديب اللون لكما. لم تنطق على ما قلته لوطلة، ثم نظرت مباشرة في عيني بيل، وقالت له بوضوح وحزم بلهم مطاعاً: سوف أن أضعه على المصعد. لا تكرر على ذلك.

قال بهتو: لقد فهمت. وشعها دافعاً إلى المطبخ. وأضجع عن الحديث إلى أن جسد. فقال: أظن لإثارة هذا الموضوع. لم قصد أن أزعجك. كل ما هناك أن الأمر كله لا يخل. فكأننا نعيش مع أنفسنا ببطوننا نساء. وعندما نكون معاً نشعر أننا على ما يرام ولنا هذا هو الوضع السليم لنا. لقد كان يحالف وهو يقول ذلك.

- ربما نشر أن هذا هو الأصح لأننا في الواقع لسنا مآء. ولو كنا مآء، لربما جعل كل منا الآخر أكثر تلمساً مما هما بصلتان. لا نطمح. كل الأشياء التي ما كنا قد تحدثنا عنها مبعفاً صارت الآن وبشكل مطلق على بساط الصراخ، وكان هذا مريباً بشكل أو بآخر. لقد كنا يخطئان خلف صدقتهما، وفجأة أظهر ويوضح أنه يريد أكثر من ذلك. ولكنها أوضحت أنه بالمثل أن هذا من المستحيل بالنسبة لها مهما كان شعورها نحوه. فاشة لئول أكثر من ذلك على السطح. وما كانت لتخطي عن حياة تيدي أو صحته معاً وراء حلم رومانسي. لقد كانت أكثر وحيًا من تلك بكثير، فهما بلغت درجة انضمامها بيل وإيجيفيا به، إلا أن ألبا له الأولوية. ولقد لخرعها بيل لأجل تلك، كما كان دائماً، وكما سيقتي يوماً.

- لو فكرت على ما نقولونه يا إيزابيل، قال لها يوضح وهما يجلسان إلى طاولة نصت مظلة تصميمهما من شمس حبرول. "سوف أن أعرض للخطر صحة تيدي. ولكني أريدك أن تعطي إلى أي مدى يعني لرك. وسوف أن أطمح تجزئين بنفك أو بلفك. في الواقع أرد لو أسمعك بخصوصه ما لمكالي ذلك. ولكن لا أظني أنك حقيقة مشاعري نحوه. وأريدك أن تعطي ذلك."

قلت له برفة ونظف: أعلم ذلك يا بيل. فالت طيب معي منذ وقت طويل. في السنوات الأربع الأخيرة لقد كان كل ما لديها، إضافة إلى أولادها. - ثم لكن جيداً منك بما فيه الكفاية. ليس إلى الحد الذي أظن. لقد تعبت من النفاق والإدعاء في حياتنا. أنت تدعي أنك روجه له. وأنا أظني بأنني غير ملائم عندما أذهب مع سيندي إلى حفلات وسهرات أبليس نصف رسمي للرجال. لا أعتقد أن في مقدوري أن أستمع بالانتظار أكثر. ولست وأنا من لي أرحب بذلك. فإني لا أعتقد أن المكافأة تستحق الثمن."

- ربما مستطير أضع ثمن أحلى بكثير إذا ما تابعت الحب على هذا النحو. فقلت متسائلة، وأردت هو الفكرة ولكنه أرد أن يحثها على إطلاق

هذهان لمشاعرها ونزواتها. لما إيزابيل قد كانت على استعداد لأن تكون مختلة.

قال بيل في هدوء: أربما أرمي بكال هذا في مهب الريح يوماً ما. - "طوبك أن تصنع التفكير في الموضوع". قلت في رزلة ولوماً برأيه مؤيداً لفكرتها، ووضعت يدي في يدها، لقد كانت لديها أصابع طويلة رقيقة نحيفة ويدان رشيقتان جميلتان.

- لست امرأة مميزة مرموقة وأكثر تفلأً مني. قال لها بهدوء وحذاء تكسنان مشاعره الصيفة نحرها.

- هذا أمر جيد ربما. وراحت يده إلى خفيها وفكرتها. كنت أعمل صديقة لي. وتوقف عن الحديث، وأومأت هي برأسها. لقد كان لديه الكثير ليقوله لها، ولكنه كان يحرف من خلال كل ما قلته له ذلك الصباح أنه لم يكن الوقت المناسب لذلك....

- ماذا تحبين للفداء؟ قال ذلك في محاولة منه لتهدئة العواطف والمشاعر التي شعلت وكلفت تستولي عليه. ما كل ليصور كيف سيكون عليه الأمر بعد أن ننتقله إلى باريس من جديد. ولكن ليس هناك مجال للتفكير في ذلك الآن.

لقد حزمنا الرأى على تناول البيت⁽¹⁾ والسلطة، وشرعنا يتحدثان في مواضع أمة كالكذب والخن. وقد فكرت أنه محوّل كتاباً عن متحرك الحياة المسيحية. لقد قلت له أنباء كثيرة من قبل. ولكن ما سيحصل ككتاب متحملاً هو الأسوأ التي ما كان يستطيع أن يثبثها.

- ربما عندما نقاد، قال لها وهما يمشيان على الدوميز.

فسي ذلك الوقت كان كلاً ما قد حاد. لم يعرف سبب خروج الأمور عن السيطرة ذلك الصباح، اللهم ما هذا سمعته البهلة في وجوده معها، وصعوبة

(1) البيت: (Passy) نوع من السمكونة.

يقول فكرة أن هذا قد لا يحتاج لهما ثانية. قد كان يعلم أنه طالما بقي على قيد الحياة فيها سوف لن يفكر أبداً في أن تتركه غوردون، وقد كان يبل، ومن أجلها، أن يعيش فيها صراً متديداً.

بعد أن تناولوا قليلاً بجديّة، ذهبوا إلى المتحف البريطاني بعد ظهر ذلك اليوم، ولم يخرجوا ثانية حتى الساعة الرابعة. وذهبوا للتحقّص سريعاً على الأقدام في شارع نيو بوند وولما بلغوا جازان على وجهات المصالحات ومشاهدات اللوحات الفنية والمجوهرات، وبمجرد أن تمسكوا بزراعهم لم يستطيع أن يمنع نفسه من التفكير في مدى ترائحه لأنه معها. كانت الساعة قد قرّبت الساعة حتماً هذا إلى غلاف كلوريد وقررا لعشاء الثاني. فقالوا ستدويني حول وستدوينات أخرى من الهندورة وبقية وسلطة البيض وبعض البسكويت وهذا ما نأكلها بعدها عندما كانت طفلة. قد كانت قدما تحب شاي الفسرونية⁽¹⁾. قد كانت ترى فيه شيئاً حضرياً، وراح يمارحها بخصوص ذلك. قال بل أنه يفضل أكثر أن ياكل حلوى الأصابع⁽²⁾ والبيتفور⁽³⁾ في كثيرها ليجيها في باريس أو أن يتناول المثلجات في برغليون. وقالت لها تحب ذلك أيضاً.

تمنى ستاني إلى باريس مجدداً سألته بشكل عرضي بعد أن كان ستدويني وصيت له كذاً أخرى من الثاني.

ما رأيك بالأسبوع القادم؟ سيكون من الصعب على الحركة إلى حوتى العافية بعد هذا الأسبوع.

واغترفت قائلة: "ولنا أيضاً". فرح كل ما كانت له وبساعتها من

(1) شاي الفسرونية: (High tea) وجبة تقدم في بريطانيا عند العصر وتختلف من طبق الطعام السلفى عادة مع خبز وزبدة وحامض وشاي.

(2) حلوى الأصابع: (Scones) نوع من الطبخ أو الطهي على شكل أصابع رفيعة وطعها عادة للقهوة أو شوكولا منعش.

(3) البيتفور: (Patisserie) (قائمة فرنسية الأصل): تلك مطبوخة بجميع القمم وكلم عادة في نهاية القائمة مع القهوة أو الشاي.

تلقاها بما لديها كانت تظهر بعض الانجذاب الذي يشعر به نحوها. لمعتما كلما معاً، أو حتى يتحدان على الهاتف، كان كل شيء يسير على ما يرام بينهما. ولكنها كانت الشجرة المحترمة، ومجرد وجودها معه كان هبة عظيمة من السماء.

— ثمن ترينين أن تتناول طعام العشاء الليلة؟ سألها بينما كانت تتناول بطريها وتضعه من كلامه.

— ليس لك أن تفكر حتى بالأكل من جديد بعد كل هذا الذي تناولناه؟ سوف لن استطيع أن أكل ليل أسبوع. ولكن كان مطروماً لكليهما أن تلك الليلة كانت الأخيرة لهما. قد كانت تنوي الرحيل في اليوم التالي، وفي وقت متأخر من ذلك اليوم. ما كانت تفكر حقاً بالعودة ليلة أخرى، رغم أنها كانت ترغب بذلك. وهو لم يذ أن يشغلها كثيراً هذه المرة، فربما ترغب أكثر بالقيام تلك مرة أخرى. قد كان هذا اللقاء مناسباً تماماً لكليهما.

كارلوك بندي مفارقة سألها وهو يتجاهل اجتماعهما عن تناول طعام العشاء بعد. "يمكننا أن نذهب في وقت متأخر إذا أحببت".

— سيكون هذا دعوة لسروري. فلما لم أذهب إلى هناك منذ سنوات في الواقع. ومنعتك ثم قلت بل إلى لم أذهب إلى أي مكان.

— تسلميز طاولاة على الساعة التاسعة. وغادر الطفولة ليوحة لغير العودة وتحدث إلى اليوب وهي تتابعه بظرفتها. قد كان يتمتع برشاقة رجولية تكاد لا تقوم وهو يمشي الهوينى مقتداً ويعبر القردة ويتحدث إلى الموظف عند مكتب البريد. واستمرت تسلميز بظرفها وهو يعود لأرجله إليها. سألها: لماذا كنت تظنوني إلى؟ وبدا مرتبكاً قليلاً. قد كانت في غلبة الجمل وهذا ما جعل فيه يسرح في فنته لحياناً عندما كان ينظر إليها. قد كان يريد أن يستجدها كثيراً، وأن يذهب معها إلى أماكن كثيرة، وأن يمشي فوقها معها، وأن يركب أصحافه عليها، ولي يلعبها إلى وانظن ويتحول معها. ولكنه كل يعلم أنه لا يجد منهما كان ليكنه ذلك. قد كان هذا ليد بكثير مما يمكنها أن

تصل إليه.

- فقد كنت أصعب بك. قلت له متفرقة: كنت وسيم جميل المحيا يا سيد روبنسون. قد كنت تنشر على هذا النحو تجاه غوردون منذ زمن بعيد، بعيد جداً. ولكنك ما علمت تنشر بذلك. وصارت تعرفه أكثر بكثير الآن ولعرف البرودة الجديدة التي صلا قلبه.

قال بيل: إنك إما مغبولة أو عصابة، ثم ضحك وهو يبدو مرعباً قليلاً. لم يهضما والذين وصعدوا السلم. كانت الساعة السابعة والنصف آنذاك، وقال إنه سيبلغ تلقياً في غرفته بينما تركي هي ثيابها وتصل بالمنزل. الساعة السابعة والتسعة إلا ربما. هل يمكنك هذا الوقت؟

- تماماً. كان كل ما تريد أن تقوم به هو أن تعلمين من جديد على تدي، وأن تخلص صمداً وتشرح شعرها، وتركي ثيابها، وما كان هذا يستغرق وقتاً طويلاً.

- ترك بعد قليل إننا. قال لها وهو يضع ذراعه حولها ويقل وجتها. وإذا فعل ذلك فتنتبه رغبة أن يسألها فيما إذا كانت تريد المكوث ليلة أخرى إذا ما كان تدي على خير ما يرام. ولكنه فكر أن من الأفضل الانتظار ولن يري ما تقوله بعد أن تتصل بالمنزل وتحدث إلى الممرضات والطق.

وإذا قلت بذلك شعرت بالارتياح والسرور لما سمعته. قد أمضى تدي يوماً سعاداً آخر. وكان يضحك وهو يتحدث إليها. قد كان يقرأ مع الممرضة كتاباً بحري طريف كانت قد اشتريته له قبل أن تغادر. فعلا عليها طرفتين. وضحك معهما، وكانت تهمس وهي تلمح حثماً. قد وعته أن تكون في المنزل في الليلة التالية. وجمرت في رحلة طيران الساعة السادسة. وستكون الساعة التاسعة بتوقيت باريس عندما تصل إلى المنزل. قد فكرت في البقاء ليلة أخرى، ولكنها شعرت أن هذا ليس فيه إصلاص له.

أولست أستاذ سيرة كوكليل أيضاً حزيناً بسيطاً تلك الليلة، مع دثار لبعض من كشمير، ووضعت الكتي من جديد، وقلعت حذاء حزيناً أيضاً

طسي طراز الشايل⁽¹⁾ ذي مقم أسود. وحملت حقيبة مسهرة بيضاء اللون ليس فيها سوى لصر شعاع وملفات حرقها. لم تكن في حاجة إلى أي شيء آخر. وفكرت هذه المرة أن تطلق شعرها على رسله. وبدا بيل مقتوفاً بها أكثر من الليلة السابقة وهي تفتح الباب. قد كان من الواضح أنه كان مملوفاً بها، وهذا كان يستعداً لليلة.

قد كانت تتمتع برفقة بالغة، ولطيف، وأقوة كبيرة. قد كانت تجد كل ما كان يريد في السرادق وشعر بيل بالأفست الشديد لأنه لم يلق بها قبل سنين.

- كيف كان تدي عندما اتصلت به؟ سألتها وما يزالان السلام سراً طسي الأقدام. لما كان أي منهما يطلق صيراً على انتظار المصعد، ففضلاً أن يذلا سراً.

- قد كان على لحن حال. قد قرأ لي نصف ذريعة من الطرف، وقالت لي الممرضة أنها لم تَرَ في حال جيدة كهذه من قبل. ولا أظن أن كان ذلك يعود إلى الأوبة التي يأخذها، أو إلى الطقس، أو إلى حسن الصط. ولكن مهما يكن من أمر ليلي أرجو أن يبقى على حاله. قد أخبرته في سكون عده ليلة جد.

- ثمة. قال بيل، ولاحتلت النظرة المتعبدة في عينيه وقد استدار نحوها عند آخر درجة من درجات السلم. وتابع يقول: كنت أود لو أمكنك البقاء ليلة أخرى. يتوجب على رؤية الطير هذا، ولا أعتقد أنني سأكون معك حتى الظهيرة. وهكذا لن يكون لدينا وقت طويل قبل رحلة طيرك.

قلبت له وهي تلمح ذراعه: أعظم. وقد فكرت بذلك، ولكن لم أجد على أن أقول له بلني أود البقاء هذا ليلة أخرى. أعتقد أنني سأصل به هذا. قال لها بلهجة تتم عن الصديق: كنت تعلمين ذلك. أهلاً تسأله إذا كان

(1) شايل (Chanel): نسبة إلى Coco Chanel وهي مصممة أزياء فرنسية (1883-1971)، وقد صار اسمها مرادفاً لقط من الأزياء النسائية الأنيقة. (الترجمة)

لديه مانع في ذلك؟ ما كان يريد أن يسلطها من أيدى، ولكنه كان يربح في أن تمضي. وهي نفسها كانت ترغب في ذلك. وشعرت بأنها متفازة بين أيدى وبينه، وكان هذا الشعور غير مألوف بالنسبة لها.

- سوف أقبل به صلباً ولوى لولاه. ولكني لا أستطيع أن أتحرك بشيء. فإن أضمن هذه الليلة بشكل سيء، سيتوجب علي الذهاب إلى المنزل. لقد كانت تمنع بعض مسؤولية فوق كل شيء.

- فهم ذلك. قال بيل بلهجة امتنان. قد مره أنها على الأقل على استعداد لتفكر في المسألة. فما ما توجب عليه أن تنهي قريباً لسفره مع إبي بليس. فلن يضرني أن أزرع السحر هناك. حتى لو لم يتمكن من المكوث معها طويلاً إلا أنه كان يريد أن يبقى قريباً. ولكن سيصبح الأمر مختلفاً ظاهراً ويكونان في ديارها. قد يتمكن من تناول طعام الغداء معاً، ولكن ما كان مقصودها تناول طعام الغداء أو العشاء معه يمثل تلك السهولة هنا. فإن أترك هورديون لهما كلاهما، حتى ولو كانت لقاءتهما بسيطة بريئة، فهذا قد يسبب لهما إحراجاً. ولكن بيل كل يعرف رمي كل ذلك. قد رأها في باريس قبل. لكنك لم تستطع الاتصال به. وعلى كل حال ستضطر العودة إلى نيويورك يوم السبت. قد كان يتم أن يلقاه ستوكمان في المنزل آنذاك.

كانت إيزابيل بحزن: "سوف أفقدك بعد أن تعذب. قد مكث يوماً واحداً فقط معاً. ولكن كان هذا لقاء مريحاً جداً لكليهما، ولو يوم واحدة، لدرجة أنه كان يسهل على كليهما أن يتخيلا الآن فرق أحدهما للآخر.

لقد كنت أفكر بنفس الأمر". قال لها وهذا في طريقهما إلى نادي مارك. وتابع قوله: "لقد اجتمعت عليك حتى غدا من الصعب أن أتحلى من هذه المائدة. لو لمات برنسها بالإحراج، ولستك بعيداً برنق. قد كنا يفرقان حولنا كنا قد احتراما من قبل، وبنقلان إلى منطلق كانت حتى الآن مجهولة بالنسبة لهما. وكان كل منهما يعرف لهما إذا جازوا كثيراً فإن هذه المجازفة قد تعود عليهما بالخطر الكبير.

أخصيا القشراب في جو نادي مارك المريح، والظليل والعيني على الطرقات الضيق. لقد كان ذلك الطرقات متصداً متصداً. ولما يتحدثان وهما جالسان معاً على كرسي من الجلد البالية الأكثر من المعتد، ثم سارا معاً نحو طاووقهما في حجرة الطعام. كانت إيزابيل تقصّل بذر هاري لعدة أسباب، ولكن الصور هنا كان صعباً للغاية ورومانسية. أخصيا ساعت يتحدثان، وكانت كانت إيزابيل رغبة في أن توقف الزمن وأن تعيد عذوبة الساعة إلى الوراء. لقد كانت لتفلق ضمني مشاعر جاداً، وما كانت تريد ذلك الأسمى أن تنتهي. وكان بيل على نفس الحال.

ما أريد ببطم قليل من جديد؟ سألتها وهما يفرقان المكان في نهاية المطاف، والتقت حولهما وتملقتا طويلاً. ما كانت تعرف إذا ما كانا سيفرقان في مساء صيفي إذا ما ذهباً لقرص من جديد، ولكن لم يستطيع أي منهما أن يقرر. لقد كانت تلك الليلة آخر ليلة لهما على الأرجح، وربما آخر فرصة قد يضمن بها أهل مضي وقت طويل جداً، قد يكون سنين. لقد كانا بطمان أن عليهما أن يلتقيا هذه اللحظة الساطعة الآن.

كانت له بهجوة: "بكي لأود الذهاب إلى هناك لليلة". لقد بدت كلمات غير منطوق بها محقة في القضاء بينهما وهما جالسان في السيارة وقد انسك كل منهما يد الآخر. وكذا صليهن وهما يسيرن دليهن إلى نادي إيزابيل ويتهان نحو القبار ليجلسا إليه.

طلب بيل المشرب الضئيل، وشرب نخبها، وبعد أول رشفة لها من الكأس، وضع كأسه، ومد يده إليها ودعاهما لقرص. لقد كانت في حالة السرور وهي تلمحه سيراً نحو ساحة لقرص، تحت أضواء السقف الصغيرة التي كانت تومض كالسديم. لقد كان ذلك هو المكان الأكثر رومانسية الذي ذهبت إليه على الإطلاق. وهذه المرة، وإذا كانت ترقص معه، شعرا وكأن جديهما جُداً ولستك. لقد كانا يتحركان بهودة على أنغام الموسيقى، وكانت الأهازيج مألوفة لهما. لم يقل أي منهما أية كلمة، بل كانا يركضان متلاصقين، وقد أغلقت

حتى وقت طويل إلى أن غادرا سلطنة الرقص، وقد بدأا حزينين. ما كان أي منهما يرغب بأن يفكر بأنهما سيتركان في اليوم التالي، ولكن لم يكن من مناس من ذلك. لقد كانا يعلمان أن تلك اللحظة آتية لا محالة.

ورعسا ثانية قبل أن يغادرا المكان، وعندما تركا سلطنة الرقص كانت القموح تترقب في عيني إيزابيل. وإذا سارا في الخارج كان بيل يحيطها بذراعه. قد كانت ليلة جميلة دافئة لامعة كالجمود وكان بيل ينظر إلى إيزابيل بالشمسة دافئة، حين قطع ضوء ساطع أمام وجهيهما كأنه القمر. لم تتركه إيزابيل مابعة الأمر في البداية فقد أصابها ليمان الضوء، وقلبت عندما تصدعت لها الفروبة أدركت أن ذلك الضوء كبرت من مسور فوتوغراف كان يلتقط صورة لهما، ولكنها لم تعرف سبب ذلك.

- أهدأ الضوء نابع عن غلاش لكاسبر⁽¹⁾ قد شعرت بالخوف لوطلة ولفزت بين ذراعي بيل. وكان لا يزال يحيطها بذراعه وقد وقعت قربه، فمسك بها بقوة.

'إنهم يملكون ذلك أمراً، فصوروا الضئيل⁽²⁾ هؤلاء يتسكعون في الخارج. فليقتطعون الصور أولاً ثم يحدثون هوية ضحاياهم بعد ذلك. إنهم يحصلون الكثير من نجوم السينما والموسيقين على هذا النمط. وإذا أخذوا صورة للشخص لا يهتم أحد لشأنه فإنهم يرمون بصوره.'

'أعتقد أن هذا ما سيكون في أمري. ولكن ماذا عني؟ هل يمكن أن يسبب لك ذلك مشكلة؟'

'لا ليس كذلك بالمثل. لا أعتقد أن مجالات القتل والقتال تعرف من لكون. أعتقد أن تلك الصورة أصبحت سيئة.'

(1) مسور الضئيل: (gipsy) مسور يعمل لصالحه الناس يوم سلاطة مشايير الضئيل يحصل على قصة جيدة (بيل مسخر) وخاصة بما يتعلق بالضئيل أو الأثرياء الفورة أو الضئيلة للجمع.

ثم أدرك ما كان تلك في يدي الأمر. قلل ما رأيت هو ليمان ضوء. لقد كانوا يستخفون ضوء الغلاش، وكثروا يمشون لكثيراً على بعد بضعة مليمترات فقط من وجهها.

علق بيل سائلاً: 'يا إيلوس حواهم على هذا الشكل'. وكان يفكر في الصورة التي التقطت لهما ويشاط إذا ما كان لخدم سيتراف عليه، ولكنه لم قال شيئاً عن تلك لإيزابيل. فما كان يهتم بحيلة الآن. الشخص الوحيد الذي قد يهمه الأمر هو زوجته. ولما إيزابيل ألقها مبهولة تماماً للجمهور. ولا يعتقد أن مسورين فورستر قد يرى هذه الصورة أبداً. وإذا دخل إلى السيارة طرد بيل هذه الأفكار من ذهنه.

جلست إيزابيل على مقربة منه في السيارة، وإذا اعتادا على ذلك، فقد لمسك بهما. كان كلاهما يفكر في أمر رجلهما في اليوم التالي، وكان شمة جو من الجنية الملموسة في السيارة حين أصطلى لمره السائق ليقود السيارة عائداً بهما إلى الفندق. ما كانا خطيفين على فصول، وكانت الليلة جميلة رائعة. إيزابيل تحدثت أولاً وبصوت أليح ورفيق: 'لا أرى كيف سأعاهل عداً. قد كان ندي هو الشيء الوحيد الذي يشدنا للعودة إلى ديارنا.'

قد لا تدفرون عداً. تحقي من حالته الصعبة عندما تقصاين به. جل ما كان يستطيع بيل فعله هو أن يصلي لكي يمضي ندي ليلة هائلة، فما كان يستطيع أن يتفعلها راحة جيداً منه.

لومك إيزابيل برأسها وانصت له، ثم أفتت برأسها على كتفه. وأفتت له: 'قد أصبحت وقتاً راعياً منك هذه الليلة يا بيل.'

- 'وفاً لشيء'. قل لها ذلك لم تستدر ليلظر إليها من جديد. فاجلظت إذ سمعت كلمته التالية: 'ماذا سنفعل الآن يا إيزابيل؟' سألها هكذا بصوت كمت تعرف حق المعرفة. قد كان الصوت الذي كان يحدث لرمشة تسري في عروقها عندما كانت ترد على الهاتف.

لخصوص ماذا؟

لقد كان ينظر إليها بعيون تملآن جدية أكثر من المعتاد، ولم تعرف إن كانت تريد أن تجيبه أم لا.

هنا، لنا أوجه. لقد قسمت نفسي ألا أسبق بهذه الكلمات لك. أحرف أن ليس في الأمر إصناف، ولكنك أريدك أن تعرفي. أريدك أن تأخذي هذه الكلمات منك عندما تعودين إلى منزلك هذا أو لي وقت. أجهك يا إيزابيل. أجهك منذ وقت طويل. وإذا قال لها ذلك شعر أنه لم يكن رقيقاً ومكتوباً أبداً في حياته كما كان قديم.

ظنرت إليه وهست قلقة: أحرف. ولقد أجهيك منذ أولئك لأول مرة. ولكن ليس في هذا حيلة إزاء هنا. لقد كتبت كلاماً يحرف ذلك. ولم تكن أتود أن تقول لك الكلمات. إذ كانت تعلم أن ذلك سيحدث كل شيء، ولكن لم يسلم أي منهما أن يملح نفسه من ذلك. وفي حين ليس عندما يرقى لخطف السائق بيده نحو نقطة تقاطع، وتوهله فكر بيل بأن يقلب منه الوقوف. لقد أراد أن يكون مأ وحدهما. لقد كتبت لحظة أراد ألا ينسأها أي منهما.

لا يمكننا أن نعلم شيئاً حول ذلك الآن يا إيزابيل. بل ربما يوماً ما. لا تعرفين أبداً. ولكن مهما يحدث، أريدك أن تعرفي... بأني سأجهك ما جيت. لقد كان متأكداً مما يقول منذ زمن بعيد. لقد كتبت تجد كل ما كان قد فعلاً بوجهه، وكان يعلم الآن أنه ما كان بإمكانه أن يحصل طيه.

وهست لسه وهو يضمها إليه ثم أجهك يا بيل... جداً... وإذا كانت هذه الكلمات وضع شغفه على شفتيها وهو يشعر بالكسف أنه لم يفعل ذلك من قبل. لقد كتبت لحظة انتظراها طول حياتهما، وفريقتهما من بعض أكثر من أي وقت مضى. لقد أحبطت عطفه بنزاهها، وعرقاً في قلبه، وبدا الزمان وكأنه ذاب في الفضاء. كل ما كتبت تعرفه هو أنها لم تكن أبداً سعيدة في حياتها هكذا، وأنها لم تكن تريد لك اللحظة أن تأتي. لقد كانت مضطربة العيون وهو يضمها إليه، وأول مرة في حياتها كلها شرحت بأنها في أمان كامل. لقد كان يسلمها والسيارة تسفل بهما إلى نقطة التقاطع، وكان السائق ينظر إليهما في

مرآة السيارة الخلفية، مذهولاً مسوراً بما يراه، وكان مسجوراً للدفلة بحيث إنه لم ير الباص الأحمر ذا الطبقين متلفاً نحوها بكامل سرعته. كان الباص على بعد بضعة أمتار فقط من جهة إيزابيل من السيارة عندما دخل السائق إلى نقطة التقاطع، وما كان بالإمكان أبداً إيقاف السيارة. كان بيل لا يزال يتبعها عندما كسرت الباص كامل مظمة السيارة وثلاثي السائق كلهم. لم يلتصقا أنفسهم، لم ينظرا للأعلى، لم يطأ ما حدث لهما. كما لا يزالان عارلين في لحيتهما عندما بدت الحافلة وكأنها تلتهم سيارة القوميين بجملتها، وغالطت قوين كان الباص والسيارة قد تحولتا إلى خليط من الفولاذ المسحق، وتناثر الزجاج في كل مكان. وجرت الباص السيارة إلى منتصف الشارع، وعند نهايةها تسطعت تحت وطأة الباص، وتكثرت على جانبها وإبطائها تدور بسرعة مقلدة. كانت إيزابيل لا تزال بين ذراعي بيل، لقد كتبت فوقه، وأحس مظ السيارة إلى الداخل، ولقد كلاًهما الوحي، وما عاد يستألف لبعض بل صغر أعضاها الذين مضطرباً بدم. كان هناك جرحان حيقين طويلان على جانب وجه بيل، وبدت إيزابيل وكأنها نائمة في سلام. لم يُنص وجهها بأذى، ولكن بدا وكأن جسدها مهتم بركته.

عندما طمت الأصوات على مبددة، وارتفع صوت نازير أروق السيارات، وحقق نصير يوق الباص. وكان السائق قد طار من خلال الواجهة الزجاجية الأمامية للسيارة، وكان يردد على أرض الشارع حيث سقط وأغرق الحوادث. وخرج شخصان يصلان مشعلاً كهربائياً ومضواً وسلطا الضوء على السيارة المشتملة. كل ما استطاعا رؤيته هو قدم على وجه بيل والقفطان الأحمر القامص. كانت عيناها مفتوحتين وبدا ميتاً، ونظراً إلى كمية دمها الذي أطلع كل ما حولها كان من السهل أن يفكر أحد بأن إيزابيل قد تجرد. كان الرجلان للذي يصلان المشعل قد وقفا فوقهما ونظرا إليهما، وهمس أحدهما للآخر: يا إيهي.

سأله الآخر: هل تعتقد أنهما على قيد الحياة؟

مستحيل يا صليبي: وإذا نظرا شاهداً سلباً صغيراً من الدم يتدفق من جانب لصها.

- كيف سيخرجانها من هناك؟ لم يستطع الرجل الذي يحمل المشعل الكهربائي حتى أن يتفيل كيف يمكن تحريرهما من داخل السيارة. لقد كان ملك السيارة مطبقاً على ظهر إيزابيل.

- لا أعتقد أن الأمر يهم الآن. ولكن ذلك سيستغرق منهما الليل كله. جادا على أقدامهما ليمتصا من حافة القبس الرافدين على أرضية القابس عندئذ، وكان بضعة من القبس الأوفر خطاً يذنبون للخروج من القابس، بضعة من طليعة بالدم وجروح حبيطة في رؤوسهم. كان البعض يهرج والأخرون ينادون في حالة دوخان. وقال شخص ما أنه كان هناك نصف دزينة من جثث القومى داخل القابس. لقد كان ذلك أحد أسوأ الحوادث التي شهدها الشرطة بالقابس. بعد ذلك الحميم، وبينما هما يتحدثان إلى القهود الذين كانوا متواجدين لحظة حصول الحادث وارتطام القابس بالهيموزين، علا صوت صفارة الإنذار مقرباً منهما، وخلال دقائق اقتربت سيارات الإسعاف والإطفاء والشحن في كل مكان. فبدلوا سيارة الهيموزين، وأخرجوا الرجلان اللذان كانا يحفظان في السيارة أن الوثيقتين الوحيدتين اللتين كانا في السيارة كانا يندون ميتين.

ومع ذلك فقد ذهبوا إلى السيارة لتتحقق من الأمر، ومن أول نظرة أفرخوا أن الرجلين كانا متحيين، ولكن مع وصول أحد الشحنين إلى هناك، أخذ هذا بينهما لينتقل من الأمر تلك الفكرة أن إيزابيل وبيل كانا لا يزالان على قيد الحياة.

فلما رأى المسعف الذي وصل إلى السيارة على رجل الإطفاء الذي كان يمسك إلى جواره وقال له: مهلاً. لدينا شخصان لصاح هذا. فترى. ولجلب الشاحنة إلى هنا. طينا إخراجهما من السيارة. لقد فتحه إيلسان بلن الأول قد فلتت وأنه لن يكون هناك طائل من محاولتهما لإخراجهما من السيارة. ولكن كان عليهما على الأقل أن يبدلا محاولة. في تلك اللحظة كانا قد وجدا سابق

الهيموزين وهرقا أنه ملت متنازلاً بإصبعه بالغة في رأسه. وما كان أحد يعرف بعد إذا ما كان أي من الوثيقتين في السيارة سوف ينجو. لقد بدت إيزابيل وكلها لقد كسبت كبيرة من الدم من جروحها البالغة، وإذا جس الشنيط البعض سيدل من جديد وجده ضحياً جذاً حتى أنه بالكاد استطاع أن يشعر به. لقد كان يتدفقهما بسرعة. ومع القرب كشفت الحقيقة⁽¹⁾ وربطها بما تبقى من السيارة، كان هناك رجال يحثون السيارة ويحرقون خلطات ومضخات بها ويصرون طابعين من سقاي الشاحنات أن يقوموا بصفلة فقد أو السحب لفتح السيارة. كان الضجيج يصم الأذنين ولكن لم يسمع أي من إيزابيل أو بيل أي صوت.

(1) كسبت الحياة (Jaws of life): مراكمة الأدوات محبلة لصل على الضحايا تشبه كسبات قضم داخل عربات المستوردة بشدة لم تفتح لتحرير الناس المحبطين داخلها.

الفصل الرابع

استغرق الأمر قرابة ساعتين لكي يطلع الرجال سبلورة القيموزين. لقد كان يتوجب عليهم أن يحملوا بحرص شديد فلا يسببوا لبلبل ولجزايل المزيد من قنهمهم. وفي تلك الأثناء كانوا قد أصلوها حقاً وورينة⁽¹⁾، وتنبؤوا أنهم لو وضع مرقاً⁽²⁾ على جرح يبلغ على شريان إيزايل في فروعها اليسرى كان لرجال الذين يسعون جهودهم لإكفاحها قد انطخوا بالدماء، وما كان أحد ليهتدي بألمها كاتسا لا يزال على قيد الحياة. وما كان أحد ليهتدي بها أن يقول إن هستان إيزايل كان أبيض اللون. لقد كان هستان برتقانياً شامخاً بدمها، وما كان أحد قد عرف من يكونا، وفي الوقت الذي لم يتفهم بهما إلى سبلورة الصلابة، كان الرجال قد استطاعوا نقل كل ضحاياهم. وقعت القطر على يد أحد المسطحين عندئذ، واستطاعوا تحديد موقعه ولكن كانوا لا يزالون يبحثون من تكون إيزايل.

قال أحد المسطحين: بها تضعهم رهاج. قال ذلك في حين كانت سبلورة الإصطفاء تلهج نحو مشفى الحرس تومفن. وتابع قوله: لا بد أنها زوجته؟ والتفكير لاستكمال الشرطة في موقع الحادث يطلب منهم أن يبحثوا عن ضحايا يد في القنهم عليهم يجدون فيها ما يدلهم على هويتها.

لم يتمكن أي منهما وجهه طوال العملية: لقد أخرجوا من السبلورة، وكذا في هيبوية عندما حُبلوا إلى وحدة معالجة الإصابات، وأتى فريقان منفصلان للعناية بهما. لقد تقرر فوراً إجراء عملية جراحية لكل منهما: فله من أجل إصابة

(1) حقن وورينة: (ivs): حقن من السوائل أو الأوية تُعطى في الوريد.

(2) مرقاً: (poureaque): ملهى أو ضابط يُوضع على جرح لوقف النزيف من الأوعية الدموية.

الصلب الشوكي وكسر عظامه ولها من أجل إصابة الرئتين التي تعرضت لها، ومن أجل الإصابات الداخلية الحادة، والشرين التي تأتي بشدة والذي وضعوا عليه مرقاة قطع الزيت. قد كان يجب إقامتهم بسلسلة لوزية لئلا تتعرض لسلل الذين أراعيها.

- يا انه، إنه لحادث بشع، أليس كذلك؟ قالت إحدى الممرضات هلوسة حسن الصلوات في حين كانوا يضعون المصابين على عربات وينقلونها إلى غراني صليبات منصلتين. وتابعت قولها: كم لم مثل هكذا إصابات وجروح منذ زمن طويل.

وحظيت الأخرى وهي تقوم بسلسلة تنظيف الجروح: لا أصدق أنهما لا يزالان على قيد الحياة. قد حثت للإعصام بإيزابيل التي فكر أنها الأكل حفا في الجناح. قد كانوا القليل على الإصابة التي في رؤسها، ولكن الإصابة الأكبر التي تعرضت لها كانت في الكتف، والرقبتين، والقلب، وكلها تضررت صلياً بشكل كبير.

خلال دقائق كان كلامها مستقيماً على حلولة الصليبات في غراني صليبات منصلتين مع أطباء التخدير الذين يصلون على تخديرهما تحت أسواء سلطنة لاصعة فوق رؤوسهما بينما ألقى أعضاء الفريق الجرحى إلى قديم حالة المريضين التي عرضها فريق معالجة الإصابات. كان يصعب عليهم تحديد أي من الرقاب في سيرة التمييز هو في حال أسوأ. قد اختبرت حالتها خطورة للغاية، وبذلك الصلوات الجراحية، وحالكم الحياة تتراجع عند المريضين بالنس للمحل تاريخياً.

عندما بدأوا إجراء الصلوات الجراحية على يدي لمعالجة الفترات الحادة التي تكررت في حدود الفري، شعر بيل وكأنه ينهش جالساً، وخلال فوان، وجد نفسه يسير في طريق موزة بشكل كبير. كان يترك أصوات الذين حوله، وعكس على مبهمة أمامه، كان هناك حياء سلطع لاصع. وقد ذهب عندما نظر حوله ووجد إيزابيل تجلس على سفرة أمامه ضاملاً في الطريق.

سألتها: هل أنت على ما يرام؟ قد بدت غريبة عنه عندما نظر إليها وكأنها كانت قد غلت فروعها. ولكنها هبت والله وراحت تنتظره كي يهضم إلهيا في الطريق.

قالت: أنا بخير. ولكنها لم تنظر إليه. وإذا كان أمامها، فقد كانت ملحوظة بالهوى الباهر. فسألت: ما هذا؟

قال لها: لا أعلم. قد كان يشعر بالقتوبش، وكان مدركاً أنه كان يبحث عنها ولم يكن بإمكانه أن يجدها لفترة قصيرة. أين كنت؟

قالت: قد كنت هنا أنتظرك. قد بذل جهدي. كان صوتها ناعماً ورفيماً، وقد بدت شاحبة، ولكن هائلة بشكل غريب.

فأوضح لها قليلاً: قد كنت هنا ضاملاً، ولم أذهب إلى أي مكان. ولكن بدت وكأنها لم تكن تصلي إليه، وبدت أيضاً في ترق لأن نتجه نحو الضوء.

استمرت تنظر إليه وسألت: هل أنت فت؟ شعر أنه يدرج للحاق بها. ولكنها كانت تسرع أكثر منه، وكان يريد أن يطلب منها أن يبطئ في سيرها.

لماذا تركزين هكذا؟ سألتها هكذا. وهزت رؤسها، وتابعت سيرها بشكل ثابت نحو الضوء الساطع.

قالت له: عليك أن تأتي معي. ثم مدت يدها إلى الخلف نحو فلسك يدها، وشعر بها قد أصبحت إلى جانبهم، ولكنه لم يستطيع أن يشعر بيدها. قد ألتصق أن يري أنها كانت تسك يده، ولكنه لم يستطيع أن يتلمس يدها. كل ما كان يشعر به هو أنه كل في هالة القعب والإرهاب. قد كان يريد لو يبطئي وينم في مكان ما، ولكنه لم يزد أن يلقدها من جديد. قد كان يعرف ذلك على الرغم مما لاقته. وبعد ذلك استمرت ونظرت إليه ونحلت إليه بصوت يمكن سماعه بوضوح. وقالت له: ألتصق يا بيل. ولقد أن يطلب منها أن تتكلم.

- وكأنا أيضاً ألتصق يا إيزابيل. هلا ارتاح قليلاً فأنا متعب جداً.
- يمكننا أن نستريح عندما نصل هناك. إلهم في انتظارنا الآن. قد

كانت متأكدة من ذلك، وكان لديها إيمان يدفعها للمعجزة، وكان هو يبطئها.

- "إلى أين نحن ذاهبون؟ أريد أن يعرف.

- "إلى هناك، وأشارت نحو الضوء، وفيها لفترة. لقد بدا له أن الوصول إلى تلك النقطة سوف يستغرق وقتاً طويلاً، وعندما صار هناك، تقريباً، استطاع أن يميز أسوأاً خلفهما تكادى بلسهما. وعندما استدار لينظر، رأى أن صاحب الصوت طفل صغير. لم يستطع أن يرى بالتكيد، ولكنه ظن أن ذلك كان طفلاً صغيراً. لقد كان يروح لهما وراح يسرخ: "ماما". إلى أن استدارت إيزابيل نحوه أخيراً، ونظرت إليه طويلاً، وعلى بعد وحظه، كانت هناك هيئة شخص ظلال الفتاة الصغيرة.

- "من هؤلاء؟" سألت بيل، ولكنه عرف الجواب قبل أن تقول له.

- "إنهما عتيدي، وصوفي. لا يمكنني أن أذهب إليهما الآن. لقد فات الأول". وبدأت تستدير مبتعدة، وفجأة انقضت فقتل إلى الصبي والفتاة اللذين كانا يلوحان لها. لقد بدا له كأنهما، ولكن عندما استدار خلفاً لينظر إليهما، تبين له أنهما ابنتاه أوليفيا وجين، وكأنتا تتدافعه كما كان عتيدي ينحني إيزابيل تملأ.

- "انتظري..." قال لها وهو يجاهد ليعاقد على البقاء إلى جوارها وللوصول على انتباهها الآن، ولكنها كانت تتقدمه وبسرعة، وما كان متأكداً مما يفعل: هل يتبعها أو يعود ليرى أوليفيا وجين. "يجب أن تعود إليهما"، قال لها ولكن إيزابيل هزّت رأسها فقط.

- "أنا لست أعود يا بيل. فهل ستأتي معي؟" بدت مصعمة وموطنة لعزم الغالية، وكان مع كل خطوة يشعر أكثر بالثعبان والإرهاق. لقد بدا وكأن الطريق لا نهاية لها.

- "قال متدبراً: "لا يمكنني أن أتمشي معك. لماذا لا تعود إليهم؟ إنهم في حاجة إليك الآن..."

- "لا، لا يحتلون إيديا". قالت إيزابيل واستدارت من جديد. "لا أستطيع أن أعود ثانية. لقد فلت الآن على ذلك. كل تهدي وصوفي أنني أجهما". قالت ذلك وهي تستعد لمتابعة الطريق وحدها.

قال بيل وهو يتقن على ذراعها: "عليك أن تأتي معي. أصفي إلى...". وبدأا خاضعاً متدبراً. أما هي فما كانت تصغي إليه، وكانت قد شارفت على الوصول إلى الدور. وتابع قوله: "يجب أن تصفي إلى... عتيدي وصوفي في حلقة أحبك لكي تعود... يجب علي أن أرجع من أجل البنت. هذا يرجع سوية يا إيزابيل... يمكننا أن نعود إلى هنا مرة أخرى".

تحدثت، ولكن لوحة فقط حين لمس يدها، قالت له: "وماذا إذا لم تتسرن لنا فرصة أخرى؟".

قال: "سوف فعل ذلك يوماً... ولكن ليس الوقت مناسباً الآن".

- "أو كان الأمر يعود لي فيتي لا أريد أن أرجع... نظرت إليه متلذذة بإياه ليتبعها، ولكنه لم يشعر بها تسلس مبتعدة. وقالت: "تزوجوك يا بيل... تملأ معي. لا أريد أن أذهب وحدي".

- "أريدك أن تنفسي معي. أنا أحبك يا إيزابيل، لا تتركني الآن". كان يركب وهو ينطق بهذه الكلمات، ولكن رأسه لم يكن لا تراه ولكنها رقت هناك تحضر إليه. ثم رفع نظره ومد لها يده وقال: "تخطي يدي... أسمع لي أن أسمع تهيئين. عليك أن تعودي معي". وإذا قال ذلك، بدت فجأة متعبة جداً، وفطرت إلى الخلف نحو عتيدي والبنات. تحدثت طويلاً، وبدها، وبهذه شديد، بدت لتحرك راجعة إلى الحظ نحوه. لقد بدا أن وجوها أصبح بكثير جداً من استمرار تقدمها إلى الأمام. ولكنه لم يره الضوء خلفها الآن وقد بدأت تغطو نحوه من جديد، وبعد دقيقة كلى يضمها بين ذراعيه. وراح يقبّلها ويضمها وهي تنضم له. لم يكن أحد منهما يعرف أين هما بشكل مؤكد، ولكن كل ما كانا يعرفانه هو أنه كان ينبغي عليهما العودة إلى لطفهما الآن. وأنه كان يشعر يدها تمسك بيده بإحكام.

- هل أنت متأكد أنك تريد أن تفعل ذلك؟ سألته وهما يسيران جنباً إلى جنب. لم يستطع أن يسمعا أصوات الأطفال، ولكنهما كانا يعرفان أنهم ينتظرونهما. كانت العمة قد بدت تتشرب، والضوء الذي خلقهما بدا باهتاً أكثر الآن.

قال: 'هناك شكوك'. وأبلى يده ممسكة بيدها بإحكام.

- الوقت بدأ يتأخر... والظلمة صارت حارقة... كيف منجد طريق العودة؟ سألته وقد انقلبا لإسناد بينهما قد صلا طريقتهما من قبل، ولا تريد أن تفعل ثانية.

قال بسل: تشبني بي وحسب! وصار يستطيع أن يكتسب الآن بسهولة لكسر من جديد. لم يبدُ الهواء الذي يحيط بهما شيئاً كالمعادن. 'أعرف طريق العودة'. ولما طأها بتراعه، وثلجا سيرهما الوقت طويلاً. والآن إيزابيل هي التي كانت متعبة، وييل هو من كان يزداد قوة.

قلت: أحتاج إلى التوقف لبرهة. ولست لثقلهما رؤية الصخرة حيث كنت تجلس قبلاً بينما كانت تنتظرون، ولكنه ما كان سيسمح لها بالتوقف هذه المرة. إذ يتوجب عليهما الذهاب إلى المنزل.

ليس لدينا وقت. سوف تكونين على ما يرام. يمكنك أن تستريح عندما نعود.

وتبعته نولما ليه كلمة أخرى. كانت الظلمة تتغير حولهما في ذلك الوقت، ولكن كان لديها إحساس بأنه يعرف إلى أين هو ملحق بكل ما كانت تريد. هو أن تنظر وتستلقي إلى جانب الطريق. ولكن ييل ما كان ليتحركها تسحب يدها من يده. وما كان ليدعها تستقل في سيراها، ولم تعرف متى أو كيف وصلنا هناك، ولكنها أدركت بعد هذبة أنهما قد صارا في المنزل.

كانا في غرفة لم نستطع أن نعرف أين هي، وكانت تشعر بالأمان إلى جوفه. كان هناك أطفال في كل مكان، ولكنها لم ترى ندي وصوفي بينما كانا مع بعض الأصدقاء، ولبننا ييل كفتا تتحدثان إليه. ولستأنت إيزابيل

بينما كانا يلتفتان. لقد كانت تتركها أنها ستتم بالأمان أنذاك، وكل ما كنت تريد هو أن تنظر بجوفه. رفعت نظرها إليه وابتسمت، وود لها الابتسامة. وإذا أنتجت جانباً كي تتم كنت على يقين بأنه سيكون هناك دائماً معها.

قلت الممرضة الجراحية: يا إلهي، ما كنت تصور لنا ستندمج في ذلك. وكنت تخاطب الطبيب المخدر وهما يتأخرون غرفة العمليات. لقد أمضوا أربع ساعات يصارعون الحفاظ على ضغط دم إيزابيل مرتفعاً بما يكفي لإبقائها على قيد الحياة أثناء إجراء الجراحة لها. لقد أمكن معالجة أعضائها المصابة، ونزاعها، وكل ما أصبح في غرفة العمليات واثنين خلال نصف الساعة الأولى من الجراحة في الموت لا محالة. إذ كانت قد خسرت كمية كبيرة من الدم. ولم يبقوا سبب خضوعها من خطر الموت في النهاية: هل يتكرر الأنبوبة التي أصابها أثناء عمليات نقل الدم، أم الجراحة، لم فقط حسن الطالع. ولكن لأن ييل من يار، كانوا يجمعون على أن بقاءها على قيد الحياة كان أمموية.

- ثم أن تبدأ عملية جراحية كهذه. إن نجحتنا من الموت هو من حسن حظها. هذا ما قلته لأحد الجراحين الموجودين خلال إجراء العملية. 'هي لم تتجاوز مرحلة الخطر بعد، ولكن أعتقد أنها ستكون. إن حالات كهذه تسبب لي إيماني بالله'. وابتسم وهو يقدر غرفة العمليات ويتصعب عرقاً. لقد كانت ليلة طويلة شاقة ومنهكة.

في هذه الأثناء خرجت ممرضتان من غرفة الجراحة للمجاورة لتلك الأولى حيث كانت العملية تجري ليل، وقد بدتا متعبتين كمثل بقية الطاقم الطبي.

سألت إحداها الأخرى: كيف كانت عملية مريضك؟

- كنا نفقد أربع أو خمس مرات. ولكنه نجا، مع وجود الكثير من الضرر في أعلى العمود الفقري. نوجب علينا استعادته إلى الحياة مؤلراً. وكنا نقدر الأمل في المرة الأخيرة.

- يبدو أن مريضك كمال مريضتنا، إن نجحنا لم نر مثله.

- كيف حالها؟

- "لا تزال في حالة خطرة حرجية. وقد ظننت أنها قد تفقد ذراعها ولكنها أبقيناها من أجلها. وكانت لدينا مشكل مع كبدتها وألمها. ثم لم يسلبها بلغة كهذه يخرج منها المريض على قيد الحياة".

- "هذا يظهر أن المرأة لا يمكن أن يحكم على الأثباء بشكل صحيح، ليس كذلك؟" كانت الساعة آنذاك قد بلغت الثامنة صباحاً، وذهب كلا الزوجين للطبيب إلى الكافيتريا لاحتساء القهوة وتناول كوك الشوكز، في حين نقل بيل وإيزابيل على العربة إلى غرفتين منفصلتين. وكان كلاهما شارقاً في سبات حقيق بعد العملية للجراحية، وإين ذلك لكن إيهاد حوية يد إيزابيل. وكان فيها مفتاح غرفتها في فندق كلاريدج، واتصل رجال الشرطة بالفتنة، وعطوا أن اسمها إيزابيل فورستر، وأنها فرنسية ولديها عولن في باريس. ووجدت المديرة المساعدة بأن تذهب إلى غرفتها في الحال لترى إذا ما كان جوزيف سفرها موجوداً هناك لكي تحصل على معلومات تفيد بها لمعرفة الشخص الواجب الاتصال به في حالة الطوارئ. ولكن حتى الآن لم يكن أحد قد اتصل.

لقد حصل رجال الشرطة على كل المعلومات التي يحتاجون إليها عن بيل. فرقم هاتف منزله كان في حافظته، وكان قد وضع اسم زوجته على أنها أول قريب له لكي يُمرر إلى الاتصال بها في هكذا حالات. واعتزمت موظفة الاستقبال في المستشفى أن تتصل بسبثيا وأن تخبرها عن الحادث، ولي بيل قد نجا.

لقد مُنِّت حالة بيل وإيزابيل كلاهما على أنهما حالتان خطرتان. وإصابة رأس إيزابيل كانت أيضاً في حالة خطرة ولكنها لم تكن بمنال شدة إصاباتنا الداخلية. وكل خوفهم على بيل كان بسبب إصابة حبله الشوكي الذي قد يهدد قدرته على السير، إذا ما نجا. فلو راحة الله ما أمكنه تجنب الفشل الكامل. والسؤال الأكبر كان فيما إذا كان سيستطيع استخدام ساقه. فهو في طريقهما للشقاء الأكيد طويل، لقد كانت هذه أحد أسوأ الحوادث التي شهنتها

الشرطة في السنوات الأخيرة، ولتج عنها سقوط إحدى عشرة ضحية: سائقين العربتين وسبعة ركاب من القابص. وخلال فترة عملهم معظم الليل على علاج إيزابيل وبيل عنت الغرف الجراحية على شبه ثقة من أن معدل فوفيات سوف يصل إلى الثلاث عشرة. ومن هنا كان بقاء إيزابيل وبيل على قيد الحياة نوعاً من المعجزة الاستثنائية.

وحدثت عائلة الاستقبال بعض المستدلت على مكتبها قبل أن تجلس وهي تنفس الصباح. لقد ذهبت المديرة المساعدة في فندق كلاريدج إلى غرفة إيزابيل ووجدت جوزيف سرحاً، الذي أكد بأن زوجها هو أول شخص يجب الاتصال به في حالة الطوارئ. وحصلت على رقم الهاتف في باريس، ورقم هاتف بيل في كولنكورت. لقد كانت تكرة أن تجري اتصالات هاتفية على هذا الشكل، أخذت رشفة من القهوة لكي تشد عزيمتها وتتمالك نفسها ثم اتصلت بباريس أولاً. رن جرس الهاتف عدة مرات قبل أن يجيب صوت رجل، وأخذت موظفة الاستقبال نفساً.

- السيد فورستر من فضلك. قلت ذلك بلغة فرنسية ذات لهجة بريطانية.

- "أنا هو". قال بلهجة مقنطصة مختصرة. وميزت في لهجته لكفة رجل أمريكي، فسألته بالإنجليزية بسرعة إذا ما كانت إيزابيل زوجته.

- "نعم هي زوجتي". قال ذلك باهتمام. فأخبرته الموظفة بسرعة أنها كانت تتصل به من مستشفى القديس توماس وأن إيزابيل تعرضت لحادث سيارة في القلعة. وأوضح له أن سيارتها اللاميون قد ارتطمت ببابص.

- "لقد سُجِّلت كحالة خطر، وقد خرجت لقراها من العملية الجراحية، يا سيد فورستر، ونفسي أن أقول لك أنه ليس من نصن طاهر حتى الآن. فليها إصابات داخلية شديدة، وإصابة في الرأس مشكلة. لا نعرف ما قد يحصل خلال الساعات القادمة القليلة. ولكن مما يشجع أنها نجت بعد العملية الجراحية. ويؤسسى أني أخبرك ذلك". قالت ذلك وهي تشير بالرج

والأرتياك، وساد لصمت كلامها حد اللاهية إذ راح يفكر بما قلته.

رد قللاً: "ولما لمبدأ"، لقد بدا مصحوباً. "سوف أجيء إليكم اليوم". صمى بذلك بشكل مبهم وهو يتساءل إذا ما كان ينبغي عليه أن يتحدث إلى طبيبه أولاً، ولكن المرأة عيسى الهاتف أصلته ما يكفي من التفاصيل حتى لم يجد بحاجة لأن يمسأل عن المزيد حتى الآن، فسألها: "هل هي في وجهها؟".

- "لا يا سيدي، ليست كذلك. لم تستدعِ حقها بعد منذ الحادث، وقد سكنت ألامها الآن. لقد خسرت الكثير من الفناء، نكس رأسه، وبدأ متفكراً، ولا يعرف ما يجب أن يفعل. قد شعر بأنه من غير المحبوس أن تكون إيزابيل هي من يستحقون عنها. فرغم أن المشاركة بينهما كانت قليلة، وأنها كانت متباحين في الفترة الأخيرة، إلا أنها لا تزال زوجته. وتتساءل ماذا سوف يكون، أو فيما إذا كان ينبغي عليه أن يتصل بصوفي في البرتغال، وإذا فكر في الموضوع قرر ألا يخبر أي منهما بشيء. فهذا أن يؤدي إلا إلى إخلفتهما. وليس من داع ليتصل بصوفي ويقلها إلى أن يعرف المزيد من التفاصيل. فكر غوردون أنه من الأفضل ألا يقول شيئاً لأحد حتى أن يرى الحالة بنفسه، ما لم تمت قبل ذلك. لقد أوصفت له عملة الاحتمال جيداً أن احتمال الوفاة قائم فعلاً، وقد وضع سماعة الهاتف، جلس إلى مكتبه مصعاً للفكر، وهو يحق في القضاء. ما عاد يكن لها أية مشاعر منذ وقت طويل، ولكنها كانت لم أولامه ومبار لهما عشرون سنة متزوجين. لقد كان يأمل ألا تكون قد عافت عند اصطدام السيارة، ولو أنه شعر بالامتنان لسماء لأنها لم تمت، ولكن لحظه مدى ضائقة المشاعر التي يكنها لها. فالمعاطف التي كان يشعر بها الآن كانت مجرد تعاطف وليس.

تصل بشركة الطيران وسأل عن مواعيد الرحلات ثم اتخذ قراره ما من أحد يعرف بالحادث، وهي فائدة الوحي، وهو في حاجة إلى بعض الوقت ليستريح بنفسه ما حدث. كانت لديه مواعيد هامة في المكتب بعد ظهر ذلك اليوم، فلم يزد أن يتسرع بدفع الذعر. فلا فكرة من وجوده هناك الآن، ثم أنه

كان يكره المستشفيات. بعد لحظة تردد قام بالمحور على رحلة طيران الساعة الخامسة. وهذه سوف تصل إلى مطار هيثرو عند الساعة الخامسة والنصف بالتوقيت المحلي، وسيتمكن الوصول إلى المشفى عند الساعة السابعة أولاً، فإن توفيت قبل أن يصل إلى هناك سيكون هذا أمراً مقدراً. هذا ما قاله لنفسه، وإذا كانت لا تزال على قيد الحياة آنذاك فسكون هذه بارقة أمل. ولكن شعر أن رقابها في حالة غيبوبة سوف أن يؤثر عليه وجوده هناك أو غيابه، فالاتصل له في بعض الوقت في مكان آخر، على حد تخطيطه. أو على الأقل هذا ما قاله لنفسه.

وغادر المنزل متجهاً إلى مكتبه بعد قليل، ولم يقل شيئاً لسكرتيرته إلا أنه كلى سيفلتر الساعة الثالثة. لم يزد أن يحدث جلبة حول الموضوع. ليس من داع لذلك، إلا في حالة وفاتها.

بعد أن تصلت موظفة الاستقبال في قسم الرعاية المشددة بغوردون من المشفى في لندن، أخذت نصاً عموماً من جديد كي تستمع رباطة جأشها لتجري الاتصال الهاتفي التالي. فالاتصل بغوردون وتر أعصابها إلى حد ما. لقد سألتها بضعة أسئلة فقط وبدأت هائلاً بشكل غير محبوس. وليس من العادة أن يكون رد فعل أي شخص على هكذا مكالمات على النحو الذي كان عليه هو.

وضعت موظفة الاستقبال راسم هاتف عائلة روبنسون أمامها على المكتب، وفي هذه الأثناء سارت ممرضتان أبلغ طاولات مكتبها في اللحظة التي رن فيها جرس الهاتف على الطرف الآخر. لقد كانتا تحتفلان عن إيزابيل وتصلان سجل البيانات عن حالتها المرضية. ولم تعرف الموظفة مما قاله غوردون على الهاتف شيئاً عن موعد قدومه. لقد كتبت بشكرها وأعطت الساعة.

رنت أوليها، ليلة قبل الثالثة العاشرة والعشرين من العمر، على الهاتف في منزل عائلة روبنسون. كانت الساعة السادسة صباحاً آنذاك، ولم يكن أحد مستيقظاً، ولكن أوليها سمعت صوت الهاتف. وسأل صوت بلهجة إنكليزية إذا

ما كنت السيدة روبنسون هناك.

قلت أوليفيا وهي تتقلب في سريرها: "إنها نائمة. هل يمكنك معلومة الاتصال بعد ساعتين؟" سألت هكذا وهي تتأجب وعلى وشك أن تنطق السماعه.

- "لست أفي لا أستطيع الانتظار حتى أعود الاتصال. فهلاً طلبت منها أن تأتي لترد على الهاتف؟"

- "أهل ثمة من خطبك؟" بدت أوليفيا تصيح، واستقبلت في السرير. لم يكن لديها فكرة عن سبب الاتصال الهاتفي هذا ولكن الصوت بدأ متواتراً.

- "أريد الحديث إلى السيدة روبنسون شخصياً." بدت أوليفيا قلقة، ووضعت الهاتف في حالة انتظار، ونهضت من فراشها. وهرعت إلى الردهة حيث غرفة نوم والدتها، وعند سماع صوت الحطوط في الردهة وفتح الباب، استيقظت سنيا.

وهضت في عتمة غرفتها: "مرحباً، أأنت على ما يرام؟" لقد كانت نائمة يعمق، ولكن ودمج كل هذه المسنين، لا تزال لديها الحاسة الساعمة تجاه أولادها: "أأنت مريضة؟"

- "لا، بل إن هناك امرأة إنكليزية على الهاتف تقول بأن عوليا لن تتحدث إليكم." تباهت الأم وأبنتها اللطافت لوهلة، وكان لدى سيني شعور غريب خفي. لقد أركبت بالفرصة أن الأمر يتعلق ببيل. وهكذا لم تكن قد ولجتها من قبل، ولكن الآن تتسائل هل ثمة امرأة أخرى في حياته.

- "سوف أأخذ المكالمه." قالت ببهو ثم نهضت: "لا بأس يا أوليفيا، هدي إلى النوم." ولكن أوليفيا لم تحرك مكاناً. لقد انقلبت نفس ذلك للشعور الدامس الخفي. قالت سنيا للمتحدث على الهاتف: "هذه السيدة روبنسون." وأصغرت إلى المتصل وهي صامته لفترة طويلة، ولكن أوليفيا رفعتها تنطق عينيها. وقالت سنيا: "إلى أية درجة من الخطورة هي حالته؟" هذا ما أمكن لأوليفيا سماعه في نهاية الحديث، "متى؟" هل هو وادج؟ وهنا تسكت حلقاً

حولي لبنتها.

- "أمر دلياً؟" قالت بصوت مليء بالذعر، فالتفت إليها عينيها، وأومأت إليها أن تبقى صامتة. لقد كانت تريد أن تسمع كل ما كانت موظفة الاستقبال في وحدة العناية المشددة تقوله. ولكنها أومأت برأسها ليجاباً إلى ابنتها جواباً على سؤالها، وجلست هذه إلى سريرها. وسألت أوليفيا أسياً: "أمر بخير؟" ولم تجب والدتها طويلاً، بل كانت تتابع الإصغاء إلى صوت المتحدث على الطرف الآخر.

- "ما اسم طبيبك؟" سألت سيني وذوات الاسم على عجل على ورقة صغيرة إلى جانب سريرها. وانسحبت عن بعض الأمور الأخرى، ثم طلبت منهم أن يتصلوا بها في حالة حدوث أية تطورات. "ممكنون هناك بأسرع ما تستطيع. أرجو أن تتصلوا بي إذا ما استجد أي شيء، وأريد أن تتبروني حالما يستعيد وعيه. سوف أعود الاتصال بكم بعد نصف ساعة، وأخبركم متى تكون عندكم." لقد بدت صامتة ولكن حينها لوحناً بالكثير. لقد بدت مذهولة وهي تنطق السماعه وتركض أوليفيا للأرتقاء بصنلها.

- "ماذا حدث؟" وكان هناك بكاء في صوت لبنتها، وشعرت سنيا بخصه في حلقها. فما أخبروها به كان رهيباً، وكلفت تأمل ألا يكون الأمر بالسوء الذي بدا عليه. حلق مكسور، إسالة في الحبل الشوكي، وجراحة في العمود الفقري، واحتمال شلل دائم، وإسبات دغلية، وعظام مكسورة. بل وحتى ما كانوا وقتئذ من محته. وإذا نجوا فلا يعرفون إلى كان سيوفر على المشي من جديد. لقد كان يصعب عليها تصور فكرة جلوس بيل على عربة ذات عجلات. وفكرت لتصلت أنه ربما كان من الأفضل له من عدة نواح لو أنه قد مات. ففكرت بكره أن يكون على عربة معلقاً بقية حياته. وما كانت تستطيع أن تتخيل نفسها ممرضة له. ماذا لو كان قد أصيب بشلل نصفي أو بلساً من ذلك؟ ماذا إذا فقد طويح الفراش وعلمراً عن الحركة؟ كان عطاها يرجع وبسرعة كل اتصال ممكن فقلت لها المرأة عنه، وأخذت مظاريفها تزداد

لنطرباً.

- "لها تعرض لحدث، وهو في لندن. لقد سميت أنه قال لي أنه سيكون هناك لبطمة أيام. لقد تحدثت إليه قبل يومين في نيويورك. إذاً قد كان يركب سيارة لصلحت بباص، ويبدو أن حالته سيئة للغاية". فقلت سننأ بصراحة؛ لقد انكسرت عنقه، وتلذى حبله الشوكي. لقد خرج ثراً من عملية جراحية، وهو في حال خطيرة".

استعنت حيناً أوليفيا وسألت والقتها: "هل سيوت؟"

تحدثت مستنفاً في الإجابة مطولاً إذ لاحظت الدموع تنهمر من عيني أبستها. "هكذا ممكن". قلت لها ذلك بلطف واستأنفت: "ولكن بابا صلب جداً. وأعتقد أنه سيكون على ما يرام، ولكننا لسنا متأكدين من ذلك بعد. سوف نذهب اليوم إلى هناك".

قلت أوليفيا: "لستى معك". كانت أوليفيا فتاة طويلة شراه مشوقة قائمة جميلة الشكل وجذيلة الوجه. وفي فصل الخريف ستكون طليقة في الصف قبل الأخير في جامعة جورج تاون إذ أنها تدرس الهندسة الخارجية. لقد كانت تلميذة مجتهدة بارعة. وطفلة رائعة، وكان والداهما كلاهما غيورين بها حقاً. ورغم ذلك الوقت الذي كانت تفضيه مع أليسا إلا أنها كانت مجتونة به. لقد كانت تحبه حسب عبادة منذ أن كانت طفلة، وفي آخر سنوات غدت مسيحية بكل ما كان ينطه.

- "أعتقد أنه ينبغي علينا أن نلتفت أن نتمكن من ذلك. كانت ستيلا في نفسى عنها الأسطية وتنهض من سريرها. كان يجب عليها الاتصال بشركات الطيران وأن تحزم لمتعتها. لقد كان يحلوها الأمل بأن تتمكن من الحجز على رحلة طيران في وقت الظهيرة، والأمور مستحقة إذا ما أخذت أوليفيا معها. وهي لم تكن تريد لين أن يلاز عجن. فالأمور كانت تبدو سيئة للغاية بحسب كل ما قالته لها المرأة من المشفى.

- "لنا نسبة معك يا ماما". رافعت أوليفيا لبرة صوتها وهي تقول ذلك

وكأنت قلما تفعل ذلك. "وحى لو اضطررت سوف لشكري بطاقة ركوب طائرة وأسافر وحدي".

- "ما الذي يجري هذا؟ سألت حين في لندن وهي دخلت إلى الغرفة. لقد كانت هذه ضئيلة الجسم شراه ذات شكل جذاب، وكانت تبدو تقريباً كمثل والقتها عندما كانت في سنها. لقد كانت قد أنهت لتوها السنة الجامعية الأولى في جامعة نيويورك، وكانت قد دخلت للتسعة عشرة من عمرها. لقد سمعت أسوأهما، ورأت أوليفيا حقة على والقتها، من العلام البانية على وجهها.

- "ما الذي شجركما هذا في مثل هذه الساعة؟"

لقد كانت سنفا وألفتها الكبرى على خلاف دائم حول كل شيء، وكانت هي من يهيئ ليويس لوسيط أو صانع السلام بينهما كونها حنانة لطيفة كمشتر. تالفت وجلست على سرير والقتها.

لقد تعرض بابا لحدث". قلت أوليفيا لأختها الصغرى، فاستعنت حيناً من دماها. وهرعت أمها إلى الهاتف لتتصل بشركة الطيران.

- "أهو بخير؟" لقد كان يصعب عليها أن تتخيل ألا يكون هكذا. لقد كانت أوليفيا تبدو أكثر أمأً وجنية مما هي في العدة، وكان رد فعلها فائق العدة. ولكن حين لم تكن لكودة من جدية أو خطورة الحال.

- "لا يبدو أنه على ما يرام". قلت أوليفيا وهي تكبت تشجيعها، ثم جلست على سرير والقتها وأعطت حين بذراعيها التي بدلت نكي. وتلعت قولها: لقد انكسرت عنقه، وتلذى عوده للفري وتقول لماذا أنهم ليسوا متأكدين من أنه قد يشي من جديد. لقد خضع لعملية جراحية ثرة. ولقد ارتطمت سيارته بباص.

قلت حين: "أنة لعاء"، وتشجكت بأختها الكبرى التي كانت هي دائماً تعزبها، وليس العكس. فحين كانت دائماً الهاندة، المقتررة للمساكنة لفسها حتى منذ أن كانت طفلة صغيرة. لقد استطاعت أن تتقي بنفسها أينما ذهبت، وكانت تستطيع الاعتناء بكل من كان في حاجة إلى عونها. لقد كانت تملك الجانب

غير العاطفي من سيدي، أما الآن فهي تبدو مذعورة حتى إنها بدت تبكي.

- "ألمى مشاعر إلى لندن وأنا أيضاً". قالت أوليفيا وهي تبكي.

- "ولنا أيضاً سائتي مكم". قالت جين، ووثبت من على السرير، لتخبر

والدتها بمخططاتها. فوفقت قبلتها، وكانت سيدي قد أعدت ترتيبات سفرها

على الهاتف. "سأذهب كلثما معك"، قالت جين لوالدتها وهي تلف ليلها تلميحاً

لوفت لها سيدي يودها لكي تصرف. لقد كانت بذلك تستطيع أن تسمع، إذ

كلثما تحدثان بصوت مرتفع. ثم وضعت يدها على مساعة الهاتف وتحدثت إلى

جين:

- "أعتقد أن عليهما كلثما قبلاء هنا. سأحصل بكما إذا ما شرحت لن

حضوركما ضروري".

- "لما أن نذهب معك، أو سأنذهب وحدنا". قالت جين بحزم وحزم،

وأدركت والدتها من حبرتها بأنبتها أن الجدال معها سيكون حقياً لا طائل

تحت. كانت تعرف أنه بإمكانها أن تحمل أوليفيا تغير رأياها، ولكن جين حزمة

وعزيمة كصخرة لا تهتز ولا تتحرك.

- "لمنى سفاري".

- "هناك رحلة طيران الساعة الحادية عشرة وأربعين دقيقة". أجابت

سيدي، ثم غيَّرت حجراً على الهاتف. فالتفت لوكيل شركة الطيران أنها تريد

حجز ثلاثة مقاعد في درجة رجال الأعمال. وبعد دقيقة وضعت المساعة،

وقالت لابنتها أن طويين مفخرة الفلور المساعة التسمية. فكان لديهن ساعتان

لويونين أمتعتين، وراكبتين ملابسهن، وبحزم حقايق. إن فوفت المتوفر

لديهن لا يكفي حتى لعودة طائرة بيل إلى نيويورك كي تلتهم.

- "سأعد لظهور". تطوحت جين للتوأم بذلك، بينما جلست أوليفيا إلى

السرير وولعت تبكي. فالتفت جين: "لما نرحل أغراضنا، محطبة لثنا

الكرى، ثم نظرت إلى والدتها، حين أفتحت سيدي غزائنها وأنزلت حقيبة سفر

من على الرف. وسألت جين بدهوة: "هل سينجو بها يا ساما؟" كانت الفتاة

الوصيفة المنتقلة تحاول أن تتجاهد لتبقى هائلة، في حين استكرت لها نحرها
تظهر إليها بهيول مضطربان.

- "أست أوري يا حبيبي. يبدو أن الوقت بالكثرة جداً حتى تعرف ذلك

الآن. فهو لا يزال يصارع، وقد خرج لثوه من صلبة جراحية". لم تال لها أن

موتقة الاستقبال في وحدة غرفة الإكليل قد أبلغتها أنه كاد يتوفى مرتين

تقريباً، ولهم استغرقوا ساعتين لإخراجه من الميلاء. إنه قوي، وفي صحة

جيدة، ومثلن البلية. وبالتالي سيحصل الإصابة".

- كيف حدث ذلك؟ سألت جين، وهي تسمع الدموع من عينيها.

- "أأظم. كل ما أرفعه هو أن ميلاءه اليوميين قد اصططمت ببطن.

لا بد لي الحادثة كانت مريبة، فقد مات أحد عشر شخصاً. وبعد الله أن والده

لم يكن ولماً منهم". قالت ذلك، وبهذا غابرت جين العرفة، وبليت الأم وهي

تحاول أن تفكر فيما تريد أن تعزمه.

ويستما كانت تضع بظلالاً فضفاضة وقصيراً قصير الكمين وكثرة داخل

الحقبة، كان كل تفكيرها منحصراً في المضاعفات التي ستطرا على بيل. لقد

كفت متلكة بما لا يرقى إليه تفكك بأنه إذا كان سيئاً بشدة فيه، بالتاكيد،

سيحصل ألا يعيش، لم تكن تعرف بشكل أكيد ما كانت تمنى له الآن، لقد

كان كل شيء يعتمد على درجة سوء الإصابة التي تعرض لها. ولكنها لم تشأ

أن تقول شيئاً من هذا القبيل. وبذلك كانت تعزم ثباتاً داخلها وحذاء في الحقبة لم

تكن تحرك تماماً ما تشر به هي نفسها. فقد أضحت أكثر من نصف حياتها

وهي زوجة له، وما عادت تحب الآن، ولكن مهما يكن من أمر لقد كانت

صديقتين. وكان والد أطفالها، وزوجاً لها لثلاثين سنة. لقد كان هناك رجال

آخرون في حياتها، وزولجها كان قد فرغ من مطاها وجوهه منذ زمن بعيد،

بل حتى إنها فكرت بطلاقه مرة أو اثنتين، عندما كانت على علاقة مع رجل

آخرين. ولكن لم يخطر لها أبداً كل تلك السنين أنه قد يموت. ومجرد التفكير

في ذلك الآن غير كل شيء.

ما كنت تفكر به شيئاً فجاءه الآن هو كيف كان يبل عظماء كذا صغيرين، وكس كانت تصبه، وكس كذا سعدين في بذلة زواجهما، قد بدا وكأها ترى لغيرنا لأحدك ثلاثين سنة تتسارع أمام عينها، وهي كمثل إلى الصام وتكسر مرش الماء عليها. وإذا ولقت تحت رذاذ الماء الملحن، وفكرت في أنه قد لا يستطيع السير من جديد، لم تستطع مع ذلك إلا أن تبكي.

غبارون المنزل متجهين إلى المطار بعد الساعة الخامسة، وكانت شيئاً تقود السيارة، بينما جلست الفتاتان هادئتين في المقعد الخلفي. لم تكن بيت شقة، ورأيت الفتاتان تنظران عبر النافذة وهما هارقتان في التفكير. كن جسيماً يرتدين الجدران والقمصان القصيرة الكمين (تي شيرت) ويملأن حذاء من ماركة نايكي، وقد أخصرن معهن بصمة أشياء فقط قد توقفت شيئاً ليس قد لا يتمكن من مغادرة المشفى كثيراً، وما كنت أي واحدة منهن تهتم لمظهرها. بذلك سرحت الفتاتان شعرهما خلال وقت التصوير الضخم. وعندما أصحت لهن جيسن القصور قبل أن يغادرن المنزل، لم تكل أي واحدة منهن. كل ما كن يكتسرن به هو بيل في المشفى في لندن يصارع البقاء على قيد الحياة. وبينما كانت طقرونيس تنقع، كان هورمون فوريستر في طريقه إلى لندن جواً في طائرة غادرت مطار شارل دي غول لونها، وكل من المعروض أن تسط طاقته في مطار هيثرو خلال كل من ساعة.

وفي المشفى في لندن، لم يكن شيء جديد قد حدث أو تبدل. فقد وضع بيل وإيزابيل في غرفتين حاضنتين منفصلتين في جناح العناية المشددة. وكلاهما كانت تطوه شاشات أجهزة المراقبة الطبية، ولكل منهما فريق طبي خاص، وقد كفا في حال مزرية للغاية حتى إنها وضعا في معزل عن باقي المرضى في الجناح. كانت إيزابيل قد تعرضت لحصى شديدة منذ الساعة الثالثة من بعد ظهر ذلك اليوم. وكل لها يابض بشكل غير منتظم، وكبدها قد تآذى بشدة، وكبستاتها على وشك الانفجار، وقد عرفوا من الإصابات والجروح والعمليات الجراحية، أن هناك انقلاباً خلفاً في دماغها. ولكن مضطط كهربائية

دماغ أظهر أن دماغها كان لا يزال يعمل. وكان الأطباء متفكرين بوضوح أنه إن يكون هناك تلف دماغي دائم إذا ما نجت، لقد كان مصحاً عليهم أن يحدوا شيئاً من الإصابات الكثيرة التي تعرضت لها هي المسؤولة عن ارتفاع درجة حرارتها، وكلفت لا تزال في حالة سيئة حقيق، من الجروح بقدر ما كان من المخدر والألم التي أصعبت لها. من الفلحة السريرية، كان من الصعب أن يصق المرء أنها قد نجت.

وكان بيل يحق تحسناً أفضل منها بقليل فقط. قد تبت حنقه في جهاز يشبه قنوت التعذيب ذي مسابر وصمولات فولانية، وجمع إلى ظهره سداً مخفي، وقد استلقى على لوح ألكومل أن يلقوه عليه، رغم أنه كان غير راضٍ لما يحدث حوله. قد كان هو أيضاً في حالة غيوبة.

- "عائلة متصل من الولايات المتحدة في حوالي منتصف الليل". قالت إحدى الممرضات وكلفت الساعة آنذاك الساعة الخامسة مساءً عندما هلكوا القنولية. قد فصلت زوجته من الطاقدة. بهم في طريقهم إلى ما. أوملت الممرضة الأخرى وقامت بضبط صوت ترميز في أحد أجهزة المراقبة. على الأقل كانت علامت الحياة⁽¹⁾ متذبذبة بشكل جيد عليه لكن مما هي عند إيزابيل التي بدت وكأنها تتنوب بين الحياة والموت بشكل مستمر. بل حتى أن بقائها بدا أقل اعتياداً من بقائه هو. وسألت إحدى الممرضات إذا ما كان أحد مياطي أوزور إيزابيل أيضاً.

- "أعرف. اعتاد أنهم اتصلوا ببرلين هذا الصباح، وتحدثوا إلى زوجها، ولكنه لم يحدد موعد حضوره وقالت كثيرين أنه كان يبدو رطب الجاني. واعتاد أنه كان مضطرباً."

- "يا للسكين. إن هذه هي إحدى الكلمات التي تشكل كابوساً المرء".

قلت هذا إحدى ممرضات بيل بأهجة تعاطف. "أسأل إذا ما كنت لديها أولاد؟"

(1) علامة الحياة (Vital signs) : (علامات الحيوية) هي المؤشرات التي تدل على الحياة وهي تحديداً النبض، ودرجة حرارة الجسم، والضغط الدم.

لقد كانوا بالكاد يعرفون شيئاً عن أي منهما، فما من تاريخ طبي، ولا معلومات شخصية، بل فقط جسدتهما واسم أقرب الناس إليهما، وما جرى في الحادث. ولم يعرف أحد حتى طبيعة العلاقة بينهما، وإذا ما كانت تربطهما علاقة صل، أو قرابة بشكل ما، أم مجرد صداقة. وما كان بالإمكان التنبؤ بأي من هدم حتى الآن إليهما مجرد مريضين في جناح العنينة المشددة بصراخ من أجل البقاء. كانوا يشهدون عن عمل جراحي جديد سيجرّونه على إيزابيل وذلك لتخفيف الضغط عن دماغها. وسيمرود الجراح في أية لحظة لينتد قرراً بشأن ذلك. وعندما عاد بعد الساعة المسجلة بقليل تحقق من شائعات أجهزة المراقبة، والكثير وجهه، وقرر أن ينتظر. ما كان يعتقد أنها قد تتحمل عملية جراحية أخرى، ولا أحد يعلم إذا كانت تتحملها فعلاً. لقد بدا أنه من غير المنطقي أو المعقول أن يمرضها لفطر عملية أخرى في هذه المرحلة الحرجة.

كشفت الساعة قد تجاوزت الساعة، وكل الطبيب قد غادر القتر، عندما وصل غوردون. نخل إلى جناح العناية المشددة بهوء، وتحدث إلى موظف استقبال يجلس إلى مكتبه، وأمره عن يكون. رفع الموظف نظره إليه، وأوما برأسه، وطلب من ممرضة عيادة أن تقوده إلى غرفة إيزابيل. وبثما غوردون دون أن يسقط بكلمة وعليه علامت الكلبة. لقد سمعت لهذه اللحظة طول الالتهز، وفي خطأ دخلياً عرفت، كان يتوقع أن يرأها تده مريضة جداً. ولكن ما رآه كان محتفلاً عن توقعاته. لقد بدت له تقريباً وكفها لقلقة من الألم هير واضحة المعالم، حيث كانت هناك ضمادات وألصاق وكثير وشائعات مراقبة في كل مكان، وحتى رأسها كلى ملفوفاً بالبنش، وذراعها دو للشربان المصناب بدرجة خطيرة كان مصمداً بكفالة لأصا. الشيء الوحيد المألوف له كان رجها الشدب كالأموات والمحايط بالناش. لقد بدا أنه الجزء الوحيد من جسدها الذي لم يمس.

عندما دخل إلى الغرفة كان هناك ثلاثة أشخاص إلى جوارها. أحدهم كان يبتذل الحقنة الوريدية، وآخر يتحقق من شائعات المراقبة، والثالث كان

يتخصص بؤيز عينيها كما ينطون بشكل متواصل، ولكن مجرد النظر إليها جعل غوردون يشعر بالمرض. لم تنته أية عوفلف أذلك إلا الشعور بالرحب مما رآه. لقد بدا الأمر وكأنها لم تد هناك، ولم تكن له فوكة روحها المتبقية شيئاً. لقد كانت جسداً منكسراً ليس إلا. لم يقل شيئاً، ولم يقترب منه، بينما راحت إحدى الممرضات تتحدث إليه بهوء ولطف.

- "سيد فورستر؟" أوما برأسه وتتحج، ولكن لم يعرف ما يقول. وقد شعر بالارتباك في اضطر لرويتها بحضور هدم من الناس يركزون لأصاغم طبيه. لم يعرف ما كانوا يتوقعونه منه، ربما كانوا يتوقعون أن يرتمي عند ممريرها، أو أن يقلق نفسها، أو يلمس شفيتها. ولكنه لم يمتلح أن يعمل نفسه على الاقتراب منها، لقد كان ينظر إليها وكله يحن في ماله الموت وهذا ما زرع فيه لشعور بالخوف.

- "كيف حالها؟" سألهم بصوت نجش ومتمسج.

- "إنها تعاني من حمى. لقد غادها الطبيب لئوه. لقد كانوا يدرسون احتمال إجراء عملية جراحية أخرى لها لتخفيف الضغط عن دماغها، ولكنه يرى أن هناك مجازفة كبيرة في احتمالها لذلك. لذا فهو يؤثر أن يترث. قال إنه سيمرود الساعة العشرة".

- "وملدا سيجت إذا لم يجر لها الجراحة؟ هل تنصبا بثلث دماغي؟" لم يكن ليتصور شيئاً أسوأ من أن تبقى على قيد الحياة بدون دماغ يعمل، أو حتى أن يكون دماغها متضرراً بشدة، وأرد أن يخبر الجراح بذلك. لقد فكر بكل جهودهم لإكفها ستكون لا طائل منها إذا ما آلت إيزابيل إلى وضع كفل مما كانت عليه. لقد كانت جميلة ونكية وسهوية، ورهم الفروقات والخلافات بينهما، إلا أنها كانت زوجة صالحة بالنسبة له، ولم صالحة لوالديه. فلن ينفذها لكي تترك في سريها كجة حية كل أرا بوضاً بالنسبة له، وكان على استعدا لأن يصارع لئلا يصيبها هذا. فما كان يريد لولديهما أن يتكراما على تلك الحال، أو أن يعيش هو نفسه في هكذا وضع.

- ٣٠ يمكننا التمكن الآن بما سمعنا من سيد فوريمتر . ولكن نفوصف الصاع كانت مشحمة . فمن السليق لأولئك أن نعرف الآن ما ستؤول إليه حالتها . كان يستحيل الاعتقاد بأنها قد تنجو لساعات ، أو أشهر في حالتها هذه . - هل ثمة طبيب هنا يستطيع التحدث إليهم ؟ سأل غوردون إحدى الممرضات ، دون أن يبدو عليه أية علامت حاطقة . لقد شعرت الممرضة وكأله صديق بعيد لها ، أو أحد لأقربها البعيدين وقد جاء إلى الثمنى بدافع الواجب . لقد كان غوردون يحتفل بهولائه انضمه .

- سأعلم الجراح الممولود بوجودك . قلت الممرضة ذلك وهي تمر بجانبه خارجة إلى الردهة ، تترك الممرضتين الأخريتين مع إيزابيل . في الواقع ، لم تشعر الممرضة بالراحة بسبب موقف غوردون فوريمتر . إذ كانت رؤيتها لإيزابيل تمرق فؤادها . لقد كانت إيزابيل جميلة جداً وشابة جداً . ولكن هذا الرجل الذي طار من باريس لرؤية زوجته هنا فقد الإحساس تملأ . ولم يحصل أبداً أن التقت بشخص على مثل درجة البرودة التي طيها غوردون .

خطا غوردون خارجاً من العرفة ، وسار عبر الردهة ، منتظراً من بقي ويستحدث إليه . وسرت عشر دقائق قبل أن جاء جراح شاب إليه . لقد أكد لغوردون ما كان قد عرفه قومه ، واحترم له بوجود حطرت الموت المحقق بها . وقال له أنهم كانوا يناقشون مسألة إجراء عملية جراحية أخرى لها ، ولكن كانوا يملكون تقديري الصلبة ما أمكنهم ذلك . كل ما كان في وسعهم أن يفعلوه هو أن ينتظروا ويروا كيف يستجيب جسدها للإصابة التي تعرضت لها . وفي تقديره ، أنهم سينتظرون طويلاً حتى يحصلوا على نها طبيب . ولكن شعر أن المرحلة التي وصلوا إليها معها حتى الآن تدل على بارقة أمل وحيدة ولا تزال مشيئة .

- يؤسفني قول ذلك يا سيد فوريمتر ، فإذا أخذنا بعين الاعتبار طبيعة الحادث ، لنأخذ أن نجتهما أمر محمزي . ولو ما غوردون برأسه ، لم تترك تفكيره حول نقطة كان قد ذكرها الطبيب الشاب لم تكن في بلاء قبلاً .

- ظننت أن السائق قد قُتل .

- نعم لقد مات في الحال ، وكذلك الأمر سائق القابس ، وتسعة ركاب .

- أظن أني قيمت منك ذلك كنت محبتهما ؟

- نعم قلت ذلك . لقد كان معها راكب آخر . وقد لها هو أيضاً ، رغم أنه ليس بحال أفضل بكثير من زوجها ، في إصابته مختلفة منها ، ولكنهما كلاهما في خطر . فحالتهم تصنف بأنها خطيرة وحرجة جداً . وإذا كان غوردون يستمع إليه فتنبه شعور غريب خفي ، ولم يستطع أن يتقبل ماذا كانت إيزابيل تفعل في سيارة ليموزين مع رجل آخر ، وبخاصة في تلك الساعة من الليل . لقد كان يعلم أنها جاءت إلى لندن لتضام معرضاً في الفيت ولتوزع معارض وصالات أخرى ، ولم يزد ضيقاً في ذلك ، لما الآن للأمر يبدو غريباً .

- هل تعرف من كان معها ؟ سأل غوردون وهو يبدو غير مبالي . فلم يظهر على وجهه أية تعبير غير عادية .

- تعرف اسمه فقط لا أكثر . اسمه ولیم روبنسون وهو أمريكي . وأعتقد أن عائلته قادمة الآن بالطائرة . إذ من المتوقع وصولها هنا هذه الليلة . لو ما غوردون برأسه ، وكأله كان يتوقع أن تكون مع أحد أسدقائه القدماء ، وكرر الاسم في فكره : لوهلة ، ورن الاسم في ذهنه ، وتساءل إذا ما كان صلعب الاسم هو نفس الشخص الذي في بلاء . فهو يعرف شخصاً اسمه ولیم روبنسون الذي به عدة مرات قبل سنوات ، وهو شخصية مرموقة في العالم المالي . وكان يعلم أن روبنسون وسافر فرنسا كانا صديقين قديمين . ولكنه لم يستطع أن يتصور ما كان يفعل مع إيزابيل . فهو لم يكن حتى متأكد إذا ما كانا قد التقيا قبلاً . ولم يستطع أن يتذكر إذا ما كانت إيزابيل معه عندما تعرف عليه في السفر . لقد كانت كلما تخرج . لقد كان ما فعله إيزابيل معه مرأاً شامضاً تملأ بالندبة له .

- هل سيكون على ما يرام ؟ سأل غوردون بنظرة اهتمام ، عطلت على الأسئلة التي تنور في فكره .

لماذا تعلم. لقد انصرفت عنه، وتلقى الحمل الشوكي العلوي. ولديه إصابات داخلية أيضاً، ولكنها ليست على نفس الدرجة من الخطورة مثل إصابات زوجته.

- يبدو أنها تعرضت لإصابات بالغة جداً. قال غوردون، ولكن هل سيصاب هو بالشلل من إصابة فخافه الشوكي؟

- لا يمكننا الآن الجزم بذلك، فهو لا يزال غلباً عن الوعي، ولم يسترجع وعيه بعد العملية حتى الآن. قد يكون مجرد رد فعل على الإصابة التي تعرض لها في الحادث، أو شيئاً أكثر تعقيداً من ذلك كنتيجة للإصابة التي في صقله. إن حالته خطيرة أيضاً. قد خطر لغوردون، وهو يصغي إلى الطبيب، احتمال أن يموتا كلاهما دون أن يجد أحد تصيراً لما كلا فضائله مما تلك الليلة. وراح غوردون يتأمل هل كان الأمر مجرد صدفة. قريماً كان لديها أسدقاء قدامى في لندن من فترة صباها لم يعرفهم غوردون قد ذهبت لزيارتهم، ولربما ركبت مع روبنسون سيارة التوموزين لكي يخرجا للصدق. ولكن لماذا كانت خارجاً في تلك الساعة؟ من أين كانتا قفمين؟ وإلى أين كانتا ذاهبتين؟ وكيف كانتا؟ ولماذا كانتا معاً؟ هل كانتا يعرفان بعضهما بعضاً؟ أم أنها التقيا لتوها؟ كان هناك ألف احتمال وسؤال يدور في رأسه. وما كان يعلم أنه معرفة أي جواب على أي منها وخاصة إذا لم يجوا من الحادثة. لقد كان يعتقد أنه يعرف إيزابيل جيداً، بل كان متأكداً من ذلك. قام تكن من قبل أن يترك النساء اللواتي يقعن علاقات عاطفية، أو حتى أن تكون لهن لقاءات غرامية سرية مع الرجال. ولكن مع ذلك فقد كانتا معاً في سيارة التوموزين الساعة الثانية بعد منتصف الليل، ومهما كان السبب، فليس بالإمكان معرفته الآن.

- هل تسود أن تحمي هذه القليلة هنا في المشفى إلى جوار زوجته؟ سأل الطبيب الشاب، ولكن غوردون سارع لهر رأسه نقياً. لقد كان لديه خوف من غرف المرضى والمشافى والمرضى. لقد كان ذلك يتكره بلمه على نحو مشؤوم.

- بما أنها غلبة عن الوعي، فلا أجد من داع لبقائي هنا. بل إن وجودي هنا سيعرقل عمل فريقك. سوف أمكث في الفندق. سأكون في فندق كلاريدج، ويمكنك أن تتصل بي إذا ما استجد أي طارئ. هذا يبدو معقولاً أكثر. لقد كنت الوقت الذي لمشيته ممسي، وجهودك التي تنبها من أجل زوجتي. قال غوردون تلك بلمهة رسمية وقد بدا غير مرتاح، فنهض من جديده. لقد كان وانصباً أنه كان مستاءاً للعملية بسبب الانزعاج الذي شعر به في المشفى، وما كان لديه رغبة للعودة إلى غرفة زوجته. سوف أعرج عليها وأراها للحظة قبل أن أرحل. وشكر الطبيب من جديد وعاد ليراجه إلى الغرفة، وعندما وصل إلى باب غرفتها، كان هناك خمسة من الفريق الطبي يقعون بها، وما كانت تبدو عليها علامات الحياة. فلم يحاول دخول الغرفة، ولكنني بمرافقتهم من خارج الغرفة، ثم استكر وخاض المشفى دون أن يقول كلمة لأحد. لم يلمس إيزابيل، ولم يلمسها، ولم يقترب من سريرها، وما أن وصل إلى الشارع حتى أخذ يمشي سريعاً.

لقد كان غوردون يفت المشافي والمرضى والأمراض. لذلك كان يتيدي يشكك له في علاجاً وصعوبة. فهو ما كان يستطيع تحمل هذا. استوقف سيارة وهو يعمل بيده خفية مفرد التي تحوي أغراضه التي يحتاج إليها لقضاء ليلة واحدة خارجاً، وأعطى السائق عنوان فندق كلاريدج، وشعر بالتوق قليلاً. لقد كان مرتاحاً للغاية لخروجه من جناح العناية المشددة، ورغم أنه شعر بالأسف من أجلها، إلا أنه لم يستطيع أن يعمل نفسه على دخول الغرفة وحتى أن يلمس يدها، ومن حسن حظها أنها لم تكن واعية، هذا ما فكر به، وستكون رحمة من أنه إذا ما نجحت بدون تلف دماغي، فما كان يريد لها هذا المصير. ولكن بالرغم من مدى الأسى الذي شعر به من أجلها، إلا أنه لم يكن لديه أي إحساس بالخسائر، أو باليأس، أو بالخوف من فقدانها. لقد بدت له الآن وكأنها غريبة عنه توفد إلى سريرها في المشفى وهي مهشمة الجسم. لقد بدت له وكأنها مصية لفقد الحياة، وما كان يستطيع أن يصدق أن المرأة التي رآها لتوها هي

الفتاة الشابة التي تزوجها يوماً، بغض النظر عن أنها كانت زوجته لستين سنة، لقد بدا له وكل روحها قد لارتقاها، وإذا توالت الساعات أمام فندق كلاريديج كان كل ما يدور في ذهنه هو السؤال عما كانت تقطع مع بيل روبنسون في سيارة التيمورين. ولكن لم يكن أحد إلا ليراييل تعرف الجواب على هذا اللغز العاص، وبيل أيضاً، ولكنه هو أيضاً عاجز مثل زوجته عن إجابته على هذا السؤال.

أخذ الهوب حقبة غوردون منه، لقد كان غوردون قد اضطر معه بضعة فصلان وبعض اللوالب الداخلية. فما كان بولي المعكوث طويلاً، لقد جاء ليوحد أو يقسم الوضع، وكل يعترى العدة إلى باريس خلال يوم أو اثنين، وأن يعود إلى لندن من جديد عند الحاجة. وقد تكون أذاك قد توليت، وربما تكون بقيت على حالتها. لقد أخبره الجراح الشاب تلك الليلة أنها قد تبقى في حالة سيئة أو (ضوء دون أن يطرأ عليها أي تغيير لمدة أسابيع بل وربما أشهر. وليس هناك مجال لنقاها في لندن معها، إذ ينبغي عليه العودة للاهتمام بشؤونها الخاصة، وللاهتمام على تيدي الآن، وأن يتابع مجريات الأمور في المصرف. وإذا اضطر لذلك فإنه سيذهب جيتة ودخوباً بين لندن وباريس كل بضعة أيام. ولكنه كان يدركه أنه إذا استمر هذا الوضع هكذا طويلاً فس الأفضل أن يتصل بصوفى في البرنتال وأن يطلب منها أن تعود إلى المنزل. على الأقل يمكنها أن تستق في إحدى غرفها. لقد كان يخاف أن يتصل بها، ولكن بعد الذي رآه الليلة، بدأ يفكر أن عليه القيام بذلك، لقد كان في حاجة لأن يصمها في صورة كل شيء إذا ما توفيت ليراييل.

مزعج غوردون على مكتب الاستقبال وطلب مفتاح غرفة ليراييل، فخرج المدير المساعد من مكتبه في الحال وعز عن أسفه الشديد لمصاب غوردون.
- كما أنه من حدث مروع. لنا أسعون جميعاً والفتاة... يا لهذا الأمر الممهور... تلك المرأة اللطيفة... لم تعرف بوفروع العادت إلى أن اتصلت الشرطة... وتابع حديثه لمدة دقائق كان غوردون يومئ له برأسه ويوافق.

على كل ما يقوله. كيف حالها الآن يا سيدي؟ سأل المدير المساعد جرحاً.
- ليست على ما يرام. ثم فكر بمحاولة معرفة الأشياء الأخرى التي يعرفها المدير المساعد. فقال: من الواضح أن السيد روبنسون قد تذى بشدة أيضاً. ونظراً في عيني الشاب عنه يكشف شيئاً، ولكن دون فائدة. ولقوى الشاب يداه المتشابكتين بما يرمي بهما.

- هذا ما عرفناه أيضاً. كان هذا كل ما قاله الشاب. وكان من المزعج أن يسأله لماذا كان معاً في سيارة التيمورين، فكان غوردون يبحث عن سؤال مناسب يوجهه للشباب بحيث يحقق الغرض الذي يريد منه. ولكن لم يكن الأمر بهذه السهولة.

قال غوردون على نحو غير محدد: يا امرء الحظ الذي أصاب كتابها. إنه صديق قديم لي، ولقد ألقينا هنا من دون ريب.
- نعم على ما أعتقد. قال المدير المساعد وهو يومئ برأسه. ألقن أي رايتهما يشيران الشيء معاً في اليوم بعد ظهر أمس.

هل تعرف إلى أين ذهب ليلة أمس؟ سأله غوردون وكلمه يستقصى عن الحادث، ولكن المدير الشاب هز رأسه دلالة عدم معرفته.

- يمكنني أن أسأل بوب القاعة عما إذا كان قد أجرى لها حجرات في مكان ما، وربما عمل ذلك. خطاً متحدثاً للتحطة ولستلم من بوب القاعة الذي قال أن السيد روبنسون كان دائماً يقرب بالحجز بنفسه عندما يكون في البلد، وكان كلما يطلب منهم القيام بذلك، اللهم ما هذا استعجال سيارة، كما فعل هذه المرة. ولكنه يعتقد أن بوب القاعة الآخر قد حجز مكاناً لها في نادي ماركة. ولكنه في إحدى الأيام، يمكنني أن أسأله عندما يعود. ويمكن أن اتصل بنادي ماركة إذا أحببت. لموه الحظ أن الصالح قد مات، وأظنك تعلم بذلك. إنه أحد أفضل أصحابنا، وهو إيرلندي، ولديه زوجة وأربعة أولاد. يا لها من مأساة مروعة. قال ذلك وهو يشعر بالحزن والأسى على ما حدث، وشكره غوردون. وأخذ منه مفتاح الغرفة، وسار نحو المصعد وركب المصعد. وكان

لا يزال يلكر بما كلفه المدبر من شربهما الشاي في البهو بعد ظهر يوم أمس. وتساءل إذا ما كنت قد التقيا في بعض مناسبات الفن والأكثر، أو إذا ما كنت قد ألقيا بسيلوته فقط. لقد كنت بريئة جداً، وبدفع مبالغتها قد تصادق شخصاً هكذا. وشرب الشاي في بهو الفندق لا يرحي بمعلقة دهن، ولكن في دهن شوردون أن تكون الساعة الثالثة بعد منتصف الليل في سيرة أمورين مع رجل ليس بالأمر البريء. وظل عاجزاً عن تصور ما كان يدور بينهما وبين بيل روبنسون. لم يرق له الأمر، ولو حصل هذا مع امرأة أخرى غير إزابيل لانتصحت الأمور أكثر، ولكن في حالة إيزابيل، لا بد أن هناك سبباً لمسك أو سبباً مقبولاً غير خطير قد جعلها تكون معه في السيرة. كان غوردون لا يزال محتاراً حول هذا الموضوع عندما دخل إلى غرفتها.

وسرعان ما افتتحه شعور غفي غلض فجلي، كما لو أنها قد توفيت، فبنظر حوله، وكان يشعر وكأنها قد ماتت لتوها. كان مكياجها مبهراً على الطويلة بجلبب المفضلة. ورداء نومها كان مطلقاً إلى كلاب خلف باب غرفة الحمام. وكانت ثيلها معلقة بشكل مرتب في الخزانة، وكان هناك مجموعة من الكعكسب والكراسات من المتاعب وصالات العرض العنية موضوعة على الطاولة، ورأى إلى جانبها دفتر نقاب⁽¹⁾ من بلر هاري، وبما أن إيزابيل ما كانت مدخنة، فقد استغرب وجوده هناك. ثم ماذا كانت تفعل في مكان كبار هاري؟ أو لادي مارك؟ ثم لاحظ إلى جانب أعواد القناب التي من مطعم هاري دفتر نقاب آخر من لادي ليليل. وعندما رأى ذلك شعر بالسخط بهري في صروقه. فربما لم تكن لمسيتهما مع بيل روبنسون بريئة كما كان يروج. وتساءل فيما إذا كانت قد ذهبت معه إلى تلك الأماكن. جال بنظره في الغرفة بحثاً عن لثة أخرى، ولكن لم يجد أي آثار لثها رجل، أو رستل، أو فصاصات، أو زهور مع بطالة مرصنة إليها منه. كل ما هناك كان مجرد

(1) دفتر القناب: (book of matches): حبة كبريت مغطاة وفي عنبره من صلب من المعدن الورقية.

دفترتي. الشاب لمي محضلة ملموجة أليفة كان يعرف أنها كانت تحتفظ بها للفكرى. وربما يكون روبنسون قد ألقاها فقط وهذا ما كان لا يجب أن نقبل به. من جميع القوالب كل يشعر أن الأمر بريء، وإذا كان قد حدث شيء ما بينهما تلك الليلة، أو لعلها، فليتكبد قد دفعا شمه باعظاً. ولكن مع ذلك لم يستطع أن يعرف نوع الرباط الذي يجمع بينهما، أو إذا ما كان هناك أي رباط على الإطلاق. نحن طبتي القلب في جيبه، وجلوس، وراح بنظر حوله في الغرفة، ثم فرغ الحرس بنادي النادل ويطلب منه أن يكفه بالمشرب المفضل.

عندما ترحلت سالي روبنسون والفتان من الطائفة، كانت الساعة الحادية عشرة والنصف إبلاً في لندن. كانت كلتا الفتان قد نلت في الطائفة، فسرة قصيرة على الأكل. أما سالي فقد أفضت معظم وقت فرحة شاردة في أفكارها، وتظهر خارج اللانفد. وبدأ تأثير ما حدث ليل يصيبها. وكانت تتوق لرويته. فربما يكون لها حظ برويته قد استعد وعيه عند وصولهما إلى المشفى، وربما لا يكون للإصابة التي تعرض لها في علقه وعوده القوي تأثيرات طويلة الأجل. هذا ما كانت ترجوه ومن أجله.

لمستقرى نصف ساعة للخروج من الجمارك في المطار، وكانت سيارة من فندق كلاريدج في انتظارهم. فذهبن مباشرة إلى المشفى، ووصلن هناك الساعة الواحدة بعد منتصف الليل. كان جناح العناية المشددة لا يزال في حالة هياج وتضارب صلح في تلك الساعة، وكان أربعة مصابين قد أنطوا حديثاً إلى الجناح قبل وصول سالي وإنيتها. ولكن سالي لم تجد صعوبة في تعريف نفسها إلى الممرضات أو ليجد طبيب يتحدث معه عن بيل. لقد كانت سالي ماهرة في هكذا أمور. فاستقرت طبيباً كان في طريقه إلى غرفة بيل.

نفس الجراح الشاب الذي كان قد تحدث إلى غوردون قبل وقت جالس معها في القاعة وشرح لها الوضع، بينما راحت جين وأوليفيا تصيحان. كان بيل لا يزال في حالة غيبوبة، وما كانت تبدو عليه أية بوادر لصن حتى الآن. لقد بدأ يظهر عليه لفتاح كبير في منطقة العمود القوي التي كانت تضغط

على الأعصاب المصابة، وكان الترقق في عنقه شديداً للغاية. عندما وصل الطبيب إلى نهاية حديثه وهو يشرح لهم حالة بيل، بدا مظهر بيل مروعاً جداً، وعندما رآه سبطها كانت إلى حد ما على استعداد لتصل هذا المنظر. لقد كان مشتبهاً إلى أداة تشبه أدوات التعذيب موضوعة إلى عنقه، وقد أُسند إلى جهاز لتثبيت جسمه كله، وكانت تغطيه الأربطة والجروح والفتقرات والكدمات والمخوش. كانت الممرضات لرقبته، وأجهزة المراقبة تزمردون فوقه، وكان شلحاً كالألوان حتى إن البنكين شرعت بالبكاء عندما شامتاً وجهه. كل ما لم يكن سيدي أن تسلمه هو أن تحقق إليه، وفجأة انفجرت في دماغها كل المشاعر التي قارمتها منذ سمعت أنها، فأخذت هذه العواطف منها كل ما أخذت. وانفجرت الدموع من عينيها، فما عاد كلمة من الأعراس والأعضاء المشيمة بل كان البسني التي أحبته عندما كانا في الجامعة، ولمكتها أن تلاحظ مدى الإصابات القاتلة التي تعرض لها. وبنت كل قوتها لتتأكد نفسها من جديد، وأن تكون مشجعة لابنتها.

لقد وقعت جين ولوليفيا في ركن الغرفة، وتعلقتا وهما يبكيان بصمت، في حين عثقت إحدى الممرضات جهاز التنفس الاصطناعي، ونلت سيدي بسبطه من سريره. لمست يده وشعرت بأنه ليس هو نفسه، وكانت تكي بشدة حتى لم تستطع أن تتعني وتقبله. لقد كانت تفرح من الغرفة رائعة المود المطهرة. كان بيل هاري الصدر وكانت هناك أجهزة مراقبة مثبتة إلى كل أنحاء جسده.

"إيه يا حبيبي. أنا سيدي". قالت له هلمسة وقد وقعت إلى جوارده وشعرت بأنفسها فاة من جسده. ورلحت تنظر إليه، ومثلت الصور تتساقط في رأسها، بدءاً من اليوم الذي التقت به فيه، ويوم ولوجها، ويوم أضرته أنها حامل، مروت في ذهنها ذكريات ولحظات كثيرة عاشتها معه، والآن هو يركب هنا، وقد تبدلت حياتها إلى الأبد. وكانت عاجزة من أن تتصور كيف يمكن لحسنتها أن تعود إلى حالتها السوية الطبيعية من جديد، وشعرت أن ما يهيمها

هو أن يبقى على قيد الحياة مهما كان الضرر الذي أصاب جسده، فجاءه صرل يهيمها أن يبقى على قيد الحياة، وما عانت تريد أن تقده. ولأول مرة منذ سنوات تختبئ فيها كانت لا تزال تحبه. "أهيك". قالت له مراراً وتكراراً. "أريدك أن تفتح عيونك الآن. ما إن البنات هنا. إليهما تريدن أن تتحتن إليكما يا حبيبي".

قالت لها إحدى الممرضات بلطف: "إيه لا يستطيع سماعك يا سيدي وروسون".

- "أنت لا تعلمين ذلك". قالت لها سيدي ذلك بحزم. وما كانت من نوع النساء اللذي قد يريد المرء أن يجلله، في أي وقت، وخاصة في مثل هذا حالة، فما كانت تريد أن تسمع ما يقوله الممرضة لها. إضافة إلى ذلك فقد سمعت، وعند ملين عينيها، فصصاً من أناس كانوا في حالة إسهاء أو غيرة ولكن كل يهيمهم سماع كل ما كل يقوله الناس حولهم. وتلعت سبطها تغطيه، ومكثت هي والبنات عدة ساعات إلى أن جاء طبيب يتحقق من حالة بيل وخرج عيون أن يلفظن بعض الراحة، وأن يخذن في الصباح. ليس هناك أي طارئ على حالة بيل حتى ذلك الوقت.

- "هل من ماع في أن أكتك هذا معه؟" سألت سيدي الطبيب. فهي لم تطلع كل تلك المسافة من كونتريكوت لكي تجلس في فندق كلاريديج بدلاً من ملازمة بيل. ثم أنها لم تكن متأكدة بالكلية أو وفاقه منهم إلى جوارده. لقد كانت تريد أن تراه ما كانوا يفعلونه له. ولكن تكثرت بالعناية التي كانوا يقدمونها له.

- "أعتقد أنك يجب أن تذهبي إلى الفندق. وسوف نتصل بك عند حدوث أي تطور في حالته". قال الطبيب بحزم. لقد أمكنه أن يدرك أنها من نوع النساء اللواتي يجب مضطنتين بشكل مباشر وصريح. لم يكن هناك أي تشويش حول المريض، ولم يخفوا عنها أية حقائق. لقد كانت تريد أن تعرف كل شيء، وإن تستمر إلا بعد أن تحصل على ذلك. قال لها الطبيب: "أعذك لنا

ستصل بكه، واستغرقه من الوقت نصف ساعة كي يقفها بالرحل، وكان السائق ينتظره في الأسفل، وكلفت الساعة عندئذ قد قربت الرابعة صباحاً. وعندما غادرت سنييا والفتاتان المشفى كن مرهفتان للغاية.

لقد كنت قد حجزت غرفة في فندق كلاريدج لأوليفيا وجين، وكلفت تسلمت المكوث في غرفة بيل. وبإد فحت الباب بالمفتاح الذي كانوا قد أعطوه لها، فالتفتها نفس الشعور الغامض الغني الذي أصاب غوربون عندما دخل غرفة يزابيل، لقد شعرت وكلها كانت تتنقل. لقد كنت حينئذ هناك، وكلفت ذلك أوراق على عدة طاولات في أرجاء الغرفة، وحزمة من البرشورات من صالات للعرض الفنية والمتاحف بدت غريبة بالنسبة لها، ففتى تسلى له الوقت لزيارة المتاحف؟ ورأت نصف دزينة من الفواقر والوصولات بلسم بيل ولحدها كل من مطعم بلر هاري، وآخر من نادي لايبل، ولكنها كانت تعرف أنه كان يذهب إلى هناك مع أصدقائه أو مع زفافه رجال الأعمال كلما كان في لندن، لم تجد أن في الأمر ما يريب، وصارت تبكي بعد أن رأت بيجمته. لقد شعرت فجأة بالخوف من أن تفقده، وعندما اتصلت بالبنات لتطمئن عليهن كاتنا كاتناهما تكيان. لقد كان يوماً حافلاً بالعواطف بالنسبة لهن، وروية والدهما قد أخافتهما أكثر مما أخافت والنتهما، وكان يصعب عليهما التقني بالأمل بعد رؤيتهما له على تلك الحال. لقد بدا متهمساً منكسراً بشدة، بل شبه ميت.

لم تستطع سنييا أن تطرد صوت بانيها وهما تكيان من رأسها، فارتكت براس حمام فوق بيجامة بيل وضمت سراً إلى غرفتهما كي ترلما. لقد كانت تود لو تخلصنهما فقط ول ترفع محبوبيتهما. وبعد ذلك جلست وأضمت نصف ساعة معهما. وكلفت الساعة قد قربت الخامسة فجراً عندما غادرت غرفتهما وعادت إلى غرفة بيل. واستلقت هناك تبكي فوق الوصادة التي كانت تنصق براسه، ولم تلف حتى الساعة السادسة من صباح يوم الجمعة.

عندما استيقظت سنييا في ذلك الصباح اتصلت بالششفى لتطمئن على بيل، فأخبروها أن ما من جديد طرأ على حالته خلال الليل، وصارت علامته

الحموية أكثر استقراراً بقليل مما كانت، ولكنه كان لا يزال فاد الرعي. كانت الساعة الحادية عشرة صباحاً آنذاك، وكلفت سينيي تتسرع بجسها منهمكاً ولكنها كانت تتعرض للضرب بأنابيب من الرصاص طوال الليل. فاطمات على البسك، بأن خلعت بدهو إلى غرفتهما، ووجدتهما لا تزالان نائمتين. رجعت إلى غرفتهما، واستنحت وارتدت ثيابها، ثم بعيد الظهيرة كانت على أتم الاستعداد للعودة إلى المشفى، ما كانت تصب أن توافد البنات، فزكت لهما لمصاصة ورق. تركت الورقة في غرفتهما، ولقت لهما فيها أنها ستصل بهما من المشفى لتعلمهما بحقة والدهما. نزلت السلام وركبت السيارة التي كانت في انتظارها، وأعطت العنوان إلى السائق. وخلال الطريق تحدث السائق عن الحادث. فالسائق الذي قتل في الحادث كان أحد أصدقائه المقربين. وغير مستبأ من أنه صا حدث لزوجها، وشكرته.

وجدت الأمور على حالها عندما وصلت إلى المشفى، ولاؤمت غرفة الاستظار بعد أن تحدثت إلى بيل قليلاً. وراحت تنتظر وصول أي من أطباء بيل. وبينما هي جالسة هناك رأت رجلاً يمر بها. كان طويلاً وذو مظهر متميز يرتدي بذلة جيدة التفصيل ويحيط به جو من الاستقرارية والبطوة استقرت قنصاهما في الحال. توقف كي يتحدث إلى الممرضات إلى المكتب، ورتنن بهزلن رؤوسهن وينظرن إليه نظرة غير مشجعة. كان فيه مطبقاً في نهج، ثم لفتني في الردهة باتجاه غرفة بيل.

لم تستطع سنييا إلا أن تتسائل عن السبب الذي حدا به على المجيء إلى هنا. وبعد ذلك رآته يخرج من غرفة مقابل غرفة بيل من الردهة، ويعود للحديث إلى إحدى الأمهات في الردهة. ثم غادر ثقيلاً، وشعرت سنييا أنه ملها بررح نعت صبه لحة الانتظار المرير، مترقباً ما قد يحدث لشخص مريض بشدة. وشعرت ومن دون أن تترك السبب، أن لمرأ غريباً وعصبياً يحيط بهذا الرجل. لقد بدا في غاية الاضطراب والازدواج في جناح الطلية المشددة ولمست في دلهة رفضاً وعصباً بكى معاً، وكأنه كان معتمداً للغاية لاضطراره

للوجود هناك. لقد بدا فقاً، ومنزجاً، ومضطرباً ومريضاً في هيئته. وعظمت
سنتها على مظهره إلى إحدى الممرضات عندما علمت إلى الحرفة لرؤية بيل.
ما كانت سنتها تجعله لذلك هو أن إبراهيم كانت قد نظمت في نوبة أكثر
سوءاً، وأنهم لعبوا غوردون لتوهم أن حالة زوجته قد أصبحت أقل غلواً
بشكل ملحوظ. فإسبابتها العديدة كانت تزيد حالتها سوءاً، وتفرق أكثر في
الغيبوبة. لقد قرروا عدم إجراء عملية أخرى، فقد كانوا متأكدين بأنها لن تقوم
أو تصمد أمام أية جروح أخرى تصيب جسمها. وعاد إلى الفندق ليتصل
ويستظر أية أنباء جديدة. أخبر سكرتيرته أنه سيبقى في لندن في عطلة نهاية
الأسبوع دون أن يقرر لها السبب ثم اتصل بممرضات تبدي لطمش عليه.
وفجأة شعر بأنه يتوء تحت عبء قل مسؤوليته لهذه. فهو لم يكن قد انضطر
للتعامل مع أي من هذه الأمور من قبل. لم يقل شيئاً لتبدي لو لممرضته بشأن
حالة والدته. ولكن غوردون لم يكن مسؤولاً لوقوع هذه المسؤولية فيأله
عليه.

لقد أخبر الصبي أنه سيقبض عنه في عطلة نهاية الأسبوع، وأنه سيكون
في لندن مع أمه.

- قالت ماما لها ستبقى الفارحة إلى المنزل. قال ذلك وهو يصر
بالخفية، كلما استبقى. ٩.

"لأن عليها إنهاء عملها هذا. هذا هو السبب. تذهب إليه غوردون
بحدة وفزق، ولكن لخطئها لم تذهب تبدي. فلم يكن لدى والده أي اهتمام أو
صبر لبقائه له.

- ثم اتصل بي. هلاً طلبت منها أن اتصل. ١٠.

بدا تبدي حزيناً مكتئباً إلى حد ما، فاستشاط غوردون غضباً. وفجأة
توترت أعصابه للفتاة، ولم يكن عنده أي تبرير مقنع يقدمه لتبدي عن سبب
عدم اتصال أمه به.

- سوف نتصل بك في نهاية الأمر. أما الآن فلديها أشياء تعملها مي.

لقد كتب على الصبي، ولكن شعر أنه لم يكن لديه خيار آخر. وفي الوقت
الحاضر كان الكتب عليه لطف بكثير من أن يحبره الحقيقة. لقد كان تبدي
نفساً بكثير من أن يسمع حقيقة ما جرى، خاصة وهو بعد الآن. فلن كان
غوردون مضطرب لإخباره بالحقيقة في نهاية الأمر، فإنه يولي أن يخبره بذلك
شخصياً وبمضطر طبيب قتي. ولم يتصل غوردون بصولي أيضاً. لقد أراد
أن يرى كيف سيمسح عليه الأمور. فما من داع لإخافتها الآن، وإذا كانت
إبراهيم مستوتة قبل أن تتحد معها سوف لن تتسكن صوفي، بحال من
الأحوال، أن تريد أن تحد قراره هذا في صباح ذلك اليوم.

فبدا تبدي لوالده: "أخبر ماما أنني أحبها، إذ كان والده يحفل في إنهاء
الحياة النهائية. فليس هذا الحديث يروق له. لقد كان بعض أن يكتب على
الصبي، وفي الوقت نفسه لم يكن يريد أن يطلعه على حقيقة ما جرى لإبراهيم.
بعد ذلك، بيل عاد غوردون إلى المستشفى لإزماء. عندما وصل، وألف في
الصلب رجلي من الغرفة وتبدو عليه علامات الكرب والمحنة، وراح ينظر إلى ما
كفوا يجره لها. وحالاً استنقيا روبنسون مع بيل، فهو لم يقترب من إبراهيم،
ولم يستجث إليها، بل حتى لم يلمسها. لقد كان لشترلز عظماء، إذ ما كان
يستطيع تحمل هذا الوضع.

- هل تريد أن تتركك على أفراد لبعض الوقت مع زوجك؟ سأنته
إحدى الممرضات بالحنف. لقد كان في حالة غير مريحة جعلتها تشعر بالإثقال
عليه.

ولكن غوردون أعاب بدون تردد: لا، شكرًا لك. هي لا تستطيع أن
تسمعي بأي حال. سيكون في حجرة الانتظار، أو سمحت لغوردون إذا ما
طرا أي تغيير. فلن هذا ولاذ بالفرار من الغرفة، ومضى ليجلس في غرفة
الانتظار حيث أوليفيا وجون. جاءت سنديا بعد قليل لتطمئن عليهما، ولم تكن
لدى غوردون أدنى فكرة عن كونه، ولم يهتم لتأخير البنت، واستغرب عندما
استمعت لأمه سنديا. لقد كانت تبدو متعبة وشلابة. لقد كانت قد أرادت شيئاً

على كارتها الصغيرة الفمين، ولكن النظرة التي في عينيها بدت ودية له.

قلت: "أسفة لما ألم بزواجك". لقد كنت قد سمعت الممرضات يتحدثن عنهما، وكل من عرفته هو أنها كانت في حالة اند حظورة من حالة بل، ولكن لم يذكرن لها الكثير عنها.

- "تسكراً لك". قال لها غوردون بلهجة مهذبة ومقنعة. فلم تكن لديه رغبة في إنشاء صداقات في غرفة انتظار في جناح عناية مشددة. ولكنه في الوقت نفسه ما كان ليطبق رعب المكوث في غرفة إيرفيل. ولم يكن لديه مكان أسوأ يذهب إليه هذا اللدق كلابريج الذي كان يفكر به عندما يادرته سيدي الحديث، ثم، ولشدة ذهوله، مدت يدها تعرفه من نفسها. فقد سمعت أنه أمريكي، ولذلك شعرت برابط غريب يشدها إليه. لقد كانا جعدين عن الوطن الأم متحجرين في أوضاع ميؤوس منها.

- "سنتفا روبنسون". قالت ببساطة في حين غلب التلعثم إحدى لفتيها، ولما الأخرى فكانت مستغرقة في مطالعة مجلة كانت قد اشترتها من ردةة المشفى. ولم تسد أي منهما لفتابها إلى سنتفا أو غوردون. أما غوردون فقد انتسحت حياءاً دهليلاً وانحساراً بشكل واضح عندما سمع بالاسم، ولاحظت سنتفا ذلك، وقالت: "ثنا هنا مع زوجي. لقد تعرض لحادث سيارة قبل يومين. ولقد طرنا إلى هذا ليلة أمس". وتسامل وهو يصغي إليها بما كانت تسمى المؤلف تماماً. حين كانت ذلك، فهذا ما كان ليسبها على ما يبدو. فقلتها كان منصعباً على حالة زوجها، ووجد غوردون في ذلك لفةة منها. لقد كل فكره مشغولاً في التفكير بالسبب الذي جمع زوجته وزوجها معاً أكثر منها. فاحترق غوردون أن يكون صريحاً معها.

- "أعتقد أنك تعرفين أن زوجتي كانت مع زوجك في السيارة عندما اسطدم بهما الباص". إذ قال ذلك، صمكت سيدي، وكان الباص قد اسطدم بها هي. وأترك فجأة من ردة لها قتي تبت على وجهها بأن ما من أحد لغيرها عن إيرفيل. وراحت سيدي تردد في ذهنها ما قاله غوردون.

- "ماذا قصدت؟" بدت أكثر شعوباً من قبل.

- "كما سمعت تماماً. لقد كانا معاً في سيارة الليموزين. ولا أدري لماذا لم يكتف تسامها إلى بعضهما. لقد التقيت بزواجك عدة مرات قبل سنين، في باريس، ولكنني لا أذكر ما إذا كنت زوجتي معي آنذاك. من الواضح لهما شيئاً تشاي معاً يوم الأربعاء، وأنها كانت معه في الليموزين. هي الآن في حالة حظرة حرجة، في غيبوبة تامة، وقد لا يشفي لنا أبداً أن نعرف ما كان يفصل معاً. ولا أعتقد أن زوجك في حالة تمكنه أن يصر لنا ذلك أيضاً.

جلست سنتفا بقلتها، في كرسي، وهي تبدو وكأنها قد صمكت. لقد كان وقع كلامه قلباً عليها. ولقدت وهي حائرة داخلة: لم يقل لي أحد شيئاً. لقد كنت أظن أنه كان وحده مع السائق.

- "من الواضح أنه لم يكن وحده. كانت قد جاءت من باريس لتشاهد بعض المعارض الفنية. إذ لي لها شعاع كبيراً في الفن. ولا أدري ما فعلت أيضاً خلال فترة مكوثها هنا في لندن". حدثت إليه سنتفا إذ تذكرت برشورات الفن التي رأتها في غرفة بل من معرض الفنون التشكيلية والمتاحف. وبسببها: لم يكر زوجك اسمها لمالك؟ اسمها إيرفيل فوريستر". لقد كان محرجاً أنه أن ينقل المسألة معها، وكان الموضوع مربكاً بالقل، ولكن كانت لديه أسئلة يريد أجوبة عليها، وكفت هذه المرافة في هذه اللحظة على الأقل، هي وسيلة الوحيدة للحصول عليها. ولكنها هزت رأسها لها. فما كانت تعرفه كان أقل بكثير مما يعرفه هو.

- "ثم يسبق لي أبداً أن سمعت باسمها. بل حتى لم أعرف أنه كان في لندن. فأفسر مرة تحدثت إليه كان في نيويورك. ولكننا لا نفهي على اتصال مباشر دائماً". قالت له في هدوء.

- "هل أنتما مطمئنن؟" سألها غوردون بدافع الفضول، وصمكت لسؤاله. - "لا، بل هو يسافر كثيراً، وهو مستقل في حياته". لم ترد أن تخبره أن زواجهما كان بهما منذ مخوات كثيرة.

- أما زوجتي طيس الحال هكذا. لدينا ابن علير نحى به، وحذرتني
خشرة سنة، وهي كلما تغادر المنزل. وهذه الرحلة هي الأولى التي تقوم بها
سعد سنين، وأعدت لها كلفت رحلة برينة تملأ. كنت أفكر أنها ربما لا تفت
بزوجك في فندق كالريج، ربما في الردهة. لا أعتقد أنه يجب أن تنظر
بالفكرنا إلى مستنجات بعيدة. ولكن يبدو الأمر غريباً أنهما كلاهما في سوار
حد الساحة لشكبة صباها. قال ذلك يبدو وكأنه يطلب نفسه.

- نعم إن الأمر يبدو غريباً فعلاً. قالت ذلك وهي مستغرقة في تفكير
صحيح. كان هناك أكثر من سبب كافٍ يجعلها تفكر بأن بول ربما كانت لديه
علاقة عاطفية غرامية، فهي نفسها كان لها عدة علاقات في السنوات الأخيرة
ولم يكن هناك أي اتصال جسدي بينها وبين بول خلال هذه السنين. ولكن
السراة التي يصلها غوردون غوريسر لا تبدو مرشحة لأن تكون عشيقته له
بمعنى معها عطله نهاية أسبوع رومانسية في مدينة أخرى. ولم تستطع سنيا
حتى أن تتصور كيف أمكنه أن يلتقي بها. ولم تترك لها فكرة وجودها معاً.
خلال حديثها مع غوردون أدركت أن لينتها كلفتا تصغيان إلى حوارهما
باهتمام. قالت سنيا: "من الموصف أننا لا نستطيع أن نسالهما عن ذلك". ولكنها
لم تستطع أن تطرد من فكرها صورة البرشورات الفنية التي شاهدتها. ثم
تكررت العواثير من نادي أنجيل وبلي هاري. فربما كانت هذه المرأة كل برامة
مما يعتقد زوجها، رغم أن لهما ولد معاق علير وزرع لها كلفت متزوجة.

- إذاً متا، سوف أن تعرف لهذا الجواب. قال غوردون بكل وإجاء.

- أو لم يحصل الحادث لما أمكننا ربما حتى أن نعرف. أعتقد أنه ينبغي
علينا تكلم هذا الأمر. قالت سنيا في هدوء. لم تكن متأكدة أنها تريد أن
تصرف، فتمه أسئلة ما كلفت تريد أن يسألها لئلا، وكلفت ذلك لأسئلة تود لو
تسألها له. وبخاصة الآن وهو يصارع من أجل البقاء بعد الحادث، هناك زوايا
مظلمة لمس حولها ما كلفت تريد أن تنظر إليها. ولكن غوردون كان يتحري
عن الموضوع باهتمام محولاً ل يستجلي طبيعة العلاقة بينهما. لقد كان

وانشأ أن هذا الفزع كان يزعمه ويتن مصعبه.
قال غوردون متفكراً: "لا أعتقد أن أحداً يعرفها يمكنه أن يخبرنا حقيقة
الأمر".

هربت عليه سنيا وهي تتحدث بطريقة صليقة: "إذا كانوا تكلمين، وكانت
بينهما علاقة ما، فلا أعتقد أن أحداً آخر يمكنه أن يعرف ما كان بينهما".

لمل ألا يكون الحال هكذا، فالمحقق كان يمكنه أن يخبرنا.

- أعتقد أننا نحتاج إلى التفاهسي عن هذا الأمر، وألا نبحث عن أجوبة.
فكلامها يصارع للتداع، وإذا ما بقيا على قيد الحياة فقد يكون هذا هو كل ما
نحتاج إلى أن نعرفه. فما حدث إذ لا يكون من شأننا.

- هذه سماعة وكوم أفلاقي منه. قال غوردون ذلك وهو يبدو غير
راضٍ تملأ مثلاً على الاقتراح الذي تقدمته. فقد كان يريد أن يعرف إذا ما
كانت إيزابيل تمويه. وصار في هذه اللحظة كل التساعاً ببراعتها من ذي قبل.

- زوجي رجل منمضط وحذر جداً. ومهما فعل فلن يظهر ذلك للنور.
فما كان له أن يتصرف بشكل غير لائق أو أن يسبب فسيحة لك أو لنفسه.

- ما كان لزوجتي لبدأ أن تقيم علاقة مع رجل آخر. قال غوردون ذلك
بلهجة عنيفة فاسية تظهر دفاعه عن كبريائه أكثر من دفاعه عن سمعتها،
ولمست سنيا ذلك من موقفه. واستغف: "ولا أعتقد أنها كانت على علاقة معه.
فما على يقين بأنه لا بد من وجود تفسير بريء ومقول لذلك".

- أتمل ذلك. قالت في هدوء، ثم نظرت في عيني غوردون. لقد أرادت
أن يعرف موقفها من الموضوع. أعتقد أنك تعرف أنني لا أروي السؤال عن
هذا الأمر.

- أنا سأل زوجتي عن ذلك إذا خرجت من حالة الغيبوبة التي
تعيشها. أعتقد أنهما يدينان لنا بتفسير على الأقل.

- لماذا؟ ما الفرق الذي سيحدثه ذلك؟ سألتها هكذا ولدهشة ابتليها،
ولستأفقت. لماذا سيغير هذا من الأمر؟ ثم أنهما إذا ما توهبا فلن نحتاج إلى

- بل أنا في حاجة لأن أعرف. فطلى الأبلأ لريد أن أعرف إذا ما كانت تخونني بشكل أو بآخر، فس حتى أن أعرف ذلك، وأنت أيضاً كذلك. وإذا فصلنا أن نفكر لهذا.

- ليس من شأني أن أصفح لزوجي عن هذا الأمر. فهو رجل ناضج. ما كنت لأحب هذا لو كان هناك علاقة مع زوجك، ولكن ثمة انتهاء في الحياة من الاتصال للمرأة ألا يعرفها.

- لا أشاركك الرأي يا سيدة روبنسون. فكل بالاضباب وهو يمثلخوب أي نوع من الزواج هذا الذي يربطها بزوجها. صحيح أنه لا يختلف كثيراً من زواجه هو، ولكنه ما كان أبداً يعترف أسم أي أحد أن زواجه من إيزابيل كان مضيقاً، ولمسكوت. وفي الواقع ما كان الأمر سيئو غريباً جداً إذا ما كانت إيزابيل علاقة هدمية ما، فقد كانت فتية، وحبوبة ومليئة بالحوطف الإنسانية لقد كان غوردون يعرف أكثر من أي شخص آخر درجة الوحدة التي كانت تعيش فيها، وذلك بنفسه هو. ويبدو أن هذا هو السبب الذي كان يلمحه لأن يعرف ما كان بينهما، وفيما إذا كانت تخونه، لم أنها كانت مجرد حصة لو تكسبتها بقلول طعام العشاء مع رجل غريب. ولكن مهما كانت الظروف قد كان وقت وجودها معه مظلوماً. وحتى لم يكن المستطوع أن يتصور أن كان في تلك الساعة، وماذا كانا بفمان. لو أن ذلك كان خلال أي ساعة من ساعات النهار لكان على استعداد للاعتقاد بأنهما كانا في معرض للفرق، ولكن هذا لا يُحتمل أن يكون في الساعة الثمانية فمراً.

كانت عندئذ سئها لتلقي نظرة على بيل، ونظرت الفتاتان إلى غوردون في صمت بعد أن غادرت أهما الغرفة. وما هي إلا بضعة دقائق حتى عاد إلى المكتب ليخبرهم أنه عائد إلى فندق كلاريدج، وأن بإمكانهم الاتصال به إذا ما طمراً أي تغيير على حالة زوجته. لقد علم بما فيه الكفاية في غرفة الانتظار في المشفى، ولم ترق له سئها روبنسون، لو موقفها المتعذر تجاه زوجها.

فطلى الأرجح أنه كان يخونها دائماً، وكانت تبدو على استعداد لتقبل ذلك. وكان لديه ثقة تكيدة بأنها كانت تخونه هي أيضاً من دون ريب، ولكن في الواقع، وإذا وافقت سئها إلى جانب سرير بيل، ورأيت تنظر إليه، وقد علمت ما علمته الآن من غوردون فوريسثر، رأيت تشعر بقيتها بقبض وهي تنظر إلى بيل. ربما كان في مقدور غوردون أن يقول لنفسه أنهما كانا معاً في تلك الساعة في حالة برامة، ولكن سئها، ومن كل أصعلق قلبها وروحها، لم تكن لتعتقد ذلك. وإذا وافقت لتنظر إلى بيل والدموع للهمز من حينها، رأيت تتساءل إذا ما كانت قد فقدته بعد كل تلك السنين. لقد كانت غير مبالية به وإلزم من طويل، وأحياناً كانت لحظة معه، لقد كانت تعرف كم كانت بعيدة عنه وباردة الحوطف تجاهه، وكم كانت تمتعت بالحياة التي كان يعيشها. لقد أبت أن تكون جزءاً من حياته ولمن، ولما الآن وقد بدت وكأنها مستعدة إلى الأبد، فكل ما كانت تريد أن تقول له هو أنها لا تزال تحبه. ما كانت تعرف إذا كانت مستح لها الفرصة لأن تخبره ولو للمرة الأخيرة بأنها كانت تحبه للعامة. وما كانت تعرف تلك حتى ليلة أمس، ولكنها الآن فقط أدركت ذلك، وأرادت بيل أن يعرف ذلك. لم تستطع إلا أن تتساءل عما كانت تحبه إيزابيل فوريسثر له، وعما إذا كل حبها. وكانت سئها تعرف بأنها إذا ما افقدته في نهاية المطاف، وبسبب عيائها وحماقتها، فإنها كانت تستحق ذلك، لم يكن لديها أي شك في ذلك. لقد أدركت فجأة، وإذا هي على وشك أن تفقد، كم كانت بالقساة صماء ولسنتين عديدة.

الفصل الخامس

أُمنى غوردون ليلة الجمعة في فندق كلاريدج بقرا كتاباً كان قد اشترى في طريقه إلى الفندق حلقاً من المشفى. لم يكن لديه أي شيء آخر يفعله. كان بإمكانه أن يتصل بأسقفه في لندن، ولكنه لم يكن على استعداد لأن يخبر الناس عما كان قد حدث. أراد أن يعرف ما حدث مع إيزابيل أولاً. وكان ذاهلاً وهو يقرأ الكتاب. واتصل بالمشفى في وقت متأخر من تلك المساء، قبل أن يلوي إلى فراشه، ولكن لم يكن ثمة تغيير قد طرأ على حلقته. وكان قد مضى على الحادثة لذلك أربع وعشرين ساعة، وكانت حلقته الصحية ما تزال معلقة. لم يقرأ أي تبصير على وضعها بعد، ولكن لم تكن حلقته قد ساءت أكثر. لقد حُطِر في ذهنه أن يعود إلى المشفى، ولكنه ما كان يطبق فكرة رؤيتها من جديد على تلك الحالة. ما كان ليُعرف بذلك لأحد ولكن مظهرها أزعجه. لقد كان يفت المشفى، والمرضى، والأطباء، والمرضات، والأصوات، والروائح.

عندما اتصل غوردون، كانت ستيلا لا تزال جالسة إلى جوار بيل. كانت القنصلان قد حلقتا إلى فندق كلاريدج عند العشاء، ولكن ستيلا قررت أن تبقى. فكلت تذهب إلى جناح المرضات تُد لنفسها كوباً من الشاي بين القنصلين والأخرى، وكانت المرضات لطيفات معها. ولكن ستيلا كان لديها أمور كثيرة تفكر بها، وكانت سعيدة لأنها تلك بمفردها في عزلة عن الناس. وكانت تتساءل، وهي تراق زوجها يصارع من أجل البقاء، إذا ما كانت مقبلة لها فرصة لبدأ الآن لتخبره عن الأتياء التي أرادت أن تقولها له. كان لديها الكثير من التعليل والاعتذرات لتعنها له عن سنوات كثيرة. لقد أرادت، ورغم أنه لم يقل لها شيء الكثير، أنه كان يعرف بملاحظاتها الغرامية على

الأرجح. فبعض منها كان ولصباحاً، رغم أن البعض الآخر كان أكثر تحفظاً وكتماناً.

بعد فترة من الزمن، بعد أن يشت من زواجهما، ما عادت تهتم لكتاتين علاقتهما. ولا تصرف الآن السبب الأكيد الذي دفعها لتغييره من حياتها بمثل ذلك للتصميم. وفكرت أن السبب قد يكون الفكرة من الحياة الممتعة التي كان يعيشها، ومن الناس الذين كان يلتقي بهم. لم تكن لتطيق خيفة أنها معتمدة عليه، وتسيطر الآن إذا ما كانت تريد أن تثبت له أنها ما كانت في حاجة إليه. لقد كان يضاهيها على الدوام، كزوجة في مشهد الحياة السليسية، أنها كانت مضطرة لأن تسلك كذبل له، ولذلك قد تبحث عنه، على الأقل من الناحية العاطفية. وقد كان في غاية الإشغال والانشغال حتى إنها كانت تشعر بنفسها متباعدة منه في معظم الأحيان. لقد كانت تعتقد فكرة أن تكون لها من سكان الضواحي مع ولدين، فقد أرادت أن تكون أكثر فقرة وإثارة من ذلك. ولدرست الآن أنها حاولت الحصول على الإثارة في حياتها بالطريقة الخطأ. فركبت الآن ذلك، ولكن خوفها الكبير كان من أنها قد فُتت بصانعتها بعد أن فلت الأولون كثيراً.

كانت لا تزال تفكر بذلك عند منتصف الليل، وهي جالسة في كرسيها في ركن من غرفة بيل، ولجزء من الثانية شعرت بأنها تسمعه يقول: "بيل؟ نادته وقد هبت واقفة تنظر إليه عن كثب أكثر، إذ في الحقيقة كان قد غاب عن الغرفة لتوه من للحصول على حقن وريدية جديدة. وطنت لها صوت جيلوسه يتحركان كما لو أنه كل يرى حليماً. وكانت واقفة إلى جانبه عندما عادت الممرضات فنظرن في الحال إلى أجهزة المراقبة، ولكن كان كل شيء يسير بشكل طبيعي.

هل كل شيء على ما يرام يا سيدي روبنسون؟ سألت إحدى الممرضات وهي تفتح لكبس الحقن الوريدية، وترتب الأعطية فوق رجليه.

أعتقد ذلك... لسبب متأكد... ولكن لوعة، اعتقدت... يبدو الأمر

مستحيلاً... ولكنني شعرت أن شيئاً تحركه. نظرت إليه الممرضات عن كثب أكثر، ولكن لم تكن تتدبى عليه أية دلائل للحياة، ولحظت العلامات الحيوية من جديد. لقد كانت حافته قد استقرت في ذلك اليوم إلى حد ما. لقد مضى على الحادث حوالي ثمان وأربعين ساعة، وبسببها هناك منذ أربع وعشرين ساعة. لقد بدت هذه الساعات وكأنها دهر لها.

كانت الممرضة المسؤولة تلتزم وضع شاشة مراقبة قلبه، وهذه المرة شعرت بحركة خفيفة في إحدى يديه، فالتفت لترقبه بعناية، ثم تنصتت من عنده. فالتفت مرة من الضوء في عينيه، تحت نظر سليلي، وهذه المرة كانت حركة واضحة لا يمكن أن يخطئوا فيها، فقد أصدر صوتاً صليلاً صليلاً، كمثل صوت آين غفيف. لقد كان هذا أول صوت يصدر عنه وأغروقت حينها بالدموع إذ نظرت إليه.

تحدثت. همست إذ أصدر الصوت نفسه من جديد. لقد كان صوتاً صليلاً، ولا تمض جفاه عندما ألمت أصابعه. وضغطت الممرضة على زر جرس تنبيه يستدعي الطبيب المسؤول عن حالة المريض فالتفت ضوء في المكتب، وخلال ثواني كان الطبيب الصليب هناك.

- "ما الأمر؟" سأل الممرضة وهو يخطو دخلياً إلى الغرفة. لقد كان يقوم على الخدمة منذ ساعات، وبدأ متعباً كما شعرت سنيلا، وسأل: "هل من تغيير؟"

لقد كانت الممرضة: لقد تلوّه مرثين.

وقالت سنيلا: "أعتقد أنني رأيتته يتحرك يده قبل دقيقة"، بينما سأل الطبيب حزمة الضوء إلى عيني بيل من جديد. وهذه المرة أصدر بيل الصوت كرد فعل على الضوء. كانت سنيلا متأكدة من ذلك، ورفع الطبيب نظره إلى الممرضة. كان هناك سؤال في عينيه، فأولمبت الممرضة برأسها إيجاباً. ما كان يريد أن يقولاً لزوجته شيئاً قبل لوفه، ولكنه كان يستبد وجهه. لقد كانت هذه دلالة واضحة على ذلك، وأول بارقة أمل يحصلان عليها خلال

"هل تستطيع أن تسمعني؟ إنها أنا، أنا هنا... أنا أحيك يا حبيبي. هل تستطيع أن تفتح عينيك؟ أريد أن أتحدث إليك. لقد كنت أنتظره كي نستقط. صعدتُ حاول أن يضر وضع كتفيه، ولكنه في هذه المرة تلوّه بصوت أعلى بدافع الألم من دون رعب.

"سيد روبنسون، سوف أقسم بذلك. فإن كنت تستطيع سماعي، أريدك أن تقبض على إصبعي باليد ما تستطيع." تحدث الطبيب مبشرة في أفذه، وهو ينحني فوق وجهه، ثم وضع إصبعها في يد بيل، وانظر أن يرى لتجنيته. لم يكن هناك أية استجابة في بادئ الأمر، وبعد ذلك، وببطء متتابع، ألقت إصبعه يد بيل حول إصبع الطبيب الذي كان قد لامس به راحة يده. ولم يكن هناك أية علامة مرئية أخرى تدل على إدراكه لما يجري حوله، ولكن من الواضح أنه كان قد سمع صوت الطبيب وقام بكلماته.

"يا إلهي، لقد سمع." قالت سفتيا ذلك والدموع تمليل على خدها. "هل تستطيع أن تسمعني يا حبيبي؟ أنا هنا... فتحت عينيك، أرجوك... ولكن ثم تستحرك عصبلة واحدة في وجه بيل، ومن ثم، وببطء شديد قلب حجابيه في حين بقيت عيناه مملكتين، وافتحجت شفاهه إذ مدّ لسانه بيل به شفقه الظلمتين. لقد بدأ وكلهم يشاهدون معجزة تحصل إذ بدأ يستمد وجهه.

"هذا جيد جداً، سيد روبنسون." قال للتكرار ذلك وقد تنا من وجه بيل. "أريدك أن تضغط على إصبعي من جديد." أن بيل لتجاهل هذه المرة وكلهم كانوا يضايقونه، ولكنه فعل ذلك ثانية، وهذه المرة باليد الأخرى. ونظرت كاتيا الممرضتين والطبيب إلى بعضهم البعض بالتفصيل. لقد كان يستعيد وعيه. لقد كان من الصعب أن يحدوا إلى أي درجة كان يستطيع أن يسمعهم أو يفهمهم، ولكنه كان يستجيب لهم وهذا ما لا يري إلى إله الشك. وشعرت سلتيا وكلها تود أن تخرج من جاندها وأن تطرح هؤلاء الأشخاص جانباً وترمي نفسها فوق بيل تتلفه بذراعيها، ولكنها لم تتحرك قيد أنملة من مكان وفرفلها. لها كانت تجرو

"هل تصدق أنك تستطيع فتح عينيك، إذا ما بثلت جبهك، يا سيد روبنسون؟ أتعنى عليك أن تمل ذلك إذا استطعت." حثه الطبيب على ذلك، ولم تكن هناك أية بادرة من بيل لوقت طويل، وخفت سلتيا أن يكون قد غلب عن وعيه من جديد. لقد بدأ كالتفهم. ولمس الطبيب كلا جفني بيل عندئذ وكأنه يتكره بالأمر الذي طلبه منه، وأن يجعله يركز فكره إلى حيث يقع جفناه. فسلط بيل يده مرة صغيرة ومن ثم وبدون صوت، فتح عينيه كالتماها وانظر إليه.

"يا مرحباً، قال له الطبيب الشاب مبتسماً. "هذا رائع جداً، بمرنا روبنك يا سيدي."

"أصدر بيل همسة خفيفة ثم أغلق عينيه من جديد، ولكنه كان قد نظر إلى الطبيب بشكل مباشر ثانية أو أكثر. لقد كان هذا الفصل ما أمكنه القيام به حتى الآن. وعاد بيل لمرجه إلى حيث كان. فقد كان يحلم بالمرابط.

"هل تود أن تعول ذلك ثانية؟ هذه المرة كان هناك صوت أين حاد كالصلى "لا". ولكن ما هي إلا دقيقة حتى قام بذلك. لقد كنا متشوقين للغاية لروبينك. قال له الطبيب وقد ارتسمت ابتسامة على شفاهه. وإذا قال ذلك بنت عينا بيل تجولان في أرجاء الغرفة، ورأى سلتيا تلف حد هذه السرير، وبدأ مشوشاً مضطرباً.

"مرحي يا حبيبي، أنا هنا، أحيك. كل شيء سيكون على ما يرام. وهذا أطلق عينيه ثانية، وكل هذا بشكل جداً كبيراً عليه، ولكنه لم يرد أن يري لها منهم. وبعد دة، عاد إلى النوم. ولكن كان هذا حدثاً هاماً، وأثارت الابتسامة على وجوههم وتبعث سلتيا الطبيب إلى خارج الغرفة.

"يا إلهي، ماذا يعني هذا؟" سألت الطبيب وهي ترتجف من رأسها إلى أخمص قدميها. لم يحدث لها يوماً في حياتها أن تعرضت لمثل هذه الهزة، وكان الطبيب مسروراً لأجلها.

هذا يعني أنه خرج من حالة القيوية، ولكن لا يعني أن الخطر زال عنه تماماً. ولكن هذه بارقة أمل كبيرة.

هل يستطيع أن يتكلم؟

تسوف يفعل ذلك في نهاية المطاف، أنا متأكد من ذلك. فالإصابة التي تعرض لها في رأسه لا تؤثر على النطق. كل ما هنالك هو أنه أصيب إصابة بالغة. لقد كانت الإصابة في حق بيل وعموده الفقري هي لسوء الأحوال التي تعرض لها من جراء الحفلة. رغم أن الارتجاج الدماغي الخفيف الذي تكبدته لعمده في حالة غيبوبة ليومين. وأرشف الطبيب: "إن دماغه بحاجة إلى أن يتكلم مع ما حدث له. وبقي على يقين من أنه سيتكلم عندما يستيقظ ثانية. لقد افكر جده صحة عائلة. إنها كمثل أن تلمسك الريح وهي ذات قوة مضاعفة عشرة آلاف مرة. فليس لدي قلق بخصوص نطقه. لقد كان قلقاً حول كل شيء آخر. المشكلة الحقيقية التي سيعاني منها على المدى البعيد هي في عموده الفقري واستخدامه لسلكه. ولكن كان من الحسن أنه كان قلقاً على تحريك واستخدام يديه. لقد كان من الواضح أنه كان ضعيفاً جداً. ولكن هذا على أنه يستطيع تحريك يديه وذراعيه، خاصة بعد أن يشفي عظمه. أعتقد أنه بإمكاننا أن نتوقع أنه سينالم لعدة ساعات، وسوف نرى غذاً المزيد من التحسن في الحركة. يمكنك الآن العودة إلى اللانق لتلغذي تسلياً من النوم وبإسيدة روبيسون. فليلاً سيكون يوماً طويلاً آخر. ولكنها كانت متوترة ومملطة لدرجة أنها ما كانت لتطيق أن تنام.

فلا تعتقد أنه مستيقظ من جديد؟ إن كان سيعمل ذلك، فبلى لود أن يكون هذا طنيناً.

أعتقد على الأرجح أنه مملوك جداً الآن من المجهود الذي بذله للتو. لقد كان بالنسبة له بمثابة تسلق جبل الأناب. لقد قام بأول خطوة، وسيوجب عليه حصل إعياء جديدة في الأسابيع القليلة القادمة. بل وربما في السنوات القليلة القادمة، ولكن الطبيب لم يزد أن يقول ذلك لها. لقد كانت هذه البداية وحسب،

وإنهم طريق طويل يقطعونها، ولكن الطاقم الطبي كله كانوا متشجين جداً من جراء ما قد رأوه الآن.

لأنت ستنها حرافقة: 'حسناً. قد أعود إلى الفندق'. لم تكن قد رأت بنتها عند ساعته. وقد كنتا تخططان للطلب خدمة الغرف وتترجلى على التفتار إلى أن تعود والنتهما. وكنت قد وصتهما بأن تتصل بهما حالما تصل إلى غرفتهما. وبالكاد استطاعت أن تنظر لتخبرهما صا كل قد حدث للتو. وبذ لمبرتهما بذلك عندما علنت إلى فندق كلاريدج، أبلغت أوليفيا صحة من العرج، ورحلت حين ترأس قليلاً.

يا الله يا ماما. هذا عظيم جداً. هل قال شيئاً؟

لا. بل فقط فتح عينيه مرتين وتلوه متكلماً. وشد على إصبع الطبيب مرتين. ورأني واقفة هناك. ولكنه عاد للنوم بعدها. يعتقد الطبيب أنه قد يتكلم غداً. وقالت الممرضة أنه ما أن يستيقظ ويحبه حتى يستعيد أيضاً لفتاهه وتسلطه سريعاً بعدئذ. وكنت سنيا تأمل أن يتحدث إليها في اليوم التالي.

ففي صباح اليوم التالي، عندما علنت إلى المشفى، كان لا يزال في سريره وعياده مقروحتان وهو ينظر حوله في أرجاء الغرفة مستغيماً، وكأنه لم يكن متأكد من مكان وجوده. لقد بدا نصف لقم، وكله قد استيقظ لتوه. وكان هكذا فعلاً.

مرحياً لها اللوم. قلت له سنيا ملاحظة وهي تقترب من سريره. لقد كنا ننتظر طويلاً لتستيقظ. فرش بعينه نحوها. وكأنه يقول لها 'نعم'. ولكنه كان يبدو حزيباً، وكأنه كان خائب الأمل لرويتها، وكأنه كان يتوقع أن يرى شخصاً آخر. لقد كان لديها إحساس بأنه كان اليومى إليها برأسه أو أمكه ذلك. ولكن ما كان يستطيع أن يحرك رأسه وقد أثبت عظمه إلى سداد. هل تشعر بتحسن اليوم؟ فرش بعينه ثانية. والفريث منه عندك ولمست وجهه بلطف متفاد لم يسبق له مثيل وقالت له: 'لحم، يا بيل. ويوسفني أن هذا حدث لك. ولكنك ستكون على خير ما يرام'. لم يرفع نظره عن نظرها، ثم رآته يبل

شأنه بسلكه كما فعل في الليلة السابقة، ويطق عينيه من جديد. لقد كانت تود أن تقدم له شيئاً يشربه، ولكنها لم تجرؤ على ذلك. وكانت الممرضة قد تركتها في علوة معه لتضع نفاق. وكانت أجهزة المراقبة متبهمين إذا ما حدث أي خلل. هل تلك بأي شيء تحتاج إليه؟ حسنت في لأنه عندما فتح عينيه ونظر إلى وجهها. لقد بدا وكأنه كان قلقاً بخصوص أمر ما، فوكت قربته تماماً بحيث تستطيع أن تصفي إليه إذا ما قال لها أي شيء. ففتح فاه عنيفاً ولكن لم يخرج أي صوت من فيه. ماذا تريد يا حبيبي؟ ألا تستطيع أن تطلق بالكلمات؟ راحت تمعنه وكأنها تحدث طفلاً. وبدأ مصعباً بسبب الصعوبة التي كان يجدها في التعبير عما يريد. لقد استلقى هناك صامتاً لوقت طويل، ثم حاول من جديد، وكأنه كان يستجمع قواه. قالت له منقياً: "قيلت هنا". وتلعت حديثها تقول: "لقد جاءتني معي إلى لندن". وهنا طرف بعينه وكأنه يحير عن لمثاله لها، ثم عتب من جديد، وحاول جهده أن يحد لجام فكاه. وتساكت إذا ما كان الصناد على عقه كان يؤلمه. فلم يكن يبدو مريحاً، ولكن لم يتذ على بيل أي ألم مبرح.

"لن...". وهمن لها أخيراً، بعدما امتطت هي بجسدها جاهدة كي تسمع ما يقول وراحت تلتظفه بفارغ الصبر. ولكنه نطق بالكلمة التالية بجهد كبير: "إي... را... بيل؟" لقد بذل جهداً كبيراً لينطق بالكلمة، وهو ينظر إلى زوجته. ولم تكن هي منككة بل بيل قد عرفها. لقد كان تركيزه كله منصفاً على المرأة التي كانت معه في السيارة. وشعرت أنه يريد أن يعرف إذا ما كانت إيزابيل على قيد الحياة. وقد نطق كلمته بشق الأنف، وهذا الجهد الذي بذله صعب سنيا كاللحمة. لقد كانت أول كلماته بنطق بها أمام زوجته هي لكي يسأل عن إيزابيل، وكل هذا كلاماً لتعرف ما كانت في حاجة لأن تعرفه.

فالتفت له في هدوء: "إنها حية". وسوف لسأل الممرضة عنها. وهنا رمش لها مرشزين، وكأنه يشكرها، ثم أغلق عينيه. بعد دقيقة، سارت سنيا خارجة من الغرفة، فبرعت ابتهاجها لحوها مريحاً. ولكنها لم تقل لهما ما كان

قد قاله لها للتو.

كيف حاله يا ماما؟ هل قال شيئاً؟

أعتقد أنه في حال أفضل الآن. إنه يحاول أن يتكلم قليلاً. وقت له وكما كنتكما هنا. لقد صبحت سيدي مما قلته. فكلما الأولى كانت عن إيزابيل، ولم تلفظ تتعجب من كثرة ما كانت إيزابيل تعني له. لقد كان الأمر يتعدى مجرد الشهمة التي تجعله يسأل عن إيزابيل ما أن استيقظ. ماذا قال؟ سألتهما وما تكتليران من الإثارة وفرتضان سروراً من لجاء والدماء.

لقد رمش مرتين بعينه. قالت وهي تستطيع إلهامة تخفي بها (حسبها بالأم.

هل يستطيع الكلام؟ سألت جين وهي تبدو وكأنها لم تكن صورة والذنها في مرآة. لقد كانت أولافيا هي من يشبه بيل. لقد كانتا كلتاهما سسفين طبق الأصل عن بيل وميندي.

تتلق بضع كلمات، ولكن لا يزال الطريق شقياً تماماً. أعتقد أنه يستريح الآن". لقد بدت كهيئة نفسها بشكل غريب بينما وعدت للتفتين أن تعود إليهما بعد دقيقة، ومن ثم سارت نحو المكاتب. وتحدثت إلى الممرضة. وسألتهما بهوء: "كيف حال السيدة فورستر؟" على الأقل كل يتخورها أن تحب بيل على ما كان يريد معرفته. أنه الحق في ذلك، إذا كان يهتم لأمرها، وحتى ولو كان مجرد صديقين. لقد ذهب إلى عارضة الجميع وعلا منها معاً. فالح ما يمكنها أن تفعل له هو أن يحبره عن إيزابيل، إذ إنه تكبد هذا كبيراً للسؤال عنها. فحشى أنها ليست على ما يرام كثيراً. إنها في نفس الوضع تقريباً. لقد تعرضت للحصى ليلة أمس. وزوجها معها الآن".

هل استلمت وجهها؟ سألت سنيا بدافع الوجد.

لا، ولكن هذا لا بدعشنا إذا ما أخذنا بين الاعتبار الإصابات التي تعرضت لها والصلابة الجراحية التي أجريت لها الليلة قبل الماضية. فلو كانت

استقبلها برأسها، وشكرتها، ثم سألت عائدة إلى غرفة بيل لتري إذا ما كان قد استيقظ. ولكنه كان يطم في نومه بشكل خفيف بينما وفقت إلى جواره. ومن ثم، وكما لو أنه شعر بها، تحرك وفتح عينيه. لقد كان يطم إليزابيل من جديد. وكل هكذا منذ يومين.

لقد سألت عن إليزابيل من أهلك. إنها في نفس حالتك تقريباً. إنها في غيبوبة، ولم تستد وعيها بعد، ولكني أمل ذلك. فرمض بعينيه كما لو أنه أراد أن يومي لها. وبعد وقت طويل، بدأ يجهد نفسه حتى أطلق مجموعة كلمات لغري.

تس... كرا... لك... سين. لقد شعرت... لك... كنت هنا. قال ذلك، وأحضر عينيه من جديد، وعاد إلى لصلامه إليزابيل ثانية. لم تكن لديه رغبة في أن يرى زوجته أو أن يتحدث إليها.

هل تريد أن تری البنت؟ قاطعت سولدي حلمه من جديد، وفي هذه المرة، رمض بعينيه ثلاث مرات، فابتسمت. "سوف أذهب لأحضرها، إنها في الغرفة هنا." وما هي إلا وملة حتى كانتا في الغرفة تتران منعه، ورفقه سنياً فعلاً يتسهم. وعندما تحدث إليهما، استهلك هذا منه جهداً كل من قبل قدرته على الكلام كانت تعود إليه، لقد كان يتكلم بهبط، ولكن كان فكره صلياً بشكل واضح.

لأن... أهلكم... يا... بلفت.

نحن أيضاً نحبك يا بابا. قالت له أوليفيا، بينما كانت جن مشغولاً وقبلت يده. لقد كان عليها حقنة ورينية متصلة بها، وولادة لغري في الفراغ الأخرى. وكانت لا تزال أجهزة المراقبة والأنبيب والحسن تحيط به من كل صوب. ولكن الفتاتين كانتا مسرورتين لأنه على الأقل بقي على قيد الحياة.

يا لهن... من... فتات... عظيما. قال لسنيا بعد أن غنرا المعرفة.

أنت نفسك عظيم. هذا كل ما قالته له، وبدا مدهشاً. لقد أمضتاً لوملة.

واضاحت تقول ذلك. هل تعلم ما حدث لك؟ سألته. فقد خطر لها أنه ربما لم يتركه ما حصل له.

لا. لم يتذكر شيئاً على الإطلاق، باستثناء الأسمية الوحيدة التي أمضاهما مع إليزابيل قبل الحادث.

لقد استلمت سيارتك اليومين بحفلة، وعلى ما أذكر، لقد استقرت ساعتين صلياً لتسلكا من السيارة.

لقد... كنت... أغشى... أن... موت. جاهد كثيراً حتى نطق بهذه الكلمات، ولكن استطاع سنيا أن تمنع نفسها من التفكير في مدى غربة أن يتحدث عن إليزابيل مع زوجته، ولكن بدا أنه لم يكن لديه مالح في ذلك. وكانت متنتن. بالمعرج عندما نظرو إليها.

أعذك... فارت على الموت. لم تخبره سنيا بأنها لا تزال موحدة للموت. زوجها معها هنا الآن. إذ قالت له سنيا ذلك، فقد كان هذا بمثابة سنيا. ليلي لكي يسلط هو أيضاً إلى الحياة الواقعية. لقد كان إليزابيل زوج. هو لديه زوجة ولبنين. لقد كان نورن الآن لكي يفكر بهن. ولقد كان يعرف ذلك، فرغم كل حبه إليزابيل، كانت لديه مسؤولية مخرج. ولكنه كان ما يرح يحلم إليزابيل منذ أيام.

في تلك اللحظة علقت للمرضى إلى الغرفة، إذ كانت تبين بعض المهمات لولجب طين القيام بها، وخرجت سنيا لتتضم إلى اللفتات. لقد كان يتوجب عليها أن تستوي ما حدث لبيل القو. لم يكن أي سؤال في ذهنها. لقد كانت إليزابيل فورسبر نعي له الكثير، فهي لم تكن غريبة بالنسبة له، كما كان وليل زوجها، ولم تكن مجرد صديقة عزيمة. فالسؤال عنها كان غاية بيل من أول كلمات نطق بها. وكانت عينا متنتن بالقلق والاهتمام بها. حتى أنه كل يظن أنه يرى إليزابيل عندما استيقظ، وليس زوجته.

وإد جئت في غرفة الانتظر، تنتظر انتهاء المرضى من ولبنين.

انطلقت منحتها نسخة من جريدة (هيرالد تريبيون)⁽¹⁾، ورأت فيها مقالة عن حادث الحافلة، ولحظت لما رأت صورة إميل مع امرأته وإلى جانبيهما صورة للباس الذي تحلم بشدة. ولقأت المقالة أن أحد عشر شخصاً قد لقوا في الحادث، وأن سولسها مرموقاً ذا نفوذ سياسي وهو ولهم روبنسون كان في سيارة التهورزين التي اصطدمت بالباس. وكان التعلق تحت الصورة يقول إن الصورة أعلاه قد التقطت إميل الحادث بلحظت. ويقول أيضاً إن هذا السياسي كان مع امرأة مجهولة الهوية في نادي أفييل، واصطدمت سيارتهما بالحافلة على بعد حوالي بضعة شوارع من المكان، وفي المساق قد لاقى حظه. ولكن لم تذكر اسم إيزابيل، وفيما إذا كانت قد تأثرت من جراء الحادث، ولكن سنراها من خلال النظر إلى وجهها أدركت أنها هي من دون ريب. لقد بدت جذابة وفظة، بشعر طويل أسود، وبدا واضحاً أنها لم تجت من المصور لحظة التقط الصورة إذ كانت تنظر إليه بعينين مشتتين. وفي الصورة كان إميل يبتسم وقد أحاط كتفها بذراعه. رؤية إيل وإيزابيل معاً في الصورة على ذلك النحو جعلت سنراها تنقش أفعالها. لقد بدأ سعيداً وعلى سجيتهما، وبدا إيل وكأنه كان على وشك أن يصيح. وهذا شعرت من جديد بالخطورة الممكنة من احتمال وجود علاقة بينهما. وتساءلت فيما إذا كان غوردون فورستر قد رأى هذه الصورة أيضاً. فهما كانا الرابط بين زوجته وزوجها، ليس غير المحتمل، من حيث مقدار ما يحياها الأمر، أن يكون له أهمية بالنسبة لأي منهما، وخاصة الآن.

تأملت الفستان اللطيف عندما رأتا والفتما قرأ المقالة. لم تقولا شيئاً هائلاً، ولكنهما كانتا قد رأتا الصورة أيضاً. ولكن ما كان ليمكثهما أبداً أن تكونا غاضبتين الآن من والدهما رغم ما فعل بهما. فما كان قد حدث كل واحد من الخطورة حتى إلهما ظفرا له كل شيء تقريباً. وكان يذنب سنراها تشعور نفسه. فما كان يتفقا ليس ما كان قد فعله بل إمكانية الاهتمام بإيزابيل في

(1) هيرالد تريبيون (Herald Tribune): صحيفة يومية صليبية تصدر في أمريكا في مدينة (Savaria) في ولاية نيويورك.

الواقع إلى ذلك الحد. فالمنظرة التي كانت في عيونه عندما استصر عنها ذلك مستنفاً إلى الحافلة بينهما لم تكن علاقة غرامية عرضية. لقد وجدت أنه من الصعب أن تصدق أنهما كانا مجرد صديقين حميمين. وسوف تتصق هي وغوردون لمعرفة ما كانا صديقين حميمين ولا أكثر من أربع سنوات.

عانت إحدى الممرضات تتحضر من قذارة، ولحقت سنراها بالهياها داخلية إلى غرفة إيل. ولحظت إميل إغلاق الباب غوردون مفقداً غرفة إيزابيل. لم تكن لديها الجراءة ولكنها رغبته لو أمكنها أن تسأله إذا ما كان قد رأى جريدة هيرالد تريبيون. ولكن بدا وكأنه شيء أشبه تكبر من ذلك تكبر في ذهنه.

لم تكن إيزابيل تبدي أية علامات للشقاء، ورغم أن الطبيب قال إنها قد تبقى في حالة عيوية لفترة طويلة، إلا أن غوردون كان يقضي إلى بصيصها تلف في الصمغ إذا ما نجت. علاوة على ذلك، لقد أخبروه أكثر أن إلهما كان يبيض بشكل غير منتظم، وأن مادة مائلة تتجمع في رنتها. وكان هناك احتمال متزايد بفسادها بذلك الوقت، وكان غوردون يدرك أنه إذا ما حدث هذا فإن إيزابيل ستحوت. لقد بدت الحلة تزداد سوءاً. كانت قد مضت ساعة على وجوده هناك، يتحدث إلى الأطباء عن عملية جراحية يلزمون القيام بها، وكان في طريق العودة إلى الفندق عندما رآته سنراها بظفر غرفة إيزابيل.

بعد محادثة سنراها والبيت في وقت متأخرة بعد ظهر ذلك اليوم، عندما فطس سأل إيل ثانية عن إيزابيل. فقد عاد إليه اللطيف خلال النهار. ولم تتوافق البتة عن التحدث إليه، وكان يضطر للإجابة عليهما. وفي هذه المرة سأل إيل ممرضته عن حالة إيزابيل، وكانت هذه ممرضة فيما تقوله له.

إنها بنفس الحلة تقريباً، لا تزال في عيوية، والأضرار التي تعرضت لها هي داخلية أكثر منه. لقد كانت قد اكسرت عظام أكثر عنده، أما أضراسها الداخلية جميعها فقد تعرضت للحط. وكان من الصعب أن يحدد الممرضة لآ منهما إصابته أشد. ولكنه نجا، وبدا هذا مؤكداً الآن، أما حياة إيزابيل فلا تزال ملقطة على كف عريت، إذ ليس شغلها أسراً بعيداً. كل ما كان يتكر

به هو أنه ما كان لوريثها أن تموت، وكان ليعضي بحبلها لأجلها.

هل لي أن أراها؟ سأل في صوته. لقد كان جل تفكيره يصر على هذه النقطة طوال اليوم، رغم صرف سائيا وليلت ففهاه عنها.

لا اعتد أن هذا ممكناً. قالت الممرضة. لقد كانت حتى علة بل الجراح المشرف عليه سوف يعرض في ذلك. فقد كان يتوجب عليه أن يبقى مستيقظاً وساكناً ما أمكنه ذلك. فكان يستحيل مع حالته تلك إلقاءه عن سريريه بينما الإصابات في ظهره وعقله. كما وأن إرنابل سوف أن تكون واحة لسان زيارته.

ولكن بيل طلب نص الطيب من طيبه تلك الليلة كسط حقيقة. لا بد أن أراها، ولطمس على أحوالها.

أعشى أن أقول لك أنها ليست على ما يرام تماماً. قال له الطبيب بصوت. أجدها كله قد تذى. لقد كنت أحوال أن أوضح ذلك لروحها اليوم. فهو يريد نقلها إلى فرنسا. قلت له أن هذا من المستحيل. فني وضعها الحساس سيؤدي نقلها الآن إلى موتها. شعر بيل بكلمات الطبيب كسكين تنغرس في صدره. فما كان يريد أن يلمحوا إرنابل بعيداً عنه. على الأكل ليس قبل أن يراها من جديد. وبالتأكيد أن يرضى بأن يعرضها ذلك للخطر. لقد كان لوريستر مخبواً لا يفكر حتى بنقلها بهذه المملة. لقد أخبره الطبيب أنباء كثيرة. وأدرك بيل أن حالته لا تطمئن. لا اعتد أن من الحكمة أن تراها يا بيل. قال له الطبيب ذلك بتعاطف. فقد كانا يتعاملان مع بعض باستخدام الاسم الأول فقط. وقد اندش في رأى مدى لطف بيل ومشروءه فحار بعد أن لمكن لويل الآن أن يتكلم. لقد رأى فيه رجلاً ظريفاً رثاءً. خلافاً لوردون لوريستر الذي كان متكافاً، متعرجاً، وبجرح مشاعر كل من حوله. لقد بدأ منذ مطلع النهار يطلب بنقلها. ولما لم يوفق له، اضطر للترافع عن موقفه، وخاصة عندما أخبره رئيس قسم جناح العيادة المشددة بأنه، من دون ريب، قد فقد عقله لاقتراحه هكذا أمر. ثم أوضح له وبهجة حادة جداً أن هذا سيؤدي إلى مقتل زوجته.

لمسقط في يد غوردون ووافق على أن يتركها هناك. ولكن الطقم كله كانوا متكتفين أنه محاول الكرة ثانية. فقد كان أكثر عقداً بكثير من أن يستسلم.

ألا يمكنكم دفع سريري ذي المجلات إلى غرفتها عندما لا يكون ثمة أحد هناك؟ سأل بيل بكثرة. وهو بكلل ملكته العقيلة من جديد، وباستياء وانزعاج. تريد أن أراها كي أطمئن عليها. استغرق الطبيب في التفكير في الأمر لبعض الوقت، فاحتاج بيل. لم يكن الطبيب يعرف بعلاقتهما، ولم يرد أن يسأل عنها، ولكن كان جلياً أن رؤية ليز بيل كلفت تعني الشيء الكثير لبيل، وما كان ليضرب ذلك لياً منها. كل ما هناك هو أنه لم يرد أن يثير غضب غوردون لوريستر إذا ما اكتشف ذلك.

ليكنهم أن يأخذوني الليلة إليها، ليس كذلك؟ سوف أن أبقى طويلاً هناك.

كسلاً لا تنتظر أنرى كيف تكون حالته غداً؟ ونرى كيف تكون حلفتها هي أيضاً. اتصا بالبيان هذا وأن تقادرا المكان فليس من دأغ للاستعمال. لقد كان بيل يشعر بالجنون لمجرد التفكير بأنها على مقربة منه، في الغرفة المقابلة لغرفته بقضية إلى الرتبة. لو كان بإمكانه، لأذهب بسريره إلى غرفتها، ولكنه كان كلياً تحت رحمتهم لينتظروا له مطلبه. لقد كان مقدراً في سريره مثباً إلى سماد اللعق وسعد لتكامل الجسم. وكان غير قادر على الحركة. بل حتى كان عاجزاً عن أن يرفع رأسه، وكفت ذراعه وأهلتين للعباية. ولم تكن لديه القدرة على الإحساس أو على تحريك نصفه الأسفل. ولم يكن أحد يعرف حتى الآن بشكل أكيد إذا ما كان سيستعيد هذه القدرة أم لا. لقد كان عاجزاً لا حول له ولا قوة كمثل طلق رضيع مضطجع في سريريه، وكان لديه أسلوب هادئ ولكن مؤثر في إقناع الطبيب بأن تلك الفكرة ليست جيدة. رأى في أن استطوع أن أنزع الفكرة من رأسه. قال له الطبيب في البداية مبشراً. كان الوقت آنذاك قد تجاوز منتصف الليل، ولم يكن ثمة زوار هناك في الردهات. ففادر الطبيب الغرفة بحثاً عن ممرضة بيل وأرسلها مع بعض الأتوية، وعندما عادت تكفل

غرفة بيل، كان رجالا يبعثانها. بدا بيل قلقاً لوطلة، وتساءل عما سيفعلانه له، ولكنهما وبدون أن ينطقا بكلمة واحدة، أخذتا أملاكهما عند رأس وحذاء السرير، وتكشفت للمرضعة عندما بدأ بخرجة عجائز السرير بهيئة باتجاه الباب.

سأل: "إلى أين نحن ذاهبون؟"، وبدا قلقاً، وعندئذ انقسمت للمرضعة، ففهم. لقد لبى الطبيب له رغبته، وكان ينتظرهم في الردهة، وتحدث إلى بيل وهو يمر بجانبه.

"إننا نطقت بكلمة عن ذلك، فأني سأعديك إلى حالة الغيبوبة بنفسى"، قال ذلك بأملف، فضحك بيل. واستلف الطبيب كلامه قائلًا: "هذا مخالف جداً للأخلاق هنا". ولكنه كان يعتقد أن هذا سيكون له تأثير طيب على بيل، وسوف أن يسيب لإيزابيل أي ضرر أو أذى. بل حتى قد لا تعرف أبداً بأنه كان هناك.

تطلب الأمر منهم بعض المأذورة، ولكنهما استطاعا أن يضما سريريه بجانب سريرها. فحرك عبيده نحوها كي يراها، وما أمكنه أن يرى سوى رأسها ملفوفاً بالصمغ، من خلال روية عينه. وفي مذ ذراعه المرمى إلى أقصى حد أمكنه أن يلمس أسلحتها بيده. كتبت للمرضعتين المسممتان للاعتصام بها ترسلان هذا المتهمة، وطلب إليهما الطبيب أن تضعا الطرف عظيم. لقد كان الجصيح يندرك سبب وجود بيل هناك. لسك بيل أسلحتها بيده لينزع نفسك، ثم تحدث إليهما، منجهاً تماماً النفس اللتين يحيطان بهما في الغرفة. واهزوا عندها بالصمغ إذ لمس يدها.

"مرحباً يا إيزابيل... إنه لآدم... بيل... يجب أن تستيقظي الآن. ما برحت نائمة منذ وقت طويل... عليك أن تعودى إلينا...". ثم قال لها بصوت ناعم: "أحبك... ها إلى كل شيء. سيمر على ما برلم". سمعوا له بالقاعة يضع دفتاق آخرى، ثم دخلتا سريريه عاتين به إلى غرفته. وإذا استلقى منهاً وشاحياً عندما قل راجماً إلى غرفته راح يفكر فيها. وبعد ذلك، تنكر فجأة حلما كان

قد راح وتساءل متى كان ذلك. لقد كانا يسيران معاً نحو ضوء ساطع، وقبل أن يصلا إليه تملأ، أجبرها على أن تعود، فوافقت هناك وهي في حالة الانزعاج. لقد كان لولا هذا هناك. ولقد أن يعود إليهم. ولكن إيزابيل كانت تريد أن تولد سيرها. ولقد الآن أن يجرها نفس الأنياب التي لالها لها. لقد كان يتوجب عليها أن ترجع. لقد أرادت أن تستيقظ. وجل ما كان يفكر فيه هو أن يراها من جديد. لقد هله أن يفكر بغوردون وهو يحاول أن يعيدها إلى فرنسا. لقد كان واضعاً، حتى لبيل، أنها لم تكن في حالة تسمح لها بالانتقال إلى هناك. ولكن الطبيب على الأكل طمأنه من جديد أنهم سوف أن يسمحوا بحدوث هذا. وقد شعر بيل بالارتياح من أجهلها، وراق له كثيراً أن يعرف أنها كانت قريبة منه.

لوى إلى سريريه لينبث تلك القليلة وهو يفكر بإيزابيل، وكان ثمة ابتسامة على شفتيه. وإذا كانت مثلها ترك في سريريه في فندق كلاريدج، لقد كانت هي أيضاً تفكر بها. وفي المعرفة التي كتبت إيزابيل قد شغلها قبل أيام فقط كان غوردون غوردون يستلقي في سريريه يفتأ يفكر ببيل. لقد كان لديهم جميعاً أشياء كثيرة يفكرون فيها ملياً تلك القليلة، والوحيد الذي كان يعرف الإجابة على أسئلتهم كانا بيل وإيزابيل.

الفصل السادس

كانت الممرضة تطعم بيل عندما وصلت سنيا في اليوم التالي. كان يوم
أحد، بعد أربعة أيام من الحادث، وكان لا يزال يبدو ممزقاً منهكاً كلياً، ولكنها
كانا كلاهما مطمئنين أنه لا يزال مستظفاً وعلى قيد الحياة.

كيف تجري الأمور يا حبيبتي؟ سألته سنيا وقد بدت متعبة وبطيئة.
لقد كان الجو دافئاً في الخارج، وكانت ترقدي كثر في شورت وبنطالاً قصيراً،
والتسلخ ظنون كانت قد استمرت من إحدى بنطالتي كانت لأبيها وأمين
متضمنين بعض الوقت فتجولان في لندن، وبعثنا في موق السمار المستقلة.
لقد كانت المباحث التي أفضتها سنيا في بعض طويلة بالصدفة لها، وكلتا
تخاطبان للمرور عليها بعد ظهر ذلك اليوم.

كيف تشعر؟ سألته سنيا وهي تبدو من سرورها بسبب زاوية السند
المثبت إلى علقه كان يصعب عليه أن يرى من يده. وإذا دخلت مجال الرؤية
لديه يهضم لها.

كنت أعتقد أننا سنذهب معاً من لندن اليوم. قال لها. لقد بدا
أشعث الصبر، ولكنه كان يتابع الآن أن يتكلم بشكل واضح.

كم أقد حزنك له في قلوبهم ولأول مرة، وشعر الآن من جديد بأنه
أكثر إستراتيجية، ولكن ما زال الطريق طويلاً لأمنه لتشفاء الكامل ومخافة
المشي. كل قد أخبر الطبيب بأن الرؤية لديه كانت ضبابية، ولكن هذا لم يكن
مستغرباً. لقد كانت الصدمة التي تلقاها في رأسه كبيرة، وبالتأكيد سيمنى من
آثار الضربة السريعة من الوقت، وكان من المفترض لي بأنني لخصائي
لخصص سابقه وحسوده الفكري من جديد، وقال له الطبيب المشرف إنهم قد
يحتجون إلى إجراء عملية جراحية له، وهذا يعود إلى رأي الاختصاصي في

الموضوع. ولقد عدا واضحا في ذلك الوقت أن شاء بيل يستغرق وقتاً طويلاً، ولا يمكن تحديد مدى شغفه بعد. وفيما إذا كان سيمير من جديد كان لا يزال سؤالاً قائماً في ذهن الجميع. كل بيل يدرك ذلك، ولكنه كان يتحدثني أن ينقله مع سنيها حتى الآن، رغم أنها كنا يدركي، ونظراً إلى الإصابة في حبله القسوي، أن هناك احتمال كبير أن يستعمل كرسيًا متدلياً بضعة حبات.

ما كانت سنيها على عجلة لمناقشة المسألة معه، فقد كان لديه ما يكفي من أمور تشغل فكره. ولكنها في الأيام الأربعة السابقة، كانت تفكر مرراً وتكرراً في طبيعة الحياة الزوجية التي سينشأ كل بها الآن. لم تكن لديها فكرة عما إذا كان سيمير إلى العمل من جديد، أو عما ستكون عليه حياته إذا ما اضطر للتقاعد. لم تكن حتى تستطيع أن تتخيل ذلك، وحتى بيل نفسه كان عاجزاً عن تصور ذلك عندما حاول. ولكن كمن يمكن للأمر أن يكون لسوء من ذلك بكثير، وكنا كلاهما يدركان ذلك. فقد كان من المحتمل أن يصحب بشال كامل. وقد شعر كلاهما بالارتياح لأنه يستطيع أخيراً أن يستخدم القسم الأعلى من جسمه وذراعيه بشكل كامل. وفيما إذا كان يستطيع أن يستخدم القسم الأسفل من جسمه كان سؤالاً مفتوحاً ويخيفه جداً.

كسوف البساتين؟ مكال سنيها ربما كانت تسحب كرسيًا وتجلس عليه. وأما أنا أن ترى أنه كان قلقاً ومتوتراً.

نص في خير، وستذهب إلى سوق السلع المستعملة اليوم. وقلنا لهما مستأجران لروبيته بعد ذلك. لقد كانت الفئتان قد ارتاحتا للغاية لإبرائهما أن والدهما قد لجا. وشجعتهما سنيها على الخروج لكي يروحا عن نفسيهما. ينبغي أن يعودا إلى المنزل هذا الأمس أو ما بين. ليس لهما ما يفعله هن.

لقد كنا بطبيعة الحال نروي المعجزة إلى أورية خلال أسبوعين. ولا اعتقد لهما ثودن تركته الآن. وباتسمت زوجته له، ولكنه تحدثني النظر إلى عينيهما لتسبقة. وتبعت تقول: ربما سألتكما إلى باريس لزيارة ليمه إذا ما

كانت مستمر بتحسن خلال أسبوعين. وعلى كل حال فذلك لن إلى المنزل صا قريب. ولكنها لم تكن متأكدة من ذلك بقدر ما كانت تريد أن يفكر بهذا الأمر. لقد حررها الطبيب بأن بيل سيمالج في المشفى لمدة أسبوع، وسألت إذا ما كان يستطيعون أن يأخذوه إلى الولايات المتحدة في طائرة إسعاف، ولكن الأطباء كانوا يصرون الرأي على أن الوقت يفكر جداً لنقله.

لا أعرف متى يستطيع الذهاب إلى المنزل يا سن. ولا يمكنهما البقاء هنا طوال الصيف في انتظار. ولا يستطيعون أنت ذلك أيضاً.

ليس لدي شيء آخر لقتل أصله. قالت له بازراح فأنتم لها.

لا بد أن الأمور تغيرت كثيراً خلال الأسابيع القليلة الماضية. فقلت لا تتوهمين يا سن. ليس لديك دورة كرة قدم، أو لديك مشور إلى مكان ما، أو مستعدين حفلة لشخص ما؟ سوف تصابين بالجنون إذا ما تكلمت بالمكوث هنا ترهيبتي.

سوف أن أتركها هنا يا بيل. قالت له في هذه. سوف أرسل البساتين إلى المنزل في نهاية الأمر، إلا إذا أرادا الذهاب إلى مكان ما وحدهما. في السراء والضراء⁽¹⁾ هل تفكر هذا الجزء؟ أنا أفكر ذلك، وسوف أن أذهب إلى المنزل وأتركك وحده.

أنا غلام كبير، قال لها وقد بدأ جدياً أكثر من العادة، لاحظت في عينيها ما ينذر بالسوء. ففكرت، إذ كانت تحاول أن تبني الأمور هائلة بينهما، ولكنها لم تستطع أن تمنعه من قول ما كان يريد قوله. لقد كنت على وشك أن أهدك عن هذا الأمر. لقد موضوع في السراء والضراء. لقد من طينها في حياتنا أمور كثيرة سهلة خلال المطبات الأخيرة. وقد كان هذا خطاي، لقد كنت غائبا طوال الوقت، وكنت منهما في معركتي المباشرة طويلاً، ولم أكن متولجداً

(1) في السراء والضراء: جزء من التمدد الذي يأخذه الحرسان على نفسيهما خلال طقس الزفاف. حيث أن كلاهما بعد الأمر أمام الجميع بهما سيقان مما في كل الظروف وله أن يفركهما سوى الموت.

كثيراً من أجليه ومن أجل القدرات. لقد كان يشعر بالذنب إزاء تلكه، ومنذ زمن طويل، ولكلها رستاً نوعاً من التهادن بينهما، وصار من المستحيل إعادة التهادن إلى مجاريها في النهاية.

لقد اعتكنا على ذلك. ولا أحد يلومك على ذلك. أنا أيضاً عشت حوائط الغلظة وكان لدي ما أقوم به. ولست أتكلم حول رولينا يا بيل. لقد بدت جدية وهي تحدث إلي. وكانت الممرضة قد تركتهما على أفراد عندما شرعا في الحديث.

لله الحق أن أتكلم يا مين. وكل يجب أن تتكلم منذ وقت طويل وأنا أيضاً كنتك. ما عشنا بعش حياة زوجية. وانضمت هذه منذ سنين. ليس من لشيء مشترك نصلها معاً، وليس لذا نحن الانسقاء. حتى أنني لا أعلم ما تقطعني معظم الوقت، ولقد صرت نفسي مؤخراً أن أخيرك أين أكون. ولكي أكون مسريحاً، إنني لست متأكداً بذلك تهتمين لهذا. حتى أنني مذهش من مجيئك إلى هنا. ولصعب أنك كنت لتسرين لو أنني فريت يوماً ما.

لم يكن يشعر بالألم تجاه نفسه، ولكن كل ما يقوله يعبر عن حقيقة مشاعره، ولم ينكر لها بأنه كان يعرف عن علاقتها الغرامية العديدة خلال السنوات الأخيرة، رغم أنها تحدثت عن العلاقة التي كان قد قلها قبل سنوات. لقد كانت سنيا حقة بسبب هذه العلاقة، وقالت أنها كانت إلهة لها. ولكنه كان جالساً (رجلاً فاضلاً) ليلاً ولم يشر إلى تلك العلاقات الغرامية السريعة العابرة التي كانت لها مع مدرسي الفس ولاهي القوالب وأرواح صديقتها التي كانت مهيمنة له وللسنوات. ما عاد الإخلاص موجوداً في علاقتها الزوجية معه. في البداية كان الأمر نوعاً ما من الانقياد بدافع لصلتها بأنه كان يندبها عندما كان مهووساً بالسياسة، وكان يفكر أحياناً بأنها كانت نوعاً من لستره الانتباه منه، ولكنها أثبتت الطريق الخطأ. وفي نهاية المطاف، اتخذ قراره وحمل نفسه على ألا يهتم بعد. لم يقل لها شيئاً عنده، لأنه كان من الأسهل له أن يحسن الطرف حسب كل يجري، ولكنه كان متأكداً من الأمر، وأدى هذا

في النهاية إلى إسقة الحب الذي كان يكته لها. فما كان قد شعر به نحوها قبل ثلاثين سنة قد ملت ومنذ وقت طويل. وكل ما بقي هو صداقة، وكان مستأ وجودها هناك معه، ولكنه ما كان يحب، وما عادت هذه المشاعر كافية للإبقاء على علاقه معها. كان قد أدرك ذلك خلال الساعات التي أمضاها مع إيزابيل قبل أيام.

"هذا أمر مزعج تقوله لي". وانضمت سنيا لكثرة وقد بدت متألماً: كيف لمكنتك أن تتصور أنني سوف أن أتى إلى هنا بعد أن تعرضت للحادث؟ لا بد أنك تنظر فيه ليس لدي قلب على الإطلاق.

"أيا حبيبتي. أعلم أن لك قلباً. ولقسم لها بحزن. ولكنه ليس مكرماً لي ومنذ زمن بعيد، أود لو كل كنتك، وأحياناً أتمنى لو يكون كنتك الآن. ولكنه لم يكن هكذا، واعتقد أن عينا أن توليه الأمر الآن. كنت سأحدث إليك في الموضوع عندما تعود إلى المنزل."

نظرت إليه سنيا في حزن صامت مطبق طويلاً، والدموع في عينيها. لم تكن تستطيع أن تصدق ما كان يقول لها. لقد كان الأمر يدعو للسخرية، فبينما أدركت هي فتوها أنها كانت لا تزال مغرمة به، أو أنها أحيته من جديد، يخسرها أنه ما عاد يحبها، وأن كل شيء قد انتهى. لم تكن متيقنة مما يقوله لها. ولكن حتى الآن، لم يزد التصديق للموضوع مشجعاً.

"هل السبب في ذلك يعود إلى إيزابيل فوريمتر؟" مألقة وهي تحاول أن تسبق حادثة. كانت تصبها ليس كنتك؟ ما عاد متأكداً الانخفاء خلف الكلمات. وكانت تتسأل إذا ما كان ينوي الزواج منها. ألم يكن بيل من النوع الذي يتركها لكي تقوم علاقات غرامية عابرة، لقد فعل ذلك مرة واحدة فقط ولم يكررها، على حد علمها. وقد عشت علاقته تلك مع زوجة صمو الكونفرس جدية جداً وفي حالة الخطورة قبل أن ينهيها. لقد وضع حداً لتلك العلاقة لأنه عرفت أنه إذا استمر في علاقته مع تلك المرأة فإنه سيضطر لترك سنيا والبنات.

ليس لإبراهيم علاقة بالموضوع، قال لها صادقاً، وقد كان يجب عليه أن يكون كذلك من أظهم جميعاً. "إن السبب يعود إلي، لا أريد لمذا بقينا متزوجين كل هذا الوقت، يدفع العادى على ما أعتقد، أو ربما لكمل، أو الوهم بأن الأمور ستتضمن، أو الرغبة في الاستقرار، أو لأن الأولاد كانوا صغراً. ولكن هل هذه الطريقة التي نريد أن نعيش فيها؟ متروجة إلى رجل لا يريه البتة؟ ما عدنا نتحدث معاً، لم نجد بيننا أية قواسم مشتركة على الإطلاق ما خلا البهذات، أنت لك حيلة الخاصة، وأنا في حالي. ولت تستعيني أفضل من ذلك، وكذلك أنا. لقد كان ما يقوله صحيحاً، وكنت سنأيا تعرف ذلك، ولكنها ما كنت تترقب في سماع ذلك.

"لا يزال بإمكاننا أن نسمى لإنتاج الأمر إذا ما رغبنا في ذلك. هذا ما أكرهته، عندما علمت بما حدث لك، بقي لا زال أحب، فلما من كنت حقا طوال تلك السنين، وكان كلاهما يعرف لماذا وكيف، فلم تكن في حجة لأن تذكر ذلك بالحرف. أعتقد أني كنت في بدئ الأمر غاضبة لأن حيلك مليئة بالهوى والتسلية، ولم يكن لي دور كبير في حياتك... ولذلك قررت أن أستمع أنا أيضاً بالحيلة وقهوى والحب. ولكني سلكت طريق الضلالة، وشعرت بأنني تافهة جدية بالأزراء من نفسي ومنك، ولكن كان يمكن أن يتغير هذا. فلما الآن أرى مدى ما يجمع بيننا، ومدى حب كل منا للآخر. الدموع التي كنت تسترقق في عينيها انهرت سريعاً على وجهتيها، وانفتحت إلى الأمل والسمت يده. لقد كنت أمت من الرعب عندما شعرت بأنني قد لفدتك، أنا أحب يا بيل. فلا تتفكر عا الآن. لا يزال لدينا متسع من الوقت."

كان ليهبر رغبة رافضة لفكرة لو استطاع، ولكن عيها عثرنا من الفكرة التي تدور في رأسه. لقد فلت الأولون كثيراً يا سن. لم يبق لدينا شيء، كل ما بيننا الآن هو هائل للقتال وحقيقة أننا صديقان حقيقيان. ولهذا أنت هذا. كنت سأفعل نفس الشيء نورك، سوف لن تخسرني يا سن. ولا يمكنك ذلك. ولهذا للسبب أريد أن أضع حداً لزوجنا الآن، حتى تبقى علاقتنا كما هي عليه الآن.

إذا مسا تريثاً لكثرة، أو استمرينا في القيام بما فعله، سوف لنفني إلى أن نكوه بعضنا البعض، ولا أريد لهذا أن يحدث لنا أو لثبات. إذا ما أهيأ الأمر الآن فإنا نخفي صديقين على اللوم."

"أنا زوجك". قالت وهي تصارع للحفاظ على حيلتها الآن، ولكنها ما كانت تعوز لتصاراً معه، وأمكنها أن تترك ذلك. ولا أريد أن أكون مجرد صديقة لك."

"هذا الفصل من النقيض. في يوم ما سوف تتورطين في علاقة مع شخص الخطأ، وقد يكون أحد أصدقائي، أو شخصاً يهمني أمراً، وهذا سوف ألق منك ومنه. وسوف أن تكون العلاقة بيننا طيبة بحدلاً. لقد كان بيل مستغرباً أيضاً من أنها لم تسبب بعضاً حقيقياً بهد، فطلى الأكل كانت حريصة تجاه هذه الأمور.

"سوف لن فعل ذلك بعد الآن". قالت وهي تبكي وتتمخط. لقد كان من المهيمن لها أن يتحدث إليها صراحة عن حماقتها وطيشها. ولقد كان محرراً لها أن تسمع منه بأنه كان يعرف عن كل علاقتها. لقد كانت تقول في قرارة نفسها أنه لم يعرف البتة. وكانت لتعرف أن تقع نفسها أنه على الأرجح يقوم بنص الممرسست. ولكنه كان جيداً لكثرة إزاء هذه الأمور، ومخلصاً جداً، وصديقاً جداً، وعرفت الآن أنه كان يبغني عليها أن تترك ذلك فذلك. ولربما كان هذا هو السبب في أنه كان متردداً لإبراهيم. لقد كان رجلاً مهذباً ولطيفاً لللبية، وما كان يشعر به هو إبراهيم كان جيداً لكثرة بكثير. فعلمنا كان يحب شخصاً ما، كان هذا الحب حقيقياً. سوف لن نقيم أية مفلسات غرامية. سوف ألتصع عن ذلك. قسم لك، ولست الآن على علاقة مع أي أحد. لقد أعطت علاقتنا لغرامية العابرة السابقة قبل أربعة أسابيع هد فترة دامت ثلاثة أشهر مع رجل التفت به في ناديهم الريفي. وهذا كان متزوجاً وله ثلاثة أولاد، وكان يحسني المشرب المصمت كثيراً، رغم ذلك كان عظيمياً في السرير، ولكنها كانت تخشى أن يهوج بعلاقتها عندما يكون مندهلاً. ولم تكن تريد أن تجازف

وتتعرض للإجراج الذي قد يسببه هكذا رجل.

سوف نعود ندرس الفكرة. كلانا نعرف أنك مثاليون ذلك. وربما تكونين على صواب. فمن نموش عزلة شديدة. ويفصل بيننا مليون ميل، حتى عندما نكون معاً. وليس هذا مبتلى أي ماء، لو ما يستحق أي مثاء. وبينما كان يتحدث إليها راح يكرر بلزيف ثاقبة. لقد كان يمتلكه القلق عليها خلال النهار، وفي الأحلام، حيث كان يتجول دون هودة بلصاً عنها طوال الليل.

هل ستزوجها؟ وأهت سؤاها وهي تتشج بالقكاء، وشعر بالاستياء مما كان يريد أن يقوله لها، ولكن في الأولي لذلك. لقد أدرك ذلك عندما كان مع ليزابيل، ورغم الصداقة، فقد أراد أن ينهي الأمر مع ستيا الآن. فلأموور مستردة صراحة، ولم يكن من الإنصاف أن يكون علاقة عليها. فسوف تكرمه في نهاية المطاف. فهي لم تكن من ذلك النوع من النساء اللواتي يمكن أن يمتصن سنين، إن لم يكن بقية حياتك. في العلية رجل مريض. وإذا فكر أنه أن يكون قعيد للكرسي المدوب بقية حياته، فإن هذا سيكون آخر ما يمكن أن يتقبل أن يعلها به. لقد كان لديه خيار وحيد وكان يعرف ذلك، وهذا الخيار هو أن يذكي نفسه ويهتم بنفسه.

لا. سوف لن تزوجها. وهي في ترقاء فورستر، إذا ما بقيت على قيد الحياة. إنه ابن حرام ذلك، هو رديء المعاملة معها. ولكن لديها قلب مريض جداً. لقد قلت لك في الأمر لا يتلق بها، إنه يتعلق بنا. وهو يشكرني على هذا يوماً ما، وذلك عندما تجدني للشخص المناسب. (في لم يكن هذا قديماً). لقد أحببنا وقتاً جيداً في بداية حياتنا، ولكن لم تكن لدينا اهتمامات مشتركة. ولما ما حدث فبق بالهراء القليل — تجاذب الأصداد، على الأقل ليس في عصرنا. ففي هذه المرحلة من العمر كلانا بحاجة إلى أنش يهتمون بص الأتسياء التي نهتم بها. وكذلك كنت دقماً تريدان حياة تختلف تماماً عن تلك التي أردتها أنا. عندما كنا اثنين ما كنت لأهتم بذلك ولكني كنت مضطراً. كنت بحاجة إلى شخص يحب اللهو، والخروج من المنزل، وحضور الحفلات

وتتضمن معه وقتاً طويلاً. وأست بحاجة إلى مهووس بعمله ومنهمك به طوال الوقت، ويتفق بخصوص من سيكون الرئيس التالي أكثر مما يتفق بخصوص أولاده. لقد عرف أنه سيحسر بالذنب وإلى الأبد بسبب الوقت الذي قضاه بعيداً عن بلاته، مهما تكن العلاقة الوطيدة التي تربطه بهما الآن.

لست أبى مستم يا بيل. لقد كنت راعاً جداً مع البنات. وما كنا أحببنا لكثير من ذلك. لقد كنت تحي ما تقول، لقد كانت كلتا ابنتيه تعبدانه، رغم اعتوادهما على عدم تولده في المنزل. لقد كانا يحترمان بعق كل ما كان يطلبه وكنتا فخورتان به.

أريد أن أتزوجاً بما فيه الكفاية. قال لها بما يوهي بشعوره بالذنب. أريد منك الآن. سوف نحن نأخذها. ولكن سألوا يوماً ما. ربما يجب أن نبحث لوهم. ولكن كان الأول قد فات تقريباً. لقد كانت كلتاها في الجامعة، وكنت عليهما حاتمها الفاضلة، وكان يعرف ذلك أيضاً. لقد قلت الأولي على قنائه كقراق، وتلك القمص التي ضاعت يوماً سوف لن تعود ثانية. وكل شخص لم يكنه القليم به هو أن يتولد من أبلهم إلى جوارهم إلى الدرجة التي تتحسنان له بها كراشنتين.

ماذا تريد أن تقول لي؟ سألته وهي تتمسك ثاقبة. لقد بدت مذعورة وشديدة الاضطراب.

أعتقد أنه يجب أن أطلق. فهذه هي الوسيلة الوحيدة التي لحافظ فيها على ما تبقى. أريد أن أكون صديقاً لك يا سيدتي.

تأ لها. قالت له ساطعة ثم فبست وسط الدموع. ما كنت لظن أنك قد تتخطى هذا. ما كنت لتستطيع أن تصدق ما كان يجري لهما، وخاصة الآن. كل ما كنت تبعه قبل ثلاثة أيام هو أن يحيا، ومن ثم وفي مضرة من الرمن تفكرت ما فكرت به صباح ذلك اليوم في كونك تكبروت عندما اتصلوا بها لأول مرة ويخبرونها عن الحداث، بأنه إذا ما كان سيتر له أن يبقى مشلولاً بقية حياته قبل الأفضل له أو الموت. لم تكن تريد لذلك أن يحدث له أو لها.

لقد قلت الأول بالتمسك لكل منا، قلت لا تتركين ذلك بعد.

ماذا سأقول للناس؟ لقد جاء كلامه إليها وبكلمة صغمة، ففكرة طلائه منها كانت بالإجمال إهانة كبيرة لها حتى إنها تمنّت لو تهرب بعيداً وتوفى عن الأذى.

فولسي لهم بأنه لم يبقَ شيئاً من ذلك، بل قد حدثت بهي خارجاً. ربما كان يجب عليه أن يفعل ذلك عندما تعلّمتْ وبدأتْ أصل منة وأربعين ساعة في الأسبوع⁽¹⁾. لقد قضا كلتا بناتها طائفة كثيرة، وهذا ليس خطأك وحده، وبما هو على الدوام لقد كان لهما، لطفها، ومنصفاً وهذا ما جعل الأمور مؤلمة أكثر. لقد كانت تصرف مدي الضلعة التي منتهى بها الآن، ولها سبب أن تجد مثيلاً لها.

فخرج الرجل من بيت نالورين جداً.

ماذا سأقول للبلات؟

هذا موضوع آخر، وسيكون صعباً، ولأن أن علينا كلانا أن نفكر به. فهما بالسجتن رشتان بما فيه الكفاية حتى يتقهما، ولكنهم على الأرجح سوف أن يتقلا الأمر فما من أحد يحب التغيير.

ولا أنا فحسباً. قلت بصوت متهدج، فهي لم تفكر بالأمر، ولكنه سيكون أصعب بالنسبة له. إن ألمه طويلاً وشاقاً، وقد اختر أن يشفا وحده. لم يكن وأما بخصوص شقته، فقد كان يعرف أن هناك احتمالاً كبيراً ألا يستطيع أن يسير على قدميه من جديد. وإعادة التأهيل، وحتى إلى الدرجة التي يستطيعها، سوف تكون عملية مؤلمة وشاقلة بالنسبة له، وخاصة وأنه وحده، ولكنه كلى يعرف أيضاً أن سلتها سوف أن تستطيع تحمل الأمر، ورغم كل مخدراته في الرعاية التي كانت تتمتع بها منذ زمن بعيد في فترة طفولة البلات، إلا أنها سوف تفتد صوبها إذا ما علمت منه وهو معطوب الجسد بأي حال من الأحوال. فسلتها لم تكن يزيغيل، وما كان ليتمكن أن تكون مثل إبراهيم لو

(1) متوسط عدد ساعات العمل في الولايات المتحدة يبلغ أربعين ساعة في الأسبوع.

ولكنه حدث الآن، وما هو مستحقها، وكانت لا تفكر تتأمل هل كان معك فقط أم أنه يتعامل مع الحادث بطريقة هستيرية ما. هل أنت متأكد بأن هذا ما تريد؟ لقد تعرضت لصدمة شديدة. ومن الطبيعي أن....

فلطمعها لسبل أن تكمل بقية حديثها، وبدأتْ نادياً وهو يتحدث إليها: يجب أن يفعل ذلك قبل مغولت يا سن. ولكن لم يكن الأمر يدي.

فولسي أن تريد ذلك الآن. لقد كنت قد بدأتْ لحبك من جديد طويلاً في الأسبوع. والآن تريد أن تخرج من حياتك، سأقول لك شيئاً يا بيل رويسون في توفيقك للأشور ليس في محله. وهذا بدأتْ تفكي بصوت مرتفع أكثر ونظرتْ إليه بعينين تداّن على قلب منكسر. لماذا لم تردني بما أفك كنت تعلم بما كنت أفعله كل تلك السنين؟ ولماذا لم تقل أي شيء؟ لقد راعها أن تدرك أنه كان يعرف بمعتقداتها الغرامية. ولكنهما كلا يعرفان كلاهما أنها لم تكن مسؤوليته أن يوفها بل كانت مسؤوليتها هي.

ما كنت أعرف ما أقول. أنا نصي ما كنت أرد مواجهة الأمر. لقد كنت أضعك على نفسي في البداية موهماً نفسي بأن ذلك ما كان يحدث، ثم استعنت على الأمر. لا أدري يا سن... ربما لم تكن أريد أن تكون صديقاً مع نفسي إلى هذا الحد. أما الآن فأفهم لدي خيارات. لقد قلت الأول كثيراً وما عاد يفتح اللدم. وما عدت أستطيع أن أكتب على نفسي أكثر. ولربما لن تكون هناك أية امرأة في حياتي بعد كل هذا الذي حصل، ولكن على الأقل سوف أن يعيش في هذا لكوبة، وهذا أفضل، ألا تريدني أن أرى؟

قلت بصديق: لا. بل إلي أفضل أن أعيش لكوبة على أن لأصبر. ولما مضطرين لأن نعش لكاتب. يمكننا أن نعش حياتنا بشكل صحيح هذه المرة، إذا ما أعطيتني فرصة أخرى. وإذا قلت ذلك بدت على نص شكل لفتاة التي كان قد تزوجها، ورويت لها على هذا النحو حلم قلبه. وقد تمنى لو أنه واجه هذه المسألة قبل سنين، ولكنه ما كان مستعداً لذلك آنذاك، وانتهى الأمر بالنسبة له الآن.

تمشيت مثلها أو أن تحتل بابنها مثلها. وكان بيل حلي استنداد لمواجهة أحرف الجندية وحده.

هبت سنثيا ولفة وصارت نحو القاذبة عندئذ، ورلعت تمدق في الفضاء وتبدو مكسورة الفولاذ، عندما دخل السفير الأمريكي إلى الغرفة. كان قد سمع عن الحادث، وقرا عنه في صحيفة تريبيون. لقد كان جرحاً، وبدا مكتئباً وقلقاً عندما دخل. وعندما استدارت سنثيا نحوه بعينين حمراروين متفتحين، أمكنه أن يرى أنها هي أيضاً مضطربة من الجزع عليه. لم تكن لديه أدنى فكرة من الحديث الذي كان يدور بينهما، ولم يحظر في بقاء البنت أنه دخل إلى خضم دراساً عقلية، إذ هرع إلى السرير وأمسك بيد بيل وفي حويله نظرة اعتلم عبق.

أيا بهي يا روبنسون، ماذا حدث لك؟ لقد كان من المفترض أن أراك الأسبوع المنصرم. لم يكن قادراً على تصديق الأخبار التي سمعها، ولاحظ سنثيا وبيل يتبادلان نظرة غريبة.

لقد دخلت في عراك مع بلص بتهرقه بأقصى سرعته. وقد شغل بلص عني. لقد كانت حاملة مني أن أخل في هكذا عراك. قال بيل وهو يتنسم. ولكنه بدا متعباً. فلحديث الذي تناهله مع سنثيا قد ألهكه، وقال لها عندئذ: تن. لم لا تمشين مع البنت قليلاً؟ فيكون حسناً لك أن تسري الجو قليلاً. لوأمت برلسها وهي غير قادرة على أن تقول أي شيء. لم تكن تريد أن تبكي في حضور السفير، وكانت تعرف أنها ستضطر لذلك إذا ما بقيت. وبالمقابل ما كانت تريد رزية بنتها، فارتلت أن تعود إلى الفندق وأن تبكي هناك لبرهة وحدها.

تساهد الليلة. قالت والدموع تلهمر بغزارة من حويلها من جديد بينما أملت وجلسته. وهست له: أجبك، ثم هربت خارجة من الغرفة بينما كان السفير يرقبها خارجة.

تمسكينة سنثيا. لا بد أنها مصدومة جداً. قال السفير بتعاطف. لقد كان

بحرفهم منذ سلقين. لقد كان من نيويورك، وكان قد فكر بأن يسعى إلى الرئاسة يوماً، ولكن بيل لم يشجعه. فما كان ليوفز بذلك، بينما كان يبلى بلاء حسناً في عمله كسفير، وكان يحب هذا العمل. لقد كان هناك منذ ثلاث سنوات، وكان بيل يحرف أن الرئيس يحظب منه البقاء لفترة أخرى.

هل تسير أمورك على ما يرام؟ سأله السفير وقد ارتسم عيوس على وجهه بدافع القلق.

هي أفضل الآن. على الرغم من هذا الصباح الذي عانى فيه. لم يكن متوقفاً لمناقشتها بالموضوع، ولكنه يحرف الآن أنه قام بالعمل للصادق، لقد كان يولي أن يفعل ذلك عندما يعودون إلى المنزل. وكان يحرف أنه لن يسمح للحادث بأن يغير قراره. وما حدث لكنه له صحة عزمه وزاد من إصراره. ولم يكن يريد أن يفرقه لها أي مجال للأوهام في علاقتها معه ولو كان الأمر مؤلماً.

هل تحتاج إلى شيء؟ سأله السفير وهو يجلس. كانت روجته قد طلبت منه ألا يمكث طويلاً.

ليس كثيراً. فقط رقيقة جديدة، عود قفري جديد، سلقين قويتين جدينتين، والأشياء المعوية الأخرى. حاول بيل أن يمزج مع السفير، ولكن حويله بدا حزينتين. بينما يتنسم السفير. لقد كان بيل روبنسون رجلاً طيباً وبارعاً ويتمتع بروح رياضية.

أما يقولون عن حائكك؟

لا يقولون الكثير. فالوقت مبكر على معرفة ذلك. وأعتقد أنه بما أن فرانكلين ديلاون روزفلت⁽¹⁾ استطاع إدارة البلاد وهو جالس في مكتبه، فلي بسايتي هذه سوف لن تشكل فاراً كبيراً بالخدمة لي. ولكنهما كلاهما كانا

(1) فرانكلين ديلاون روزفلت (Franklin Delano Roosevelt): رجل دولة أمريكي والرئيس الثاني والثلاثون للولايات المتحدة الأمريكية. وقد كان حاكماً للبلاد لفترة أطول من كل الرؤساء (1933 - 1945) بناء على انتخاب لا مثيل له لأربع دورات رئاسية متتالية.

يسرطان حسيقة الأمر الواقع. فعليه كلها قد نهلت برمشة عين، وليس قد حسية السلبية وحسب، بل على الأرجح أيضاً كل حاته كرجل. لقد كان من الصعب في هذا الوقت تحديد كل مضاعفات الحادث، إلى جانب أنه لم يكن قادراً على المشي من بعد، فإنه لم يكن لديه أي فكرة عما إذا كان يستطيع أن يمارس الحب مع امرأة من جديد. لقد كان عالماً بذلك أيضاً عندما أخبر سنيا أنه يريد الطلاق. لطوف أن يستطيع أبداً أن يتكلم مع هذا الوضع. ولكن كانت هناك حتى أسباب قاهرة تفرقهم للطلاق، وهذه هي التي حفزته للسعي وراء الطلاق. وما كان عجزه إلا السبب الطاعي أو الظاهر.

"هل تعرف كم سئلي هذا؟"

لوقت طويل على الأرجح. قال بيل وقد بدا مكتئباً. لقد كان متعباً جداً. ولم يكن ذلك الصباح سهلاً عليه، وقد حزن كثيراً لاضطراره لوضع حد لزوجيهما. فهو لم يفقد زوجته فحسب، ولكنه لم يفقد بل بدا أنه، وبفضل الحادث، قد خسر إيزابيل، صديقته المقربة، أيضاً. عندما كان يفكر بذلك، كان يشعر بالافتقار بينه وبين سنيا للغة. فلم يعد لديه ما يصير إليه، ما عدا علم صعب قسطنطين للغة أمه، ميمصيه في محاولة لاستعادة صحته من جديد. ولكن على الأقل كان قد نجا من الموت.

نفساً. يمكنك أن تتكلم علينا". قال له السيفر سفيلا يمزح: "لقد كانت غريس تريي المجيء لزيارتك أيضاً، ولكن قالت أنها ستأتي في يوم آخر. فهي لم ترد أن تنقل عليك، وكانت تخشى أن أفضل أنا ذلك. إذا احتجت إلى شيء، أي شيء، فريدك أن تتصل بالمسافة. للتصل سنيا بغريس. اعتقد أنها ممتنكة معك". لقد بدت المرأة اليائسة شديدة الاضطراب عندما ظهرت الغرفة. وفكر جيم سفيتر أن مولجيتها لحقيقة كونه قد يبقى عاجزاً لأكد سيكون أمراً صعباً عليها. "سأجعل غريس تتصل بها خلال أيام قليلة". لم يخبره بيل بأنه كان سيطلب من سنيا أن تعود مع الجنت إلى كوكينكوت. تكفي بأن نفهم أنه وتركه يقول ما يشاء. لقد كانا صديقين حميمين. ومنذ زمن بعيد، ولكنه لم يزد

أن يخبره بشأ الطلاق الآن. لقد كان الأول بكراً جداً. وما كان يريد أن يخبر أحداً قبل أن يخبر الجنت، وذلك بطبع الاحترام لهما.

نظر السيفر إلى ساعته عجبته، ثم إلى بيل، وقرر أن ينصرف لأنه لمضى وقتاً طويلاً كافية. لقد كانت غريس على حق. لقد بدا مضطرباً، وفرك يديه في غضون خمس دقائق. ولهاة رأى بيل أن ذلك العجوز الذي كان يبدو مثلاً وقد قبل أيام قضا، قد بدا له الآن مفعماً بالنشاط والحياة والفرحة، وذلك لأنه استطاع أن يهرب خارجاً من الغرفة اعتياداً على قوته الشخصية.

بعت الساعات تمر بشئ بعد ذلك. فلم يزل لوله، وجاء الطبيب الممتص في وقت متأخر من بعد ظهر ذلك اليوم. لم يسمع بيل من سنيا، ولكنه كان يتوقع أن تكون في فندق كلاريدج تلحق جرحها. لقد كان لا يزال على ثقة بأنه مهما كان الأمر مؤلماً فمن الأفضل أن يتصلا في نهاية المطاف.

لم يجد المختص في حالة بيل ما يشجع ليقوله أنه. فذكر ليزال الاحتمالات الممكنة من أسوأ الأحوال إلى أفضلها. فمن خلال صور الأشعة السينية التي رآها، والوشايق المتعلقة بفصائل الجراحية، رأى أنه من غير المحتمل أن يستعيد بيل القدرة على السير. قد يستعيد بعض الإحساس في النهاية، ولكن الصرور الذي أصاب عموده الفقري جعل من المرجح أكثر أنه سوف لن يستعيد القدرة الكاملة على تحريك رجله. وحتى لو أمكنه أن يشعر بهما في النهاية فإنه سوف لن يستطيع التواري على رجله. وقد يحتاج إلى تثبيت مساندات إلى جسده، ومع التدريب، قد يتمكن من استخدام عكازات وأن يجر ساقيه جراً، ولكنه كل يعتقد أن بيل سوف يتمكن من الحركة أكثر وبسهولة ويمر أكثر إذا ما استخدم حربة مذكوبة. كان هذا الخبر المر. أما الخبر السيئ فهو أن الأصابة إذا ما نطقت أكثر، إضافة إلى الصرور الذي أصاب ظفقه، فإنه لا يستطيع أي قدرة على الإحساس أبداً بنفسه السطلي. وقد بنشأ لديه التهاب مفاصل، وقد سبب ذلك فساداً في العظم، وإضافة إلى ما لديه الآن،

لأنه قد يعانى الألم طويلاً حيث أيضاً. ولكن، وإذا كان في التكاثر والخمسين من العمر، فإنه كان يعتقد أن بيل لديه فرصة طيبة في أن يسترد على الأقل بعض القدرة على استخدام ساقيه، حتى ولو لم يستطع إبدأ السير بشكل كامل من جديد. فكر الطبيب أن علق بيل سوف يستغرق مدة أشهر لكي يتشفى، وأن عملية إعادة التأهيل لساقيه سوف تستغرق سنة أو أكثر. ولكن هناك احتمال لإجراء عملية جراحية أو اثنين له، ولكنه كان يشعر أن لو قد هذه العمليات ستكون في الحد الأدنى، وأن المجازفة والمغامرة سوف تكون كبيرة جداً. فحين حاولوا أن يمسكوا ما بقي لديه الآن، فإن الأمر قد ينتهي به إلى شلل كامل من عنقه إلى أسفل قدميه، وحث بيل بقوة على ألا يقوم بهذه المجازفة. وحثه من أن بعض الجراحين قد يرغبون في إجراء تجريب عليه، ويخونه بتصينك لا يضمنون لها، ولكنه كان صريحاً في قوله أنه إن أي جراح سوف يعده بذلك سيكون لصق حتى يأخذ هذه المجازفة، وإذا أصغى بيل إليه، وفقه قرائي. لقد كانت الصورة التي رسمها له حيوية ولكن ليست سهلة، وكنت تحتاج إلى شجاعة هائلة لمواجهتها. لقد قال بيل صراحة أن عليه أن يعمل خلال المدة القادمة بكل جهده لكي يحقق بعض النجاح في استخدام ساقيه، وأن عليه أن يقوى القسم الطوي من جسده لكي يحمي به عن السقوط، ولم يترك من الجهد الذي سيخله من أجل تزيين عتقه. ولكن بمرور الوقت، وبشكل الجاد، شعر الطبيب بكل تأكيد أن بيل سيجري حياة جيدة، إذا ما كان مستعداً للتألم نفسياً مع القيود الذي حدثت له من جراء الحادثة. هذا بوضوح أنه لم يقرأ سداً ولكنه ليس نهاية العالم.

وعندها، وإذا كان يقرأ بسهولة ما يجول في ذهن بيل، لأجله على السؤال الذي كان بيل لا يزال خائفاً أن يطرحه. لقد كان وانضمأ له أن يسير مجدداً، وأنه سيشفى عقيداً إلى كرسي متوالب. ولكن لم تكن لديه أي فكرة عما يتعلق بحياته الجنسية، وما إذا كان يستطيع أن يعيش هكذا حياة. ولقد كان قلقاً جداً في سره بخصوص هذا الموضوع. لقد أوضح الطبيب عملياً وصراحة لي

هناك احتمال كبير في أن يستعيد بيل قدراته الجنسية وأن يكون قادراً على أن يحيا حياة طبيعية نسبياً، رغم أن الوقت كان سابقاً لأوانه حتى يستطيع أن يحدد ذلك. لقد لال بيل أنه من الصعب التكهّن بهذا الأمر. ولكنه كان متفكراً ومشجعاً له، ومهتماً بطمأنينة بيل وأراحة باله قدر استطاعته. وفي نهاية المطاف، سيتوجب على بيل أن يجرب ذلك، ولكنه لم يقدم في رحلة شغلته بما فيه الكفاية لذلك. بكتيه سوياً أنه قد ان يستطيع السير من جديد، ولكن الطبيب لم يكن يريد أن يبل في فقد الأمل كلياً فيما يتعلق بيبالي الأمور.

قال الطبيب وهو يبتسم له: "إذا تملت زوجتك بالصبر لبعض الوقت فإن الأمر سيبدو أن تتصن بشكل كبير". لم يقل له بيل أنه وخلال فترة وجيزة سوف لن يكون له زوجة، وما كان ليتصور أن يجرب محبة مع النساء التي سيحاول أن يخرج معهن. ولكنه، على الأكل، كان يريد أن يعرف هل سينجح أم لا. كان أن يقوم بتجربة جنسية. ولكن ما من أحد كان يستطيع أن يعد بذلك. لقد كان يتنفي عليه أن يتنظر ويرى للتألق، وهذا كان يعذبه كثيراً. لقد كان يخطط أنه بعد شغلته، وكمثل العادة، فإنه سوف ينضم في عمله بشكل كامل. بل وأكثر من ذي قبل، فهذا كل ما كان قد تبقى له.

بعد أن غادر الطبيب، استلقى بيل في سريريه وراح يفكر لوهلة. لقد كان مكتئباً بشدة. قد مرت به أحداث كثيرة خلال بسع الساعات القليلة الماضية، وكل يصعب عليه استيعاب كل شيء. لقد كان من الصعب عليه أن يحصر تذكره في احتمال أنه قد ان يستطيع أن يشي من جديد أبداً... ألا يسير من جديد أبداً... ظلت هذه الكلمات تتردد في ذهنه. ولكنه كان يعرف أن الأمر كثر من الممكن أن يكون لسوا من ذلك. لقد كان من المحتمل أن يكون مصاباً بشكل كامل، أو ميتاً، أو أن تسبب له الإصابة في رأسه تلفاً دائماً دائماً. ولكن ورغم إصابته برحمة الله التي عليه أن يكون مثقلاً لها، فإن فقدان رجولته بدا يعوقها جميعاً. وإذا استلقى في سريريه، فقد كان قلقاً ومكتئباً. وإذا راح يفكر بهذا الخصوص، جال فكره نحو إيزابيل من جديد. فاستلقى هناك

وأهضن عيده مفكراً في الوقت الذي أمضاه مع إيزابيل ذلك الأسبوع قبل المحدث. لقد كان يصعب عليه أن يتخيل أن ذلك كان قبل أربعة أيام فقط قبل أربعة أيام كان يرقص معها في نادي أبليل، ويشعر بها قريبة منه، ولما الآن فسوف لن يرقص على الإطلاق من جديد، وما إن الموت يرقص بجذليته حولها. لقد كان من غير الممكن له أن يصدق أنه قد لا يستطيع أن يتحدث إليها ثانية، أو ألا يسمع صوتها البتة، أو يرى وجهها الحبيب. وإذا راح يفكر بهذا ويكسل ما جرى له فتهزمت الدموع من عينيه. لقد كل ينكر بهاء والدموع تسيل على وجنتيه، عندما خطت الممرضة دأخلته غرفته. لقد كانت تطعم أن الطبيب الاختصاصي كان معه ولوقت طويل، ولأن الأنباء لم تكن سارة، وفكرت أنه قد يفتد شجاعته وعريته من جراء ذلك، فحاولت بلفظ أن تسري عنه. لقد كان رجلاً وصباً مليئاً بالحياة، وكفت تستطيع أن تدركه ماذا يعني بالنسبة له أن يصبح عاجزاً عن المشي. لقد كانت الممرضات تشعرون بأن الأمر سيأخذ هذا المنحى منذ اليوم الأول تقريباً. لقد كانت تستيقظ بالغة جداً.

هل تريد بعض مستكلفت للثام يا سيد روبنسون؟ سألته، فما نظر إليها. لا. أنا بخير. كيف حال السيدة فوربستر؟ هل من تغيير طراً على حالتها؟ لقد كان يسأل هذا السؤال كلما رأى إحداهن، وما كانت أي مدين تعرف هل الدفاع وراء اهتمامه هو إحصائه بالمسؤولية تجاه المحدث نوعاً ما لأنها كانت معه، أم هو حبه لها. لقد كان من الصعب معرفة ذلك. الوحيد الذي كان يعرف هو الممرضة التي كانت هناك عندما رار إيزابيل القليلة القليلة، وكانت قد أقيمت للطبيب أنها سوف لن تنكوه بكلمة مما سمعت.

إنها على نفس الحال تقريباً. لقد كان زوجها هذا قبل طليعة، وقد غفر لئسوه. اعتقد أنه سيغادر إلى باريس لبعثمة أيام. فليس لديه ما يمكنه أن يفعله هنا. اللهم ما عدا أن يكون معها ويتحدث إليها، ويلتص منها أن تعود. كره بيل هوردون عندما فكر به. فقد كان بارد المشاعر، وفتناً معها. وهذا غطرت

في ذهنه فكرة. فإن غادر هوردون المنحى سيكون بمقتوره عندئذ أن يزورها من جديد، ونكر ذلك للممرضة. لقد كانت تعرف أنه ذهب إلى غرفتها ليلة أمس كي يراها، وأن طليعهما المشترك سمح له بذلك، ولكنها ما كانت تعرف ما سيكون رايه إذا ما طلب بيل ذلك من جديد. ولكن عندما رأته للظفرة التي تجت في عينيه، لمكها أن ترى أي يوم قابل قد مرّ به، وكم أثر ذلك عليه، فتماطلت معه.

سأري ما يمكنني فعله. قالت له، وتوافرت عن دأخلويه. وعادت بعد خمس دقائق مع حلجين حرراً لراميل سريريه، ودعا به ببطء نحو الباب. لقد توجب عليها أن تلفف بعض أجهزة قمرائية، ولكنه كان على حال جيدة الآن يمكنه معها أن يستغنى عنها لولة، وكانت تعرف كم كان مسمماً على أن يصر تلك الرذمة فيري إيزابيل.

لمسكت ممرضتها بالباب وألقته مفتوحاً من أجل أن يدخلوا، ودفع للحاجبين عجالت سريريه بلفظ حير الرذمة إلى دأخل للخرقة، ووضعاه إلى جوار سريرها. كانت الستائر في غرفتها مسدولة، وكان جهاز التنفس الاصطناعي يصدر صوته المألوف الذي يشبه إلى حد بعيد صوت هبوب الرياح، في حين تراجت الممرضات إلى ركن الغرفة ليمسحوا لهما بالبقاء على انفراد. استدار بيل نحوها بكثر ما سستاع، وكان هذا محدوداً جداً، ولمسك أصابعها بيده من جديد، كما سبق ولعل لليلة السابقة.

هذا أنا يا إيزابيل... يجب أن تستلقي يا حبيبتي. يجب أن تعودتي. تسدي يحتاج إليك، وأنا أيضاً. أحتاج لأن أتكلم إليك، لقد اشتقت لك كثيراً. وسألت الممرع على وجنتيه بغزارة وهو يتحدث إليها، وبعد قليل، اهتراء فصمت وقد استلقى مسمماً بيدها. وكانت الممرضات على وشك أن تآخرها إعادته إلى غرفته، وقد استلقى بدهوه في سريريه إلى جوارها، وبدأ في سلام بشكل غريب. لقد بدا وكأنه على وشك أن يفتر، عندما فتح الباب، ووقف فيه هوردون فوربستر وهو ينظر حوله في أرجاء الغرفة. أبلغت الممرضات،

وخرج الحلاجيان، بينما راح غوردون ينكم إلى ممرضة زوجته بمدة.

لو سمحت أعدي السيد روبنسون إلى غرفته في الحال. كان هذا كل ما قلته، وأما بيل فلم يقل شيئاً بينما دفع الحلاجيان جهات ممريره خارجين به من الغرفة. لم يكن أحد عاجزاً عن فهم ما كان يجري هناك، أو السبب الذي دفعه لئلا يسيء إليها، وفي حين مرّ بيل بممريره بمحاذاة غوردون، شعر بيل برعشة خوف، فلقد كان مؤكداً أن غوردون سوف يصر على ألا يسمح لبيل بزيارتها ثانية. ولكن بما أنه سيغادر عاجلاً إلى باريس، فإن بيل سوف يجد طريقة لئلا يزيورها مرة أخرى. وإذا استلقى في غرفته يفكر في الأمر وكيف بدت إيزابيل وكفى لا حياة فيها، دخل غوردون فورستر إلى غرفته.

إذا وجنتك في غرفتها مرة أخرى يا روبنسون، أو سمحت لك كنت هكذا، فليس أسوأ من هذا المشفى. هل هذا واضح؟ كان يهتز من الحلق، وكان وجهه شامخاً. قد كان بيل ينتهك حرمة ممتلكته، وهو أن يتساهل معه في ذلك. فينظره كانت إيزابيل ملكاً له، وسوف أن يسمح لبيل بأن يشكل أن يقترب منها لئلا كانت العلاقة بينهما. فهي كانت تحسه.

كلامه هذا لا يؤثر البتة يا سيد فورستر. قال بيل في هدوء، وهو ينظر في عينه مباشرة وبشدة. وأعتقد في الصغير متفهم سيكون له رأي في نقلني من هنا. ولكني لا أريد أن أدخله في مشكلتي. أنا وإيزابيل استقاء، وعند زمن بعيد. وهي لم تفعل ما يستوجب استيائك، وإني أؤكد لك ذلك. اللهم ما هذا سبلة واحدة لك القيلة في السلاوة، ولكن غوردون لم يعرف بذلك، فقد كسبت بينهما فقط. إني مهتم لأمرها. أنت رجل محظوظ فهي امرأة رائعة. وإني لأريدها أن تدجو بمقدار ما تريد أنت ذلك، بل ربما أكثر. نودي يحتاج إليها، حتى أكثر مني. فإذا كان الحديث إليها، أو أن تكون معها، أو على الأقل أن أرحب لها في الحولة بدافع انساني بها، إذا كان هذا سيساعدها الآن، فهذا سأنهيه لها على الأقل.

تبق بعيداً عنها. لقد فعلت ما فيه القليلة. لقد كنت تتسبب في موتها

مطعم. ماذا كنتما تفعلان أنكما تفعلان خارجاً في تلك الساعة من الليل؟ ألم تكن لديكما فكرة عن كيف سيبدو الأمر عليه؟ لم سمحتما لمصور فضحك أن يلتقط لكما صورة، جاعلين من أنفسكما ومشي لأشعركة. هل اعتنقتما لكما متجهون بلستكما. يبدو أنكما لم تلجعا في ذلك. والآن إن أفضل ما يمكنك أن تفعله هو أن تبقى بعيداً عن غرفتها، وعن حقاها. لهذا في حاجة إلى لمبة سيبك.

أنت سبب لك أية فضائح. قال بيل منعلاً.

أنت وثاقاً من ذلك. وعلى جميع الأحوال، فإني أملك من دخول غرفتها. هل هذا واضح؟

أما تكرهها إلى كل هذا حد؟ سأل بيل غوردون الذي كان يصل إلى الباب، فاستدار غوردون بهيرة وبهذه لدى سماعه هذه الكلمات.

أنت مخوف؟ أنا لا أكرهها. فهي زوجتي. ولماذا تعتقد إذاً أنني هذا؟

هل لديك خيار آخر؟ هل كنت تستطيع ألا تأتي، وأن تستمر في الإدعاء بأنك تهتم لأمرها؟ بالكاد. كلانا نعرف لماذا أنت هذا. أنت هذا بدافع المظاهر، وإلا فليس لديك حل آخر بدول. أنت مسؤول عنها. ولكنك لا تهتم بها يا فورستر ولم تهتم بها أبداً.

أنت نذل حقير. صرخ غوردون في وجهه، ثم سار خارجاً من الغرفة. ولكنه ما انفك يتسائل إذا ما كانت إيزابيل قد قالت له بأن زوجها يكرهها، ويتسائل كم كان بيل يعرف من شؤونها العائلية. لقد بدا لغوردون أن بيل كان يعرف الشيء الكثير.

كل بيل لا يزال يفكر بالحدث الذي شهداه عندما عانت سونيا والبلدت لرويسة بعد ظهر ذلك اليوم. لقد كانت اللتان قد ذهبتا إلى سوق السلع المستعملة واشرتا كومة من الأفراس السخيلة التي كانتا تعبثانها، وأما سونيا فقد ذهبت في لرحلة طويلة وهي تفكر في الأمور. لقد فكرت في كل ما كان قد قلته. ولكن لم يتكرر أي منهما شيئاً من ذلك، أو عن إجراءات القلبية، ألام

البنين. لقد كان كل ذلك سابقاً لأوقته. مكثت الفتاتان هناك حتى موعد العشاء، ولمسته أوليفيا بالداخلة. لقد حاول أن يكلل نفسه، ولكن مع السداد المزعج المثبت إلى حلقه بعثر طعامه في كل مكان وخاصةً الحساء.

"ماذا قال الطبيب؟ سألته ستيفيا بهدوء قبل أن يفلتون.

"قال لي أنه من الأفضل لك أن تخرجي من حباتي". هس لها، وبنت من جديد على وشك البكاء. "أنا أرحم فقد. قال إنه يمكنني أن أستخدم بعض للفرقة على تحريك ساقتي مع بذل الجهد الكبير. إنه تحد شيق. فمن يعلم؟ قد يستطيعون اجترار معجزة ويعملاني على السرا". كان لا يزال يريد أن يعتقد هكذا رغم أن هذا الأمر كان غير مؤكد، بحسب قول الطبيب. سوف تبدأ العلاج وإعادة التأهيل بشكل جدي خلال ثلاثة أسابيع. إنهم يريدون أن يحصلوا كل شيء مهلة أكثر للشعاع قبل أن يبدأوا إعادة التأهيل.

"يمكنك أن تكون في المنزل لأجل ذلك". قالت في هدوء. لقد كانت لا تزال تشعر بوحدة القفول الذي اتخذته، وكانت ترجو أن يكون مرور الوقت.

"ربما. سنرى". قال لها جازماً. لم يُرد أن يقول الكثير أمام الفيلت.

"وماذا هناك؟ متى تكون الذهاب إلى المنزل؟ هل فكرت في ذلك؟" سألها بيل وهو يبدو لطيفاً لبقاً. لقد كانت فترة بعد ظهر قاسية بالنسبة له.

تريد البنات أن تبقى لهذا الأسبوع. وفكرت إلى حد كبير معها باريس خلال بضعة أيام، إذا كانت على ما يرام، ثم أهدت لروني. كانت لا تزال تأمل بأن يغير قلبه بعد كل ما قاله، ولكنه كان حازماً جازماً في مهمة صوته. لم يشعر بالأسف على ما قاله. لقد كان يعرف أنه يعمل الصواب لكليهما.

"لا. لا ترجعي". قال لها بلطف، "سأكون بخير. عليك أن تعودي أدريك مع الفيلت. أحرف لي لديك مخططات انتهى لزيارة والديك في مين". لقد كانت قد اتخذت قرارها ألا تعود إلى أوروبا من جديد، وبعد مين، سوف

تذهب مباشرة إلى هامبتون. "سأكون في الولايات المتحدة في القريب الجليل". لقد كان لديه الكثير ليقطعه. وإذا ما عاد فإنه سيتوجب عليه أن يجد مركز إعادة التأهيل حيث يمكنه فيه للفرقة، ثم يحتاج لأن يجد له شقة وينقل من منزله. ولكن كان الأولون بالكرأ على كل ذلك الآن. وأول شيء، سيتوجب عليهما أن يخبرا الفيلت عن قرارهما. لم يكن يتشوق لذلك، وكان يريد أن يخبرهما عن ذلك في حضورها، وهكذا ففهم الفتاتان أنه وسنثيا سيبقين صديقتين. لقد كان الأمر بهمه كثيراً، وسوف يجمعون هن أيضاً في نهاية المطاف. لقد كان متيقناً من ذلك.

كانت سنثيا والفتاتان إلى الفندق ليتناولوا طعام العشاء، واستلقى في غرفة بهو. طوال الليل، كل ليود لو يرى إيزابيل مرة أخرى، ولكنه لم يُرد أن يحدث. كان يريد عفاها في حال أن يكون غوزدون لا يزال في القلعة، ومن ناحية أخرى، لم يكن يرغب في إفساد حياته. لقد كان يوماً صعباً عليه. قيل له أنه على الأرجح أن يمضي ثمانية، وأنه قد يمارس الجنس لكافة أحياناً رغم أن هذا غير مؤكد. وكان قد رأى إيزابيل، وشن معركة مع زوجها، وأخير ستيفيا عن رغبته في الطلاق. لقد كان كل ذلك شديد الوطأة عليه إضافة إلى الحفلة التي أدت إلى إدخال تحديات هائلة على حياتهم لا يمكن تغييرها أبداً.

الفصل السابع

هناك هوردون فورستر لندن متوجهاً إلى باريس بكرة صباح يوم الاثنين. كان قد اتصل بالمشفى قبل رحيله، وقيل له أن ما من تغير يذكر قد طرأ، فغادر مطلقاً إلى المطار. لقد كان يحمل معه أغراض يزيل التي كانت قد تركتها في غرفة الفندق. لم يكن ثمة داع لأن يترك لها أي شيء في المشفى، في نظره. في الحالة التي كانت عليها، لم تكن في حاجة إلى شيء. وإذا كان بطور فوق القتل الإنكليزي، أتركه أنه لم يعرف شيئاً جديداً أكثر مما كان يعرفه عندما جاء. فلم يكن لدى الأطباء بعد فكرة عما إذا كانت ستعيش أو تموت. لقد بدت أحضارها الداخلية تتماثل للقضاء ببطء، ولكن كان هناك قلق كبير بخصوص قلبها وورتيها، وسوف يستغرق كدهما وقتاً طويلاً كي يشفى. والضربة التي تلقاها على رأسها، رغم أنها لم تكن خطيرة من بقى الإصابات، إلا أنها كانت تقيها في حالة غيبوبة عميقة. لقد كانوا يستقرون ألامها لكي يحلوا لإصابتها فرصة للشفاء. ولكن ما كان يمكن الجزم بعد فوما إذا كانت ستستيقظ أم لا، أو فوما إذا كانت ستتموت، أو أن تبقى في غيبوبة إلى الأبد. كان لا يزال ثمة أسئلة كثيرة بعد، ولم يكن لدى أي أحد الإجابة عليها. لقد كانت بارقة أمل أنها لا تزال على قيد الحياة بعد القضاء خمسة أيام على الحادث، وبالتأكيد كان لكل يوم أميته. ولكنها كانت لا تزال في حالة خطيرة حرجية للغاية. وأترك هوردون، عندما حلت الطائرة في مطار شارل دي غول في باريس، أنه ما عاد مفقوداً أن يوجد إعلام الأولاد بالأمر. لقد كان ينتظر من يوم إلى آخر أملاً بعض التصبر، ولكن لم يكن هناك أي شيء من هذا القبيل. وبدأ من الضمير أن يتردد أكثر من ذلك. فصور في كانت كبيرة بما يكفي لتعرف الحقيقة، بأنها قد تفتت والقضاء وسواء كان مريضاً أم لا، فإن على عدي أن يولجج الأمر

ليبدأ. وكان غوردون وفقاً من أن صوفي سوف تكون تزوية له إلى حد ما. لقد كسان بلوي لم ينتظر إلى أن تعود صوفي من البريتال لكي يغير تفدي، وهكذا يمكنها أن تتذكر أمر شقيقها. ما كان غوردون ليهب هكذا مشهد، أو ليطرح في هكذا وضع، وبخاصة أنه ليست لديه علاقة تذكر ببلوي.

وضع غوردون حقيقته وإزرايل في سيارة أجرة في روسي، وراح يفكر من جديد ببلوي ورويسون والمواجهة المزعجة التي كانت بينهما. كان لا يزال متضيقاً من جراحة وعجرفة سواي بلوي له عن سبب كرهه لإيزرايل.

لقد طرأ في ذهنه احتمال أكثر حقه، ولكنه لم يكن يستطيع أن يمنع نفسه من التساؤل فيما إذا كانت إيزرايل قد قالت له ذلك. لم يكن يكره زوجته. كل ما هنالك هو أنه فعدها في فوضى ولعبة المني بعد ولادة تيدي. لم بعد يستطيع أن يفصلها في ذهنه عن مشاعر الرعب التي أصابته من غرفة المرحسى، وكل ما كانت تجده بالنسبة له. ففي نظره، هي لم تدرك وجهه بل ممرضة تيدي وحسب.

وتسائل عما إذا كان تفكيرها في أنه يكرهها كان مبرراً لها لإقناعه تلك العلاقة الغرامية التي كان يتخوض وجودها بهما وبين بلوي، أو على الأقل ذلك الغزل الذي كس بينهما. إذا كانا قد دعيا معاً إلى بلوي ليليل كما قالت المسطح، وكما أوضحت الصورة، فمن المؤكد أن علاقتهما لم تكن بتلك السراية التي أوحى بها بلوي ورويسون. كان لا يزال ثمة ألف سؤال في ذهن غوردون حول هذه العلاقة، ولكن ما لم تثبت إيزرايل، كان يدرك أنه لن يعرف أبداً الأجابات عليها. ففإنه سوف لن يجره بلوي ورويسون أي شيء. هذا ما أزعج غوردون بشكل أساسي، ولكنه في الواقع لم يفكر بها منذ سنين من الفاشية الرومانسية العاطفية أو الجنسية.

كان قد ترك غوردون تعليمات في مكتب الاستقبال في المبنى عند مغادرته له، وهذه تضمنت عدم السماح لبلوي بأن يزورها في غرفتها مرة

أخرى، وكثرت الممرضة هذه التعليمات جميعها بشكل رسمي، ولكن كان بنات غوردون شعراً مزعجاً بأن ما من رغبة من رغبته سوف تكف. لقد بدأ وكان لديهم تعاملات شديداً نحو بلوي، وليس لديهم أي مقدار منه نحو غوردون، فلهذا حسن الاحترام والإعجاب الكبيرين نحو بلوي ورويسون الذي كان شخصاً مهماً جداً.

عندما غادر غوردون المطار، توجه مباشرة إلى المكتب وأجرى عدة اتصالات هاتفية. وشرح الوضع لسكرتيرته، وهذا ما لم يفعله قبلاً. ولم تقل له إنها رأت صورة إيزرايل في الإنترنتشوبال ميرالد تريبيون. لقد كانت تعرف أكثر منه عن الحادث. ولزولاً عند رغبته، فقد ظهر ذلك اليوم، أعطته رسم هلف صوفي في البريتال. لقد كانت إيزرايل قد تركته معها عندما غادرت إلى لندن، وذلك للعودة إليه إذا أزم الأمر.

كشفت صوفي تعيم في منزل تستأجره مع لستفانيا في سينفراء وكانت خارج الطريق آنذاك، ولم يستطع غوردون والحالة هذه إلا أن يتركها لها رسالة. فحاولت الاتصال به الساعة الخامسة وكل على وشك أن يتأخر المكتب. فأخذ نصاً صديقاً وهو يلتصق ساعة الهاتف، ولجميع أفكاره لستفانيا لإخبارها بالحدث.

سألته مبتحجة: كيف الأحوال في لندن؟ هل كنتما ولقاءاً ممتعاً أنت ومها؟

تلى لك أن تعرفي أنني ذهبت إلى لندن؟ فهو لم يجبر أحداً ما هذا تيدي وممرضة.

لقد قصت بالملل في نهاية الأسبوع، وتحدثت إلى تيدي. أم بجره؟

تم أره بعد. لقد جئت من المطار إلى المكتب مباشرة هذا الصباح. فل غوردون بربطه جالس. لقد كان يمد الحديث ويبحث عن الكلمات المناسبة.

تُفصل بالمنزل إذاً، فأريد أن أَسأل ماذا عن شيء؟.

فقال بالتصعب: "هي لا تستطيع أن تتحدث إليك". لقد كانت هذه الفتاة التي يخافها. لقد كان الحادث كابوساً بالقضية إليه لم يستطع أن يستيقظ منه بل حتى كان مضطراً لإشغال أولاده معه إليه.

لم لا؟ هل هي في الخارج؟.

لا، إن أمك في لندن.

"هذا طريف. هل بقيت هناك؟ لقد كان من غير المحتمل أن تتركها ولديها، على الأقل وحدها ولست أَلِم. لقد كانت صوفي تعلم أن والدتها ذهبت إلى لندن يوم الثلاثاء. متى ستعود؟ سألتها وهي تبدو في حالة من الاضطراب والحيرة.

"لا أعلم بمقدار. وأخذت نفساً حقيقاً ثم دخلت في الموضوع مباشرة. يا صوفي. إن أمك تعرضت لحادث. ساد صمت مطبق على الطرف الآخر من الهاتف، بينما راحلت تنتظر، وكل قلبها يخفق بشدة. لقد كان هناك ما يخيف نظراً إلى الطريقة التي نزل بها قلباً. واستأنف كلامه فقال: "إنه حادثٌ مريع للغاية. وأعتقد أن عليك المجيء إلى المنزل".

"ماذا حدث؟ هل هي على ما يُرام؟ لقد كانت مفلووعة الألفاس، وبالكاد استطاعت أن تتطرق للكلمات.

لقد كانت تركب سيارة اصطدمت بحافلة. لم يكن باستطاعته الآن إلا ذكر التفاصيل. إنها في حالة غيبوبة ولا يعرفون ما سيجتث لها. لقد تعرضت لإصابات داخلية خطيرة جداً. ولا لا تنجو. يؤسفني أن أخبرك بذلك على الهاتف، ولكنني أريدك أن تفرحي بالترتيبات لتعدي إلى باريس بأسرع ما في وسعك. على الرغم من مشاعره نحو صوفي وما يذيعه نحو إيزابيل، فقد بدا في حديثه وكأنه يرغب لقاء عمل. لقد كان غورديون يفعل كل ما أمكنه أولاً يشمر بكم أبنائه. فما كان يسمح لنفسه بالاتصال في المشاعر والحواليف خاصة المولمة.

"يا إلهي... يا إلهي... بدت صوفي على وشك السقوط في حالة هستيريا، وهذا كان بخلاف طبيعتها. فقد كانت في العادة باردة المشاعر وهادئة وعقلانية وغير عاطفية نسبياً، مثل والدها. ولكن ما قاله لها لتؤذ لائق لسوا كريبسيها، أطول حواشي كانت على استعداد لتقبل فكرة فقدان شقيقها، ولكن ليس والدتها التي كانت تحبها بمقدار أكبر مما تسمح لنفسها بالاعتراف به. كان هذا ليعد ما يكون عن فكرها عندما تُفصل بها والدها. يا إلهي، يا أباه، هل تعتقد أنها ستوت؟ وأمكنته أن يسمع صوفي تبكي، ولولاه لم يدر ما يقول.

"هذا ممكن". قال ذلك وقد بدا غير مرتاح بينما كان يجلس إلى مكتبه يحقق في القضية. لقد كان يستعد في ذهنه تكري موت والدته، ويحاول جهده ليعاد شبح هذه الفكريات منه. إنها بادرة أمل أن تكون لا تزال على قيد الحياة، ولكنها في حالة حرجة خطيرة جداً وليس ثمة تحسن في حالتها. قال لها صغفناً في حين راحلت صوفي تبكي بحدّة أكثر، ولم تستطع أن تترقب عن التشجيع بينما كان ينتظر، ولم يستطع أن يفكر بما يمكن أن يقوله ليطمئنها. فلم يزد أن يكتب أو أن يزرع لماً وهرة في نفسها، والحقيقة هي أن إيزابيل كان من الممكن أن تصوت في أي لحظة. يتوجب على صوفي أن تواجه ذلك، وكذلك الأمر بالدسبة إلى تيدي.

وهذا سألتها معززة عن مخلوقها: "هل تعرف تيدي؟" لقد كان يبدو على ما يرام في نهاية الأسبوع، ولم يسبق له أن كتب عليها من قبل. ما كانت صوفي لتفصل أن يخبرها تيدي عنها هذا الأمر سراً، لو أن يذبح الإتهام والسرور عندما كانت تتحدث إليه على الهاتف.

"لا، لا أعلم. أريد أن أقتطع حتى تأتي إلى المنزل كي أطمعه. أعتقد أن عليك أن تخفي الخط الآن وأن تسلمي بترتيب أمر عودتك إلى هنا. هل ثمة أحد هناك يمكنه أن يساعدك في ذلك؟.

"لا أعرف". قالت ذلك وهي مرتبكة مضطربة. أريد أن أذهب إلى لندن

لأرى ماما. لقد بدت وكأنها حطلة في الخامسة من الصبح، وفجأة شعرت وكأنها
بنجمة.

أريدك أن تأتي إلى هنا أولاً. قال لها بحزم. لقد كان يريد أن يكون
معه عندما سيخبر ندي بالأمس. ما كان يريد تحمل ذلك العبء وحده.

نعماً، قالت له وهي لا تزال تكي دون أن تستطيع تمسك نفسها.

تفضل بي عندما تعرفين بموعد وصولك إلى هنا، سوف أبحث عن
أرسله إليك إن أمكن. لم يكن ليكتف نفسه هذا لقاء حتى في ظل ظروف كهذه.
أن يكون بلود المواصلات ومتعباً كان من طبيعته. حتى أنه ليس بمفخور أن
كان، حتى ابنته، أن يفترق الجدران التي يخلق بها عواطفه، ولكنها كانت
تعرف طبعه هنا دائماً. كانوا جميعاً يتركون ذلك، حتى هي التي كانت الأقرب
إليه.

سأحاول أن أتى إلى المنزل هذه الليلة. قالت له وهي تبدو داهلة. لقد
كانت على بعد مائة ميل من تشونغتشينغ⁽¹⁾، ولكن ربما تستطيع أن تتحجز على
طائرة تعابر على مكتبها إذا ما سرعت. وإلا، سيتوجب عليها الانتظار حتى
الصباح التالي.

أغلقت السماعة بعد دقيقة، وأوصل السائق غوردون إلى منزله. وكانت
هذه أول مرة يرى فيها ندي بعد أربعة أيام، وبدأ الغلام في محاولة عاقلة،
ولكنه سأل عن أمه في اللحظة التي رأى فيها غوردون في حوزته.

ليس ماما؟ هل هي في الطابق الأسفل؟ وضعت عيناه على يدها
ليراها.

لا، ليست هنا. قال غوردون بشكل مبهم غامض، وهو يحاول أن
يصرف انتباهه عن السؤال عنها بأن يبدو صارماً متجهماً. أعاد أن صوفي
متعود الليلة من البرهان.

(1) تشونغتشينغ (Chongqing): عاصمة البرهان وكبرى مدنها.

أخيراً؟ وبدأ الطفل متدهشاً، ولكن نوح غوردون في أن يجمعه بهذين
الموضوع على ما يبدو، لومة على الألف.

لقد قالت ماما أن صوفي سوف تطلب لموعين. غلاماً يتعود مبكرة
هكذا؟ سألها لأنها لم تذكر أنه ذلك على الهاتف يوم السبت، وشعر بالفضيحة
أن ثمة عيب ما. وبعد ذلك وكمثل كلب يعود إلى العظمة، عاد ندي إلى
السؤال نفسه من جديد: "أين أمي؟" ولم يجد غوردون على إخباره بأنها لا
تزال في لينين، صوب يعرف أن في الأمر خطأ ما. قد كان ندي يروع
الذكاء وصلياً. فتوته الحقيقة مطلوبة. كل ما كان يجرؤ غوردون هو أن
تأتي صوفي إلى المنزل عاجلاً كي تساعده في نقل الخبر إلى صوفي.

تشارك بصحيفة. قال غوردون دون أن يجهه على سؤاله. "طبي لن
أكون يمسر الاتصالات الهاتفية". وبهذا غادر حرفة ندي وأحتق. ولكن كان
من الواضح أن ندي كان قلقاً. لقد بدأ غوردون متجهماً علباً وهو يخطو عبر
الروحة إلى حرفته.

أين أمي؟ سمعه غوردون يسأل الممرضة بينما كان يخلق الباب. سوف
تكون ليلة طويلة حتى تصل صوفي إلى المنزل. لقد قرر أن يحل المشكلة بأن
يقضي في الطابق السفلي، في المكتبة، وصنع بعد ساعة د رفع نظره ورأى
ندي يدخل في حوالة إلى الغرفة. لقد أسر على النزول إلى الطابق السفلي
بنفسه، ولم تستطع الممرضة أن تردعه عن ذلك. لقد بدأ قلقاً وشاكياً للضحية.

لا بد أن لمرأ قد حدث. قال ندي بهدوء وهو يستند إلى كرسيه مقطوع
الأنفاس ويظهر إلى عيني والده بشكل مباشر. كان غوردون طوال حياته
رافعاً له منصرفاً عنه، ولكن هذه المرة أن يستطيع بدأ أن يخلص منه. لقد
كانت في عيونه نظرة تصميم كثرت غوردون بليراهل، لم يسبق له بدأ أن
رأى نظرة ندي هذه. ولأول مرة لاحظ أن ندي ما عاد يبدو مثل طفل. أريد
أن أعرف أين أمي. قال وهو يجلس. لقد كان مستعداً للانتظار الجواب طويلاً
لأنه إذا لم الأمر. وليس في إمكانهم خلاف ذلك إلا أن يجرؤ أو يصره.

خارجاً من الغرفة.

لقد بدا غوردون سائطاً وهو يحاول أن يغطي الخوف الذي يشعر به. لقد كان العلام يفقه دائماً الشعور بالراحة. لقد كان ضحيماً طويلاً لحد سهل المكسور، أما الآن فكان يبدو أفضل حالاً مما كان منذ مدة طويلة. قبل ستة أشهر ما كان يستطيع النزول إلى الطابق الأسفل. ولكن لم يكن بإمكان غوردون أن يتحاشاه الآن.

تهدد غوردون وقال: "إن أمك في لندن". قال له بلهجة غامضة الصديق، وكفى برجو ألا تضللنا قول المزيد. ولكن ما كان بإمكانه التهرب وقد التفت عيناه بعيني أباه.

لماذا؟

لقد ذهبت إلى هناك كي ترى معرضاً فنياً. قال غوردون وهو يشجع بلطافة جانبياً محاولاً أن يتفهمه لأن يولد بالصمت.

أعرب ذلك. وكان ذلك منذ ستة أيام. فلماذا لم ترجع معاً؟ وهذا رفع غوردون عليه وشعر وكأنه يرى ابنه لأول مرة في حياته. لقد أفسس الصديق محاولاً إقصاءه عنه ومقاومته، وأما الآن فكان عاجزاً عن تقليد نظرة تيدي الثانية.

لقد كان طفلاً جميلاً، ولكن كانت تسير الأمور معه على غير ما يرام دئماً. وكانت عاهاته وعجزه تخوف والده. وأما الآن، ورغم نفسه، فإن رؤية نظرة العذاب في عيني تيدي قد مكنت غوردون. وما عاد يستطيع تأجيل إيقاعه بالحقيقة، ولكنه ما كان يريد أن يتصل بمسؤولية تدهور صحته من جراء سماعه هذا الأخير. فوجود تيدي بدا على الدوام محققاً على طرف خفي. وما كب غوردون يريد أن يكون هو الشخص الذي يقطع خيط حبله بنقل هذا الخبر الكارثي من أمه التي كان يعيدها.

لقد تعرضت لحادث. قال غوردون بصوت خفيض، وأمكنه أن يسمع تيدي يلتقط أنفاسه، دون أن يطر إليه. لم يكن ليتصل رؤية النظرة التي

سألاحظها في عيني ابنه.

"هل هي بخير؟" قال تيدي بصوت يشبه الهسهس. لقد عرف التوه إلى أمراً ما قد حدث، ولكن كان يترقب بخوف ما سيوقله والده.

"سوف تكون على ما يرام، حتى ما أرجو. لا نطمح بعد، إنها مريضة جداً، ويؤسفني أن أغيرك بذلك". قال غوردون بلهجة جافة، ولكن على الأكل لم يملك تيدي. لقد جلس هناك يتنفس بخير ويرقب والده منتظراً المزيد لأخبره به.

"سوف لن تتركها تموت". قال هلساً، وكان غوردون يشع بعذرات تهمته يحوّل دون ذلك.

ليس الأمر ببدي. أنت تعلم لي لا أريد لها السوء". ولكن النظرة في عيني تيدي كانت تقول الكثير. لقد كان يعلم تمام العلم بالتماسة التي تعيشها والتمسه رغم أنها لم توضح له ذلك أبداً. وكانت هذه هي المرة الثانية خلال يومين التي يتهم أحدهم فيها غوردون بأنه لم يكن لطيفاً في معاملته لإيزابيل. وما كان غوردون ليعطيك هذا الاتهام.

"لماذا هو السبب الذي يجعل صوفي تعود الآن إلى المنزل؟" سأل تيدي، ولوماً غوردون برأسه. لقد كان يجلس في الطرف الآخر من الغرفة قبالة العسبي. ولم يخطر له أبداً أن يجترأ بضع خطوات مبراً نحوه وأن يعاقبه بنزاعه. لقد كان من غير المألوف بالنسبة له أن يفعل ذلك، خلافاً لإيزابيل، التي كانت لتضخم تيدي إلى صدرها بقوة لو كان غوردون هو الذي تعرض للحادثة بدلاً منها. وحتى غوردون كان يعرف ذلك. "أريد أن أذهب إلى لندن مع صوفي أو معاً". قال تيدي بنظرة كلها عزيمة وتصميم. كمن سيعود زيارتها؟ لقد كان متأكداً أنه سيعود لذلك. فب كل طريق فكرة أن تكون والدته هناك وحدها.

"لا أطمح". قال غوردون صادقاً. لقد ارتأيت أن تني إلى العزل من أجله. لم يؤيده تيدي على ما قاله. كان لا يزال يحاول أن يستوعب وبهم ما

أخبره به رائد للثر. كان غرودون مذهلاً ومتأثراً أن الصبي لم يكن يبيكي. لقد كان يدي كثير شجاعة مما كان قد اعتقد.
"أريد أن أتحدث إليهما. ألا نستطيع أن نتصل بهما الآن؟" سألته تيدي، ومن وادعه رأسه دلالة الخفي.

"لا. لا نستطيع. فهي غائبة عن الوعي منذ الحادث. إنها في حالة غيبوبة من أثر ضربة تلقاها على رأسها".

"آه. قال تيدي فجأة وهو يتفحصها مصابة بشكل كبير على ذلك النحو، وبدأ بالتيكاه في نهاية الأمر. فقد كان لهذه الصدمة وقع كبير في نفسه. "أريد أن أذهب الآن". قال وهو في حالة انزعاج شديد.

"سوف لن تعرف أنك هناك". قال له غرودون بطريقة صليبة. "وسوف لن يكون هذا في صالحك. كنت قريباً بما فيه الكفاية لتكلم عبثاً هذه الرحلة". قصد كان هذا واقع حياة تيدي ولا يمكن التفاوضي معه رغم مدى مرضه وقلته أو سوء حالته. فلم يكن السفر إلى لندن خياراً مثلاً أمام تيدي.

"بل لنا قري كلفة". قال تيدي بحلق وهو يسمح عينيه بشجاعة. "إنهما يحتاج إليهما في المستشفى لنكون إلى جانبهما. فهي على قنولم إلى جانبتي. فلا يمكننا أن نتركها وحدها يا بابا. لا يمكن أن نعملها هكذا". ومن جديد بدا كالمطل وقد عاد للتيكاه وهو يمشي بالهلس والجزر.

"دعنا نفكر في أن نتصل صوفي إلى المنزل". قال غرودون وقد بدا متعباً. "ماذا لا نصعد إلى الطابق الأعلى ونسبرج؟ فليس هذا جيد من أجلك". قال له ذلك ولكنه بالغ رائد ولكن تيدي لم يهتم. كل ما كان يريد الآن هو أن يكون بجانب والفته، وما من شيء كان يمكن أن يمنعه من ذلك. لقد كان لا يزال يهتف في هذا الموضوع وهو يسير إلى المصعد الصغير الذي كانوا قد أتوه له إلى جانب السلام. لقد كان ذلك منذ سنين. وإذا استلقى تيدي على سريرته يستحدث إلى الممرضة عندما عاد إلى غرفته، كانت حواء متسكتين. لم يستطع أن يتوقف عن الحديث، وبعد المشاء أخذت الممرضة

درجة حرارته وكلل لديه حمى. لقد فوج كثيرأ وكان هذا خطراً عليه. لقد كان هذا بالضبط رد الفعل الذي كان غرودون يتوقعه منه عندما يسمع للبا.

كل تسدي لا يزال مستوفضاً متسع الحفنتين عندما وصلت صوفي في وقت متأخر الليلة. لقد تهربت أرمها فلمن برحلة طويران الساعة الثالثة، ووصلت إلى باريس في منتصف الليل.

كان غرودون في انتظارها، والوقت به في اليوم الأماني عندما سمع صوت السيارة في الخارج. انطلقت بسرعة لترتمي على ذراعيه ما ل لمسته وبذلت بالتيكاه.

"آه يا بابا... أرجوك لا تدعها تموت... لم يسبق له أبداً أن راحا متناة هكذا، وكل يفهم السبب، وحالها هدأت قليلاً سمعت إلى الطابق الأعلى لتري تيدي. لقد كان ينتظرها في سريرته. وتعلقا كلاهما وكانهما لم يريا بعضهما منذ سنين. فما حدث لم يكن أبداً ليخطر على بالهما وهو أمر مريع. ما كان لأحدهما أن يتصور هكذا أمر، لقد كان فوق التصور. فوق الخيال. ويكياً طويلاً وحسا متعقلاً، إلى أن حلا والديهما أسيراً داخل إلى الغرفة وقد بدا عليه الإتيكاه. لقد كانت القوالب التي تأججت في ذلك اليوم لها تأثير عليه وعلى الأولاد أيضاً.

تسوف أذهب معك إلى لندن لرؤية ملما". قال تيدي لصوفي في هدوء، بينما وقف والديهما ينظر إليهما وقد بدا متجهماً. لقد كان رد فعلهما أسوأ بكثير مما كان يحشاه.

"لا أعبد أن هذا ممكن بالنسبة له". قال غرودون بالاضباب. "لقد جعله هذا الأمر أشد مرضاً مما كان". لقد تحدث عن تيدي ولكنه لا يستطيع سماعه. تسوف لن تكون أسي راضية عن ذلك. قالت صوفي وهي تلمس شعر شقيقها الأشعث، وبمجرد لمسها له كانت تشعر بأنه مرتفع الحرارة. تسوف تساء جداً إذا ما مرضت، وهذا سيكون له تأثير سيء عليها عندما تستيقظ. قالت صوفي برفقة وهي تشدد على كلمة "عندما" بدلاً من أن تستخدم كلمة "إذا".

ونظر إليها تبدي بعينين متسعيتين.

"أريد أن أرى ما بأي حال من الأحوال، حتى ولو كانت في عيبوبة. سوف تصرفني هناك". لقد كان هذا رأي بيل أيضاً، ولكن والدهما لم يوافق. لقد كان يعتقد أن رؤية تبدي لها ليس له أهمية.

"هي لا تعرف أحداً هنا". قال غوردون بهدوء. وكل من متأكد من ذلك، إلا لم يكن ليحسد أن الناس في حالة القيدوبة يمكنهم أن يسموا الأصوات أو يدركوا ما يدور حولهم من أمور. فقد رؤيته لها في تلك الحالة كان مقنعاً أن ذهب تبدي ليس له معنى، وسوف أن يسمح للصبي بأن يذهب. فهذا غير معقول، وستكون مجازفة كبيرة على أي أحد بأحد، هناك، فقد كان أضعف وأجهز من أن يسلط، أو حتى من أن يفتقر المنزل.

"إذاً لماذا ستذهبين إذا كانت لن تتركه. لقد كنت هناك؟" سأل تبدي صوفي بشكل مباشر.

"إليها ليست مريضة". وأوقف غوردون، وأعتقد أن عليها أن تذهب. وسوف أبقى هنا معك".

"لأن تعود الآن إليها يا بابا؟" قالت صوفي وقد بدت مصدومة، ولكنها لم تقل شيئاً عندما هز رأسه.

تبس الآن. سوف أنتظر حتى تتحدث إلى المنزل. يمكنك أن تنهي هذا لقمضي النهار هناك، أو قمضي الليل، كما تشائين".

لقد كنت أفكر بأن أبقى قليلاً هناك، ربما لبعصة ليل.

سوف أرى كيف هي حلفتها، ولكن لا تتكلم طويلاً. قال غوردون ثم غادر المنزل. لم يكن يبوي أن يبقى في المنزل وحده مع فيه لفترة طويلة. وكان يريد أن تتولى صوفي الطفل به، وما كانت تستطيع أن تعمل ذلك لو بقيت في لندن عند والدتها.

لبست صوفي في سرير تبدي تلك الليلة، ودراهما تحيطان به.

ولست حفظت في اليوم التالي بينما كان هو لا يزال نائماً. فاستعصمت وأردت تبليها، وكانت جاهرة للإطلاق إلى المطار في الوقت الذي استيقظ فيه.

"هل أنت ذاهبة الآن؟" سألها وهو يشعر بالنعاس. "أريد أن أتي معك". ولكنه كسبن أكثر تسباً وضغطاً من أن يتحرك. في الليلة السابقة كان لا أرق عطفياً، وبدأ الآن في حال نومي مما كان منذ وقت طويل.

"مساءد في أقرب وقت". صممت له صوفي، ثم غادرت غرفته. لقد منعت لتودع والديها، ولكنه كان لا ذهاب لقوة إلى المصرف. وكان قد رتب لشراء بطاقة طائرة لها في الليلة السابقة، كما وأنها كانت قد مجرت في فندق كلايدج. لقد كانت تعرف أن والدتها في مشفى القديس توماس. وكان لا يزال لديها بعض النقود المتبقية من رحلتها. كان سائق والديها ينتظرها أمام المنزل، وما هي إلا نصف ساعة حتى وصلت إلى رواسي. لم يكن هناك أي لأرحام للسير على الإطلاق. وبدت أهدأ بكثير وأكثر نضجاً مما كانت تشعر.

كانت رحلة طيرتها في وقت الظهيرة بالتوقيت المحلي، وأخذتها سيارة من فندق كلايدج مباشرة إلى المشفى. لقد شعرت بأنها راضية جداً وهي ذاهبة إلى هناك وهي ترتدي ستفناً بسيطاً أزرق اللون وتتمتع حذاءً كانت والدتها قد اشتريته لها. كان شعرها مقنى إلى الخلف، وكانت حسنة الهدم، ولكن كلى كل من ينظر إليها، ورغم أنها في الثالثة عشرة من العمر، يرى فيها ملامح طفلة بعينين واسعتين خافتين مليئتين بالأسى.

لتمسعت الممرضات لها عندما تحدثت إليهن في المكتب. فكلت نصها لمنهن، وأخذتها إحدىهن مباشرة إلى غرفة والدتها. كان الباب المغلق للردهة مفتوحاً، ورت رجلان يرقها. لم يكن لديه أخبار آخر. لقد أسئلوه في جنبه، وكان ينظر باتجاه الباب، وهو غير قادر على الحركة.

خطت بحذر للطفة إلى غرفة والدتها وسرعا ما صمكت بما رآته هناك. لقد كانت والدتها شاهية كالأسوات، بصمادة كبيرة على رأسه، وكل جهاز تنفس اصطناعي موصولاً إليها لمساعدتها على التنفس، وكانت تحيط بها أجهزة

مراقبة وأكليب من كل الجهات. نثت صوفي من السرير والنموج تملأ عيها، ووقفت هناك طويلاً مكتفية بالنظر إليها ملحسة بدهاء ثم سحبت مرصعة كرسياً ووضعته إلى جوار السرير كي تجلس صوفي عليه، فجلست وراحت صوفي، غريزياً، تتحدث إلى إيزابيل وهي ترجو لو أنها تسمعا بشكل أو بآخر. لقد لعبتها عن مدى محبتها لها، وتوسلت إليها أن تبقى على قيد الحياة. لم تنبأ على إيزابيل أية عاتك للحياة، الشيء الوحيد الذي كان يتحرك هو جهاز التنفس الاصطناعي وبعض الخطوط الضوئية الضئيلة التي تظهر على أجهزة المراقبة. لم يكن ثمة حركة أخرى أو أي صوت آخر في الغرفة. لقد بدت والدتها في حالة مريحة أكثر مما كانت قد توقعت، ولقد كل من الصعب أن تصدق أنها تتجو من العائنة.

جلست صوفي لفترة طويلة، وأخيراً قنعت حوالي الساعة الرابعة وسارت خارجة من الغرفة. الرجل نفسه الذي كان يراقبها تدخل راح ينظر إليها الآن من جديد. لقد لعبته الممرضات عن تكونه، ولكن بالتأكيد سيعرف وحده على أي حال. لقد بدت مثل إيزابيل وهي شابة.

"صوفي؟" ناداه، ولجلت إذ سمعت صوته يندبها باسمها، وقد لاحظت من أنه يعرفها، والتزيت منه بدهاء ووقفت في صحن غرفته. نعم. قالت بصوت متردد، ولكنها كانت مسنعة مما كتبت في قه لفتي وكان يتنسى لو يحيطها برأعيه كرمي لإيزابيل ولأنه يصعب تنطقاً. وما كان لديه الكثير ليعمله من أجلها.

"اسمي بيل روبنسون، وأى صداقة تجمعني بوالدتك. لقد كنت في السيارة معها عندما وقع الحادث. قال لها ذلك وكأنه يود أن يمتدز لأنه كان السبب في وجودها هناك. كُوفني ما حدث جداً. وأولمت برأسها وهي تنظر إليه. لم تذكر لي أنها ذكرت اسمه يوماً، ولكنه بدا رجلاً ظريفاً، وكان من الواضح أنه تأذى كثيراً من الحادث وخلفاً لوالدتها، فقد كان واسعاً وعلى أيد الحياة.

"سأنا جري لك في الحادث؟" سألتها صوفي بحذر وهي تفتش أن تدخل الغرفة. ولم تتركه بعد من يكون أو ما سبب وجوده مع والدتها أثناء الحادث. فقد انكسرت عيني، وأصبحت في راسي. ولكن والدتك أسوأ حالاً من الإصابات الشككية مني. قل لك وهو حزين. أبتني أستطيع أن أكون مكافأ يا صوفي. وأتسنى أن تعرفي ذلك. وإلى لأضحي بحياتي من أجلها أو أمكنني ذلك. تأثرت صوفي بما قاله، لقد بدا رجلاً ظريفاً لطيفاً. وكانت تتساءل كيف صار هو ووالدته أسفقاء. فوالدتها ما كانت تخرج البتة بمسبب يدي.

كيف تعرفي أنني. هل يعرف؟ سأله. قد أعبره والذي بذلك ليلة لسن. قالت له وهي تشعر باستغراب. لقد كنت من قه بولهم جوداً بول أن يعرفه. إنه مزعج للغاية. لقد كلني بشر بحسب تلك المس. ولكنه فرد أن يأتي. وعلي أن أعود غداً إلى المنزل لكي أعطي معك. كنت لأفصل أن أبقى هنا، ولكني اعتقد قه يحتاج إلي هناك. كنت تتنح هذا إيزابيل وكل بيل يرغب لو يستطيع أن يعد يده ويلبسها فقد بدت تنبه والدتها كثيراً جداً.

"هل أستطيع أن أحمك في شيء؟" سأله بيل وهو يشعر بالعجز. مثلهما تماماً. ما كل هك ثمة ما يمكن عمله الآن. ما حدث لهما قد حدث وما كان أحد يعلم إلا الله فيما إذا كانت إيزابيل مستيقظ من غيبوبتها أم لا. "لا. أنا على ما يرام". قالت له، وقد بدت حزينة في صمت. "أين تمكين؟"

في فندق كلاريدج. "أين زوجتي ولبنتي هناك. إذا امتجت إلى شيء الليلة اتصلي بي". وإذا قال ذلك خطت سنيتها والبتنن إلى الغرفة، ورأين صوفي تتحدث إليه من منحل باب غرفته. فتركتين على بعضهن بعضاً، ثم قالت صوفي بأن عليها أن تتصرف. لها كانت تزيد أن تكون متفائلة عليهم. وشعرت أن لبنتها كتفا

لطيفتين، وأصبحت في نفسيهما لى حين هي في نفس عمرها تقريباً. ودعهم صوفي يلبط ويكسب ثم سارت خارجة عبر الودعة. كانت تروي العودة لاحقاً تلك الليلة لتري والدتها ثانية. لقد كان هذا كل ما تريد أن تلمسه.

هل هي ابتها؟ سألت سلتها في حياء.

نعم. ولديها ابن أيضاً، ولكنه مريض جداً. ثم نبذ سلتها أي تطبيق، وبدأت بتزيين غرفته، لأنه لم يكن لديها شيء آخر تلمسه. وراحت الفتاتان كترشاش منه.

لقد كانتا قد قفنا العزم على الرحيل في اليوم التالي. فكلتا تعزمنا للذهاب إلى باريس لأسبوع، ثم تعودن إلى الفندق لرويته في طريقهما إلى المنزل. وفكر أن هذه فكرة رائعة، وأراد لهما أن تتالا مسطاً من التسلية واللهو. واتفق هو وسلتها على أن يغيراها عن موضوع الطلاق في طريق العودة، وهكذا تستطيعن التالكم مع الفكرة بعد أن تذهبا إلى المنزل. فلم يزد أن يفسد عليهما رحلتها إلى باريس. وكانت مخفياً ستخرج معهما إلى الضياء تلك الليلة. ولسوف يستغن من عضويته في نادي هاري. ومجرد سماعه لذلك جعله يفكر بإيزابيل وذهابه إلى هناك معها.

كان بيل مستلقاً على ظهره، يفكر بها تلك الليلة، عندما عادت صوفي لتري والدتها. وفي هذه المرة عرجت عليه وبحتت غرضه لتسأل من لوفه. كيف حالك يا سيد روبنسون؟ سألته في تهذيب ولبللة في حين ابتسم لها.

على نفس الحال تقريباً. كيف حالك أنت؟ فهزنت كتفها بما يوحي بأنها لا تكثرت لنفسها، واغرورت عنها بالدموع. لقد كان منظر والدتها على ذلك الحال يحطم قواها، ولم تكن هناك أية علامة تدل على أنها تعمر أي تقدم على الإطلاق نحو استعادة وحيها. لقد كانت مضطحة في مكان بعيد نام لم يعرف أحد على الإطلاق إذا ما كانت ستعود منه. كانت الممرضات قد لغيرنه أنها قد شبقي هكذا لسنوات وأنها قد لا تعود من غيريها حتى تموت في النهاية. لقد

كانت هذه فكرة مخيفة مؤلمة وخساسة هذه المرأة خير العالمة مصيبة كبيرة، وليس ذلك من الإنصاف في شيء. ومنذ بداية الحادثة كان بيل قد تملى لو أنه مات وبقيت هي على قيد الحياة.

كيف التقيت بمانا؟ سألته صوفي وهي تكف إلى جانب سرير. ما برحت تتسائل عن ذلك منذ التقت به بعد ظهر ذلك اليوم. فلم يقل والدها أنها كانت في سيارة مع أحد، ولأنه صوفي عندما خاطبها بيل.

لقد التقينا منذ زمن بعيد، في السفرة الأمريكية في باريس. لقد شعر فبها بالحاجة لأن يتحدث عنها، ولقد مرّ من سؤال صوفي. وتناولوا الغذاء مرتين كل سنة، وكما تحدثت على الهاتف في بعض الأحيان. وكانت تخبرني عن كل شيء عطفه وص تيدي. لقد أرادت صوفي أن تسأل إذا كان يحبها، أو إذا كانت لها تبه، ولكن بما أن كلاهما كان متزوجاً، فإن هكذا سؤال سيكون فيه وقاحة. ولكنها كانت تستغرب أنها لم تسمع عنه. فوافتها لم تنكر إذاً لسه.

هل تعرف أبي أيضاً؟ سألته، وابتسم، ودعاها للجلوس، فجلست. نعم أعرفه. واعتقد أنه حافق على جداً منذ الحادث. واعتقد أنه يظن أن الحادث ما كان ليقع لو لم تخرج للشاء تلك اليوم. ولو كنت مكافه لانتابي نفس الإحسان.

لماذا بقيت غطيتك. قالت الممرضة أن السلق قد لاقى حتفه. إن الأمر مريع. لا يسخن أن لفهم كيف يمكن أن يحدث شيء كهذا. وامتلأت حناها بالدموع من جديد. إن أبي طيبة جداً ولا تستحق هذا.

ثم تبها طيبة جداً. وقهرمت الدموع من عينيها أيضاً، ومد يده وأمسك يدها. بالصفة له كل بشر بطريقة غامضة وكفنه بلمس يد إيزابيل. وبالعناية لها كل توأصها مع صديق والدتها كانه توأصل معها هي بالذات. لقد كان بهما رابط هير اعتيادي من خلال إيزابيل.

ثم لكس دالماً لطيفة معها. فارت صوفي بعد هيبه. لقد اعتدت أن

أغضب منها. لقد كانت تمنني وقتاً طويلاً مع قودي، وعندما كنت أفسر سداً، كنت أفكر فيها لأفكك وقتاً كافياً من أجلها. لقد كان إقرارها هذا بمثابة اعتراف من خطاياها، وعن الأخطاء التي فعلتها والتي تشر بالندم عليها الآن، وفهم هو كل ذلك.

إنها تحبك كثيراً يا صوفي. لم تال شيئاً عليك إلا أنك فتاة رائعة. ما كان يريد الأهل هو أن يبرز تفهما بنفسها وبمحبته ولذتها لها. كان هذا كل ما يستطيع أن يفعله من أجلها.

"هل كانت مسرورة تلك الليلة؟" سأله صوفي بحزن. "هل لمصت وقتاً مسجداً؟" لقد كان سؤالاً هزئياً تسأله له، وجل ما أمكنه أن يفكر به عند سؤالها هذا هو قبلتهما الأولى والأخيرة.

كلم كانت سعيدة. لقد ذهبا لرؤية معرض فني ظريف بعد ظهر ذلك اليوم، وكانت تشعر بالإثارة حيال ذلك. ثم خرجتا لتناول العشاء. لقد كانت هنا بهنصف رؤية السور الأمريكي. لقد حوّر قليلاً من الحقيقة لكي تتناسب كليهما. لقد التقينا بالصحفة في فندق كلارينج وقررنا أن نتناول طعام العشاء معاً. ثم يكن من داح ليخبر هذه الطفلة بأنها التقيا في لندن عن عمد وأنه كان يحسها. فحسا كانت إيرابيل تزريدها أن تعرف وهو أيضاً كذلك. "إننا لم نر بعضنا منذ وقت طويل".

"إن والدتي لا يتسلى لها الكثير من وقت التسلية والمرح. فهي دتمة العلية بتدي وتبقى لأجله في المنزل".

"أعلم. هذا ما تحب أن تسله. إنها تحبك كثيراً. وأوصات صوفي برأسها، وجلسا هناك صابنتين إلى جوار بعضهما لولادة، ثم وقت صوفي في نهافة الأمر. ما زالت تشر فيها لا تعرفه حقاً، ولكن شعرت فيها وجدت صديقاً جديداً. وقتت تنبسم له للطفة ثم غارت، وفي راح بنظر إليها كان لري فيها إيرابيل، والمرأة صوفي التي ستكون عليها يوماً ما.

"سأني أزيارتك هذا". وعنده صوفي بذلك. "ملكون هذا في الصباح قبل

أن أرحل".

تلك من نواحي سروري. شكراً لحديثك إلى يا صوفي. لقد كانت هذه لحظة شعر فيها بالارتياح خلال فترة عسيرة من العزلة كنت أكبر مما تستطيع هي أن تتخيلها أو تتفهمها. فلحظة، التي عرفها، كانت توشك على أن تتغير ولابد. سوف أن يسير على قدميه ثانية، أو يقر، أو يرفض، أو يتسكع ليس التوابع. محركته، مثل حبة، ستخضع مضخة من الآن فصاعداً. لقد قرر هجر حبيبته الزوجية. وقد المرلة التي لعب، فلم يعد له ما يتعلق به في فركت الحلي، وكان ضالاً في بحر متراس الأطراف وليس من علامة تدل على وجود قبسة في أي مكان حوله. لقد كان يريعه أن يمضي بضع دقائق مع لبة إيرابيل يوماً بيوهان أن يحسنا إلى ستودهما حتى الحياة الآن، التي كان ممثلاً لها إذ منضمهما لفرصة اللقاء.

جاءت سستها والفتن ليوذعه صبيحة اليوم التالي، في طريقهن إلى المطار. ووصلت صوفي بعد أن غادرن. فجلست مع ولذتها لأكثر من ساعة، ثم جاءت فستودعه ليد. وبألاحظ أنه مكتب، اقترضت أن ذلك لأن عائلته قد رحلوا الآن وسيفي وحيداً من جديد. لم تكن لتعلم أن سبب هكتابه إنما هو أكثر بسبب ولذتها. لم تكن تستطيع أن تعرف أنه يحبها، رغم أنها كانت تشك في ذلك.

"إلى اللقاء يا سيد روبنسون". قالت صوفي بلطف وهي تمسك للرحيل. "أمل أن تكون على ما يرام في التريب العليل". لم يسألها إذا ما كانت ستعود من جديد. فما كل السؤال مناسباً الآن إذ لم يكن أحدهما يعرف بعد إذا ما كانت إيرابيل ستجو.

"تنتهي جداً إلى نفسك... كرمي لأبك يا صوفي. أعلم أنها كانت لتضمر بقلق عليك الآن. اهتمي بنفسك واعتني بتدي". قال لها والدموع في عينيه. لقد بدا تلاماً وكأنه ولذتها تودعها وهي توي القيل برحلة. "ستبقى في بالي". سوف أسلي من لك عندما أذهب إلى الكنيسة". قالت له في رقة.

وشعرت بالحزن وهي تراقبه وكلها كفت تفرق جزءاً من أمتها. لقد كان لطيفاً للغاية، وكانت مسرورة من أنهما تصافيا، ومن أنها أضحت وقتاً جميلاً في صحبته.

الفصل الثامن

فكرت صوفي كثيراً ببل في طريق عودتها إلى باريس، وأمكنها أن تقيم ما جعلها ولاتها تحبه. لقد بدا رجلاً متحفظاً مهذباً، وشعرت بالألفة الشديد لأجله. قالت لها إحدى الممرضات أنه لن يسير أبداً على قدميه. وبدا وقد تقل هذه الحقيقة بطريقة فلسفية، وكلما يشعر بنصه مضطراً لأن يتركها تعرضت للإصابة بينما كانت خارجة معه.

وبد حلت الطفرة بهم في باريس، كانت أفكر صوفي قد تحولت نحو أمتها وأختها من جديد. لقد شعرت بنفسها متنازعة لا تدري أين يجب أن تكون. لقد قررت أن تعود إلى المنزل لبضعة أيام، وكانت تريد بعدها أن ترجع إلى لندن من جديد كي ترى والديها.

استقلت سيارة أجرة من المطار، وعندما وصلت كان المنزل غارقاً في الصمت بشكل غريب. لم يكن ثمة أصوات في البيت، وسارت مساعدة إلى الطابق الأعلى، ورأت النور مضاء في غرفة والدها. وعندما نظمت غرفة سيدي، انصرفت من الحلة التي كان فيها. قد كان يعاني من حمى شديدة، كفت فيما يبدو توصله إلى درجة الهذيان، وكلما الطبيب قد وصل هناك لقوه، وشرحت لها ممرضة تيدي الموقف، قالت لها أن الحمى إذا لم تلتخص خلال الليل، فإن الطبيب سيضطر لوضع تيدي في المستشفى في اليوم التالي. ومجرد التفكير بذلك، وخاصة بعد رؤيتها لأمتها، كان أكثر مما تستطيع صوفي تحمله.

"ماذا حدث؟" سألت صوفي وهي تجلس في كرسي، وقد بدا عليها الحياء. لقد شعرت وكلها قد كبرت بين ليلة وضحاها. ولم يدرك تيدي حتى أنها كانت هناك. لقد أصلي مسكناً للألم، وكلما ينط في نوم عميق.

أعتقد أنه متصلق لما حل بوالديك، قالت لها الممرضة هائسة. فهو لم

تسوف أصلي لأجلك أيضاً. ومد يده وأخذ يدها وأمشا في لطف إذ لم يكن يستطيع أن يصل إلى وجهتها كي يفتحها، وذلك من وطأة الحلة التي كان عليها. وبعدما غادرت بالشملة خجول على ممرها، واستلقى هو هناك في سريرته وعيناه مغلقتان مفكراً بها.

وما هي إلا برهة بعد ذلك حتى كانوا يدفعون عجلات سريرته نهائياً نحو غرفة إيزابيل. لقد كانت صليحة هائلة الحركة وعلى جالها للمهود. ولكنه استلقى في سريرته الذي وضعوه إلى جوارها، ونصت إليها عن ريلة صوفي له.

لها فتاة رائعة. وأعرف الآن لماذا تغربين بها. قال لها وكلها كفت تستطيع سماعه ولكنه كان لا يزال يروح ذلك. ومكثت هناك لوقت طويل بفكر إيزابيل وهو يعني لها أن تستيقظ من غيبوبتها وأن تعود إلى الحياة من جديد. وكس في غاية التعب عندما أعادوه إلى غرفته. وما عدت زيارته المتكررة لها تقابل بتعليقات بين طاقم التمريض. لقد صاروا يتقبلونها كإماعة حب تدير منه دور إيزابيل. لم يسأل أحد عن سبب ذلك، أو تسأل عما كان يدور بينهما، وكان ذلك عدد من الممرضات تعتقد أنه إن كان أحد أو شيء يمكنه أن يجد إيزابيل إلى الحياة فهو بيل.

يسلم جيداً منذ أيام. وهو يرفض أن يلكل ويشرب. وقد ناقضت هي والطبيب إعطاء حقنة وريدية له ولكنه رفض وراح يهكي بشدة عندما سمعهماء فاضطر للائطاف على أن يزوجها إعطائها له إلى يوم آخر. إذا ما وعد على الأقل بأن يحاول أن يلكل ويشرب. لقد بدا لصوفي وكلاءه قد خسر وزياً.

لكن كي؟ سألت صوفي، وهي تشبه بداها في شعرها، فتبدو مثل إيريل أكثر من ذي قبل. لقد عشت تشبهها أكثر لكثرة حلال الألم القليلة الماضية.

سيكون خارج المنزل هذا المساء. قالت الممرضة نون أن تعلق. لم تره منذ يوم أمس ولكنها لم تقل ذلك لصوفي. كيف كانت أمك؟ سألتها الممرضة وهي تشبه بالقلق.

لا تزال على حالها. قالت صوفي، وراحت تفكر في بيل. أما من أهد يستطيع أن يتوقع بها يمكن أن يحدث. قالوا أنها قد تبقى في حالة غيبوبة لزمان ليس بيسير. وقد تشفى. بنت صوفي متقلقة وهي تقول ذلك، ولكنهم أخبروها أيضاً أن إيريل قد تموت في أي وقت. كل ما كان بإمكانهم أن يفعلوه هو الانتظار والصلاة لأجلها. شرف أعود خلال بضعة أيام؟ ولما كنت الممرضة برأسها، ثم جيمت لبض تبدي من جديد. لقد كلى سريعاً وصباحاً فطبت حليبها وقد أبدت ملاحظة للطبيب بهذا الفصوص. لقد بدت ككثرة من لهم سيضطرون لإخفائه إلى المشفى من أجل العلاج. وقد أخبرهم صوفي في الفكرة. فقد كان هذا أكثر أسفاً له.

سهرت صوفي في انتظار والدها تلك الليلة والآن هي تكفي من هذا تبدي. وقد اندمشت أنه حل منتصف الليل ولم يحضر والدها بعد إلى المنزل. وسألت الممرضة إذا ما كان والدها يعرف أن تبدي كان مريضاً.

لقد تحدثت إليه بعد ظهر هذا اليوم في مكتبه. قالت نون أن توحى سيملأها بأية تعابير. وأنا مثلكة أنه سيكون علاجاً في المنزل. ونفت الساعة تعان القلقة، وكانت صوفي لا تزال مستيقظة ولم يكن قد نثى إلى المنزل بعد. وكانت قد اتصلت بالمشفى في لندن قبل ذلك لتطمئن على ولاتها ولم يكن

هناك أيضاً جديد يلكل. ولوعة فكرت بأن تتحدث إلى بيل، كي تسلم عليه، ولكنها شعرت بالحرج أن تسلم به، فوضعت الساعة دون أن تسلم عنه.

استيقظت صوفي وهي لا تزال مرتدية لبهاها وجالسة في كرسي في غرفة تبدي في صباح اليوم التالي، تملأ كما كانت ترى والبتها نعل معظم الأحيان عندما يكون تبدي مريضاً. هي لم تصد ذلك، فقد كانت تتنظر والدها، وأضحت قسي نهاية الأمر. ولقد ظنت أنه حرص على ألا يوقنها، وأنه على الأرجح لم يعلم أنها كانت في غرفة تبدي.

كانت تسلم مستيقظاً عندما غادرت غرفته لنجد والدها، وبدأ تبدي في حلقه. قالت الممرضة أن الحمى قد زالت، ولكن صوفي كانت ترى أنه لا يزال على حاله. وبدا أنها تسلم إلى الوردة لتتحدث إلى والدها، فتمت لربما أنه مفتوحة، وعندما نظرت إلى الدليل لم يكن من أحد هناك.

تسلطت نحو الغائمة مندشة وسألتها: هل علم والدي هنا ليلة أمس يا صوفي؟ فهزت المرأة رأسها ضياءً وتوارت تحت السلام. لم تكن صوفي لتتوقع هكذا جواب تعليه لأبنة في مثل عمرها. ولكن أمكن لصوفي أن تعرف أنه لم يكن هناك. لقد كانت المتنر مسئلة، والأصواء مسطاة، والعرفة غير مبسوطة. فلم يكن أحد في السرير. ولوعة شعرت بالذعر. ماذا لو أن مكروها قد أصاب والدها؟ سوف يكون يمين، أدركت ذلك بشكل مفاجئ. لم تستطع أن تتصور أين يمكن أن يكون. وبعد ساعة اتصلت بمكاتبه، فبدا في غاية الهدوء إذ أجاب على الهاتف، ما كان قد رآها منذ هاجرت إلى لندن، ولقد تذهلت من عدم وجوده في المنزل مع تبدي. لقد بدا لها وكأن ليس لديه أي إصاين بالمسؤولية.

لقد كان تبدي مريضاً. قالت وفي لهجتها يوم لوأدها وكلاءها كانت غلطة، ولكنه بدا غير مهم.

أعلم. لقد أخبرتني مراتي بعد ظهر يوم أمس. وقد جاء الطبيب لمتابنته، واليوم تحدثت إليه. ما كان أبداً ليقول أن تعنه أو تلومه أبنته التي تبلغ الثامنة

عشرة من صرنا.

قلت اسمك أنت إلى المنزل ليلة أمس. قالت صوفي وهي تكظم غيظها، وكاد يضحك من لهجة صوته، ولكنها لم تكن مسرورة.
أعرف. لقد كنت مع لستافى خارج المدينة، وتلخر الوقت بناءً، فكرت أن من الحكمة أن أكتب ذلك بدلاً من أن أقود السيارة عتداً إلى المنزل.
فترضت صوفي أنه كان متردداً، ويقتظر إلى ما حدث لو أنها، فلها فكرت أن معه الحق في ألا يقود سيارته ولجاء إلى المنزل وهو متعب.
لقد اتصلت الآن بلندن قال في هنيهة وليس من تغيير.

لوه. انتهزت مغرباً صوفي لسماح هذا الفأ، ولكنها كفت لا تزال هاضبة من والدها لأنه لم يعد إلى المنزل الليل الفات. فل أن أمراً مروعاً كان قد حدث لتيدي فكفوا صيحاتهم إليه هناك. وما من أحد كان يعرف بمكان وجوده. ولكنه لم يبد أي اعتذار أو تبرير، وهذا تصامت صوفي لتعرف ذلك حقاً. ولم تستطع أن تمنع نفسها من التساؤل إذا ما كانت ثمة أشياء تخص والديها لا تعرفها هي، وقد بدأ هذا التساؤل لديها منذ قبلت بيث. لقد كفت لا تزال مستغربة أنها لم تسمع بسدقة والديها له، وتكررت أنها ما كانت تقدم على دخول جناح والدها في الليل أو في الصباح الباكر. ولربما كانت هناك لوفات أخرى لم يكن موجوداً فيها هي المنزل. لقد كان يخرج كثيراً في الأمسيات بدفع العمل، وكانت والديها كلما ترافقه في الفترات الأخيرة. وبعاءة لستافى صوفي إحصائياً بأن حقيقتها كلها ليلة للتأخير، ليس بسبب ما حدث للإيزابل وحسب، بل بسبب ما كان قد كتف عنه هذا الحادث. لقد كانت صوفي تعتقد دائماً أن والدها كان مثلاً أعلى، والأل تتماثل إذا ما كان لديه أسرار لم تكن هي تدري بها. ربما كانت لسبب أخرى عدا مرض تيدي جعلت والديها تلتزم المنزل وجعلت والديها يلبس في جلوسين منفصلين في المنزل.
هل مثلي إلى المنزل هذه الليلة؟ سألت والدها وقد بدت في حالة توتر، وتشرس وكانها روجته أكثر منها لبنته، ولكنها كانت تشعر بالعدم الطمأنينة.

لقد كانت هناك أشياء كثيرة مخفية تكون حولها.

تتم سلف. سوف أكون خارجاً على الضاء. ولكن سأراك في المنزل قبل أن تخطي إلى النوم. قال لها مؤكداً.

إذا احتاج تيدي إلى الذهاب إلى المستشفى فليجى بحاجة إليه هناك. شرحت له صوفي.

الطبيب يبدو كل القأ. أعتقد أن تيدي قد تعرض لصدمة قصب، وهو في حاجة لبعض الوقت ليخرج منها.

كنا في حاجة لذلك. قالت صوفي حزينة. أمضى متعود إلى لندن.

تخلل بضعة أيام. ليس ثمة ما استطوع أن أطلعها هناك. سوف يتصلون بنا إذا طرأ أي تغيير. ولكن صوفي فكرت بأن والديها، إذا ما ماتت، أن يكون أحد معها هناك، وإذا حدث شيء وكافوا يريدون تطهيرهم منه، فإن الأمر مستغرق ساعته للذهاب من باريس إلى لندن. كانت صوفي تتلمى لو تبقى هناك، ولكنها كفت تعلم بأن تيدي في حاجة إليها أيضاً. وأما الآن وقد أدركت أن والدها كان يمكث خارج المنزل طوال الليل أحياناً، فإنها تشعر بأنها لا تستطيع أن تترك تيدي هنا. لقد كان يصعب عليها أن تتعد ما هو الأمر الصائب الذي يجب أن تقوم به. وقد بدأ والدها قل تقرأ بالأمر منها.

بعد ذلك غفر والدها من أجل الاجتماع، وأضحت صوفي للهار مع لنها، تقرأ له، وتسرود عليه قصصاً، وتتحدث إليه عن أمهما. لقد كانت تفعل ما يوسعها، ولكن كلامها كان يحرف أنها لا يمكن أن تكون بعيداً عن إيزابل. فقد شعرت بأنها نسخة حية من إيزابل ولكن منقصة قليلاً، وذلك في الوقت الذي جاء فيه والدها إلى المنزل بعد الضاء. لقد كان يبدو في حالة منوية عالية، وجلس في المكتبة ليخس سيجارة. سمعته صوفي يدخل ووجدته هناك. وكانت منهشة أنه لم يصعد ليفتحها لرف في الطابق الأعلى. لقد كان دائماً لطيفاً ومرحاً معها ومهتماً بها ولذلك لذهلت بمدى أبعادها خلال هذه الأيام، وخاصةً ول أنها مريضة للغاية. وبعاءة خطر لها، وهي تراقبه، أن اهتمامه

السابق بها كن مجرد ادعاء وتظاهر وليس حقياً، وربما كانت عليه في ذلك أن يزرع إيرلند ويشرها بلها إلى أهمية بالنسبة له. لقد كان يحمل صوفي دقماً طي لها طعنته المذلة المحبوبة، قد كان دقماً بارد العواطف وبعداً عن زوجته تماماً كما هو الآن نحو صوفي.

كسوف كان يومه يا بلها؟ سألته بخطر. وكانت عابسة بسبب لقائها على والنتها من جهة واعتقالها بالصبي المريض من جهة أخرى.

طويلاً. كيف كان يومك أنت؟

كلت مع تيدي طوال الوقت. لقد كانت تتوقع أن يسألها أكثر عن ذلك، ولكن عندما ذكرت له شقيقها، سر على ما بدا ولدها صجراً فيما راح يسكب لونه كاساً من المشروب المفضل.

ماذا فعلت غير ذلك؟ سألتها وهو يركز لفتباهه على سبجرام واستغربت أن تجلس هناك تتحدث إليه وكأن شيئاً لم يحدث. فقد كتبت والنتها في حلة خيوية في مشفى في لندن، وألغوها بتدهور حالته الصحية منذ أن سمع بالبلها. وبدأ والدها غير مبالي بشكل ينير الدهشة. وإذا رعت تنظر إليه لم تستطع أن تفكر (لا بعالم الانهيار والاتصال التي كانت متبيلة على وجه بيل روبنسون عندما كان يتحدث عن والنتها. لم تجد لي ما في ذلك في عيني والدها. لقد بدا بعيداً ومتحجراً العواطف كلما أشارت إلى والنتها).

"هذا كل ما فعلته اليوم يا بلها. لقد مكثت مع تيدي. إنه مروع جداً. ألوما غوردون ولم يرد عليها. لقد بدا وكأنه نسي وجودها هناك، ثم رن جرس الهاتف، وطلب إليهم أن يقولوا للمنصل أي كل بله سمولود الاتصال به. كان قلب صوفي ينبطح وهي تسمعه. وكل مرة رن فيها جرس الهاتف تحشى أن يكون هذا الاتصال من لندن لينقل لهم لسوا الأخبار.

"طبعاً لي تخطدي للسوم" قال غوردون وهو يرتشف كوب المشروب المفضل ويصرفها. لقد كان يومه طويلاً. لقد كان جلياً أنه ما كان يريد أن يتكلم، وتكلمت صوفي من مواقفه. لم تشعر أبداً بالحرلة في حديثها كما الآن.

تمنى ستعود إلى لندن؟ سألته بعدوه قبل أن تغادر.

"عندما أفكر أن علي ذلك. قال بجاءه والقتضاب وهو مغضب الجبين. لقد كتبت قزعه. لقد استعالت إلى والنتها في ليلة وضحاها.

"أريد أن أعود إلى هناك مطقة. قالت له وهي تتركه أنه لم يكن مسوراً منها، ولكن ما كان ذلك لهما الأمان.

"إن أخوك بحاجة إليك هنا.

"أريد أن أرى ما من جديد. وبنت أفية وحيدة، ولم يرق له ذلك. سوف أن تتركه حتى إنه هناك. أنا أحتاج إليك هنا. فلا أستطيع أن أترك فكري بذلك الصبي وممرضته طوال النهار. فليكن لا يكلف عن الاتصال بي إلى المكتب طوال النهار، وليس لدي وقت لذلك يا صوفي. عليك أن تهتمي به". لم يطلب منها ذلك، بل تكفي بأن يقول لها بما عليها القيام به متوكفاً أن نقض ما يقول.

ذلك الصبي هو ابنك يا بلها. وهو يحتاج إليك أيضاً وليس فقط لي لو إماما. وأنت لا تكلمه أبداً. كانت متعبة جداً حتى تحتل كل ذلك.

كيس لديه ما بقوله. قال غوردون بقسوة وهو يصب لنفسه كوباً آخر من المشروب المفضل. "وليس لك أن تملئ علي ما أظنه. كن هكذا حاور قد دار بين إيرلند وبينه مرات عديدة عبر السنين وكانت إيرلند قد استسلمت منذ زمن طويل. فالتصيب تعود إليه، وتتخلى على عدة أمور من بينها أنباء هي ملصبي حياته. كان غوردون مصمماً على ألا تكون بيته وبين ابنه أية علاقة. ولم تستطع صوفي بسلاحتها أن تغير من هذا الواقع. ولو كان تيدي معافى وقريباً ولقدراً على المشاركة في الأشياء التي يهتم بها والده لكان الأمر مختلفاً. ولكن في الحالة التي كان عليها، وفيها مدى اهتمام غوردون، فإنه لم يكن للصبي أي وجود ولم يكن ليحظى بأي اهتمام منه. ليس هذا فحسب بل كان ليثير حنقه. رغم أنه يشعر بالأسف من أجله الآن. لقد كان تيدي عبثاً غيلاً

ومصدر لزجاج في نظر والده. وبحسب غوردون، فإن الحلية بتدي هي من واجب إيزابيل وليس من ولجه هو. وبما أنها عاقبة فإن المسؤولية تقع الآن على عاتق صوفي.

وشعرت صوفي بالحزن بمجرد ملاحظتها للطريقة التي كان يتحدث فيها والدها عنه فيما ذهبت إلى غرفتها. لقد كانت قد تحدثت مع تدي عن ذلك عبر الهاتف، وكان يقول هكذا أشياء عن والدهما، وكانت هي تتخلفه الرأي فيما يقول. ولكنها أدركت الآن أن ما كان تدي يقوله إنما كان الحقيقة بعينها. لقد كان تدي يقول إن والدها قاسي عديم الشفقة ولكني وحيد الإحسان وأنه كان بكرهه. ولكنها الآن أن تدرك أن تدي كان يحرف في والده الجانب الذي ما كانت لتريد أن تراه. وبالنسبة لغوردون، ما كان يرى أن من دواعي مروره أن يكون له ولد كامل تدي. لذلك فقد أثر ل يقصيه وينمائه تماماً كما فعل نحو زوجته.

أدركت صوفي ثوب نومها في غرفتها، ثم عادت إلى غرفة تدي. فكتت الممرضة أن لديه حسي من جديد. وصعدت صوفي إلى سريره وانصفت به. لقد شعرت وكثيرهما طفلان هذا أسهما وشعرت بحزن وعزلة لم تشعر بهما في في حياتها من قبل. وكل ما كانت ترجوه والدموع تنهمر من عينيها في وسادتها، هو أن تستيقظ أمهما من غيروبتها عاجلاً. لها كانت تتساقط في تخيل كيف يمكن لحيتهما أن تكون إذا ما توفيت والديهما.

الفصل التاسع

استمرت الأمور على مجراها في المشفى في لندن. وجاء المصابون المعالجة الفيزيائية ليعالجوا حالة بيل ويوتوا البرنامج إعادة تأهيل بندي له. لقد كانوا يحاولون تنقيبه بشكل متكرر في سريره ليحافظوا على جريان دورته الحيوية. وبما أن بيل يصاب بذبذبات الرئة، ولكن الأيام مرت ثقيلة عليه مضجرة. وكما كان يجب على سريره مرة أو اثنتين يومياً إلى غرفة إيزابيل. لم تلتفت إلى صلات إلى منظمته غوردون، وكانت العديلات مبهين يلمان أن تساعد زيارته في شقتها. فهذه الزيارات ما كانت لتسبب ضرواً كما وأنها رفضت مسؤوليت بيل بشكل ملحوظ. فقد كان يشعر دائماً بالتحسن عندما كان يزورها. لقد كان يشتاق كثيراً إلى مكالماتها التي كنا يجريانها في نصف الليل. وكان يستلقي لساعات في سريره في المشفى يفكر بها وهي مقبلة لمرده. لقد كان يشتاق طوال النهار إلى بضع لففتك التي كان يصحبها إلى جوارها.

كانت إصابته قد بدأت تشفى قليلاً. وكلل علقه وعموده الفقري لا يزالان بسبب أن له المزيد من الألم، ولكن أمكنه الآن أن يتحرك أكثر من ذي قبل. وكان لديه بعض الإحسان لقوامه اللين سابقاً. ولكن على الرغم من ذلك بقي التكهين بحالته كما هو. لقد كان يحاول الحفاظ على محبوباته عالية، يفكر فيها سيطرته عندما يعود إلى الولايات المتحدة، ولكن التغيرات التي كان يواجهها الآن كانت صعبة قاسية بما يفوق الوصف.

لقد صار طاقم التمريض يحبونه، وكانت هناك همسات تدور بين الناس تتناول عن طبيعة علاقته مع إيزابيل، ولكن لم يكن هناك تفسير سول واضح لما كانوا يرونه. لقد خضع منظمهم لثمة عائلة غريبة تربطه بها، وتناهى

إلى سمع إحدى الممرضات صديقة صوته يقول لزوجته بأنه يريد الطلاق منها، ولكن لما كتبت علاقته بيزابيل أو الرابطة الذي يجمع بينهما، فإنهم جميعاً كانوا يحدونه ويرون فيه رجلاً راقياً.

"لما سألته، فهو شاب وسيم". قالت إحدى الممرضات وهي تبحث إلى مجموعة من رملاتها في الكافيتريا، ولكنه لم يحاول أن يغزل أو يتودد إلى أي منهن، ولم يكن جلفاً أو غفلاً أو قليل التحيب، وكان كل من يتحدث إليه يشعر بصديقه وبمحب به. ولا حظوا أيضاً أن السفير الأمريكي كان قد جاء لزيارته مرات عديدة.

"لماذا يصل؟" سألت ممرضة أخرى وقد بدت حائرة، ولم تفكر ما سمحت، رغم أنهم كانوا يطمنون أنه رجل مهم.

"تسببه له علاقة بالسياسة". قالت إحدى ممرضات إيزابيل. "لا بد أنه كان مغفول بها حتى الجور. وما للأسف". وكان الجميع يوافقونها الرأي في ذلك.

ما كان غورديون قد عاد لزوجته، ولا صوفي في الوقت الذي رجعت إليه سونيا ولبناتها من رحلتها في باريس. لقد كنّ مبتهجت عندما وصلن، ويؤمن متربات منالكت لأفيسون عندما عارن، بعد أن أخبر سونيا وبيل الفتاتين بأنهما سيطلقان. فقد صدمت أوليهما وجين.

"لماذا؟" سألت أوليهما وقد جلست في غرفة والدها في المشفى وهي تكي. "إنكما تحبان بعضكما... أليس كذلك؟ ماذا يا ماما؟ ماذا يا بابا؟...". لقد كانت الفتاتان تحتاد ذلك دوماً، ولكن بيل حاول أن يوضح لهما أنه وسونيا قد تواعدا عبر السنين وحل للجفاء بينهما، وأنه يعتقد أن من الأفضل لهما في هذه الحال أن يفصلا عن بعضهما بعضاً. لم يشأ أن يخبرهما عن علاقته والديهما الغرامية، أو مدى ندامة كل منهما في حياتهما الزوجية. قد انطقت بذلك لأنفسهما لسنوات. وانحصر لال يفر، بأنه لاحظ أن الأمور قد صارت أفضل بينهما منذ أن قال لهما أن كل شيء قد انتهى بينهما. لقد شعر بأنه صادق

وصريح معها الآن أكثر. ولكن سونيا قد أوضحت له قبل أن يغادره بأنه إذا غيّر رأيه فإنها تفصل أن تبقى زوجة له. أما بيل فقد كان لطيفاً ولكن بحزم. فما عاد يريد أن يبقى متزوجاً منها. لقد كتبت أحلامه منصبة كلها الآن على إيزابيل.

وأصر على رأيه: "هذا أفضل لكثيراً". ولكن سونيا استأمت من رد فعل الفتيتين. لم يرد أن يقول أنه ما كان لطيفاً أن تبقى متروجة منه وهو مغل صعباً ومعلق إلى حد ما. بل على الأكثر، أنه لم يعد يحبها. فما كان يشعر به نحو إيزابيل قد دلّ على أشياء كثيرة تتعلق به وبما كان محروماً منه. ما عاد يريد أن يعيش لكونية. لقد كلى يطم أنه لن تكون له حياة مع إيزابيل، سواء شفيت أم لا، ولكن حقيقة أنه كان يحبها ولا يزال كانت كافية لتجعله يدرك أنه قد أن الأولان له ليتطعن من زواج لا حب فيه كل يرحب أن يكون مستقراً فيه على مدى زمن طويل.

لقد كنّ هادئاً ومكتئباً بعد أن عارن. وكان قد وعد الفتاتين بأن يتصل بهما من وقت لآخر بعد أن يصل إلى المنزل. وقد سلّتا والديهما في طريق العودة إلى الفندق إذا ما كان قد قد والديهما عطفه من جراء الحادث أو من أثر الصدمة على رأسه، وهما إذا كتبت تعتقد أنه سيغير رأيه. فأنشمت بحزن وهزت رأسها.

"إنه ليس مغفولاً. بل أنا كنت كذلك ولزمن طويل. ثم لكن زوجة صالحة له". اعترفت بذلك. "لقد صرت أنظر إلى زولجانا على أنه أمر هادي مسلم به، وكنت أستاذ من نجله واستقلاليته، وكانت هذه نداعة ملي". لم تكن الفتاتان قد رأيتا شيئاً من هذا، ليس حظهنا، وكلفنا تتعرن الآن بالتمزق لفكرة أن والديهما سيحييان في منزلين منفصلين.

"كيف سيؤثر بلبا لأموره الآن؟" سألت جين وقد بدت قلقة. لقد كانت إيسابيلته خطيرة، وقبل لهم أنه لا لا يقرى على السير من جديد.

"لا أدري". قلت مسخياً وهي تتكهد. "إنه وثق من نفسه ومفكر جداً.

ومسوف يصرف كيف يتكبر الأمر. ولكن إجابةً على سؤاله فقول له إنني لا أعتقد أنه سيغير رأيه. فهو لا يفعل ذلك أبداً. فعندما تخطو في بابه فكرة ما قبله يستأجر عليها مهما كلف الأمر. وما كان ليترف بأخطائه، بل يتعاضد معها. ولكن بغض ما أكره ما قد قرره تجاهي، إلا أنني لا أعتقد أنه مضى في ذلك. فمن جهة، لقد عمل ما كان يريد، فقد حافظ على صداقتهما بإنهاء زواجهما، ورغم أسف سنيا إلا أنها كانت متعجبة به من هذه الناحية. لقد شعرت بالأسف من أجل الفتى، فقد كانت هذه ضربة لهما، وكانت تتضرع بالخوف على نفسها. فقد كانت تعلم أنها سوف إن تجد رجلاً آخر مثل بيل.

فمثل تعتقد أن كان له علاقة غرامية مع إيزابيل فورستر؟ سألت أوليفيا بصراحة. وفكرت مسلتها بالأمر. لقد كانت قد فكرت كثيراً بهذا الموضوع بينها وبين نفسها.

لا أعلم. إنه يعني ذلك، وهو لم يكتب عليّ أبداً، ولنا متأكدة من ذلك. أعتقد أنه يحبها، ولكن لا أعتقد أنه جرى بينهما ما هو غير لائق. فهي مطمئنة بزواجها من غوردون فورستر، على حد قول والدكما، أعتقد أنهما كانا متيمين ببعضهما بعضاً، أو مجرد أصدقاء.

فمثل تعتقد أن بابا سيتزوج بها إذا ما نجت من الموت؟ سألت جين باهتمام.

لا أعتقد أن هذه المسألة مطروحة الآن. فقلت سنيا فالمرأة المسكينة كانت تشبه ميتة. ولكن لا. لا أعتقد ذلك، حتى لو بقيت على قيد الحياة. فوالدكما يقول أنها سوف إن تهجر فورستر أبداً، كما وإن حياتها متركزة حول طفلها المعلق فمريض.

فلماذا تعتقد أن والدي سيفعل الآن، بعد أن يأتي إلى المنزل... أقصد بعد أن يعود إلى الولايات المتحدة... سألت أوليفيا وقد بدا الحزن عليها.

لا أعرفي سيحصل على شقة على ما نلن، ويعود إلى عمله. سوف يبقى في مركز إعادة تأهيل لفترة طويلة. ولا أعتقد أنه سيعود قبل شهرين. إنهم

يريدون أن يحلجوه الآن. لو كنت الفتى وانقرمتا بالصمت خلال بقية طريق العودة إلى الفندق، كنت لا تزالان غير لائقين على تصديق ما قد سمعته لزمهما. وسنيا أيضاً كانت لا تزال عاجزة عن أن تصدق القرار الذي كان قد اتخذه.

لقد كان بيل دائماً يفعل ما كان يعتقد أنه الصواب، مهما تكن الصعوبات التي تعترضه. لقد انتهى زواجهما مع حفاظها على احترام حبيب له، وكانت تتركه لتعلم أنها لن تعطي رجلاً مثله في حياتها. لقد كانت تتمنى الآن لو أنها فكرت في الأمر قبل ذلك. لقد كانت تترك أن معظم مسؤوليات الطلاق تقع عليها مهما كان القوم الذي كان مستعداً لإلقائه على نفسه.

غادرت سنيا والفتى إلى الولايات المتحدة في اليوم التالي، وكان ذلك في وقت مبكر جداً بحيث لم يستطيع معه أن يرجع لرؤيته في المستشفى قبل رحيلهن. واتصل به من المطار لكي يودعه وكانت الفتتان كلتاهما تبهكان عندما أغلقتا الساعه. ولم يبق لأحد عن ذلك، ولكن بعد رحيلهن، كان حزيباً. لقد بدأ يشعر بالوحدة، وهو يترك الطريق الشاق الطويل الذي ينتظره. فليسوف يعطي لمحة على الأكل آلام وعذاب إعادة لتأهيل لجسده، وربما أكثر. ولكن لم يكن لديه أي خيار آخر. كل يجري الاتصالات المتقطعة بالعمل من وقت لآخر، وكان عدد ضئيل من الناس قد سمع عن الحادث واتصل به. ولكنه عموماً كان يشعر وكأنه يعيش في شرفة محاطة بالمرصات والأطباء، وكانت إيزابيل لا تزال في حالة غيبوبة عبر الردهة، كان وقتاً عصيباً بالنسبة له.

خلال أسبوعين من الحادث استطاع بيل أن يحقق تلمساً ملموساً بالصحة إلى شعته، وكل غوردون فورستر لم يلبث بعد أربعة زوجته. وقد تكبر بيل لمره في إحداث عادة الذهاب به على سريريه كي يراها كل صباح ومساء. وكان يستلقي في سريريه هناك ويتحدث إليها لمره أملاً بأنها تسمعه في منباتها الصديق، ثم يعود إلى غرفته.

أصبرته الممرضات أن يورسفر لم يستطع المجيء لأن لديهم كل مريضاً، وشعر بيل بالقلق على تفدي طوال الوقت إذ عرف كم كفت إيزابيل تهتم لأمره. وكان يروج ألا تكون حالته سيئة جداً. وكان يفكر بصوفي أيضاً بين القبة والأخرى ويرجو أن تكون على ما يرام.

لقد كسدت بفقد الأمل تقريباً في استيقظ إيزابيل من غيبوبتها في نهاية الأسبوع الثالث من الحادث، وكان يتساءل إذا ما كان خردون سينتجها هناك مسوية وممرومة من الحب. لم يكن ثمة إمكانية لظفها إلى باريس مع جهاز التنفس الاصطناعي، فقد كان في الأمر خطورة كبيرة عليها، وكان بيل قد بدأ بالقلق حول مصيرها عندما يعود إلى الولايات المتحدة. لقد قال الأطباء أنه قد يكون قلناً على العودة إلى دياره خلال شهر آخر أو نحو ذلك. ما كان ليطبق فكرة البعد عنها، وتركها على ذلك النحو دون أن يكون هناك من يزورها، أو يتحدث إليها، أو يهزئها، أو يهتم بما يحدث لها. ما كان يستطيع أن يتصور كيف يستطيع خردون أن يتخلى عنها الآن، ولكنه فعل ذلك. كان بيل يفكر في هذا الأمر في إحدى الليالي وهو مستلق في سريره إلى جوف سريرها، ويحدث إليها وقد أمسك يدها بيده. ما حلفت الممرضات يستعفن هكذا أمور. كانوا يبتسمون ويدنثون معه، عندما كان يزورها وكانهم يتوقعون أن يروه في عرافها حدة مرث في اليوم.

لقد كان يحبر إيزابيل كم أنه براعا جميلة، وهم تشتق إلى الحديث إليها. وكان ذلك في ليلة دافئة ملهنة من شهر تموز. كانت الفواظ مفتوحة، ولحكتهما أن يسمعا الأصوات الأنيمة من الخارج. ووجد نفسه يفكر في القيلة التي مضيا فيها إلى بار هاري، ثم نادي إيزابيل. كان كل ما يشاء الآن هو أن يعيد عتارب المساعة إلى ذلك الوقت غمرد في الزمان إلى تلك الليلة.

"هل تذكرين كم كان ذلك الوقت الذي أضنيها جميلاً؟" تمدد لها وهو يناعب ويقل أصليها وقد أمسك يدها. "لعب أن أركس معك يا إيزابيل" قال لها. إذا ما استيقظت لقد استطاع الذهاب للرأس ثلثة يوماً ما. ولكن بالنسبة

لـه كان تلك مجرد نكري وحلم بعد النمل. كل لا يزال يتحدث إليها ويتركها بتلك الليلة، عندما شعر فجأة بضغط خفيف في راحة يده. لقد فكر أن ذلك قد يكون رد فعل منعكس في البداية، وتابع الحديث إليها، ثم شعر بنفس الضغط الخفيف من جديد. فلذلك من ذلك وتوقف عن الحديث لوهلة، ونظر إلى الممرضة عندما نفلتت. لم يرد أن يقول شيئاً، واستمر في محادثته لإيزابيل بطريقة مقصودة إلى حد ما، ثم توقف، وحاول أن يحل وضعه بحيث يستطيع أن ينظر إلى إيزابيل.

تسمرت بأفك تضغطين على يدي قبل قليل. قال لها بوضوح: "أريدك أن تقلي ذلك من جديد". وانظر لتولي بيت له رماً طويلة، وراحت الممرضة ترقب حركتهما، ولكن لم يحدث شيء، فالتصت للممرضة بنظرها. "الطبي ذلك ثاقبة يا إيزابيل. انضغي على يدي، قليلاً فقط... أريدك أن تحاولي ذلك حقاً". وعندئذ شعر أنها كانت تحاول العودة إليه من العالم الآخر، وفعلت ذلك، وبشكل متقيد. فشرق وجهه بابتسامة عريضة، وانهمرت الدموع من عينيه. "هذا رائع وراح يشجعها وقد أخذ بما قد شعر به للتو. "والآن أريدك أن تتخعي عنيك. ولو قليلاً... وها هي انظر إليك يا إيزابيل. وأريدك أن تنظري إلي". لم يكن هناك أية علامة تدل على الحياة في وجهه، ولكن حينئذ تحركت أصابعها من جديد، وتساءل إذا ما كانت مجرد ردة فعل الانعكاسية عضلانية في نهاية الأمر. وإذا بدأ حماسه يتطد، غصنت فمها، ولكن عينيها بقيتا مغلقتين. وشعر بدقات قلبه تتسارع. فلقد كانت تصعر من غيبوبتها. "ما هذا؟ لقد كان هذا وجهاً مضطجكاً، ولكن ممتاز. ماذا لو تبسمين قليلاً؟" قال لها ذلك والدموع تسلم من عليه وتسل على وجنتيه، وكان قد وضع كل ثقل جهوده وقوته وحبه عليها. وراحت الممرضة بلا حراك في العرفة وهي تتشاهد ما يجري. ولكن من الواضح أنها رأيت التشنج الخفيف السريع التي أبدتها إيزابيل. كان من المؤكد بشكل قاطع أن هذا ليس برد فعل منعكس. "هل تستطيعين أن تبسمي من أجلي يا حبيبتي؟ يعني أن تتخعي حيناً واحدة... لقد اشتقت إليك

كثيراً... قد كان يتوسل إليها أن تبذل جهدها، راضياً من كل جوارحه أن تستنقض من غيبتها وترجع إليه، ولقد كان كل ما يريده هو أن ينزل إلى أسفل دركات الهاوية حيث هي، فيسحبها إليه بألماس. تستلقي هناك يتحدث إليها صاعداً لغزياً ولكن دون أن يحصل على نتائج جيدة، وبدأ منهكاً للقنينة، ولكنه لم يأن لمستسلم. "إيزابيل... حسناً، أنظري ذلك فوجه المضحك من جديد... هيا... لرئيسي ما تفعلين بالفتك". ولكنها هي هذه المرة، وبدلاً من ذلك، رفعت إحدى يديها بضعة بوصات فوق السرير ثم تركتها تسقط، وكان الجهد الذي بذلته لتلك كان كبيراً جداً. رزق، رقع جداً. أصبحت صعداً. فسترعي لدفقة الآن يا حبيبتي. وبعدما نحول من جديد". لقد أراد أن يسترعي انتباه كل حواسها لكي ينشطها، ويعد إيزابيل إليه وإلى الحياة من جديد. لقد راح يتحدث إليها بشكل متواصل، محاولاً أن يجعلها تظرف عندها، أو تحرك جزءاً من وجهها، أو تفتح عينها، أو تضغط على يده من جديد. ومضى وقت طويل لم تحرك فيه سلكاً، ثم لاحظ الرفرفة الضعيفة في عينها.

"يا إلهي... همس للمرضة، وهذه مخرج خارجة من الغرفة بحثاً عن أحد الأطباء كي يرى ما يحدث. بعد ثلاثة أسابيع من التحريم قرب هو الموت، بدأت إيزابيل تعود للحياة. وكان بيل هو الذي أعدها إلى دنور وبصيته وحذره وكفته الأوروبية.

"إيزابيل ناداه بيل بصوت فيه حزم أكثر. "عليك أن تقضي عينك يا حبيبتي. أعلم أن الأمر صعب عليك. فقد كنت نائمة لفترة طويلة. وإلى الآن لمستيقظي. أريد أن أراك تنظرين إلي. يكفي أن تقضي عينك ولو قليلاً. وبعد أن فعل ذلك بدقيقة فطعت ذلك. وحتى إنه لم يكن يتوقع ذلك. بعد كل ذلك، ألوتت كل أنفاسه بمرور بالغ لمجرد إبدائها أية علامة توحى بالحياة فقد غابت عنهم طويلاً، وما إلى العيين الفاتنين منذ زمن بعيد قد انقضت قليلاً. نعم... هكذا تماماً... هلا تستطيعين أن تقضي عينك أكثر الآن... هيا ابدي جهدك يا حبيبتي... فتقضي هاتين العينين الجميلتين... كان الطبيب قد دخل

الغرفة لتومه، وكحي جلياً ولم يرد أن يتدخل. فقد كان بيل يقوم بدوره بنفسه، وما كان الطبيب يتدخل أنه سينجح في ذلك مثله. وحاول بيل من جديد: "ها يا إيزابيل، إني أنتظرك أن تنظري إلي. إني أنتظرك عند رص بعد". وإذا قال ذلك، لبحت إيزابيل تنهيدة طويلة وبارتماش خفيف فتحت عينها، ثم أغلقتها دون أن تنظر إليه، وكان الجهد الذي بذلته كان فوق استطاعتها. "ها يا حبيبتي، إني عيناك مفتوحين وانتظري إلي. أرجوك يا حبيبتي... مشاهدته لها وهي تعود شيئاً فشيئاً إلى الحياة بينما هو يتحدث إليها كانت كما لو أنها كتبت تمطر الأرض رويداً رويداً وقد جاءت من مكان بعيد. وأخيراً فتحت عينها من جديد، وأدارت رأسها، وبظرت إليه بشكل مباشر. وقد أصدرت صوت أنين خفيف. لقد توقع أن تكون الحركة هذه قد جعلتها تشعر بالألم في رأسها. ثم صمت وقد أغلقت عينها من جديد وبذت ولكنها تعاهد لأن تنطق بكلمة. حاولت كل طلائعها محاولاً، ثم فتحت عيناها من جديد وتطلعت باسمه.

بيل... وقتل دوما عندما سقطت باسمه، وشاك نشيجاً من الزكاه ولوده كي يستطيع أن يتحدث إليها. لقد كان يريد أن يكلفها على الجهد الذي بذلته الآن.

"عليك جداً يا إيزابيل... يا لك من فتاة رائعة. لقد بذلت جهدك للعودة إليها".

"نعم". همست له وقد أغلقت عينها من جديد، وهذه المرة فتحتها وبارفتها. "عليك... همست له ثم تطلعت باسمه من جديد وكأنها كتبت تلكه في لفظ اسمه.

"أعتقد أننا هنا ألقنا إلى الحياة" قال وهو يبتسم من خلال نموه. لقد بدا وكل دهرأ أو أكثر مر على القليلة التي قبلها فيها واصطلمها بالبنس. لقد غبت طويلاً يا حبيبتي. وقد اشتقت إليك جداً.

"حشني... قالت له بصوتها، وهي تقسم في حين راح بيل

والمعرضة والطبيب يضحكون. لقد كلى يتحدث إليهما ثلاثة أسابيع خفت،
ولصاعقت في تلك الليلة. لقد بدا وكأنه يعرف أنه يستمكن من إعلتها إلى
الحياة. لم يستسلم بعد، رغم أنه أعبط مؤخراً، ولكنه لم يتوقف. "...لحب...
لن أسمعه... وأنت تتكلم". قالت له ذلك وقد بدت وكلها متعبة بشكل كبير،
وهذا ما أدركه بيل. لقد أنهكت فعلاً.

"لحب لن أسمعه أنت تتكلمين. لقد انتظرت طويلاً حتى أسمعه تتحدثين
إلي. أين كنت يا حبيبتي؟" قال لها برفق وهو لا يزال ممسكاً بيدها.

"بعيداً". قالت ثم ابتسمت من جديد، وفطرت إليه وألف سؤال في عينيها.
وكانت تعرف أنه يملك الأجوبة التي لا تعرفها. كم طبل على غلابي.

ثلاثة أسابيع' لأجابه صليفاً، وبدت ملاحظة
كل هذا الوقت؟" لقد بدت وكلها تصارع لتجد الكلمات، ولكنها كانت
تضح، وكان الطبيب الذي يرفقها يفكر بذلك أيضاً.

تم كل هذا الوقت. لقد كان هناك الكثير ليخبرها به، وكثير لشاركها
فيه، ولكن كان الأولين بالكرأ على ذلك. فقد حطت لقوها من رحلة بعيدة جداً.

ثم فكرت في شيء وانظرت إليه بعينين لفتتين: تدي... وصوفي؟.
"إيهما بحير". لقد كان يرجو ألا يكتب عليها، لأنه لم يكن حصل على
أفهام جديدة مؤخراً، وكان يعرف أن تدي لم يكن على ما يرام. ولكنه كان
متأكداً من أن حالة تدي ستحسن عندما يعرف أن والدته قد فطت من
غيبوبتها. لقد كانت صوفي هنا. جاءت لزيارته، إيهما فتاة رقيقة، وهي تبدو
متلك تملأ. ابتسمت إيزابيل وأحسبت عينيها، وعندما فطتهما من جديد،
كانتا متصلان موالاً آخر. لقد كان بيل يعرف سؤالها لقد أمكنه أن يقرأ
أفكارها. فقال لها: "لقد كان هذا". ولولمأت برأسها، ثم أجهت بسرعة وقالت.
"رئيسي... بولملي". فقال: "أعتقد ذلك ولا ريب". كان من الطبيعي أن يعرف
ذلك.

وأفسر بسلام أخرى... جديدة... أيضاً. وهذا بدا الطبيب مهمماً أكثر

بالاستماع إليهما بهذا الخصوص، وعندها سألتها عدة أسئلة، ولكنه كان معروراً
للعامة، واقترح عليهما أن يأخذا فسطاً من الراحة فقد مورت بهما ليلة صعبة
جداً. بدت إيزابيل قلقة مما قاله الطبيب في حين جاء للعلاج ليلأخذا بيل من
السرعة. "...لا تذهب... وأسكت بيده بقوة أكثر من ذي قبل. ونظر بيل
إلى الطبيب مستقيماً.

"هل لي أن أليكث هذا؟" ساد صمت لوهلة بينهما كان الدكتور يفكر في
الأمر. لم يكن هناك مقع من ذلك. لقد كانا راشدين، وصديقين، ويمكن
للمرضات أن ينتبهن إليهما، فهذه أن بيل يستحق مكافأة مناسبة على الجهد
الذي بذله من أجلها تلك الليلة، وكل ذلك شعور طيب حيالهما.

"أعتقد أن هذه فكرة جيدة". فما عاد بيل موصولاً إلى أجهزة المراقبة
وكل ما كان يحتاج إليه هو حدود الحفنة اللوردية إلى جوار سرير، ومسكت
للأثم إذا ما طلبهم، وكان كلما يفعل ذلك.

"لربك لي تنم هنا". قالت إيزابيل وهي ممسكة بيده، فلبس بيل لها في
إشراقة. لقد عادت إليه، لقد عادت إلى الحياة. لقد كانت هذه أسد ليلة في
حياته. لقد كفا يستمكن كلاماً في حين ربتت للمرضات وضعهما وهما
مستقلين. وقام الطبيب بفحص إيزابيل بعناية، وكان راضياً بالنتيجة. سألتها
بضعة أسئلة أخرى، وأخبرته عن حالة رأسها. وقالت لها تشعر بجسدها
صالحاً جداً الآن، وأن كل ما في داخلها مكشش منقبض، وفسر لها الأمر بأن
ما تشعر به هو بسبب إصاباتها القلبية وسيمحمر هذا لفترة. لقد كان لديه
متسع من الوقت كي يفحصها أكثر في اليوم التالي. أما الآن فكلأهما يحتاج
إلى قراحة.

لطفات للمرضة كل الأكل ما عدا ضوء صغير خافت، وجاءت
ممرضة أخرى لتساعد بيل على الاستلقاء على جنبه. ونفذ سره بهذه الوضعية
بأن يكسبه معها لن يراها بشكل أفضل الآن. لم يكن يريد أن ينام، بل أراد فقط
أن ينظر إليها طويلاً الليل، ويرى وجهها ويلمس يدها. كانت لا تزال تلمس

بيده، وقد استلقا قبعة بضمهما، وبنت كملظة وهي تبتسم له. وقد اندش في رآها على نفس صورة صوفي.

لنت جميلة جداً. همس لها، وأنا أحبك جداً. لقد كانت تستحق أن ينتظراها. لقد انتظراها لثلاثة أسابيع غلته، وقبل ذلك مدى العسر.

لقد تشبعت إليك وأنا غائبة عن الوعي. همست له.

كيف تعرفين ذلك؟ قال لها هامساً في حين ليست الممرضة في ركن الغرفة.

أعترف بهذا. لقد كنا كمثل طفلين نطلب إليهما أن يغدا إلى النوم، فرأحا يتهاوسان في الظلام، في حين كان الطبيب والممرضة الأخرى قد غادرا الغرفة. وتبادل هذان الاضمام والنظر خارجاً. قد كنا مسرورين من منظر بيل وإيزابيل معاً. فلم يكن أحد يتوقع أن تتجوز إيزابيل.

تصل الطبيب بباريس تلك الليلة ليخبر غوردون أن زوجته ما عثت في غيبوبة، لقد شعر أن من واجبه أن يقول له ذلك. ولكن غوردون خرج المنزل فطلب الطبيب من المرأة التي أجابت على الهاتف، وهذه كانت ممرضة تيدي، بل أن تقول للسيد غوردون بأنه اتصل به. لم يرد أن يترك له في راحة أخرى، وبيل وإيزابيل كنا مشغولين بالامتنان له لو علمنا بذلك.

لقد بدا وكألهما كانا ينشال معاً دائماً وهما مستلقيان هناك في بضمهما البعض. حاولت إيزابيل مرة أن تستلقي على ظهرها، ولكنها تكلمت في راحة وهي تحرك رأسها، وهكذا استدوت من جديد نحو بيل. وقد كان مستلقياً تماماً ويراهاها.

ماذا حدث لك؟ سألته. وقد لاحظت انزعاجها الشديد الكبير الحجم حول صفه، فهي لم تره من قبل. لقد كانت هناك أنباء كثيرة تدور حولهما، ولما الآن لقد بدت قلقة عليه.

لقد أدبعت عيني، وظهري، متكون على ما يرام. قال لها ذلك وهو يبتسم لها. نعم سيكون على ما يرام. فهذا كل ما كان يريده طوال الأسابيع الثلاثة

الماضية.

هل أنت متأكد؟

نعم أنا متأكد. لم أفسر يوماً بأني أفضل مما أنا عليه الآن.

وأنا أيضاً. قلت ذلك ثم نظرت إليه متفكرة: أنا لا أتذكر شيئاً... كيف وصلنا إلى هنا؟

فيها قصة طويلة يا حبيبتى سأحبرك عنها غداً. فلقد اصطدنا بحفلة. ما كان يورد أن يقول لها إن أحد عشر شخصاً لاأقرا حضورهم، وكانت هي أن تكون الممرضة في غرفة الحنث. أفسر ما أتذكره هو أنني كنت أقبلك، ثم صرت أنا

أتذكر ذلك أيضاً. ولمست والتمس يدانها، ورأيت لثامب. لقد كان يرد أن يقول لي أنه لم يكن يستطيع الحركة. لقد كان يمكنه فقط أن يستلقي وهو في تلك الموضع، وكل ما يمكنه فعله هو أن يلمس يدها أو يدها. في أحد هذه الأيام، سأود أن أقبلك من جديد. قلت له حافمة، ولم يرد بيل. سأدع عنيق راح بيل خلاله يفكر ملياً في احتمال أن يكون قد فقد رجولته. وأمسك يدها في يده وصمت. لقد كان هذا كل ما يمكنه القيام به الآن. أأمل أن يكون الأولاد بخير. قلت وهي تفكر بهما، وهي لا تترك بالمخاوف التي يشعر بها بيل.

توبع يكونان بخير عندما يسمعان عن أحوالك الآن. قال لها مطمئناً. ولكن، ولو طرفة، بدت غريبة وأمسكت بشدة بيد بيل. وعندها سوف يأتي ثانية، ليس كذلك؟ ثم بدأ أن يخبرها أن زوجها لم يعد لزوجتها خلال أسبوعين فما كان يريد أن يكون هو من يطمها بذلك، وقد صار يكره الرجل لكل التقصير الذي كان عنده معها والأذى التي تلحقها.

كذلك من التفكير في هذا الآن. قال لها بيل هامساً، لماذا لا نغلق عينيك وتحاولين النوم؟ وتمنى أن يستطيع أن يداعب شعرها.

قلت له مازحة: قلت أنت أنك تريدني أن أستيقظ. قد كان من المؤكد أنها مستعدة علفها، بعد هويبة دامت ثلاثة أسابيع، وتعرضها لذلك الحادث الذي نجت منه بأعجوبة. لم تكن قد تلبثت بعد كل ما حدث لمطوياتها لا تترى عالية. وفي نهاية الأمر إلى مطوياتها وجه لها هيا من أبعادها إلى الحياة.

"سودي إلى النوم، إنه كثرة الكلام، وستمكن نفسك". لم يتوقف عن الانسجام وهو ينظر إليها. قد بدت له حتى أجمل بكثير من قبل.

"لقد أن تحدث إليك طوال الليل". قالت وهي تبسم لهفلة عريضة، ثم تكسرت شيئاً آخر فقالت: "لقد أن ذهب معك لترخص من جديد". فابتسم لها، وشعر كأنه يراها.

سوف نقوم بذلك يوماً.

"ولريد أن نعود إلى بار هنري". كانت تضع له قلعة بالرخيل التي يشعر بها، وكل يبتسم.

"الآن؟ قال مزحاً، وهو يشعر بأنه لم يكن يوماً مسجداً كما هو الآن. قد كان مسجداً في سلفاته إلى جلاها والحديث إليها.

"حسناً، غداً. وبعداً نذهب إلى مطعم أليل. فبعد أن نعوذ عن الوقت الصانع. فلما لم أرخص منذ أسابيع". قالت وهي تنتهد.

"من الأفضل لك أن تتكلمي وإلا سوف يبتدك الأطباء إلى العيوبة من جديد".

تكنني إلى استلقي هنا معك. ثم ضحكت بعمرة في الغرفة المظلمة. يمكننا الآن أن نقول أننا نتما مع بعض، ليس كذلك؟.

تسا لتخيب هذه المرأة التي ما برحت مريضة منذ ثلاثة أسابيع! لا أنس أن عليك التفكير في هكذا أمور! قال لها موبخاً، وتسمى لو لصلها بفراسه، ولكنه شعر بأنه قد سمها إليه في قلبه. فهي ملكة قلبه وحببية روحه. قد

عدت كذلك منذ تلك الليلة، بغض النظر عن نتائج ذلك، وكان يعلم أن هذا ان يتغير. قد سارت عبر ظلال الموت وعانت إليه، ومهما حدث، وليأما ذهباً، قد كان يعلم أنه ان يتعدا من جديد.

تقد سمرت معك نحو ضوء سليل جداً... قد كنا ذاهبين إلى مكان ما سترين في طريق ضيقة... وبدأ الأولاد ينادون، وجعلتني أشتت إلى الخلف. شعر وكنت أفرق صفته وهو يسمع هذه الكلمات، فقد كانت لديه نفس هذه الذكرى، تماماً كما وصفها له عندما استيقظ هو أيضاً من غيوبته.

كيف كل ذلك؟.

قد كان الضوء ساطعاً جداً... وقد كنت مذهبة جداً... جلست على صخرة. لم أزد في أعود، ولكنك بقيت تشدني. قلت لي أن يأسقنا أن نذهب إلى هنا مرة أخرى... لم أزد ذلك، ولكنني تركت تشدني إلى الخلف. وقد فعلت ذلك ثانية، تلك الليلة. في المرة الأولى أبعادها من الموت، وفي المرة الثانية من أعماق العمة التي كانت تنام فيها إلى ما لا نهاية. ولكن ما وصفته من الصخرة والور السطع كان تصلاً ما رآه بنفسه.

قد كنت هناك أيضاً يا إيزابيل. قد بدا مشوهاً، ولم تعرف ما به. قد رأيت نفس الحلم. وبغض الطريقة التي تصنعها. أعلم أنك كنت هناك. قد بدا الأمر طبيعياً لها. قد رأيتك وأمسكت بيديك، وعدت معك.

لماذا؟ كان يبحث في ذاكرته، وأراد أن يفهم ما حدث لها. لم يكن يعتقد أن هذا أمراً عالياً. قد كان الناس يحكون من هكذا خبرات، ولكن معظم الناس لم يشاهدوا نفس الصخرة الساطع في نفس الحلم، ونفس الصخرة، ونفس الطريق، ونفس الذكرى. قد أترك عندك أن روحهما التقيا وتمازجتا في مكان ما، وبطريقة صعبة ذات مغزى. في حياة أخرى، التقيا وصاروا واحداً.

قد حدث بناءً على طلبك. قالت في هدوء. ولكنني سللت الطريق بعد ذلك. أعقد أنني ظهرت على قارعة الطريق.

بالتأكيد فعلت، وإذا كنت بذلك ثاقبة يا إيزابيل، فبقي حقاً سأغضب منك.
فإليك أن تضعي ملي ثانية.

لكن الفصل: فالت وهي تقول أصابعه يده. تتكرأ لك لا تتظاري لي
ولإعتني إلى هنا. كان النعل يداعب لجلها الآن. وتناجت عدة مرات،
وقبل أن يقول لها أي شيء آخر، كانت قد عرفت هي سببت عيب هادئ آمن
وهي تمسك يده. وإذا نظر إليها، كان لديه تصور كامل عما وصفته، من
سورها مما نحو الضوء الماطع، وإيزابيل تسبقه على الطريق. وتطلب الأمر
منه أن يستخدم كل قوته كي يرجعها عن ذلك الضوء، وما قد عانت إليه الليلة
ثانية. لم يكن متأكداً من معنى كل ذلك، ولكنه كل يدرك أن شيئاً لفق الطبيعة
كان قد حدث لهما، وإذا كل مستلقياً برقبها نائمة، كان يعرف أنه ورغم كل ما
كل قد حدث لهما، فإنه رجل مصطووظ جداً.

الفصل الحاشي

اتصل الطبيب بغوردون غوريسر الساعة الثامنة من اليوم التالي لوبخيره
بأنها، ولكن نفس الصوت أجابه من جديد يقول له أيضاً أنه خارج المنزل،
وأعسراً تمكن من الاتصال بغوردون في مكتبه الساعة العاشرة. دخل لسماعه
السبا وقبل بها كل في غاية السرور، وسأل إذا كان بإمكانه أن يتحدث إليها،
ولكنه لم يكن عندها هاتف بعد. وقال الطبيب أنه سيجعلهم يضعون هاتفاً لها
عرفتاً، ولكن يمكن غوردون أن يتصل بها إلى غرفتها بعد ظهر ذلك
اليوم.

لكن الأولاد يودون أن يتحدثوا إليها قال وقد بدا متدهلاً وهو يجلس
على مفرجه، ويكر بها. لقد كان قد تألم مع فكرة ألا تستيقظ من غيوبتها،
ولكنه هذى لسماعه الثبا بأنها قد استعادت وعيها. ورغم أنه كان مرتشحاً لذلك
من أجلها إلا أن الأمر يستغرق منه بعض الوقت حتى يتألم مع هذا الوضع
الجديد.

كيف حدث ذلك؟ سأل غوردون ببراءة، فصاد الصوت من جهة الطبيب
لوهلة. فلم يزد في بخيره عن بيل روبنسون، إذ كان يعتقد بأنهما لا يريدان
الحديث عن ذلك، وقد كلى مصاً.
لقد استعادت وعيها بنفسها، قال له وكأن هذا كل ما يريد غوردون
معرفة.

لحسن صنعاً. قال غوردون وكأنه يتحدث عن دورة غولف أو مباراة
تلفس. فلي التفتش من دموع الفرح التي ذرفها بيل ليلة أمس، بدا غوردون
عديم المظاهر وكأنه يتحدث عن صديق بعيد، لقد كان يصعب على المرء أن
يصنق أنه إنما يتحدث عن زوجته. ولكن ربما لضر هذا سر علاقتها مع بيل.

نص القصة التي سيخبر بها في المشفى.

وماذا بعد ذلك؟ سأله بينما كانت الممرضة تطعمها بالمعلقة. لما كانت لداصحتها قفزة الكفافة بعد لقوم بذلك بنفسها. لقد كانت ضحية للغاية ولم يكن هذا موضع استغراب أحد إلا إيزابيل.

سوف نرى. ما كان قد أخبرها بعد أن رجليه قد أصابهما الشلل بشكل دائم، وما كان متأكداً من أنه سيبر من جديد أبداً. لقد كان يريد أن يفكر في الأمر. لم يكن متأكداً فيما إذا كان من الضروري أن يخبرها بذلك، فحتى لو لم تقصير الأمور بشكل جذري بينما كانت في حالة غيبوبة، فقد كان يحرف أنها ستعود إلى عورتين كي تمنى بلانها المريض. وكان لا يزال بإمكانه، بالطبع، أن يتصل بها هاتفياً، وأن يراه من وقت لآخر، ولكنه لم يكن يريد شقتها إذا ما كان سيقضي في كروسي متوالب. لقد كان حليها هو كل ما كان يريده. وكان يفكر أنه طلقاً ما عاد يستطيع السور على قمحه من جديد فربما لا ينبغي أن يرها بعد أن يخسر المشفى، بل أن يكفي بتواصل علاقتهما عن طريق الهاتف. ما كان متأكداً بعد ما سيحصل، أو كم يستطيع أن يراها بعد أن تفقد المشفى. حتى الآن، كانت تعتقد أن وضعه أي مؤقت، وقد كان يميل إلى الإشفاء على فكرتها هذه، وهكذا لن تنلق عليه، ولن تشفق عليه، ولم يكن قد أخبرها شيئاً عن طلاقه. لم يكن يريد أن يشعر بأنه بشكل ضحاً عليها. لقد كان يدرك تماماً أنه سيتوجب عليها في نهاية الأمر أن تعود إلى عائلتها. كل ما كان يريده الآن بدأ هو أن يستمتع بهذا الوقت المتاح لهما.

كانت في غرفتها بعد ظهر ذلك اليوم، وكذلك الأمر إيزابيل، عندما اتصل مورون. أخبرها أنه كان مرتاحاً للغاية لمعرفته أنها كانت تتحسن. لقد بدا وكأنه يتحدث من شغلها من قفاه كامل أو من سيطرة سيئة. في الواقع كان يشعر وكأنها قد عادت من الموت. في الوقت الذي عادت فيه إلى عيها، لم يكن يخوفه أن تعيش أو أن تخرج من القيدوبة. لقد بدا بشعر وكأنه أرمل، واضطر لأن يمسح عذوب المساحة فكرياً إلى الوراء، كي يستأنف حياته

كانت لدى الطبيب أسئلة عديدة لم يزد أن يطرحها، وبعد رؤيتهما معاً ليلة السبت، ما عاد بحاجة لأن يعرف أجوبة الآن. لقد أنكه أن يفهم الأمر بزمته. وتعامل كم من الوقت سمحني حتى يعود مورون إلى لندن أيراً ما من جديد. لقد كان يرجو، ومن أجل بيل وإيزابيل، ألا يحدث ذلك عاجلاً. لقد أحسها وأعجب بعلاقتها، إذ لم يكن من الممكن لأحد أن يقوم حياً كهذا، ذهب معها إلى هرة الموت وأعادها إلى الحياة من جديد. لقد كان هذا الحب من النوع الذي قلما يتشاعره الناس، وفي دسة وخطة لهما أن يكونا معاً هكذا. قال لها في سبيلها بها بعد ظهر هذا اليوم عندما أصل إلى المنزل. كان هذا كل ما قلله مورون، ولكنه أنه الطبيب أنه سيحصل ذلك.

نقلت للممرضة الرسالة إلى إيزابيل عندما وضعت جهاز الهاتف في غرفتها. لقد كانت تتشوق للحديث إلى الأولاد، ولكن ليس إليه.

ماذا سيفعل الآن؟ قالت إيزابيل بعد ظهر ذلك اليوم، وقد جلست في سريرها في غرفتها، وفي بصحتها بينما كانت تتناول أول وجبة غذاء لها. كانوا قد أمضوا لها جولة وريدية من حساء خفيف. كان قد مضى عليها وقت طويل منذ أن رقت الطعام لآخر مرة ولم يكن لديها شهية للأكل على الإطلاق.

ماذا تفعلين؟ سأله بيل. هل تفعلين لي نلعب الكروكي أو الخوف؟ أو أن نمشي في المنتزه؟ كان يمزحها من جديد ولحقها لم تنقسم هذه المرة.

سوف يريده مورون أن يعطني إلى باريس عندما تتحسن صحتي. كانت تريد رؤية أولادها، بالطبع، ولكنها لم تكن تريد أن تترك بيل.

لا اعتد أن هذا سيكون صا قريب. قال بيل وهو يحاول أن يبقى بنفسه هادئاً. لا اعتد أن في مخفوق أن تقضي من السرير وتجري عبر الباب. لقد كان أمامها أن تنهي من التفكير من الإصابات القذافية، وكما يريده أخذ الصبغة فيما يتطوّل بلصقة رأسها. لقد أخبرها الطبيب صباح ذلك يوم أنه يخوف أن تنهي هناك لأربعة أسابيع أخرى شاقة على الأقل. لقد كانت تقريباً

الزوجية معها. لقد بدا غريباً جداً، وأصابت في تصنيفها بأنه كان حلقاً بسبب
سجل، وبعثها على ذلك. لقد بدا محرجاً معها، ولكن لم يكن هناك أي إخراج
عندما تحدثت إلى ندي وصوفي. لقد بكت صوفي عندما سمعت صوت أمها،
ومما أكن ندي إلا أن يلهث طلباً للهواء ويشتج بالركاء. لقد شعرت إيرفيل
بأنه في حالة سلة وسكنت غوردون عن حالته عندما أنهى الأولاد حديثهم معها
وأعسوه السعادة. كانت لا تزال تكي من المواقف التي عثرتها عندما
سمعتها. لقد كانت قلقة عليهما.

"سوف يكون ندي في حال أفضل الآن". قال غوردون بلا مهالة. وكانت
صوفي قد قالت بأنها تود أن تأتي لزيارتها، ولكن غوردون قل أن ولدتها
ستكون في البيت في القريب العاجل. متى مسموح لك بالخروج من المشفى
في أقرب وقت؟ سألها بطريقة عذرية. لم يكن هناك داع ليذهب لرؤيتها، على
حد قوله، بما أنها ستأتي إلى المنزل.

"قالوا لي أن ذلك ممكن بعد حوالي أربعة أسابيع، فهذا يعتمد على حالة
كبدتي ورئتي، والذي". لم تكن هذه الأوصاف ضحلة الأهمية، ولكن غوردون لم
يهتم بالتفكير في ذلك. فيما أنها الآن خرجت من حالة الغيرة إليه صرف
الظلم عن باقي الأمور.

"أربعة أسابيع فترة طويلة على ما يبدو، أليس كذلك، أنا متأكد بأنهم
سيخرجونك من المشفى أسرع من ذلك إذا طلبت ذلك". لقد كان مرتباً بها،
ويشاسل إذا ما كانت تروي أن تنكبلاً أو توفاني لأني بيل كل لا يزال هناك.
لما كان غوردون ليتسائل في ذلك، "ستحدث في الطبيب بنفسه. إذ بإمكانك
أن تحظي هذا بكل العناية الطبية التي تحتاجين إليها". وشعرت إيرفيل بالهلع
عندما أغلقت الساحة، وأخبرت الطبيب بأن غوردون سيتصل به ليضبط عليه
كي يخرجوها إلى منزلها سريعاً.

"هل هذا ما تريدن يا إيرفيل؟ أربما يمكننا نلقه في مشفى في باريس
خلال أسبوع أو نحو ذلك. لنمت أهلاً بعد لتكوني في المنزل".

"تريد أن ليكت هذا" قالت له. وقد بدت قلقة ولكن كلاهما يعرف السبب.
"تساعتم بالموضوع". قال لها مطمئناً. قد كان مستعداً ليعمل ذلك من
أجلها ومن أجل بيل. لقد كان يجهز كليهما. لقد ذهبا إلى هوية الجرحى وعادا،
وكان يمكن لأولادهما أن ينتظروا، ولكنها اعترت ليل، فيما بعد، بأنها كانت
قلقة على ندي. فلم يكن يبدو على ما يرام على الهاتف، وهذا هو الأمر الوحيد
الذي جعلها تشعر بوجودها في تعامل الذهاب إلى البيت أسرع مما كانت تتوي.
لقد كانت لتصاب بالجنون لمجرد معرفة بأن ندي كان يحتاج إليها جداً وبلى
وقتها طويلاً مصى عليها بعيدة عنه، رغم أنها كانت تعرف أنه في يوم ليلتها.
وكان بيل متعاطفاً معها كعادته عندما تحدثت عن الأمر لهما بعد.

"جسي على ثقة أن هذا كان مضطراً له، والله أعلم بما قاله غوردون له
من حلفه. ولكن بما أنه سمع صوتك الآن وعرف أنك ستكونين في المنزل
خلال بضعة أسابيع، فإني متأكد بأن هذا سيجعله يتحسن يوماً بعد يوم.
وشعرت بالإطمئنان مما قاله بيل.

"أصل ذلك". قالت بحماس متقد. "أحمد الله أن صوفي هناك. لقد كانت
تريد أن تأتي لترقي، ولكن لا أعتقد أنها ستقبل ذلك. فندي يحتاج إليها هناك
أكثر مما يحتاج إليها أنا هنا. ومن جهة أخرى فإني بيل معها هنا. وكانت تود
أن تمضي هذا الوقت معه قبل أن يفترقا وتود إلى منزلها، ولكن ليس على
حساب الأولاد. ماذا عن سوني؟ هل تظن أنها ستعود لرؤيتك هنا؟"

"لا". قال لها ببساطة دون أن يحلل السبب. وستكون الفتاتان مشغولتين
طوال الصيف. لقد أخبرتني في سيارتهما عندما أعود. كان قد طلب إلى
الطبيب ألا يخبر إيرفيل عن مدى خطورة الإصابة في صوده القفري، أو أنه
ليس يستطيع المشي أبداً. لقد كان هذا الأمر، إضافة إلى موضوع الطلاق، هو
الوحيد الذي لم يرد لإيرفيل أن تشره. لقد كان يريد أن ينتظر مرور الوقت
ليعرف كم يمكن أن يتحسن. وكانت هي تعتقد أن الأمر يستغرق وقتاً طويلاً
حتى يشفى، وربما ستة أشهر أو سنة، ولذلك لم تقدهش من أنه لم يستطع السير

لو أنها كانت مستعدة لهجر غوردون، لكن الأمر مختلفاً له. ولربما أخبرها بالطريقة عن سابقه. ولكن بما أنها كانت تعتزم العودة إلى غوردون فلم يشأ بيل أن يعطها تشجيع بالقلق عليه، فقدمها ما يكفيها من الهوم والأعيان مع وجود ذلك الطفل المريض تحت كفها. وأما الآن وبعد أن رأى غوردون عين كيب فقد أدرك ما سيواجهها، وقد كان التفكير بها معه يعطه شعراً بالإحياء. فقد بدا أن غوردون ليس لديه اعتبار لها، أو حب، أو لطف، أو احترام، أو نداء عاطفي. فغوردون فوريسر كان يحش وكلن العالم كله متصوّر حول ذاته، ولم تكن إيزابيل بالنسبة له سوى وسيلة راحة وآلة يستخدمها لتحقيق مآربه، وشخص يحكي بقلبه المريض. لم يكن لديه أي تقدير أو اعتبار لهذه الجوهرة التي يملكها، كما يرى بيل. وكان يشعر بالقلق لأنها ستعيش حياة قسوة معه، بل قد تكون قسوى من قبل. فقد كان غوردون مرتكباً فيها الآن، وخلصاً منها بسبب بيل، وكان بيل يخشى أن يعاقبها غوردون على خطيئته يعتقد أنها ارتكبتها من وراء ظهره. وكان عليها أن تكون شديدة الحذر منه، وأن تولججه بنفسها، وإلا فإنه سيحول حياتها إلى كابوس من التعتيب والإزدراء. لم يكلف نفسه عناء المكوث معها في لندن عندما كانت في غيبوبة وتحضر، لبعضة أيام أخرى، ولم يعد إليها منذ ذلك الوقت. أما الآن وقد جاءت إلى عيها، فإنها ستكون مع بيل من جديد، وكان هذا صحيحاً.

عندما تحدث الطبيب إلى غوردون على الهاتف، لاحظاً بعد ظهر ذلك اليوم، أسر من جديد على رجليه في أن إيزابيل لا يمكن نقلها قبل أربعة أسابيع لأخرى على الأقل. ولم يكن زوجها مسروراً بذلك، وكان يعتقد أن الأمر غير معقول وأن الحذر مبالغ فيه بخصوصها، ولكن الطبيب أثار مخاوفه في نهاية الأمر إذ ذكر له المضاعفات السيئة التي قد تنجم عن ذلك، بل فيه القرض أنها قد تعود إلى غيبوبتها من جديد. وأسفدت رخصة صلي من جراء ذلك. وضحك عندما أخبر إيزابيل وبيل عن ذلك فيما بعد. لقد كان يعتقد أنهما

يستحقان فرصة صغيرة للسعادة على الأقل، ومكافأة لهما لآراء الأكم المورح الذي عايناه منه. ولم تكن آلام بيل قد انتهت بعد. فقد كان الطبيب يعلم جيداً كم ستكون عملية إعادة تأهيله بندياً طويلة وقسوة وصعبة. لقد كلن قد رغب له لبقته أن يذهب إلى مثلي في نيويورك حيث سيساعدونه على استعادة القدرة على استخدام سابقه قدر الإمكان. لم يكن لدى أي من بيل أو إيزابيل أدنى فكرة عما يعني المستقبل لبيل.

حتى الآن كان لديهما أربعة أسابيع مضيفاها معاً، بيلسان معاً، يضمكان وبمرحان ويتحدثان ويستعملان الحب والفرح الذي يستمد كل منهما من الآخر. لقد كانت القننى ملجأً لنمناً لكليهما، بعد الآلام التي مرا بها، وأجل أن يعود كل منهما إلى حياته الاعتيادية. فالواقع سيسمحهما بما فيه الكفاية عما قريب.

نفساً بضر معاً في غرفتها مرة أخرى تلك الليلة، وجرباً ذلك في غرفته بعد ذلك. لقد كانا قد تحررا من شائفت أجهزة المراقبة، وكلاهما يمتحن ساعلات طويلة بعد الظهر ويتحدثان عن حياتهما وأملهما ولحلامهما. لقد كان الوقت الذي يمضيه معاً مئة من السماء، وقد استخفاهما كلاهما بعد جهد جهيد.

كنا يلعبان بالورق، ويقولن كتاباً، وقد علمها لعبة نرد الكذاب. كنا يلعبان معاً ويتحدثان لساعات، وكنا يتناولان وجبات الطعام في نفس الغرفة. كانت حالة كليهما أفضى في التحسن، وكانت تتماثل للشفاء. كان بيض قلبها لا يزال غير منتظم ولكن في حال أفضل من السابق. وكانت تعاني من نوبات صداع شديدة أحياناً. وكانت تتعب بسهولة، وتنام كثيراً، وفي أغلب الأحيان مستلقية في السرير إلى جانبه. أما عتفه فكانت لا تزال مثقلة إلى ذلك السداد المريع الذي كان عابه أن ينعمه، وشفى صوره القفري، وكان يشعر ببعض الألم في ظهره أحياناً، وكانت بذلك له كفاية وذراعاه يراقق. لقد لاحظت كم قلل استخدام أسلحته، ولكن بيل كان يؤكد لها بشكل مطرد بأنها ستجده يسير على قدميه في المرة القادمة التي يلتقيان فيها، وكانت تصدله لأنها أرادت ذلك.

تقد بدا معولاً لها أنه لا يزال عاجزاً عن السير. فلم يمش سوى شهر على الحائط، ولم يكن هذا زمناً طويلاً. وكذا يتحدثان قليلاً عن الآلام والأوجاع المتنوعة التي يعانيان منها. ومستمع الوقت كانا يكبدان لثمة، ويتحدثان بلا انقطاع، وبمزهان وبضحكان.

كان قد مضى عليها أسبوعان كاملان منذ أن خرجت من العبودية عندما كانا مستقيان على سريره بعد ظهر يوم مشمس من شهر تموز. كانت التوافد مضطربة، وكان النهار دافئاً، وكذا يحكيان القصص عن طعناتهما فيما كانت تستلقي معه على سريريه. لقد كانت حريصة على ألا ترتطم أو تلمس أضمتته التي لا تزال تؤلمه. وكانت حريصة بشكل خاص على عوده القوي. وإذا راحت تحكي له عن الوقت الذي أضمتته مع جديها في هامستر، كانت تصرصر أصابعها يرفق على نراعه. وكانت قد حكّت له عقه من الخلف، وبعد نراعه، ومررت أصابعها على كتفيه وإلى أسفل ظهره حيث لا تصيب له أي أذى، وإذا كانت تعمل ذلك نظر إليها وقد انتفخت رغبة شديدة فيها، فابتسم لها، وقد بدا كطفل صغير مدلل عليل.

لماذا تنظر إلي على هذا النحو؟ سألته وهي تتعامل إذا ما كان يمشي منها. لقد كانت تبحث بجد عن جدي. لقد كان رجلاً رائعاً.

تلككيد. ولكنني توقفت عن الإصغاء إليه منذ خمس دقائق. قال لها بصوت، إن رغبتي فيه تكذب تقديري صوفي.

ماذا في ذلك؟ لمسة ترد الكذب من جديد؟ لقد كنت يائساً في هذه الحالة بشكل مستمر، وكان يائي أن يخبرها كيف أمكنه أن يعرف أنها كانت تكذب في اللثة. لقد كانت تنقصها البراعة في الكذب، وهذا ما أحبه فيها. لقد كانت بخلاف زوجته السابقة.

لا بل أفضل من ذلك. قال لها وهو يفكرها بعمرة على شفتيه. لقد تعلم كيف يستند إلى الأمام بما يكفي ليقبها مراراً وتكراراً خلسة ليلا وهما يستقيان جنباً إلى جنب. وقال لها بهنوء: إيزابيل. لا أدري كيف سيجلب الأمر

معي ولكنني أريد أن أطارحك الغرام. لقد انتابته رغبة جامحة بها خلال نصف الساعة الأخيرة. وكان مرتاحاً كثيراً إليها الآن وعلى سجيته حتى إنه رغب لو يحاول. لقد كانا لا يزالان كلاهما هشين ضعيفين، ولكنه كان يرغب في مطارحتها الصراخ وسند من بعده حتى قبل الحادث بكثير، ولكنه ما كان يطلب منها ذلك قبلها. وأما الآن فكانت في عيني نظرة مقاتلة نمت إلى قلبها.

حسناً يا حبيبي. لقد كانت هي أيضاً تريد ذلك، رغم أن كل ما فعله حتى الآن هو أن يستقي في أحياناً بعضهما بعضاً. لقد كانت تقيم شاملاً ما كان يدور من هذه الآن. "ما عليك لو أعطيتا القلب بالمفتاح؟" كانت هناك أفعال على الرغم من لم يستطعها أحد قبلها أبداً، ولكن كان هذا وقت مناسب لبادرة

أصل جانيهم لهم سيومون بنا خارج المثلي؟ سألتها بالهتاسة عريضة، في حين مضت وأضحت الباب. لقد كان بالكاد يستطيع أن يتحرك، ولكن كانت لديه رغبة لا تقاوم نحوها، وكان هذا كل ما أمكنه أن يفكر فيه الآن. لقد كان قلق جداً بخصوص ذلك منذ وقت طويل وكان يشعر بالتوتر الفكرة أن يجرب ذلك معها، ولكن لم يستطع أي منهما أن يقاوم هذه الرغبة. لقد كانت علاقتهما مليئة بالحنو والحب وممزجة بالقلق المتبادلة بينهما.

لا أدري إذا كانا قد وضعوا هذه الفكرة في حساباتهم عندما سمحوا بنا بل نعلم في نفس العرفة؟ قالت إيزابيل بخذر وأبستة لعوب على شفتيه.

يا لسفهم! قال لها وقد بدا شديد التوتر. "هذا أحلى شيء". أو على الأقل كان يميل أن يكون الأمر كذلك، ولكن ماذا إذا لم ينجح الأمر؟ وترتجف للفكرة.

حجته بترتيب لوهلة، وهي تبدو جدية، ثم فلقته برفق على الشفتين. "لقد قطع أن أخبرك أي أحلى شيء هو الذي لدينا الآن... أن نحب بعضنا، ونكون مع بعضنا... ونعاني بعضنا... أحب كل ما ينطق بك يا بيل. وما نلله الآن هو هبة إنشائية، ولكنها ليست أحلى شيء. بل أنت هو الأحلى."

لم تكن لديه لدى فكرة فيما إذا كان يستطيع أن يمارس الحب معها، ولكنه أراد أن يحاول ذلك ويشغل شغفه. كان الطبيب قد قال له في ذلك ممكن، وكان يول يرجو أن يكون على صواب. وإذا كل الأمر كذلك فإنه يود أن يشاركها في ذلك. وإن لم يكن، فقد كان يشعر بالتأكيد أنها ستكون غيبة لمل كبيرة لكليهما، فضلاً عن ناحيته. ولكنه لم يصرح لإسرائيل عن مخاوفه. لقد كان يخشى أن يشعر بالقلق أو بالأسف من أجله. وكان هذا الأخير هو جل ما كان يشاء.

لقد كانت في غاية اللطف معه وهي تخرج منه لباس المثلي، لقد كان يستمتع بجسد جميل، وكان يتوق إليها بشدة. لم يكن من أجل أن يحيا بينهما، فقد اعتادا على بعضهما بعضاً، وكل الأمر كما لو أنهما كانا معاً على الدوام ورحلت تمشيه وتناطفه وقد بدا قلقاً. لقد كان يشعر عالياً بكل ما كانت تقوم به، ولكنه لم يكن متأكداً من بقاء الأمور. خلعت عنها رداء النوم، وكان الأجساد التي كانت قد تهست وتأنست بشدة سميت الأمها فجأة، ورحلت تلبته بكل لطف وأناة، مبهمة به ثم أخذت طريقها ببراعة نحو الأسفل. لقد كانا يطمأن كل واحد منهما الآخر، وكان هذا الجانب الخفي الوحيد الذي لم يتطرقا إليه، بل اكتشاه وريداً وريداً معاً. وكان مغشوراً بمخاطفه نحوها. لقد راحلت تحاول إثارة وهي حريصة جداً على ألا تفتي بأي ثقل عليه، بل بما يكفي وفي المكان المناسب، وشعر هو بمشعة كبيرة لأفئتها له، ولكن لتأثير المطلوب لم يحدث، وما أروعه.

وحتى ما شعر به كان يبل يدرك أنه كان يشعر به مغموراً مكتوناً نوعاً ما. ورغم إحساسه برغبة جنسية نحوها، إلا أنه كان يشعر في نفس الوقت بأنه لم يكن ملكاً لنفسه. لقد كان يشعر بشيء انفصال في داخله، ولم يكن يعرف أسوأ في عقله أم في حبله الشوكي. ورغم توفقه لممارسة الحب معها إلا أنه شعر بخوف مثبط بشكل عاقل. له. لقد بدا يدرك وهي مستقلة بتوازن عليه أن الأمر لن يطلع، وشعر نفسه ليس أنه أحقق فحسب بل مغبول أيضاً لأنه لو

أن يجرب ذلك.

كانت إسرائيل مدركة تماماً لما كان يحدث له، ولكنها كانت تحبه للغاية حتى لو أتت أن تسعده وتخطه يشعر بأنه محبوب ومرغوب فيه. لقد كانت تدرك في سريرة نفسها أن هذا قد لا ينجح، أبداً، أو على الأقل في المرة الأولى. لقد كانت إصابته بالغة وكان من المنطقي أن تتوقع أن الأمر يتطلب صبراً حتى يستعيد قدراته الجنسية من جديد. لم تكن تريد له أن يخوض تحدياً مع نفسه، بل أن تعطيه الأمل والحياة. ولكن بدل الأمل شعرت باليأس في حيلوه، ولما كانت محملاً لآثاره بأن يشعر رهيبة.

"حسناً يا حبيبتي... حسناً... أعط الأمر وقتاً كافياً" همست له وقد اقتسقى بها، ثم شعرت به ينكمش إلى الجوارح ويصرف انتباهه عن الموضوع. لقد شعر بالإثارة لأنه حجز ص أن يطارحها الغرام. كل ما كان يفكر فيه يبل وهو مستلق في جوارها هو أنه قد أخفق، وما كان لشيء مما تقوله أن يغير هذه الحقيقة. لقد قسم لنفسه، وهو يمنحها إليه، أنه سوف لن يحاول ذلك أبداً مرة أخرى. ورغم حنوها وحبها له، فقد شعر بالخزي والاعتقاب والفتور الآن أكثر مما شعر به منذ الحادث، لقد كان هذا أسوأ يوم في حياته. فهو لم يمسد رجلاً. وفكر في نفسه أن ما من شيء على وجه الأرض يمكن أن ينقذه لأن يحاول مرة أخرى. ويتأكد ليس معها.

"أتدري توبك؟" همس لها، فتدنت، وهي تشعر بالرغبة لأن تعمل كل ما يمكنها لأجله. ولكنها رأت كم كان مضطرباً وفكرت أن أية محاولة لإسعاده لو أرامته، أو ملاحقته، أو تدليله سوف لن تؤدي إلا إلى استيائه أكثر. فتمت نفسها تحت الغطاء معه، وتكررت بالملاءة وهي مستلقية قربه.

"حسناً يا بيل". همست له في حنان. "سوف نلجأ في نهاية الأمر". لقد كان كلامها يدرك كم كان يحبها بسقى، ولكنه كان يريد أكثر من ذلك، ولأجل كليهما. "هذه هي البداية فقط" قالت وهي تلبته بركة على وجنته وتحاول أن تضع يده في يدها، ولكنه سحب يده. لقد كان يحاول أن يقرم دموعه، وكان

يعنى الآن لو يفر هارباً مبتدأ، ولكن لم يكن بهذه حيلة.

لا، ليست هذه البداية. قال غاضباً. لقد كان ستاء من نفسه، وليس منها. إنها النهاية. إنها نهاية حياته كرجل في نظره.

إنها ليست نهاية أي شيء. قلت له كما لو كانت تخطب طفلاً. لقد قال الطبيب أن الأمر يستغرق وقتاً حتى تعود الأشياء إلى وضعها الطبيعي من جديد. ولكن بيل كان يخشى أن يكون فشله في القيام بالعمل الجنسي دقماً. لقد كان يصعب على أي امرأة أن تتصور ما يعنيه له الفشل في ممارسة الحب. لم يكن هذا أبداً يمكن تجاوزه بسهولة. فكل ما أمكنه أن يتصور لأمه الآن هو مستقبل مذهب ليس فيه حياة جنسية، إذ أدرك أنه لن يكون في مقدوره بعد الآن أن يقوم بدور وظيفي كرجل. كان قد حدث له هذا مثل أي رجل بين وقت وآخر من حياته، وذلك عندما كان متعباً جداً، أو مزرعياً جداً، أو قلقاً جداً بخصوص الممارسة، أو عندما يكون قد أسرف في الشراب. ولكن هذه التجربة، لأن كانت الحد الفاصل، ونقطة تحول، إذ إنها المرة الأولى على الإطلاق التي يمارس فيها الحب مع إيزابيل. بعد الحادث، كل يرى أن هذه هي فرصته الوحيدة ليثبت أنه لا يزال رجلاً، سواء استطاع أن يمشي لم إن ما كان قد اكتشفه غير كل شيء حوله. إن لم نقل حولها. كانت بيل مستقيمة ومتركة تماماً للموضوع ومقلقة له دون استثناء. وكانت تكتفه أنه سيذهب في نهاية الأمر. وحتى وإن لم يكن، فقد كانت على استعداد لتقبل عجزه لديه، وأن تحبه مهما يكن من أمر. لم يبدل هذا الحب شيئاً من جهده، ولكنه شتر هالم بيل كلياً. لقد كان على يقين بأنه إذا لم يستطع أن يستعيد رجولته، إن لم يكن ساقوه، فليس من مجال أمامه ليلبي في حياته. لقد خسر الكثير تلك الليلة، احترامه لنفسه وتقديره لها، وإحساسه بتكوريته، وكل أمل سر أي نوع في مستقبل مع إيزابيل، إذ كان قد قد قهرته كلياً. وهذا ما كان يخشاه. وبالنسبة لها فقد كان من الجلون أن يصل إلى هكذا مستنجات بسبب محاولة واحدة غاشقة في أن يمارس الحب معها. ولكن مخاوف بيل كانت شديدة

الوطأة عليه. لقد كان يخشى أن تكون هذه نهاية المطلق بالنسبة لهما، رغم أن عجزه عن ممارسة الحب لم تكن بدأت أهمية بالنسبة لإيزابيل. ورغم كل شيء، وبنتيجة ذلك، صارت تحبه أكثر، وتشعر بظان غير محدود نحوه.

الفصل الحادي عشر

تلفت معذريات بيل صنعة قلعة بعد محاولتهما للفتنة في ممارسة الحب. ورغم أنهما ظلا ينامان في نفس الغرفة، إلا أنه كان مصحماً على ألا يجد فكره. لقد وجد نفسه عرضة لكل الخزي الذي أمكن أن يحصله، وحاولت إيزابيل أن تتجنبه كي يكون مطلقاً، ولكنها لم ترفض نفسها عوف. بل في الواقع كانت حريصة على ألا تعمل تلك. لقد كتبت هائلة ومشجعة، وقد أسررت، صليماً أصلاً فرصة الحديث عن الموضوع، على رايها في أنه بمرور الزمن وبالصبر سوف يستعيد على الأرجح قرائه الجنسية. أما هو فقد كان يشعر بشكل كبير، حتى خلال محاولتهما السريعة الصغيرة، بأنه سيؤدي فساد الص إلى الأبد. بل حتى كان يأمل أن يتقل الاحتمال البعيد بوجود أمل له. فبالنسبة له، صار يحير أن القلب إلى استعادة حيوة الجنسية كرجل كان منطلقاً. وبقي وإيزابيل قريبين وحسينين، وكلا يستندان عزاءا وولعاً كبيرين كل من الآخر، ولكن لم يكن يوزي أن يحاول ممارسة الحب معها ثانية أبداً.

وبينما أُنعت حائلة بيل وإيزابيل تزداد حمية عاطفياً، بدأ الزمان وكافه يتحرك بسرعة لم يسبق لها مثيل. وكان المعلمون الفيزيائيون قد بدلوا يسألون على معالجة بيل، واختصت إيزابيل لمجموعة من الفحوصات، التي كانت تشمل صورة التخطيط القمائي وصولاً إلى تخطيط الرنين المغناطيسي للقلب. ورويداً ورويداً رلحا يتقدمان في عملية الشفاء، وكلا يدركان بشكل متصاعد أن لهما معاً سوف تنهي في القريب العاجل. لقد كان الصاكت باسط الثمن لهما ثمنه حوالي شهرين بمحاولتهما معاً، ولكن مع مرور الوقت بدأ يشعرن وكلاهما متزوجين.

لقد كانا يجلسان في غرفة لحدما طوال النهار، وكان يرافقتا من أجل

إجراء التحقيقات، ويراقب الجرافد ويتناول طعام الإفطار معاً صباحاً، ويلبسان ليلاً في ممرتين من أسرة المثلى قد وُضعا إلى جانب بعضهما بعضاً. الشيء الوحيد الذي كان ينقصهما من الحياة الزوجية هو ممارسة الجنس، وهذا الأمر الذي كان لا يزال مؤلماً بالنسبة له. ورغم أنها لم تكونا على اتصال جسدي في هلاكتهما، إلا أن إيزابيل لم تكن يوماً سعيدة مثل تلك الأيام في حياتها.

"تسمر لي لأمر متجنباً على شاطئ البحر هذا" قالت إحدى الممرضات ملاطفة لهاها وهما عائدتان من جلسة تحت الشمس. شعرت إيزابيل بالصداع تلك اليوم، وكانوا قد أحروا لها فحص تخطيط للدماغ قبل الذهاب، ولكن الطبيب قال أن كل شيء على ما يرام فيما يبدو. لقد كانوا ينامون رحلة شتاء بقتابها وعصنيتها، وكانت تحرز نصفاً ملحوظاً، وكان غوردون مضطرب عليها بشكل موعد عودتها إلى المنزل، وكانت تعلم، مثل بيل، أن عودتها إلى باريس سوف تكون بعد أسابيع قليلة، لم تكن تخشى أن تحدث مضاعفات لأي منهما بقر ما كانت تخشى أن تفارق بيل وهي لا تعلم متى سيكتها أن تراه من جديد.

لقد كانت تتصل بلولادها كل يوم، وكانت تشعر أن صوفي مكتبة للغاية، وهذا ما جعلها تشعر بالقلق. فالمسؤولية نحو بوبي كانت تقع كلياً على كتفها، ورغم أن إيزابيل كانت تتحدث إليه بشكل مستمر، إلا أن حالة العلام ما كانت تبدو كما هي لفترة فتي. كانت أمه برقته، وشعرت إيزابيل بالاندب لبقائها بعيدة عنه كل ذلك الوقت، ولكن في هذا الوقت، ليس من خيار آخر لديها سوى أن تكون في مستشفى في باريس. ولكنها كانت تعلم أنه بمقدور سعادتها لروية لولادها من جديد، سيكون أيضاً من المزماد جداً بالنسبة لها أن تتركه بيل.

حدثنا عن هذا الموضوع أحياناً، وقالت لهما قد يستطيعان في المستقبل الاستثمار بروية بعضهما بعضاً في مكان ما، كما فعلا في حيرل. لم تكن تصرف كيف ستخرج من المنزل ولكنها فكرت بأنهما مستطيعان ذلك. هما كانت تشاكر بيل به الآن لم يكن بأسر يسهل التخلي عنه، حتى ولو ألقيا بضع مرات

في السنة. لما بيل فكان غامضاً مبهماً عندما كانت تتحدث من قلقة كل بضعة أشهر. بل حتى لم يكن يستطيع التفكير في ذلك الآن، ورغم أنه كان يحقق تقدماً مطرداً، إلا أن شعاعه كان ألبناً منها، وكانت مغربيته أخذه في الانحدار. لم يشأ أن يتعهد برويتها إلى أن يعرف كيف سسير أمور إعادة تأهيله البدني. وكان لا يزال يلبس أن يكون عبناً عليها. ولم يكن أيضاً يولي الامتناع من رويستها. بعد ما تشاكرها فيه في المشفى، والوقت الذي أمضياه معاً، كان من الصعب عليه أن يتخيل الكفاءة بالمكالمات الهاتفية.

"لا أعتقد أنه تفكيرين بواقعية عندما تتحدثين عن لقاءنا في باريس". قال بيل مرة في هدوء. غوردون لا يعرف بما حدث هنا، ولكنه يعلم أننا كنا معاً تلك الليلة. ولقد طلب إلي أن أخرج من غرفته بدون أي قيد أو شرط عندما كان هنا. ولا أعتقد أنه سيكتفي بلي بقت مقترحاً بلماذا تخرجين وتجولين هنا وهكذا. أعتقد أنه سيرتاب بما كثيراً، ويكف. لقد كان بيل يدرك أنه قد يراقب حتى مكالماتها الهاتفية. قد صم غوردون عندما أدرك أن زوجته كانت قد أفلتت علاقة صداقة مع رجل دون علمه.

لم يبق بيل ذلك لإيزابيل، ولكنه كان قد قرر قبل أسابيع أنه إذا ما ظل حبيب الكرسي المدولب لبقية حياته فإنه سيراض أن يشك عبناً عليها، أو على أي شخص آخر. ولقد كان هذا أحد العوامل، وليس العامل الأهم، الذي دفعه لطلاق سنثيا. وعلاوة على ذلك، فإن لم يستطع أن يكون رجلاً مع إيزابيل بكل معنى الكلمة فإنه سيهيي العلاقة بينهما.

لو أمكنه أن يتعلم السير من جديد أكثر سيقابلها بهدوء في مكان ما من فرنسا عندما تستطيع أن تجد طريقة أو حجة للخروج من المنزل. ولكن المسألة الجنسية بقيت علامة استهتام بالنسبة له. فإن لم يستطع مركز إعادة التأهيل في الولايات المتحدة للنجاح في جملة يسير على قدميه أكثر من لأطباء في إنكلترا، كما يعتقد فإنه سوف أن يراها من جديد. فالجنس أن يكون موضع بحث أندك. فما كل ليود أن يقل عليها بمحزة إذا ما فتر له البقاء في

كرسي متولب طوال حقيقته. لقد كان هذان الموضوعان يعذبه ويؤرقه كثيراً خلال الأيام الأخيرة لهما في المشفى وهما موضوع أن يمضي على قصده من جهده، وفيما إذا كان سيستعيد رجولته مع الألم. وما كان يريد أن يحصل إيزابيل وزرأي من هاتين المصلتين، اللتين ما كانت تعرف مدى الإجهاد واليأس الذي يشعر بهما بسبب ذلك. لقد حرص بيل على ألا يعرف لها عن مدى تشاومه، رغم أنها لمها كانت تشعر بذلك دون أن يحكي عنه.

واصتراف مرة للطبيب أنه كان قد حاول أن يمارس الحب معها، وعن مدى الألم الذي شعر به بسبب فشله في ذلك، وكان قد طمأنه الطبيب قدر استطاعته.

هل تعلم. أنا لست مذهشاً من ذلك. قال له الطبيب الجراح بأنهم فاقوا لمشككته. كي الواقع أن الأمر يدعو إلى القنول نوعاً ما، بالنسبة لأول مرة، ويصدق كل هذه الإصابات الباقية التي تعرضت لها، وأعطى وقتاً لهذا الموضوع، واعتقد أن ما حدث من المفترض أن يشجكم أكثر. فلا يزال من المتوقع جداً والمنطقي جداً أن يمتكث أن تحقق الانتصاب وهزة الجماع كليهما خلال أول مرة. اعتقد أنه كنت متزعزعا ومتصبساً ومقللاً قبل الأول. فلا يزال من متضجع من الوقت أملاً. ولكن وعلى الرغم من الارتياح الذي كان يبعث على تحدته كلمات الطبيب في نفسه إلا أن بيل لم يصفه. لقد لازمه الشعور من أن حالته مهيو من مهنا، وأن الأمر أن ينجح معه على الإطلاق. كان قد عند ذلك على ألا يحاول ذلك أبداً في أي وقت من الأوقات في المستقبل القريب، رغم أن إيزابيل كانت ستهزل جهدها لتكون مبدعة خالقة في هذا الشأن أكثر منه. لقد طرد من ذهنه كل فكرة بعلاقة جسدية مع إيزابيل في الوقت الحاضر، وربما إلى الأبد. ولم تكن لديه أي فكرة عن الوقت الذي سيسمح له هكذا فرصة لمحاول ذلك من جديد أو لمها إذا كان هذا الأمر مثلاً.

ولكن وعلى الرغم من الحذاب المرير الذي كان يعاني منه بيل، إلا أنه وبقي وإيزابيل يتسلطرن غرفة واحدة، وكانت تفكر ملياً بما تعلمه بحياتها.

كانت تعلم أنها لن تتخلي عن زواجها أبداً وذلك بسبب تودي وصوفى، ولكنها ما كانت مستعدة الآن للتخلي عن بيل. فإن يكون عشيقاً لها بشكل جانيماً من حياتها لم تكن لتتصوره من قبل أبداً، ولكن كان هذا ما أرادت الآن وكل ما كان يمكنها أن تخطي به. لقد كانت تجمعها وبيل لأنها لم تعرفها أبداً من قبل. لقد كانت معظم الوقت تشعر وكأنهما جسدتان في روح واحدة. وما كان لشيء في الكون يستطيع أن يقطعها تتخطى عن ذلك.

كانت تتحدث إلى غورديون مرة كل بضعة أيام. لقد كان يجعل مكرتونه تتصل بقرص الممرضات كل يوم كي يطمئن على حافتها، ولكنها كانت غالباً تريد أن تتصل به في المكاتب بدافع من احترامها له ولظروف عمله، وطمأن على حاله. وكانت صوفى تتصل بها في المدة لتتقل لها أخبارهم. وكانت إيزابيل تتصل بتيدي شخصياً كل يوم. وعندما كانت إيزابيل تتحدث إلى غورديون كان يبدو، كما هي العادة، بعيداً وبارد والمولف. وصارت تشعر بمشاعر غريبة وكأنها كانت تقاطع عمله أو أنها اتصلت في وقت غير مناسب. ما كان لديه الكثير ليقوله لها، منذ الحادث، ولكنها أن تشعر أنه ما عاد يثق بها، رغم أنه لم يتحدث صراحة عن ذلك. لقد كانت تشعر وكأنه كان يحاربها، وكانت تعلم أنها عندما تعود إلى باريس وتكون معه، فإن لديها بعض التصير لتخضع له. ولكن حقيقة أنها كانت مع بيل في نادي أنابل وفي بار هاري، وأنها كانت معه في ساحة الحادث عندما اصطدمت الحافلة بسيارتها، كان يجعلها دون قبولها بذلك. قال لها مرة في إحدى مكالماتها: كنت لست المرأة التي تزوجتها يا إيزابيل. وفي الواقع، لست متأكد من أنني أعرف من أنت. وشعرت بالذنب لمها بسبب قوله هذا، والبركة أنه لم يكن من الصواب أن تقسم علاقة مع بيل. ومع ذلك لقد كان بمثابة نواه لها الآن، وحياتها تعتمد عليه، وما كانت تريد أن تتخلي عن ذلك.

كانت تتحدث إلى بيل في هذا الموضوع في إحدى الليالي بينما راحت تلك ساقه. وقال إنه ما زال يشعر بخدر في ساقه، ولكن لديه بعض

الإحسان كما في أمكة أخرى، وكانت مسافة تأملها لجداً كما لو أنه مشى مسافة طويلة. كانت تخبره عن الحمار الذي دلف بينها وبين غوردون ذلك اليوم. لقد كان يتحدث إليها بطريقة عالية مقتضبة، وتلصصت الصعداء عندما أغلقت سماعة الهاتف.

"لا أعتقد أنه سيق بي من جديد على الإطلاق". قالت إيزابل، ويلاحظ هو على حق. ولا ينبغي أن أنصبر حتى كيف يمكن أن تكون عليه حياتي عندما أعود إلى المنزل. وماذا عنك؟ إلى أي درجة سنبقى غائبة منك؟ لقد لاحظت إيزابل أنه لم يتحدث أبداً عنها، بل عن التفتيش فقط. ولكن علاقتهما كانت مختلفة كثيراً عن علاقتهما مع غوردون، فقد كانت لهما حصة منفصلة أكثر، ويبدو أن يكون هناك من علاقة خفية بينهما بل مجرد إتياء بذلك وحسب بعد الآن. مما كان قد أضر بإيزابل بعد عن الإطلاق. لقد كان هذا هو السر الوحيد الذي ألقاه عنها. ما كان يريد أن تعلم أنه سيكون مطلق الحال عا قريب. لم يكن يريد لها أن تتعرض بالأمل. لقد كان يعلم أنها ستحافظ على زواجها، وهذا لأنه أن من الأفضل أن تعتقد أنه هو أيضاً سيبقى متزوجاً.

"لا أعتقد أنها كانت مبرورة عندما رحلت". قال بيل بصدق. لقد كانت صريحاً معها فيما يتعلق بشاعري نوحه. ولم تكن مضطراً لذلك. ولكنها تعزلي، وكانت تعرف كم كانت تلقاً عليك.

"لم تخرج من ذلك؟" سألته إيزابل بلهتة.

"بالتأكيد لم أخرج، ولكنها تعرف أن من الأفضل ألا أثير جلبة كبيرة. إذ أن ماضي حياتها حافل بالأسرار التي تعرض على ألا تتكشف". وأبتم لإيزابل وتابع قوله: "لا يمكن زج إنسان في المسج لأنه عائق. كما وأن سنبقى قد عاشت حياتها الخاصة على هواها على مدى زمن طويل، فما كانت لتبقى بدون علاقة خلال السنوات العشر الأخيرة".

كانت إيزابل خارقة في التفكير وهي تصلي إليه. "لا أعتقد أن غوردون قد حاسني يوماً". قالت في حنوه. "إنه أكثر محافظة وأمانة وعلاقته من أن

يأخذ شيئاً كهذا". ولكن ما كان يعرفه بيل عن طبيعة الحياة الزوجية بينهما جعله غير متأكد مما كانت تقول، ولكنه لم يشأ أن يقول لها ذلك. فقد بدأ غريباً من زوجها لي يكون رجلاً على هذه الدرجة من البرودة والقسوة نحوها دون أن يكون له راحة أو هراء في مكان ما آخر. وعلى العكس من ذلك، فعندما انتهى به، لم ير في غوردون ذلك النوع من الرجال المخلصين الصادقين نحو أي كان. فقد كان على الدوام خارج البيت مسجاً وراء مرضاة نفسه. وكما بيل يعتقد أن وجود ضيقة ما في مكان غربي يفسد سلوكه غوردون المضيف نحو زوجته.

"ما الذي يجهلك تعتقد ذلك؟" سألها بيل بحنوه. ألم يكن يريد أن يعكز صفاء الأمور، خاصة وأنهما عقدت إليه. لقد كان يريد أن ينها حياة سلمية آمنة، لا أن يساعدها على شن حرب على الرجل الذي بإمكانه أن يكون شديد القسوة عليها وأن يحطمها.

"لحولف لا تهتم، وكذلك الجنس". قالت بصراحة. "نحن لم نتم في نفس الغرفة منذ سنين". لقد كان يدرك ما تعنيه بقولها هذا، فابتسم لها. لقد كانت امرأة تتصرف بخجل وبإلقاء بكل معنى الكلمة. ولكنها صريحة وصافحة معه جداً. وشعر أنها سألته إزاء ما تفكر به نحو زوجها.

كان بيل وإيزابل سعيدين جداً ولطيفة، ولكن الأسبوع الذي أعقب ذلك بدأ يشعران بالتوتر. كل أحدهما مجموعة لغتبات عليها أن تلتصق لها ضمن جدول محدد، وإذا كان الأطباء راضين عن النتائج فإنها ستذهب إلى منزلها. كان ذلك في نوفمبر شهر آب (أغسطس)، وكان قد مضى عليهما شهران في المشفى. وكفى غوردون يرداد هيفاً وغضباً يوماً بعد يوم، ويتهم أطباءها بالتسلط والتواني في إخراجها من المشفى. وتم ترتب استقبال بيل في مركز قناتميل لمدة شهر قادمة، وكان يتوجب على إيزابل العودة إلى باريس، وهو سيعود إلى الولايات المتحدة. وشاورت مستشارها الرومانية على الانتهاء. وهذا ما كان مسجاً على كليهما أن يولجها.

فصل قسم أن اتصل بي كل يوم ٦ سلكته وهي حذينة ولحمة في إحدى الهاتين وهما مستقيتان في الممرير. ولكن من المفترض أن تجري أفر تخطيط صماغ لها في اليوم التالي. كان كبدنا أهدأ في الشتاء، وبدأ قلبها طبيعياً في تخطيط الرئتين فيفلسطيني الأخير الذي أهدأته، وكنت رلتها سلميكي لغيراً. كنت لأتصل بك حشر مرات لو استطعت. قال لها وهو يندبها منه كثر. وتطمئن لكه القدرين على الاتصال بي.

سوف لأصل. سأسهبط باكراً جداً كي أتمكن من الاتصال بك قبل أن تذهب إلى النوم ليلاً. ولكنها كانت تعظم ليصاً بأنها إذا كثرت من الاتصال به فإن هورودون أو مكرتيرته سوف يرى أولفقه على فواتير الهاتف. لم يكن يومسها الاتصال به بغيره هو. وكانت تتركه كم سيكون مريباً أن تستمر في علاقتها معه عبر الهاتف، ولكنها ما كانت تطلق فكرة أن تكون بمدى عن الاتصال به. لها برجا بوشان معاً منذ شهرين.

لقد تنمنا بفترة وجودهما في المشفى، وكانت تخيفها فكرة فراقه الآن. ولم تكن لديها أدنى فكرة متى ستراه مرة أخرى. كان الأطباء قد أخبروه أن من المستوف أن يبقى في مركز إعادة التأهيل في نيويورك لفترة تتراوح بين خمسة أشهر والسنه. وقد بدأ الأمر وكأنه حكم بلسن الموبد على كليهما.

عليك أن تسمعي جهنم لتستغل للشقاء بسرعة. قالت له وهي تقبل صدره وتحنى فوقه على الممرير. تريدك أن نأتي إلى باريس بأسرع ما نستطيع. إذ كان من المستحيل عليها أن تستطيع الذهاب إلى نيويورك. لقد حصلت صولفي حسب تدي ليل طويل بما فيه الكفاية، وكانت على وشك العودة إلى الجامعة. وكانت إيزابيل تترك له أن يمكنها أن تغادر باريس ثانية إلا بعد وقت طويل. وكانت تشتر بشوق كبير لتري تدي بنفسها. قد كان يبدو ضيقاً أكثر فأكثر على الهاتف.

ولكن بيل تلمسني أن يقول أي شيء عندما ذكرت موضوع قدومه إلى فرنسا، ولم تلاحظ إيزابيل ذلك. لقد كان قد قطع على نفسه وحداً بأن يسأل

تدريجياً من حيثها إذا عجز عن استعادة قدرته على المشي أو في حال أسوأ. إذا ما ظل قادراً لرجولته. لقد كان هذا قطعاً أجراً مع نفسه ولم يقل لها أي شيء عنه. لم يخبرها عن تقيده لثقتهم لمستقبله، وكم كان يخشى ألا يستطيع السير على قدميه من جديد. لقد كان يريد أن يعرف أولاً ما سيفعلونه له عندما يعود إلى الولايات المتحدة. فكان لا يزال عاجزاً عن أن يصدق أنه سيبقى مقيداً في كرسي متحرك، ولكن إذا كان الأمر كذلك، فكيفها إذا شخصاً واحد عاجزاً في حيثها، وإن يسمح بأن يكون هو الثاني أيضاً.

لم يكن بيل يحتمل فكرة أن تتفق طوبى، أو أن تخفي به لأن طوبى أيضاً العناية ببناتها. لقد أفضت أربعة عشر عاماً مع طفل عاجز للخلفية. ولم يشأ أن يعطها تلمسني به أيضاً أو حتى أن تفكر نحوه هكذا. ولكن حتى لو كان إن سراًها من جديد، ما كان يستطيع أن يتحول إلا يتحدث إليها على الهاتف. لم يكن لطريق أن يتصور أن يصحو في الصباح، أو في الليل، دون أن تكون إيزابيل بجانبه. لقد أتمه حتى مجرد التفكير بأن تكون بعيدة عنه دون أن يستطيع أن يرقبها، أو يعتني بها، أو يراها تهتم له وهي دخلت إلى غرفته. لقد كان الوقت الذي أمضاه معها أجمل أيام حيثها. ولقد كان يمتنى لو أفضت الأمور منحنى آخر. ولو أن تدي كان أوفر صحة، وأن هورودون كان أقل سطوة وتسلطاً عليها. لقد كانت لديه أسهات لا تعد ولا تحصى من أجلها، وكان يخشى ألا يتحقق أي منها.

بدأت الأيام القليلة الأخيرة لهما في المشفى تمر بسرعة الصوت. كانت نتائج اختباراتها جميعاً طيبة واستغلت بعضاً من وقتها وعافيتها من جديد. لقد كانت فعلاً لمفارقة المشفى، وتم ترتيب وإعداد كل شيء لأجل ذلك. كان من المفترض أن يأتي هورودون من باريس كي يبعدها إلى الدوار، ولكن في آخر دقيقة، أخبرهم أنه استخدم مرضه لتقوم بالرحلة معها بدلاً منه. قال إنه لديه أعباء كثيرة. ولكن إيزابيل أثرت ذلك، فلم تكن تريد لأحد أو لأي شيء أن ينضمها من البقاء مع بيل في ليلتها الأخيرة معه.

وتركتهما الممرضات وحدهما في البقيتهما الأخيرة. لقد كفا في أمس الحاجة إلى بعض الوقت الهادئ معاً، ليكرنا على مقربة وبسلام معاً. لقد كانت مزمعة أن ترحل في الصباح وبيل مغلغل في الأسبوع التالي. فكان لا يزال لديه بضعة اختيارات أخيرة عليه أن يصلها.

قلت لإيزابيل حريئة: "أصعب علي أن أتقبل أن أتركك هدأً. ورفقت سريره، وتعلقاً بحرارة. لقد كنت تود لو تجد طريقة ليصلها الخرافع فيها، ولكنك لم ترد أن ترعبه إذا لم ينجح الأمر وخاصة في ليلتهما الأخيرة. لم تكن لتتصور عودتها إلى غوردون الآن، وشعرت بالارتياح لأنها وغوردون حافظا على هبة تهادب بينهما. بالذات كانت تستطيع أن تتذكر كيف كانت هولتها مع غوردون، فقد كانت تشعر أنها متروكة إلى بيل أكثر بكثير."

"أريدك أن تهني نفسك يا حبيتي". قال لها وقد ضمها إليه أكثر. لقد استبدلوا أنه سند الحق الضخم بلغر أسفر جهماً، فمكنه أن يحرك رأسه قليلاً. لقد كان هذا يطمئنه مجالاً لأن ينظر إليها بسهولة أكثر، وكان كل ما أمكنه أن يراه الآن هو النظرة في عينيها. لم يكن أحدهما في حاجة إلى كلمات ليصورا عما يشعرون به. لقد هدأت علاقتهما أقوى من ذلك بكثير، والأمر متردد مستأنس أكثر. كان عليهما أن يتعلما أن يعيشا دون أن يرى أحدهما الآخر كل يوم، دون أن يلمس كل منهما الآخر، دون إداها الحائض على كتفه عندما يكون متعباً، أو ذراعه تحيط بها عندما تنفر. ولم تكن هي لتتصور ذلك ولكن كانت تتركه أن كل هذا سيجري حقيقة واقعة في اليوم التالي عندما تخطو دافئة إلى منزلها في شارع رو دي غرينيل. ولقد تحطم فؤادها لمجرد فكرة فراره.

"لا أستطيع ذلك". صممت بصوت ناعم والدموع تنهمر على خديها وهي مستلقية إلى جواره. "لا أستطيع ذلك من دونك."

"بيل تستطيعين. وسوف أنكون أبعد من الهالك بالنسبة إليك". ولكن كان كلاهما يعرف أن الأمر سيكون مختلفاً الآن. وانتهت شعور غريب حول

رجوعها إلى غوردون. لقد كان قلباً بارداً معها على الهالك مما جعلها تترك أنه سيعلمها بسبب التجاوزات التي ارتكبتها، وعلى وجودها مع بيل عندما وقع الحادث. وكل ما كان قد حدث تلك الليلة لم يكن عقاباً كافياً. ولقد صدق حسنها في أنه كان حلفاً عليها لأنها كفت مع بيل في السيارة، وكل ما كان يخبئه ذلك، وما يدل عليه الآن.

استبقا هناك في صمت ولوقت طويل يرانان البذر في سماء الليل. وسرعان ما ابتاع الصبح عليهما. لقد رقدوا في السرير معاً لأخر بضع دقائق مضيقاً معاً. ودخلت ممرضة لتذكر إيزابيل أن عليها أن تستيقظ. فاستصحت وارتكت ملابسها وجلست إلى مائدة الطعام مع بيل. ولكن لم يستطع أي منهما أن يكل شيئاً. لقد جلسا ورلما يتبادلان النظر، في حين راحت إيزابيل تتشجع باللهاء، ثم عفتها وقد راح يمزحها ويضحكها.

تسكون على ما يرمي يا إيزابيل. سوف أقبل بك الليلة". قال لها وتمسك نفسه وتمسكاً في الخلف. "لا تبكي يا حبيتي...". لقد بدت كخطة محطمة الفؤاد، وكفت كذلك حقاً بشكل أو بآخر. قال تفارقه كان أصعب بكثير من أن تترك منزلها. لقد كان مصدر الغراء واللحب الوحيد في حياتها.

كان غوردون قد أرسل لها بعض الثياب من باريس: طقم بسيط لأمود اللون من ماركة شافيل قد ارتكته الآن، وحذاء جلدي أسود شعرت أنه واسع على قدميها. لقد قلقت الكثير من الورق، وتغير شكل جسدها. وكنت دجيلة مشوشة اللون، ولكن بيل رآها الآن لاجل الكثير من أي وقت مضى. لقد كانت قد سرحت شعرها إلى الخلف على شكل ذيل القرس، ولم تكن قد وضعت شيئاً من المكياج، ولكن أصر شغافه فحسب. ورويته لها على ذلك الشكل ذكره به صلحاً وصلوا إلى لندن في حزيران، وذلك في أول يوم عندما خرجا للغداء، وإلى بار هاري تلك الليلة. لقد حدثت أمور كثيرة، واجتازا جسوراً صاعدة. ما كان لحد ليصدق أنهما قد كانا يصلان على حد الموت، ثم وجد كل منهما الآخر من جديد. والآن قاربت لاصتهما على الانتهاء. كان يجب أن يعودا إلى

الفصل الثاني عشر

صلت الطقارة التي حوزت عليها سكرتيرة غوردون مقدماً لإيزابيل في مطار شارل دي غول بعد الساعة الثانية بقليل. لم يكن معها الكثير من المتاع، بل حقيبة صغيرة وحيدة مع عدة المكياج وبضعة كتب وبعض الصور لأولادها وإيزابيل. لم يتوقع أي مقبليات شخصية وهي في المستشفى، وبظنرة إلى جوار سفراء المطار لها موظف الهجرة بالممرور. لم يكن هناك من ينتظرها، فبعد أن لم يأت، وانضم صوفي عن رفم الرحلة التي ستكون والنهائى على مطارها.

في غرفة الذي استقلت فيه السيارة التي كان غوردون قد أرسلها لها، كانت في قمة الدهشة من شدة الإرهاق الذي شعرت به. بالتأكيد كانت تستطيع أن تعمل خطأها. كانت تعرف أن بعض هذا الإتهام يعود إلى سبب عاطفي، ومن ناحية أخرى قد كان تخيراً هائلاً عليها لتكلم معه وقد علقت الآن إلى العالم من جديد. ولكنها الممرضة في المطار وهي على كرسي مدفوف، حيث كانت لإيزابيل تجلس في هدوء تفكر في بيل. وقد حاولت أن تتصل به قبل أن تركب السيارة، ولكن الممرضات في لندن قلن لها أنه كان نائماً. لم ترد إلى توقيتها وبطبيعة الحال لم يكن لديها ما تخبره به، سوى أنها تحبه وأنها تعتقد أن تكون بعيدة عنه. لقد بدأت لتوها تشعر بالهزدة والعزلة والاشتياق إليه، مع أنها لم تصل إلى البيت بعد. وكانت بالمقابل تعلم أنها ستكون سعيدة لرؤية أولادها من جديد ما أن تصل إلى المنزل.

تحدثت إليها الممرضة بعض الشيء خلال رحلة الطريق إلى باريس. لقد كانوا قد استخدموها في المستشفى، وكانت تعمل كممرضة شخصية. كانوا قد حجروا لها كي تعود إلى لندن الساعة السادسة من تلك الليلة. لقد كانت مجرد

العلام الحقيقي، العالم الذي ما كان ليتمكنها فيه أن يكونا معاً، وفي الواقع سيفتركان عن بعضهما بعضاً مدى العمر.

'أشبه جداً إلى نصفاً'. قالت له وهي تعلقه بشدة. 'عد إلي سريعاً'. همست له في حين انقسم لها وسط عينيه الحزبتين. 'ولا تمنحكم لحبك'.

كوني قوية يا إيزابيل... أنا أيضاً أحبك، قل لها وهو يشعر وكل جزمًا يتنزع منه، مثبت بشجاعة وثابت لحر الباب، ثم توقفت، ونظرت إليه للمرة الأخيرة وأبتسمت وسط الفموح، وخرجت من الغرفة.

شكرت الممرضات، وودعت كلا الطبيب الذين جاما لإلقاء تحية الوداع علىهما، ووقفت الممرضة التي استخدمها غوردون لأجل الرحلة على مقربة منها لكي تصادها إذا ما سقطت أو تهلوت، ورافتها إلى المصعد. ولقاء ذلك، كان كل ما تمناه هو أن تعود لمرافقتها إلى الغرفة لتعقد عتارب الساعة إلى السوراء، لتعود إلى الحديقة إذا أزم الأمر، وتلك فقط كي تبقى معه. صعدت إلى المصعد وقد ططأت رأسها، ولكن للجميع أن يروها تكي فيها لوحوا لها وأغلقت الأبواب.

لم يدخل أحد إلى غرفة بيل بعد أن غادرت إيزابيل، وتلك احتراماً له لم يسهل له بيلي، أو ينظر بحذبه إلى السقف ونظرة من الأعم المبرح تليق لهما وهو يفكر فيها. ولو كان قد ألقى إلى أسفل أحد من خلف الباب إلى اسمه يشيح بالسبحاء لبرهة. لقد كان صوت أمل يتنصر والعلام ضاحك كان صوت بيل عرف أنه لن يرى أبداً المرأة التي أحبها ثقافية. وعندما كانت الممرضة في نهاية الأمر بعد ساعتين كان قد بكى إلى أن غلبه النعاس فلم.

جليسة أطفال خلال رحلة الطريق كما كان قد قال بيل، وقد ظن أنها فكرة جيدة ألا يرافقها غوردون، فإن شعرت إيزابيل بالدوار، أو سقطت أرضاً، أو خافت أو ارتبكست فمن الأفضل لها والحالة هذه ألا تكون وحدها. لقد كانت مريضة منذ وقت طويل وتعلمت صدمة كبيرة، سألته تلك المرأة بضعة أسئلة تتعلق بالحادث، قرأت مخطوط الرحلة، ومن ثم التزمت بالصمت، وقرأت كتاباً في الطائر.

كانت إيزابيل تشعر بالارتباك على نحو غريب فيما كانت السيارة تسير بهما إلى البلدة. لم تكن متشوقة لرؤية باريس من جديد، وعندما رأيت برج إيفل لم تشعر بأنه يعني لها أي شيء. لقد كانت تريد أن تكون على الجانب الأكر من القنال الإنكليزي، في المشفى مع بيل. وحملت نفسها على التفكير في يدي وصوفي عندما وصلتا إلى باريس وحيروا إلى الضفة اليسرى. وشعرت بالإثارة بشكل مفلج وغريب عندما انطلقت السيارة بهما إلى شارع رو دي غرينيل. كل ما أمكنها أن تفكر به الآن هو أولادها، وما كانت تطلق صبراً فتراهم من جديد، وفي نفس الوقت اجتاحتها شعور غامرة بالاشتياق والحزن وهي تفكر في بيل.

كانت الأبواب البرونزية الضخمة المؤدية إلى الفناء مفتوحة، في انتظارها. وكان الحارس يترقب السيارة، وإذا دخلت السيارة إلى الفناء، نظرت إيزابيل إلى الأعلى باتجاه المنزل. لم تستطع أن ترى لحداً ولكن عرف الأولاد كانت في مواجهة الحديقة، مثل غرفتها تماماً، ولم تكن تتوقع وجود غوردون في المنزل في ذلك الوقت من النهار. لقد أخبرها أنه سيكون في المنزل الساعة السادسة، وكان يومه حافلاً بالمواعيد في مكتبه، وقالت له بأنها تنظم ذلك. لقد كان يشعر بالفزع لغير إذا تجدد أن يكون هناك لدى وصولها أو أن يلتقيا بالسيارة أو يلاقيها. لقد كانت هذه طريقته ليعطيها أنها لم تكن لتتحكم به وسوف لن يكون لها ذلك أبداً. ولم يكن هناك أحد في استقباليها فيما ترجلت من السيارة.

أحسني الحارس ولمس بيده قبضته دون أن يتقوه بكلمة، وأومأت له، ودور السائق بالسيارة، في حين تبعتها للممرضة صاعدة الدرجات القليلة المؤدية إلى المنزل.

قرعت إيزابيل الجرس، ولم تتلقَ جواباً لفظة، ثم ظهرت جوزفين، مديرة المنزل. وما أن سمعت إيزابيل حتى انفجرت بالدموع وارتدت عليها تعاطفها.

أما سيديتي... لقد كانت تظن أن إيزابيل سوف تموت، وكانت سعيدة لرؤيتها الآن بدون تكلف. لقد كانت معها طوال سنين حياة إيزابيل الزوجية. ومسحت عينيها في حين علقتهما إيزابيل وهي تبتسم.

تسرنى رويك. قلت لإيزابيل ذلك ونحلت إلى الردهة المألوفة، وأجالت الطرف حولها. لقد بدت مختلفة عما كانت تذكرها. بدت أكبر، وشاحبة أكثر، ومثيرة للحزن أكثر نوعاً ما. غريب كيف أن الدماخ يمدح المرأة، ولكن ما عاد هيئت تشع بالراحة. لقد بدا غريباً، وكأنها دخلت إلى المنزل الخطأ. وتساءلت هل الحادث والإصابة التي تعرضت لها في رأسها جعلها تشعر أن على ذلك النحو، ثم أن الأمر ككل حقيقياً. لقد غابت لفترة طويلة، فقد مضى أكثر من شهرين على رحيلها لتضيي يومين في لندن في شهر حزيران. انتهاء كشيرة قد حدثت، وبدأ كل شيء غريباً بالضميمة لها وقد عادت الآن. لقد كانت تشعر بأنها ما عادت تنتمي إلى هذا المكان، وما عادت تريد هذا الانتماء إلى ذلك المنزل في شارع رو دي غرينيل. والشيء الوحيد الذي أبقاها هناك كان أولادها.

شكرت الممرضة على إحضارها لها إلى المنزل، وتركتها مع جوزفين، وسارت في سودة وصعدت السلام لترى أولادها. وقالت على لغة السلام لبرهة لتتلقَ أنفسها، وأمكنها أن تسمع أصواتاً في البعيد. ولوحة خبا كل ما حولها ما عاد صوت ابنيها. لقد أمكنها أن تسمعه يتحدث إلى أحد ما، وبخطي صامتة سارت نحو غرفته وفتحت الباب.

لسم يبرها يهدي لأول وهلة، إذ كان مطلقاً على سرير، ويتحدث إلى ممرضته المفضلة، موتا، ولخطاطات إيزابيل أن تسمع دون أن تراه وتشرح له كسب متعباً ومكتئباً. لم تقل له أي كلمة تنبيه، بل دخلت الغرفة وهي تبسم.

نظر إليها لأول وهلة وكأنه لم يستطع فهم ما حدث ثم أطلق صرخة هتاف كبيرة من الطرب وفزع من على سرير ورخص لهما. وضمتها بشدة حتى كاد أن يوقها أرضاً.

أملاً. لقد حدث، لقد كان يعلقها ويصمها ويشدها إليه ويقيها بشدة، حتى شعرت أنها على وشك أن يتولوا على الأرض كلاهما، وحاولت أن تخلصه نفسها لئلا يسقط، في حين نبهته الممرضة أن يبدأ قليلاً. وكانت معاقبتها له على هذا النوع والإحساس به ولمسه وشم رائحة شعره المنفرة العطرة كغيلة يجعلها تترقب الدموع من عينيها.

يا الله، لقد تشقت إليك كثير... لا أصدق ذلك... يدي. أنا أحبك... لقد كنت كمثل أم مع جرو صغير، في حين كان يسحبها ويشدها، ويقبلها ويبيدي مدي محبة لها. وشعرت فجأة كم أنها كانت مشتتة إليه، وعندما انتزعت نفسها منه للبالأ وجلست على سرير، وهي لا تزال تسك بينيه، أمكنها أن ترى كم كان ضلماً. لقد كان هزياً لكثير مما سبق وبدأ ضعيفاً لكثير منه عندما رطت، وشرع يسعل عندما جلس إلى جانبها على السرير، وراحت كم كان يصعب عليه أن يتوقف عن السعال أو أن يتكلم.

نظرت إيزابيل إلى الممرضة، وكانت الدموع على وجنتيها وهي تراقبهما أحدهما، ولكن لم تصبى أمكنها أن تذكر من كمية مجموعات طب حبوب الدواء والمقايير الدوائية إلى جانب سرير، أنه لم يكن على ما يرام. لقد كفى لي حال جيدة عندما تركه. ولكن تبذرت حلقه جديراً للأمرأ خلال الشهرين الماضيين.

ملاً نعل في سريرك في مثل هذه الساعة؟ سألته، وقد بدا قلق في

عينيها، فلبستم لها مسروراً وهو يمسح ناسه إلى الخلف على السرير ويستند إلى الوسائد وينظر إليها.

لم يسمح لي الطبيب بالتهوس. قال وكل الأمر برحمته لم يكن يدي أصية. فإذ إنها الآن في المنزل ما عاد بلبه لمدى مرضه. قالت له أن هذا من الصلابة. لقد أردت أن أخرج إلى الحديقة البارحة، ولكن صوفي لم تسمح لي. إنها أسف منك حتى، فهي تفتق طوال الوقت. ولا تسمح لي بل العمل أي شيء على الإطلاق.

هذا يبدو محوفاً. قالت الأم وهي تبسم في وجهه بالرفقاج. يبدو أنها اعتقت بك كثيراً من أجل خلاص أسرة عيالي.

أنت طي ما يرام؟ سألتها، وقد بدا قلقاً. كان لا توقف عن السعال، ولكن عندما نظرت إليه عن كتاب أكثر رأت رجفة في بنيه. وتوقفت أن يكون ذلك من جراء إحدى الأدوية التي كان يأخذها، ولكن لم يرق لها ذلك على كل حال. لقد كانت بعض أدوية جهاز التنفس التي كان يأخذها قبل تسبب له ارتعاشاً وارتجافاً. وكانت إيزابيل تكرر في هذه الأدوية تأثيرها القاسي على قلبه. ولكن صوفي ما كانت تعرف ذلك، وكانت إيزابيل متأكدة بأن لا قامت بعمل جيد. قال بلأ أنك كنت في غيبوبة، ثم أنك استيقظت، وما أنت على ما يرام.

هذا صحيح إلى حد ما، ولكن لم يكن الأمر بهذه السرعة التي تتصور. ولكني بخير الآن.

كيف كانت المعبودة؟ هل كانت جميلة؟ سألتها وفي عينيها نظرة حزن غريبة. هل تتذكرينها؟

لا أتذكر. ما أتذكره فقط هو حلم واحد رأيته، وكانت أنت فيه. كان هناك ضوء ساطع وكانت تجبه إليه، وأنت جفتني لرجع، وماذا فعلت. لقد كان نفس الحلم الذي رآه بيل ونحننا عنه مرات عديدة. ولكن لم تكن تستطيع أن تخبره عن بيل. وشعرت بأن الشوق له الآن وهي تفكر فيه. لقد كانت

تتمنى أو أمكنه رؤية ندي، فقد تحدث عنه كثيراً، وبدأ من غير الإصاف إلا بقلتها، رغم أنها كانت ترجح أن يحدث هذا يوماً ما.

"هل تألمت كثيراً؟" لقد كان في غلبة الفلق عليها، لقد بدأ كالأمير الصغير في كتب سانت إكزوبيري، فيما جلس على سريريه وأصمغاً رجلاً على رجله، وشعره الحريري المجدد الناعم يحيط بوجهه، لقد بدأ أسفر بكثير من منه، لقد كان في الرابطة عشرة من عمره، ولم يتسن له الذهاب إلى المدرسة، وكل قلساً بفرد المنزل، ولم يكن له أصدقاء، كل ما لديه كان صوفي ووالديه. وكل اعتياده الكبير على إيزابيل دائماً.

تألمت في البداية، وبعد ذلك استرحت كفاية، ولم يرتُ اختبارات، ولغنت لودي، وتحسنت وهكذا استعملت أن أجهي إريك في المنزل.

لقد اشتقت إريك، قل بسلطة، ولم تكن كلمته لتصف لها كم كان مشتتاً لها وخفياً أن يفقدنا إلى الأبد.

ولنا أيضاً لتشتت إريك، ونظرت إيزابيل حولها عنقذ وهي تجلس إلى السرير. شعرت بالارتياح في هذه العرفة أكثر بكثير منها في الرعدة الألمانية أو حتى في غرفتها، فقد كانت هذه العرفة هي المكان الذي تعضي فيه وقتها دائماً عندما تكون في المنزل. "أين صوفي؟"

لديها بعض المهمات تجرها لنا، سوف تعود إلى الجامعة الأسبوع المقبل، فحسناً فقد حبت إلى المنزل. لقد كان بلها خارجاً طوال الوقت، وكانت صوفي مزعجة من ذلك.

"إذاً سوف يكون لك وني متسع من الوقت للقراءة والعمل في اللوحات التركيبية، سيما أن الجميع مشغولون سيكون لديها وقت أكثر تكون فيه معاً وحدنا، أليس كذلك؟" قالت ذلك وهي تبدو غير مبالية بما قاله عن هرب غوردون، ولكنها لم تكف عن التفكير أين غوردون يذهب. وكانت تعلم أيضاً أن هذا ما فهمه ندي، ولكن ربما لم يتعب غوردون خارج المنزل بالتر الذي يظنه ندي.

لقد كنا يتحدثان وبضمان وبمناقشة عندما خلعت صوفي داحلة إلى العرفة لتصل كمنة من المجلات من أجل ندي، وأطلقت صحيفة مستيرة عندما رأت أنها ممتلئة في السرير إلى جانبه.

لنسا، وركضت نحوها وكانت ترمي بنصها عليها، ثم خضبت لجان أن تكون قد ألفتها. وعلى نفس هيئة أختها، لقد بدت لها ضعيفة سهلة المكسر. "تدين نحيفة جداً".

كان الطعام في المشفى مريعاً، وابتسمت إيزابيل لها. لم تخبرها أنها وفي مناسبات عديدة قد حصلت وبل على وجبات جيدة قد أرسلت لهما، ولكنها لم تكن تجوع، وكانت شهيتها للطعام صحيفة جداً هذه الأيام. وكانت القريب منخفضة عليها.

"هل تشعرين أنك على ما يرام؟" سألتها صوفي لفة. لقد خدعت الشخص الذي يحى بالمعلقة في حجاب وألفتها في المشفى في لندن.

كما سألت خير الآن إذ أستطيع أن أركب كلاهما من جديد، وابتسمت إيزابيل مبتهجة وكفا هما أيضاً مسرورين. ولضمت إيزابيل معها ساعة أخرى قبل أن تعود إلى غرفتها كي تستلقي قليلاً. لقد كانت منهكة للغاية، وقالت لها مرقاً مريضة ندي، أنها ستكفدا.

استأنت إيزابيل في سريرها وحلعت حذاءها، وراحت تجول بنظرها في أرجاء العرفة وهي مستلقية هناك. لقد كانت العرفة كلها مليئة بالحرير دي قرخارف لوردية الدقيقة الباهتة. كانت هناك ورود زهرية وبوضاء وأرجوانية شلحة على خلفية عاجية اللون. والأثاث في أرجاء العرفة كان يعود إلى عهد الملك لويس الخامس عشر. وعموماً كانت تشعر بالارتياح لكونها هناك، وشعرت أنها بصحة وعافية من جديد الآن وقد رأت أولادها. ولكن في نفس الوقت كان جزء من قلبها في حالة شوق لقد كان يجرها شوق كبير إلى بل. وهذا جعلها تشعر بالخوف. لقد كانت رابطي الجأش عندما انفردا، ولكن لم تكن لديها أي فكرة متى يلتقيان من جديد. لقد اشتاقت لسماع

لأجله، ولكن كنت حاجته كبيرة، وكان يجب أن يكون موضع عذبة ومراقبة
دائمة. لقد كانت حواء من القبطلة القديمة حيث لا يجد فيها أولئك الذين يهتمون
بها فرامة. أنا أسفة لأنني تأخرت كثيراً حتى عدت إلى المنزل، قالت إيزابيل
برقة.

تخميني مروراً أنك على قيد الحياة، قلت لها صوفي بالتمساح متعبة.
أريدك أن تستريحى الآن. قالت لها إيزابيل وقد بدت قلقة عليها.
ساعد إلى العاية يتدي من جديد غداً. وأريدك أن تستمتعي وتلبي قليلاً قبل
أن تعودى إلى راحة. وإذا أصبحت صوفي هذه المرأة بدت كفتاة من جديد.
لم تدرى شيئاً سوى أن تخبر أمها كم كانت صعبة تلك الفترة وكم شعرت
بالوحشة فيها. صليكي حولها من تتحدث إليه أو شاطئ مغالها، ما هذا
استغاثها عندما كانوا يتصلون بها. وقد جلاوا أزيلرتها من حين إلى آخر،
لكنهم لم يضعوا أصابعهم من تقديدها الشديد. وكان أصغلاهما بعيداً عنها
مطلعين للصيف. لقد كان هذان الشهران طويلين قاصحين وحالين بالوحدة
والعزلة بالنسبة لها. ولم يقدم لها والده أية معونة. لقد بدا وكأنه لم يشأ أن
يعرف شيئاً عن تدي. لقد كان لديه زوجة مريضة، وابن مريض، وحياة
خاصة به. كان نادراً ما يتحدث إلى صوفي في غلب أمها، وشعرت بنفسها
وكأنها مستغمة مظلمة بأعباء العمل أكثر منها لينة.

بهجت إيزابيل، وغسلت وجهها، وسرحت شعرها، وفكرت أن تتصل
ببيل، ولكنها فكرت أنه لن يكون لديها مشغ من الوقت قبل أن يصل غرودون
إلى المنزل. فقد تبين أنه كان يأتي إلى المنزل الساعة السابعة فقط. كانت
إيزابيل في حرفة تدي، تقرأ له كتاباً، عندما أتت هيئة رجل طويل داكن
بمور. لا بد أنه مقرر صوته، ولكنه اكتفى بأن يعبر دون أن يتوقف ليفلق نظره
إلى الغرفة أو أن يحيتها.

نهت إيزابيل الصفحة، ولقت للكتاب جانباً. كان تدي قد تناول طعام
عشائه على صعيدية قبل ساعة، وكان ممتعا من المشاعر والحوادث التي

صوته، ورويته ينتم لها، أو يلمس يدها، وشعرت بالوحدة الآن في هذا
المنزل الذي كانت تعيش فيه مع والديها ومع روج غداً غريباً بالنسبة لها منذ
وقت طويل.

لقد كانت تروي أن تستريح لبعض دقائق وحسب، ولكن القناع عليها
رغم أنها، ولم تستيقظ إلا عندما دخلت صوفي إلى الغرفة وألست كذلك
برفق.

أالت بخير يا ملما؟ لقد نضجت كثيراً خلال هذا الصيف، وبدت كما لو
أنها فرت من الطغولة إلى مرحلة الرشد بكل أبعائها. وقد أصبحت إليها شعرت
لها عنت ولادة الآن أكثر منها لينة. تقلبت إيزابيل في سريرها واستلقت على
ظهرها ونظرت إليها وهي تنفس. ودون أن تقول شيئاً، شعرت بحسيرة جديدة
بينهما.

أنا بخير يا حبيبتي. لا بد أنني غفوت. إني متعبة قليلاً فقط.
لا تخشي تدي برهفك. إنه في غاية المرور لرويك، إنه يشبه جرواً
كبيراً. لقد أصليته الحصى من جديد خلال بضعة الأيام الماضية. قالت صوفي
وهي تندر كلفة.

إنه يبدو لاجلاً هزياً جداً. عقلت إيزابيل وهي ترتب السرير إلى جانبها
كي تجلس صوفي إلى جوارها.

ولدت أيضاً. قالت صوفي وهي تنظر إلى والديها من كتاب. لقد بدت
مختلفة عما كانت عليه قبلاً، ولكن أسراً جلاً حدث لها. لم يكن كذلك تماماً.
لقد شاركت على الموت ثم ولدت من جديد. وأحببت رجلاً رائعاً جداً. لقد
كانت التغييرات التي طرأت عليها بداية حتى لايتها التي تبلغ الثامنة عشرة
من العمر.

لقد أصليتها صبيها مع تدي. طرأت عليها إيزابيل، وقد كانت تستحق
النساء فعلاً. لقد كانت تعرف حق المعرفة أن الاعتناء بطفل مريض كتدي كان
عبلاً ليس سهلاً، كان محباً وذاً يقتر الأشياء التي كان الناس يعملونها

اعتقلت نفسي نفسه لروية ولذته من جديد. وكففت صوفي قد خرجت من
 اصطفاها لقضاء المساء خارج المنزل لأول مرة خلال شهرين. وبعد أن كانت
 تسدي برقة على خده ووصته بأن تعود إليه، سارت لإزابل في الروضة بهيئة
 كي ترى زوجها. عندما وجدته، كان غوردون في غرفة الملابس الخاصة به
 بجري اتصالاً هقيقاً. بدا مذهشاً لرويتها ذلك، ولكنه نسي أنها كانت عاكسة
 إلى المنزل. كانت تعلم أن هذا غير ممكن، ولكن كان هذا أسلوبه ألا يحدث
 جلبة عند الوصول أو المغادرة. كان لما بقي عليهم تحية الوداع عندما يذهب
 في رحلة ماء، ولا يفعل ذلك عندما يذهب إلى مكتبه صباحاً، وعندما كان يعود،
 كل يذهب عادة إلى غرفته ليرتاح قليلاً قبل أن يذهب لروية لإزابل ولولائه.
 ولم يكن في هذه الليلة مختلفاً عن باقي الأيام. لقد أسف في تخصيصه لها كانت
 مع تيدي، وحرف أنه سيرافها في الوقت المناسب. لقد كان واضحاً أنه لم يكن
 على حيلة.

كيف كانت رحلتها؟ سألهما وهو ينتم لها من على بعد. لم تدر منه أية
 حركة تغير عن رغبته أن يخطو نحوها حيث وقت يحضر في منزل الغرفة.
 "عظيمة". لقد بدا وكل الشهور الماضية لم يكونا. شعرت فجأة وكفها
 قد غابت أيومين فقط، ولم ينتبه إلى أنها قد غابت لشهرين ولوشكت على
 الموت خلال غيابها. فهي لم تره منذ أن غادرت إلى باريس، ذلك لأنها كانت
 غائبة عن الوعي عندما زارها في المستشفى في لندن. كانت الممرضة معوقة.
 وكان من الصعب أن أسافر بدونها. ويبدو الأولاد في حال جيدة. قالت لإزابل
 بهيئة وطبعاً ما قلته كان صحيحاً إذا ما أملتنا حقيقة في تودي قد فقد ورثاً
 وكان يمرض للعسى، وأن صوفي قد كبرت خمس سنوات خلال شهرين وفيما
 هذا ذلك كان كل شيء "عظيمة". ولكنها كانت تعلم أنه ما كان يود أن يسمع
 ذلك. فهناك نسبة لغوردون، إن الأمور التي تنطق بالأولاد والمنزل لم تكن صمن
 دائرة إختصاصه أو اهتمامه.

كيف حاله؟ بدا لهما وهو يسألهما عن ذلك، وهذا ما أنهشها. لقد كانت

تتوقع منه أن يريدها أن تدعي أنها لم تكن مريضة على الإطلاق. لقد كان
 يكره كثيراً المرض والقلق الذين يمرضون، وكانت علامة ضحك أن يمرض
 الناس. وكان كلامها يعرف أن المرض بكل أشكاله كان يذكره بوالدته وألمه
 عليها. ففي فكره، كانت طلوته كلها معوقة ومقيدة بسبب مرضها.

تسهر أسي بخير. متعبة فقط. اعتقد أن الأمر سيستغرق مني بعض
 الوقت لأعود على سجلي من جديد. كان عليها أن ترى إختصاصياً في
 الأسبوع القادم من أجل قلبها وكبداءها، وكان الطبيب قد حذرها أنها إذا ما هانت
 من صداع، ولو بشكل معتدل، فليها أن ترى طبيباً في الحال. وتوقع الطبيب
 في نفس أن تتخفى بشكل كامل خلال سنة، إن لم يكن أكثر.

كثيرين على ما يرام. قال غوردون مستهزئاً وهو يتننى لو كانت كذلك.
 فالتسبب عديدة كان يتننى لو أن الشهرين الماضيين لم يمرأ. وكل لا يزال
 متسبباً عن أن ينهض ليرافها أو يقبلها. ولم يقترب نحوها وهما يتحدثان. لقد
 كسلى مختلفاً عن بيل كثيراً. ومن جديد راحت تتشامل إذا ما كان غوردون
 غائباً منها. لقد كان يعرف بصداقتها معه، وقال لها بيل أن غوردون قد
 طرده من غرفتها. ولكنه لم يوجه إليها أي سؤال، ولم يذكره اسمها. لقد كانت
 تعرف أن بيل روينسون قد أصبح موصوعاً مضطراً كلياً لكره بينهما. ما كان
 غوردون في حاجة لأن يحذرها، كانت تكره هذا. "هل تناولت قضاء؟" سألهما
 في برود.

هزأت رأسها، ومع هذا شعرت بدوار خفيف صارت تشعر به كثيراً في
 هكذا لحول. يجب عليها أن تتذكر ألا تقوم بأي حركة مفاجئة برأسها، لفرة
 على الأكل. آيس بعد. لقد كانت لتتفكره. تيدي تناول طعامه وصوفي خرجت
 مع اصطفاها. فغضب غوردون حاله إذ قالت ذلك.

تعدت كانت لتتفرص تلك تتحاشى إلى النوم عندما تصلين يا إزابل. لقد
 كان يومك هذا طويلاً، وهو أول يوم تمضيته خارج المستشفى. لندي ضاه عمل
 الليلة مع صول هام من بفنكره.

تحتاً. وابتسمت له. كانت لا تزال واقفة قرب مدخل الغرفة. لم يدعوه للتحول لهما، وكان من الرسومات التي تحتزمها. لقد كان يوضح للجميع أنه يسمح لأحد بدخول غرفته ما لم يدعوه هو، وكان هذا ينطبق عليها أيضاً. لم يطلب من جوزفين أن تنكبي بالعلم على صينية. ولست جائعة على كل حال. ما كانت تحتاج إليه هو بعض الصاء أو ربما توسست وبيض.

فكرة جيدة. سوف نتناول معاً طعام العشاء هذا. في الماضي ما كانت لتستغرب ذلك إلا يحدث جبهة عندما تعود من غيب طويل. أما الآن وقد عرفت بيل بشكل حميمي ورأت كيف كان يعملها، فقد ألفت لرؤية غوردون على ذلك لاهر من البعد والجفاء والبرودة. فما للفرقة الكبيرة بين فرجين. لم يكن هناك أي اعتبار لمرضاها، أو لحقائها بسلامتها، أو ورود. بل إنه حتى لم يأت ويعلمها قبل أن تغادر غرفته بجدو. وكانت تعلم أنها سوف إن تراه من جديد تلك الليلة. وقد تعجبت في الواقع عندما توقف لرويتها دقيقة في طريقه خارجاً. كان يرتدي بذلة زرقاء غامقة، ومعبساً أبيض. وربطة عنق بلون أزرق بحري من ماركة هيريس، ويصعب بعض الكولونيا. لقد بدا وكأنه ذاهب إلى حفلة عشاء، ولكنها لم تسله عن ذلك.

هل نكلت؟ كل هذا السؤال علامة جزع غير مألوف، وقد تأثرت بهذه السبورة. لقد كانت هي فتاة المشاعر المتبقية من أيام الماضي المحرق حيث كان الرصي والمودة مائدة بينهما.

لقد تناولت بضعاً وبعض الصاء. قالت بلهفة، ولوماً برأسه.

مخذي قسماً من الراحة. لا تسهرى مع ندي الليلة. لئلا يمرضه نديم بهذا الأمر. لقد كنت تود أن تبقى مع ندي، ولكنها شعرت بأنها لا تستطيع للسهر بعد.

لقد نام نود. قالت لغوردون. لقد اطمأنت بنفسها عليه لتوها، ثم عادت إلى سريرها قبل أن يغفل غوردون ويحدث إليها.

من الحكمة أن تغضلي أنت أيضاً كذلك. قال لها ولها دون أن يقترب

من سريرها. لقد كان نوداً ما يلمسها، ولم يعاقبها ليلة أو قبلها منذ سنين، وكان يحافظ على تباعد ملحوظ بينهما عندما يكونان في نفس الغرفة. الوقت الوحيد الذي كان فيه محباً عاطفياً معها هو عندما كانا معاً عاتية. قبل سنين كانت تتدح بنك، متقدة أنه أصبح أكثر مودة واهتماماً، ثم، عندما يعودون إلى المنزل يرجع إلى برونته معها حالما يغلان باب غرفة نومهما. كان من الصعب الأمور بالنسبة لغوردون أن يكون على علاقة حميمة مع أي كس في هذا العالم، ويهدا كان على النقيض من إيزابيل، التي كانت دافئة، عاطفية، ومحببة. وكان أيضاً بذلك على بعد خطوات ضئيلة مما قد اختبرت لتوها مع بيل، الذي كان دائماً يرغب في أن يمسك بها ويلمسها ويحافظها. لئلا يهدأ. قال لها غوردون وقد تردد قليلاً. ولوهلة ظنت أنه قد يقترب أكثر فيدخل إلى غرفتها، ويدنو منها. ولكنه، وبدون أن ينطق بكلمة لغري، استدار على أعقابها وغادر المكان. لم يكن هذا هو نوع الزواج الذي كانت قد حلمت به، ولكن لم يكن من فكرة أو داع للتفكير بذلك الآن، فقد كان هذا هو الزواج الوحيد في حياتها. وما كل عليها الآن إلا أن تتكلم من جديد معه، بعد تلك الأسهر التي أمضتها مع بيل. ولم يكن هذا بالأمر السهل.

بعد أن غادر غوردون بضع دقائق، رفت إيزابيل الساعدة واتصلت بلندن. وعندما أجاب عامل القسم طلبت أن تتحدث إلى بيل. لقد بدا مكتئباً عندما رد على الهاتف، وإذا سمع صوتها على الطرف الآخر من الخط لشرق وجهه بالابتهاج.

لقد كنت مستحقاً هذا الفكر فها. قال لها بهيمنة، وكانت نبرة صوته تالقن ضامناً تحية غوردون لها. كيف حال الأولاد؟

بخير. ولتستمت لسماعه. لقد بدا وكأنه روج مسافر مطمئن عن يومها. لقد كانا مسرورين جداً لرؤيتي. والمسكنة صوفي تبو منهكة.

كيف ندي؟

تحسن جداً. وقد عادت إليه الحسي من جديد. ولكنه بدا في حال أفضل

هذه الليلة. سوف أضمني نهار الغد معه.

"لا تهرضي نفسك. فأنت لست في كامل قوتك وعافيتك بعد".

"أطمع يا حبيبتي. كيف كان يومك؟ لقد كان مريحاً بالنسبة لـ... ولكنه لم يصارحها بذلك. لقد كان يشعر بالوحدة طوال النهار بعد أن رحلت، ولكنه كان يعرف أن عليه أن يتحلى على الأمر. فكل ما تبقى لهما الآن هو مكالمات هاتفية وحسب. كما نسي الألام الغوالي. ولكن بعد حوالي شهرين من العيش معاً تقريباً، صارت الاتصالات الهاتفية لا تسد رمتيها. لقد كنا يشكأن إلى أنفسه والصديقة التي كنا يوشانها معاً.

"كان لا بأس به". قال لها وقد كذب عليها. لقد تشقت إليه... بهم يحاولون إيهادي المغامرة الأسبوع المقبل. وأشعر كما لو كنت أستخدم لشن معركة. فقد كان داهياً إلى مركز إعادة التأهيل لهندي ذي البرنامج الأثد لسارة، ذلك لأنه كل يعتقد أنهم سيحاولون الحصول على أفضل النتائج. لقد كان مستقبلي يعتمد على ذلك، بل ربما مستقبلهما أيضاً. ورغم ما قد قلوه لـ عن مسأله في لندن، إلا أنه كان متفلاً. لقد كان لا يزال متأكد أنه سيكون لأطباء في الولايات المتحدة رأي آخر. لقد كان لديه ثقة كبير بهم.

راحا يتسلمان لبرهة من عودتهما إلى منزلها، وعن الأولاد، وأسران جيس قد فصلت به بعد ظهر ذلك اليوم وهذا ما ألهج نفسه بهم في ذلك. ولو يسألها عن غوردون إلا في نهاية المكالمه.

كيف كان صفك؟

"كان غوردون. لقد كان كما هو. جاء متأثراً من المكتب، وهو خارج المسجل هذه الليلة. وهذا لا يهمني". فقد تركت قلبها مع بيل في لندن ما عدا الجزء منه الذي يخص أولادها. ولكن لم يبق لأزواجها مكان فيه. لقد فلت الأولاد، وأمسور كثيرة كانت قد جرت عبر السنين. وحتى لو لم تر بيل ثانية، إلا لهما كانت تعرف أنه قد فلت الأولاد كثيراً عليها وغوردون. فكل ما تبقى لهما الآن هو قشور رواج فارغ لكهوف، بل مظهر هذا الزواج وليس جوهره.

"هل يبدو غاضباً منك؟ لقد كان بيل قلقاً إزاء ذلك. فقد بدا غوردون حزيناً جداً خلال تلك الأيام التي رآه بيل فيها في لندن.

"لا، ليس كذلك. ولكنه لن يظهر ذلك. وإن كان كذلك فإنه سيبقى من غاضبه يوماً ما عندما لا أتوقع ذلك. فهذا هو أسلوبه في التعامل والحياة. إنه يهتج ويخسر، ولما العودة إلى قوراء وبش الماضي فتأتي لاحقاً. ولكنها لم تشعر بذلك الآن. فقد بدا منفصلاً مستقلاً عنها، وكان كذلك على مدى سنين. لم يكن قد بدا منه أي شيء مختلف الآن. لقد كان كل شيء على حاله تقريباً.

"ما لم يجرى؟" لا يملك لك كنت محي خلال الحادث. لأنني أعرف أنه كان مستقلاً من ذلك. لديه حجب وجهه في ذلك، بل حتى صار هناك سبب كثر لمسة الآن ولكنه لم يعرف عن ذلك.

"هل تذكر؟" ليس سنواً؟ مسأله محولة أن يبدو السؤال عريضاً. فقد لاحظت في لندن أن زوجته لم تتصل به لبدأ. كان قد أجرى عدة لمادثات مع محاسبه في المتشفى في لندن وأخذ لورتي الطلاق دون أن يحبر إيزابيل عن ذلك. قالت جين أنها في مونتيفورت. ساراما عندما تكون في المشفى في نيويورك.

"أهل ذلك؟" قالت إيزابيل ذلك وهي تشعر بالاندهاش من مدى لا مباليتها. بعد ذلك وعد إيزابيل بأن يتصل بها في اليوم التالي. وقالت أنها ستكون في المنزل طوال النهار. لقد صار الاتصال أكثر سهولة بالنسبة لهما الآن لأن القطار في التوقيت هو ساعة واحدة فقط بين باريس ولندن. لقد كان أصعب بكثير عندما كان في نيويورك، ولكن إيزابيل كانت تعلم أنهما سينتبران الأمر تماماً كما فعلتا على مدى سنوات. قال لها بيل بأنه يحبها وهو يخلق السعادة، وإن استلقت فسي سيربها تلك الليلة، في المنزل الذي كان من المفترض أن يكون بيتها، شعرت ولكنها في مكان غريب. شعرت كما لو أن منزلها هو مع بيل في لندن.

لم تسمح غوردون وهو يدخل تلك الليلة، ولكنها كانت قائمة بحقي في

غسرة نومها. وصافته في الرعدة صباح اليوم التالي وهي في طريقها لرؤية
نودي. لقد ناست لوقت متأخر أكثر من المعتاد، وكلفت الساعة قد قاربت التاسعة
عندما استيقظت. كانت ترتدي ثوب نوم، وقد غسلت وجهها ومسحت شعرها
وركت غوردون لذلك منطلقاً نحو السلام وهي يده حافية يده. لم يتحدث إليها،
ولكنه لوح لها بسيدة وهو ينزل السلام بسرعة. كان يتحدث على حاله
الخالوي، وما هي إلا دقيقة حتى سمعته يغود السيارة خارجاً من فناء الدار.

أصبحت مع نودي يوماً طيباً. قرأت له الكثير، واستقت إلى جواره في
المسرى، وذكرها هذا قليلاً بالوقت الذي أفضت مع بيل في السفى في لندن.
لقد كانا يتران ويتحدثن ويضحك بالأنساب، وبعد الغداء أخذ نقولا طويلة ثم
جاء الطبيب لرؤيته، ووجد أن الصبي قد تحسن كثيراً الآن حيث أنه في
البيت، ولكن إذ شملت إيزابيل الطبيب إلى الباب، كانت نحرها وعلى وجهه
تعبير غريب.

طمعن أن حاله تهازل، أهدس كذلك يا إيزابيل؟ فأصابها الذعر مما قال،
ولكنها ظلت أن هذا مجرد عرض مؤقت. ولما الآن وقد صرحت في البيت،
فهى سوف تبدل كل جهدها لكي تعده إلى حالته الجيدة التي كان عليها قبل
شهرين، عندما غلظت إلى لندن. وكانت على ثقة بأنها تستطيع ذلك. كانت
صوفي قد اعتنت به جيداً في غلبها، ولكنها لم تعرف كل لطيف الاحتمال
على المرض التي كانت إيزابيل تعرفها.

'إنه يبدو شاحباً، وقد فقد وزناً، ولكنه يبدو في حال أفضل هذا الصباح.'
قالت للطبيب وقد بدت متفائلة.

'إنه مسرور أكثر، ولكنه مضطرب ويحذر. عليك أن تولجني ذلك، إن
صل قلبه الوطني يزداد سوءاً، وكانت رفاقه في حال سيئة طوال الصيف.'

'ماذا تقول لها الطبيب؟' سألتها جرحاً.

'أقول أن جسده يجاهد لكي يسعد معه. ولكن بما أنه يكره، فإن قلبه
ورثته يولجها تحدياً ثم يسبق له مثيل.'

'وماذا لو أجرينا له عملية زرع؟' سألت من جديد.

'سوف لن يتجر منها'. وبدونها، كانت تعلم أن أيامه محدودة. لقد كان هذا
كثيراً طويلاً لتواجه بهذه السرعة وقد جاءت لتوها إلى المنزل، وهي نفسها لا
ترى ضئيلة. فكروا الطبيب ألا تهرق نصها. فود أن أراه يردك وزناً، وأنت
أصباً كذلك يا إيزابيل. لقد كان قلقاً عليها، لقد تحمل جسدها صنعة وهيبة
كانت واضحة على مفاها.

'سأعظم بهذا الأمر. سوف نبقى نظم تسعين مئة'. وأبشمت وهي
مستغرقة في التفكير فيما قاله الطبيب لته. لقد كان هذا الصبي قاسياً على
نودي، بل على كليهما، ولكن بما أنها الآن في البيت فقد كانت علامة على أن
نحدث تغييراً جذرياً في الأمور، وشعرت بنفسها قادرة على ذلك من دون
ريب.

'سأعود لرؤيته بعد يوم أو يومين وإذا ما طرأ أي خطب اتصل بي.'

ولكن الخطاب الذي حدث لم يكن له علاقة بنودي، بل بنورون. لقد
عد إلى المنزل متجه الوجه تلك الليلة، ولم يصر لهم يجب ذلك. وتناول
العشاء على صينية في غرفته ولم ينزل ليتناول العشاء معها. ولم يتحدث إليها
على الإطلاق، ولم يدخل إلى غرفتها. وفيه بعد في تلك الليلة، وقد كانت
مستغية في سريرها تفكر بالأمر سمعته يخرج من المنزل. لم تكن لديها فكرة
عن أين يذهب عندما يخرج ليلاً، ولم تره مرة ثانية حتى صباح اليوم التالي.
لما تقته صنته عندما كانت تترك إلى الطابق الأسفل لتتناول طعام العطور. كان
يجلس في غرفة الطعام، يقرأ الجريدة ويشرب لجان القهوة. وظل هكذا طويلاً
دون أن يشعر بوجوده إلى أن ألقى الجريدة جانباً وأنهى قهقهته. فوالت لديها
تطباع بأنه كان غاضباً منها، ولم تكن تدري ماذا فعلت حتى ينزعج منها.

'هل سمعت شيئاً من صديقك في لندن؟' سألتها بطريقة حادة جافة،
ولجنت من السؤال. لم تكن تريد أن تكذب عليه، ولكنها لم تر أن تأول له
أن يات اتصال بها مرتين في اليوم السابق.

ثم قد تحدثت إليه. كل هذا كل ما لفته. لقد انضمت من مصادها له
بذكر بيل. فلم يكن قد قال أي كلمة عنه في اليوم الذي وصلت فيه إلى البيت،
وبدا غورديون حافقاً عليه.

ألا تتألمين أنه من غير اللائق منه أن يحصل بك هذا يا إيريل؟ فترض
أن يكون حجةً مسرحاً من ذلك. فقد كاد ينسحب في موكبه.

لقد كاد القاص يقبل كلياً، لم تكن هذه غلطة.

لو لم تكني خارجاً معه، لما حدث هذا. لا أتوقع لك توبيخ لولده
أن يعلموا أنك كنت خارج المنزل مع رجل آخر عندما وقع الحادث. كل
هذه تهديد مبطن في كلامه في أنه سوف يصرها، وقد فهمت ذلك. وكان هذا
تحذيراً.

لا. لا أريد. ولكن ليس الأمر كما تراه في الظاهر. فحين أصدقاء. قالت
في هدوء، رغم أن قلبها كان يهبط بشدة.

وهل تقولين لي إن هذه الصدقة قد انتهت؟

لم أكل ذلك. لقد مررت بأمر كثيرة معاً. ونظرت إلى زوجها بإسنان
وحذر. لقد كانت تعلم كم يستطيع أن يكون حقوداً مبعثاً للانتقام، ولم تكن لتريد
أن تتنحى حراً معه. إذ كانت تعلم أنها لو فعلت ذلك لكان هو المنتصر. لقد كان
دائماً كذلك. لقد كان يتمتع بكل القوة والسيطرة، وكانت تعلم أنه لا يتساهل
معه إذا جابهته. ما كانت لتريد الآن حسماً لهذه القضية المثيرة للجدل، إذا كان
بالإمكان أن تتحاشى ذلك. لا داعٍ لأن تضاهى يا غورديون. فلما في المنزل
الآن.

ليس هذا هو جوهر الموضوع. فقول لك أن تقلمي عن هذا الأمر يا
إيريل، فذلك تجزأين كثيراً بإعصابي. وأنت تعرفين ما أقصد.
أليس في بيتي إعصابي. ويؤسفني أن الحادث خلق وصفاً مسرحياً جداً.
وخلصت نظرها وهي تقول ذلك.

يا لهذا الإنقاء الجميل للكلمات. نظر إليها بحدة، وكلفت نظركه تحمل
إليها تحديراً. فلن تقمي ضحية حادث كاد يودي بحياتك وأنت تخونيني هو
بتلكه مخرج.

لم تكن أعونك. لقد كنا لتكول طعام الغشاء. قالت بهدوء.

وترقصن. لقد كنا حارجاً الساعة الثانية بعد منتصف الليل. لم تسأله
لن كان ليلة أس، لو أن يذهب عندما يقدر المنزل في وقت متأخر من
الليل. لم تسأله ذلك على الإطلاق. وما كانت لتجرو على ذلك. لصد بداية
زواجهما عودها على أن يضع هو القوانين والقواعد التي يسمها، وكان هذا الأمر
مستقفاً عليه ضمناً من قبل كليهما وما كان لها أن تطرح أسئلة أو تتحدى
سلطته أو استقلالته. فتقوية ذلك ستكون شديدة إذا ما تجرأت على ذلك. وكل
هذا الأمر مفهوماً بينهما. لم يكن هناك أي اعتبار بالسلطة بينهما في
زواجهما. فهو لم يكن يظهر ذلك أو يعدها بذلك، وما كان لتريد أن يبدأ الآن
بالصاح لها بذلك. وفهمت هذا أيضاً. الأمر توحيد الذي أدركتها الآن هو أنها
كانت دائماً على استعداد لتقبل حكمه الفردي المستبد. ورأت الآن أن هذه كانت
ديكتاتورية وليست زولماً. عثت امرأة متزوجة تتركها وقال "وقوع منه أن
تتصرفي طي هذا الأسلوب، أمل لك قد تعلمت درساً. وتساءلت ما هذا
الدرس: هل هو أن حيلة لدخولها إذا ما ثبثت مع رجل آخر؟ وقالت في نفسها
ماذا سيفعل إذا ما عرف أنها كانت تتلصق بيل الغرفة في المشفى في لندن، أو
أن لحداً لغيره بذلك. لقد كان يصر لها من موكبه بوصوح شديد. سوف لن
يتساهل معها إذا ما سلكت بطريقة غير نموذجية. وأي تصرف أدنى من هذا
للمستوى سيطلبها عليه بالصمت، أو بالتهديد، أو الرفض، أو الإهانات إذا لزم
الأمر. أو ربما بالطرد، وربما حتى أن يطردها وحدها دون ولادها. وإذا ما
طلبها ليس لديها الإمكانية لأن تنفي بتوبي هذا هو الأمر الوحيد الذي كان
بهمما.

غوردون ينجون دقماً السلاح المنسلب ليشهروه على ضحاياهم. وفي مثل حالتها كان الخوف هو سلاحه، وتساءل كم طبل بها الأمر وهي على هذه الحال، وكمن من سوء المصنعة قد تعرضت لها عبر السنين. لقد بدا وكأن معاناتها كانت بلا حدود، فالرجل كان يعاملها بقسوة لمزيد، وبلفاتها بيل في لندن وتكشف الأمور بالحادثة كانت كأنها تلقى له المسدس، لقد كان من سوء الحظ أن تكتشف غوردون علاقتها ببيل.

حاولي أن تبصدي عن طريقه. وصوف أتصل بك. لقد كان يعلم أنه من الأفضل ألا يظهر رقم هاتفه في فورتيرا. لقد كان هذا كل ما يحتاج إليه غوردون ليقاصصها. اتصل بي في لحظة الضرورة القصوى. قال لها بيل. سأتصل بك. شعرت إيزابيل بالوحدة والوحشة والعزلة إذ فركت الوضع الذي تعيش فيه. كفت تتسرع بالهري، أكثر مما كان يتوقع، وكان غوردون على استعداد لأن يتزعم منها شمس كاملاً على ذلك. حتى لمر قس. تمنعنا البرهة، ثم اضطر للعودة إلى العلاج من جديد. ووجد أن يتصل بها في وقت لاحق بعد ظهر ذلك اليوم، وذلك قبل أن يعود غوردون إلى البيت من مكتبه.

يسان ذلك فأجابها غوردون بحضوره إلى البيت مبكراً. لقد جاء إلى المنزل في الساعة الرابعة ويبدو وكأنه يتوقع أن يذهبتها ترتكب خطأ سيئاً ما. ولكن بيل كان قد اتصل قبلاً. وكانت هي مستيقظة على سرير تدي تلك معه السورق. كان لدى تدي شقف بلهجة رومي الجوز وكان يحسب أن السولنير أيضاً، ولكنه كان يفضل أن يلعب الألعاب مع أمه.

لَسَوْحَ غوردون بيده بينما عبر أمل الغرفة، ولكنه لم يتوقف ليتحدث إلى الصبي أو إلى إيزابيل. لقد كان هذا نفس السلوك الذي رآه منه صوفي طويلاً الصيف. لقد أعطى هذا لصوفي صورة حقيقة جديدة عن يكون والدها، ولم تحب ذلك فيه. لقد كانت تماث طريقته في الحديث إليها، وتجاهله التكلل لشديدي، وكأنه كان غير مرئي أو ليس له وجود على الإطلاق. كان الصبي

غير ملائم في نظر غوردون، وضغطاً للغاية، وصرف الاهتمام عنه. لم يكن يستحق اهتمامه، وكان تدي يعرف ذلك. فقد مرت سنين ما عاد يكن لوالده فيها أي احترام. الألم ما عاد يحس المحبة. أما غوردون فلم يظهر له شيئاً على الإطلاق، ولم يبد أية عواطف نحو إيزابيل أيضاً وذلك ليس الآن فقط بل منذ سنين. وقد بدأت صوفي الآن فقط تترك ذلك. وحفظت على ذلك لاحقاً بعد ظهر ذلك اليوم عندما كانت في زيارة لوالدتها قبل أن تخرج ذلك المساء من جديد مع أصدقائها.

لماذا تتبرئين له بأن يملك هكذا؟ قالت صوفي لأنها بلهجة تكذيب. كانت تود والدتها أن تقب في مواجهته، وكانت مستاءة لأنها لا تفعل ذلك. ومع ذلك، لم تكن لها كفت منها وتقتلج معها لسنين، إلا أن صوفي صارت الآن تود حليفاً لها.

لماذا لا يمسك الآتي بتلك يا حبيبتي. كل ما هنالك هو أن طبعه هكذا. كانت إيزابيل تتلارع يوماً للشفاع عنه أمام الأولاد ولو كانوا على صواب عندما يشكون منه. إنه شخص لا يغير عن عواطفه. فوضعت لها، في حين كنت صوفي غاضبة. لقد عرفت الكثير عنه خلال ذلك الصيف، أكثر مما كفت تريد. وما عرفته عنه حطم كل الأوهام التي كانت تضعها في ذهنها حول والدها. وصارت تتلطفها الآن مع والدتها بشكل كامل. وقد غدت إيزابيل بطلة في نظرها.

إنه يظهر اللامبالاة، والرفض، والعداوة باستمرار، إنه شنيع وبغيض في تعامله معك، وهو لا يباله لتدي. قالت صوفي غاضبة.

بيل بالطبع يفعل يا صوفي. وحدثت إيزابيل متولدة وهي تصغي إلى ما كفت صوفي قوله، رغم أنها كفت تعرف أن كلامها فيه الكثير من الصحة. بل إنه لا يهتم إلا بنفسه. وحتى أنا لا يهتم لأمرتي. إنه فخور جداً بك. لم تجادلها صوفي في ذلك، ولكنها لم تصدقها بالمقابل.

"حتى ولو كان كذلك، فليس له الحق في أن يملكك أنت أو عدي على ذلك فهو". لقد كان في تعامله مع صوفي أفضل قليلاً منه مع الآخرين، ولكنه صار أكل طعاماً مؤخراً، ولم يمر الأمر دون أن نلاحظه صوفي. فهو لم يشكرها أبداً على الجهود التي بذلتها، وعلى المناسبات والفرص التي تفتت هبتها، أو على وفاء الحب الذي أسطرت به على لحيها في غياب والانتها. وصارت صوفي تترى في ولدها رجلاً بارداً، قسياً، حديم المشاعر، متحجر القلب، وقد كان هكذا تماماً بالمثل. لقد كان نلجأ جداً في عمله، ولكن هذا لا يمنحه ميذاً أو ثناء في منزله في تعامله مع زوجته وأولاده.

"ارجو ألا تنقسي بخصوص ذلك". وأردفت إيزابيل: "أني والدك رجل طوب صالح". ولكن ولو كانت تقول ذلك، إلا أنها كانت تعرف أنها كغوبة، وصوفي أيضاً كذلك. لقد كان أبداً ما يكون عن الطيبة أو الصلاح أو حتى اللطف. "أترك وأنا قد اعتنا على بعضنا بعضاً. فليس نعرف ما نتوقع، وكيف نشعر تجاه بعضنا البعض، فليس الأمر بهذا السوء كما يبدو من الخارج". ولكن صوفي كانت تعرف أنه كان أسوأ من ذلك. لقد صارت تفهم الآن السبب الذي يجعلهما يتناحرا في عرقتي نوم منفصلتين، ولزكت لى ولدها كل خارج المنزل طوال الوقت. فقد كان نلجأ ما يمضي أسبوعاً في المنزل عندما كانت إيزابيل في المستشفى في لندن، وكثيراً من مرة اكتشفت أنه كان خارج المنزل طوال الليل، ولكنها لم تغير ولدها من ذلك. فقد كانت تعرف أنها ستكلم كثيراً لمعرفتها ذلك. لم تكن صوفي تعتقد أن له صديقة عشوقة، لم يذ من ذلك النوع. ولكن لم تكن لديها أي فكرة عن مكان دهابه على الإطلاق. فلم يكن يترك لها أي راحة هاتك عندما يذهب. كل شيء على ما يرام. كورت إيزابيل ولكنها لم تدفع ابنتها. لم تكن إيزابيل تجد أي داع لتخبر ابنتها كم كان الوضع مؤثراً بالتمام.

"هل كان دائماً هكذا؟" أما الآن وقد فكرت بالأمر ولاسيما خلال الشهرين الماضيين لم تستطع أن تتذكر أبداً أن والدها قد عمل والديها بطريقة مختلفة

يوماً. لم تتذكر أي مرة كان فيها دهمه وعواطف بيلهما. ولم تتذكر والدها يوماً يقول ولدها أو يضمها. وبعد ذلك صارت لهما هرب منفصلة منذ ولادة تيدي. فالت ولدها أن سبب ذلك هو كي تستطيع أن تعتني بتيدي دون أن تزعج والدها، ولكن صوفي أدركت الآن أن السبب كان أكبر من ذلك بكثير. ولستغربت كيف أنها لم تصدم بذلك علاجاً. لقد كانت صوفي دائماً تؤثر والدها وذلك منذ بداية طفولتها، ولكنها الآن شعرت بالندب من جراء ذلك. لقد طمعت الكثير، ونسجت لى غياب ولدها. ولأنها كانت تنغمس في الحادث فإن صوفي الآن راحمت نلجأ ولدها أكثر من ذي قبل. "هل كان مختلفاً عندما تزوجتما؟" سألتها صوفي وقد بنت حربة من أجل أمها. وكانت تشعر الآن بخلاف كبير لهما.

"لقد كان شهماً جداً عندما تزوجنا، فرباً جداً، وشديد العزيمة، وشعرت أن هذا كان يعني أنه يعني. كنت فتية جداً، وكان راناً جداً عندما ولدت. كان في غاية الصعابة. لم تقل إيزابيل لصوفي إن غوردون كان يود أن تكونت صديقاً نكراً. وبعد ذلك أبجست، ثم فجيت تيدي بعد أربع سنوات من ولادة صوفي. لقد كان يؤنبها بسبب ولادة تيدي المبكرة، ويسر على أنها ولا بد قد قامت بعمل ما أدى إلى حدوث ذلك، وأن تلك كانت غلطتها.

وتلصص غوردون من مسؤولية هذا الطفل المريض المزعج من البداية. وحالاً أشهر، كان قد عزل نفسه عن إيزابيل أيضاً. لقد كانت تحتاج إلى دهمه وحيه، إذ كان ذلك الوقت عصياً بالصفة لها. وكانوا يظنون تيدي جده مرات أول مستكين من حيلته، وهذا ما أساءها بالذعر. لقد كان سبباً جداً وضعباً جداً وفي حالة خطرة، ولكن غوردون جعلها تفكر على الدوام أن الخطئة غلطتها. كان يقول لها باستمرار أنها غير ملائمة، وغير قادرة، وأنها مخطئة. لقد فترض لقتها بنفسها من الأسس، وكل يلمى بنفسها، كأم، وامرأة، وزوجة له. وخلاصاً مستكين من ولادة تيدي كان قد أقصاها عنه كلياً. لم تفهم السبب الحقيقي، ولكنها صارت تعتقد أن ذلك نهبها، وكانت لا تزال تشعر بذلك لهما.

لقد كان لديها دائماً تشعير بأنها لو عشت الأناثاء بشكل أفضل، لظل وجهها، ولمسارت لمورها كلها على ما يرام. وكما فعل هذا الصباح منتاداً سلوكها والصلوات الذي وقع في لندن، كان بلومها بشكل متواصل، وكانت تتقبل القوم والإحسان بالانقب معاً، ولكن هذه المرة، وبفضل بيل، صار هذا الإحسان بالانقب أقل عندها. لقد كانت تعرف أنه من الضيق أن تتلقى به في لندن وبشكل سرري، ولكن في ذلك الوقت على الأقل، لم تكن قد ارتكبت أي خطأ. كانت تسوي أن يكون لقاء برونأ، وكانت قد قالت أنه أنها كانت تجل رولمها منه. ولكن فقط في المثالي، وبعد الحادث، كل شيء قد تغير كل شيء. وأصبحت تصب بسل جداً الآن. وكانت على استعداد لتفعل الإحسان بالانقب، فقط لكي يكون له وجود في حياتها. وما كان بإمكانها أبداً أن تتلقى عنه الآن.

"لا أري ما الذي جعله تتزوجين منه يا ماما". قالت صوفي وهي تستعد للتصريف لقاء أصحقتها. فما اكتشفت في ذلك الصيب من والدها، من بين أشياء أخرى، كان يبرر ندامة نفسه لدرجة أنه كان قلباً في معظم الأحيان. وكبرت هذا فيه.

لقد تزوجته لأني أحببته". قالت إيزابيل بهمسامة حزينة، واستأنفت: لقد كنت في الحادية والعشرين من العمر، وكنت أعتقد أننا سنحس حياة راقية. لقد كان وسيماً وكثيراً وسجماً. وكان ولدي في غيبة السرور منه وقال لي أنه سيكون زوجاً مثالياً لي، وقد صدقته. لقد كان مثقراً بوانك. لقد كان رجلاً بارعاً. فني الفطنة والقدرة من عمرها، كان مديراً للبنك، وكان غوردون مستقراً بمحافظتها الاجتماعية وارتباطاتها بالمفظة الملكية. واستخدم هذه لتعزير مكانته الوظيفية والحياتية في بداية الأمر. ومن خلال والدها كان لها صداقات أقدموا له لخدمة كبيرة. ولكن بعد أن كرس علاقة معهم بضمه، انصاماً جانباً. وصار من غير الممكن أن يظهر العلاقة أو الحب لها. لقد كان فناناً ساحراً في البداية، ولكنه استمال قلباً سريعاً بعد ذلك، واستحواراً على نفسه كلياً، وكلها ما كانت موجودة، إلا لخدمته.

بعد خمس سنوات ما عاد بهتم لتبديد سحره عليها. ولم يعد في الواقع كذلك آنذاك. وفي الوقت الذي توفي والدها فيه، كان زوجها قد صار كابوساً، ولكنها لم تعترف بذلك لأحد. كانت تشعير بالهجل والحزي، وقد ألتفتها غوردون آنذاك أن الذنب هو ذنبها. ومنذ ذلك الحين أضحت بكل سميتها على صوفي وتيدي. واعتقدت، على الأقل، أنها كانت مصيبة في ذلك. وحللاً لغربتها مع غوردون، فقد بدأ بيل وكله يزيد صحة كل ما فعلته. وكان لا يزال من الصعب عليها أن تصدق كيف أن رجلين ينظران إليها بطريقة مختلفة تماماً، ولكنها كانت تنق بيبيل الآن، وتستمر إزاهه. ولما قرأها بالبقاء مع غوردون لم تكن رغباً عنها، ولكنه من أجل الأولاد، وكان عليها أن تقم لهما كل ما أمكنها.

غابت صوفي المنزل بعد برهة قصيرة، وتناول غوردون وإيزابيل المشاء في غرفة الطعام. ولكن نظراً لطبيعة الجو والأمانيات التي دارت بينهما في الصباح لم يتبدلاً إلا ما ندر من الكلمات. ما كانت إيزابيل تريده أن يغضب أكثره، وقد كانت هيته كلياً تعجزها من الحديث إليه. لم يقل لها إلا تحدثت إليه بل فهمت ذلك عن ذنبا لكل بعض الحوار مع كل بشكل عنياً تقرأ عليه، وإن يكون موضع اهتمام لديه. وكان كل ما تتحدث إليه فيه هو عن الأولاد بأي حال من الأحوال، وهذا كل بشر سحره. لم تقل إيزابيل أي كلمة خلال المشاء، وبعد القهوة، عادت إلى الطابق العلوي إلى غرفة تيدي. وحس غوردون بضمه خلف أبوابه كالمادة، وأد غادرها لتقضي بالقول أن لديه عمل سريع بإجازة. وإذا استلقت في سريرها فيما بعد، كانت تفكر في كل ما قالته صوفي. كانت متألقة، موفورة الصحة، متكلمة، وكان سلوك والدها ومواقفه تسروها، ولكن لها أزعجتها أكثر. فقد كانت تريدها أن تنجيه، أما إيزابيل استبدلاً من ذلك لمحت تدافع عنه، رغم كل ما فعله من سوء تجاهها. وهذا ما جعل صوفي تحزن لأجلها.

لم تسمح إيزابيل غوردون بفكر المنزل تلك الليلة. ولكنها اكتشفت أنه لم

الفصل الثالث عشر

عادر بيل العثافي في لندن بعد حصة أيام من عودة إيزابيل إلى باريس. كتبت الألبم التي أنشأها هناك مشيرة لكاتبته بما لا يقابل له. كان يشعر بالوحدة بدونها، ولكن كلهم يعلم أن عليه أن يعتاد على ذلك. وفي حياته الخاصة الآن كان عليه أن يعتاداً مضيقاً وكأنه يستلحق جبل بارسنت. كان المعالجون قد رسموا له مخططاً لما عليه القيام به في العام المقبل، ولكن رغم أنهم رسموا له كل شيء، إلا أنهم لم يهتموا به في الأمل. فلحتم استعادة كامل قدرته على التفكير ساليه سيطلب معجزة في نظرهم. وبالرغم من أنهم أعجبوا من عمله وتصميمه، إلا أنهم لم يشاؤوا له أن يتصلح إذا كان كل ما يحتسبه هو تغيير أمر وفوقه اعتماداً على سداد أو على حكاكيز، أو إذا ما بقي السير كرسي مدولب طوال حياته. لقد كانوا شبه متأكدين أنه سيقضي حياته في كرسيه. لقد كانوا يرون أنه من شبه المستحيل أن يستعيد الإحساس برجليه نظراً إلى مدى الأذى الذي تعرض له صوده القفري. ولو صبحوا أنه شغل ما بين تصممه نوعاً ما لساليه وقدرته على السير عليها.

علاقته بالمرضات جميعاً وبكبري عنده رحيله. لقد أحبوه جميعاً وتكلموا بصق علاقته مع إيزابيل. وكلموا يرون أن نهجتهما من الحيات كانت مئة من السماء طريهما. وهذا أعطاهم جميعاً هملاً ورجاء جديدين. لقد كان جميع من في جناح العناية المشددة منذهلين من نهجتهما معاً.

لقد وعدهم جميعاً بل يرسل لهم بطاقت تكافرية من نيويورك، وأهم هلياً لهم من محل هارولد. فابتاع لكل منهم سواراً جميلاً من ذهب، وأهدى طريبه ساعة من ماركات باتيك فليب. لقد كان كريماً ولطيفاً، ومراعياً للأخريين وعقراً لهم، وسوف يقتدوه كثيراً. هذا وقد رافقه ممرضة ومساعد ممرض

تخدم في سريريه عندما ذهبت لتقول له أن يرد على اتصال هاتفي هام من نيويورك في الصباح. لم تكن تتحمل أي يمكن أن يكون، ولم يكن هناك من تسأله من ذلك. لقد أجهلت بما شاهدت، ثم تسامحت إذا ما كان يفعل ذلك مستم الأحيال. لم تكن مدركة لذلك من قبل. ولكنها صارت الآن على استعداد أكثر لأن تقيس عليها مفرحتين آخرتين ما يجري. لم تقل أية كلمة لأحد، وأضربت لسان على اللسان أن يتسلوا به في المكتب. لقد كانت تود لو تتصل به وتسله بنفسها أين كان، ولكنها ما كانت لتتأخر إلى هذه الدرجة. وبدلاً من ذلك، استمرت في حياتها اليومية كما اقترح عليها بيل، ولعنت بندي، وانظرت هورون لأن يعود في المساء. وعندما جاء لم تسأله عن شيء. ولم تقل له شيئاً. فالواجهة لم تكن أسلوبها، كما وأن نيد هورون لها ما عاد يهمها. فذبيها بيل الآن والقبح الذي يعيشه معاً. مصت إلى سريرها بعد المساء، وبعد مرور وقت طويل عليها وهي نائمة، خرج هورون وأطلق الباب خلفه بهدوء وهو يحرص على ألا يسمعه أحد.

وإنهم بيل.

لقد كانت رحلة طويلة. وحتى الاستلقاء لجزء من الرحلة كل قاسياً بقسمة له. كان قد ألقى متعة إلى الراء ليسير مثل سرير، ولكن حتى في هذه الوضعية كان هناك زاوية قشاة خفيفة سببت له لماً مريحاً. لقد ذكره ذلك، وبقرع عاج شديد، بأنه لا يزال هناك رحلة طويلة للشقاء تنتظره. ولكنه كل لا يزال متأكد أنه سيصلها في نهاية الأمر. ولكنه فستاء إذ أدرك مدى طول هذه الرحلة المصروضة عليه.

كنا قد أضربوا له ترمساً من القهوة، وبعض المشروبات الباردة، وسندوشة. وشعر بتحسن أكبر بكثير عندما مسحوه خارجاً. لقد كان يوماً خريباً جيلاً، وكان الجو لا يزال دافئاً.

لستفرقهم الوصول إلى مركز التاهل نصف ساعة، وكان هذا مكاناً ممتداً على رفعة واسعة تحيط به أراضي مشجبة في ضواحي نيويورك. لقد بدأ تشبه إلى ناد ريفي منه إلى مشفى، ولكن بيل كل متعباً جداً عندما وصلوا لدرجة أنه لم يستطع معها أن ينظر حول المكان. كل ما كان يريد هو أن يصل إلى السرير. سجل دخوله ولاحظ رجلاً ونمأة في كرسي متولية على عاكس في كل أرجاء المكان. وكان هناك فريقان يلعبان كرة سلة وهم في كراسيهم، وكان هناك أناس على اللقالات يتفرجون عليهم ويشجعون الفريقين. كل الجو مليئاً بالنشاط والعودة، وبدأ الناس بمنتهى الحيوية والنشاط في معظمهم. ولكن أصاب هذا بيل بالاعتاب على كل حال. لهذا ستكون إقامة خلال العلم القادم، أو على الأقل خلال تسعة أشهر. شعر وكأنه ظل أرسل إلى المدرسة، إذ كان يشعر بالحنين إلى إيزابيل ومشفى القديس توماس، وكل الوجوه الطيبة المحبة المألوفة الذين تعرف عليهم هناك. ولم يسمح لنفسه حتى أن يفكر بمنزله هي كوتشكوت. لقد صار هذا جزءاً من الماضي السحيق الآن. وعندما كانوا ينضمون بعيرته إلى غرفته، كانت النموذج تملأ عليه. ولم يسبق له أبداً في كل حياته أن شعر بالضيق والوحدة كما هو عليه الآن.

إلى المطار وأسنداه إلى كرسى في طاقته، واستقبله مندوبون عن مركز إعادة التأهيل في مطار كينيدي في نيويورك.

كسب بيل كد التصل بينه لخيرهما أنه قائم إلى نيويورك، ووجدته بيرته في اليوم التالي في مركز إعادة التأهيل. لم يتصل بسنثيا عن حد. كان يحاول أن يفي على بعض المسافة بينهما. لقد فكر أن هذا أفضل نظراً إلى موضوع الطلاق. لقد وضع من ضمن بنود عقد الاتفاق أن يمنحها مبلغاً كبيراً من المال، وأن يعطيها ممتلكاتها وعدة سيارات وسندات استثمار جيد. وكان قد بدأ معاملة الطلاق قبل شهر. وفوجئت سيندي من سرعته في التحرك نحو هذا الأمر، ومن كرمه وسملحة نصه، وكانت لا تزال تعتقد أنه فعل ذلك لأنه كان يريد أن يتزوج إيزابيل، ولكن بيل قال لها بوضوح وصديق أنه لن يفعل ذلك. ولو أن منديا لم تر مدى حبه لها لكنت صدقته.

لستطاع أن يجلس في كرسى في الطائرة بلارتياح لأول بصع ساعة، ولكن بعد برة بدأ عفه وظهره يؤلمه. كان يضع سندلات إلى كتفهما، تمدد، وشعر بالارتياح لأنه يسافر على طاقته الخاصة. لقد كان هذا يشكل فرقاً كبيراً بالنسبة له. اقترح طبيبه أن يتمتع عن الطعام والشرب خلال رحلة الطيران، فالتزم بذلك. وقرر هو عليه أيضاً أن يأخذ مرضة معه خلال رحلة الطيران، ولكنه رفض الفكرة، وشعر بالقلق عندما فلتت الطائرة بهم. ولكنه أراد أن يبرهن لنفسه أنه مستقل ويحتد على نفسه. وعندما حطت الطائرة بهم في نيويورك كان مذهكاً للغاية ويتكلم بشدة.

كان هناك ممرضتان وسائق في انتظاره في المطار. وقد مر عبر الجسر دون أن يلتفتوا أحرفاضه، وكانت هناك سيارة مظلة في المخرج مزودة بسنقلة. أحده الممرضتان إلى الحمام أولاً، ثم فكر أن يترتب ويتصل بإيزابيل، ولكنه قرر أن ينظر إلى أن يصلوا إلى مركز إعادة التأهيل. لقد كان في غاية الأكم، وكان يتوق إلى أن يستلقي في السريرة المظلة.

كيف ترى هذه؟ للفصل؟ سأل أحد الممرضتين وقد أنجماه في السيارة،

'هل كل شيء على ما يرام، سيد روبنسون؟' ولم يستطع أن يفعل شيئاً سوى الإيماء برأسه.

لقد بحثت كسيرة نموذجية في فندق نظيف محترم. وعلى الرغم من السحر، والذي كان باهظاً، فإنها لم تكن مترفة، إذ كانت خلواً من الزخارف، مع وجود بعض وسائل الراحة. كان هناك ثلاث أسرّة ممتلئة وسجاد نظيف وسرير مشفى مفرد، مثل ذلك الذي كان يذلم عليه إلى جوار إسرائيل، وملصق وحيد لجنوب فرنسا على الجدار. لقد كان رسمه من أولي مائة لمكان بدا مألوفاً له، واعتاد أنه سائق - ترويز. لقد كان له غرفة حمام خاصة به، وكانت الإضاءة في الغرفة جيدة. وكان هناك فلكس في الحديقة، ومأخذ لكيبوتر، وهاتكه الخاص، قالوا أنه ليس مسموحاً له بمكرتيف في غرفته، وأنهم يكرهون هذا اليوم. لم يقولوا له السبب، ولكنه كان يعرف أن ذلك هو لنيل سمنزل الصلاء أو ياكلوا ردهم. لقد كانوا يريدونه أن يتناول طعامه في الكافيتريا مع الجميع، وأن يشترك في الترقق الرياضية، ويستخدم غرف الأنشطة الجماعية، ويكون أصدقاء. لقد كان هذا كله جزءاً من عملية إعادة التأهيل التي أعدها له. وكل التواصل الاجتماعي في طريقه للحلقة جزءاً من ذلك، فلا بهم من يكون، أو من كان، أو ربما من سيكون، إذ كانوا يريدونه أن يكون عضواً فعالاً في مجتمعهم بينما هو هناك.

رؤيته للمساعد في غرفته لكره بأنه يجب أن يتصل بمكرتيفته. فنتلمته المسلمية قد تضاعفت حتى الصغر تقريباً خلال الشهرين وال نصف الماضيين. فما كان بإمكانه أن يقوم بما يجب وهو في سرير، وكان عليها أن تفي كل شيء. فما كان بإمكانه تعريف الناس ببعضهم بعضاً، أو أن يحطط لصلوات انتخابية، أو يرضى من سبائهم عن طريق شنه لمعركة انتحارية بالجملة. فلهذه العناية كل لزبا عليه أن يكون على اطلاع وعلم بكل التفاصيل وأن يكون في ساحة المعركة. ولذلك من جديد، وهو يجيل الطرف حوله في الحديقة، أنه حتى وإن أمكنه أن يعود إلى معترك الحياة السياسية، فإن هذا الجانب من

حياته يجب أن يبقى مطلقاً لغري.

كان هناك براد صغير في غرفته مليء بنص الأثياء التي تجددها في بار صغير في فندق جيد: صودا، ووجبات خفيفة وألواح شوكولا، وكان مسروراً ومندشاً إذ وجد نصفي رجلية من المشرب المفضل. ولها فتح رجلية كولا بصوت مفرق، بعد أن تركه المبرصون، أخذ رشقة منها ونظر إلى ساعته. لقد كان يريد أن يتصل بإيزابيل، ولكنه خشي بالمقابل أن يكون غوردون في المنزل. ولكنه كل يشعر بوحدة قاتلة هذه المرة لدرجة لم يستطع معها إلا أن يتصل. وكان يبغي أن يطلق السماعه إذا ما لجأ غوردون على الهاتف.

رغمت سماعه الهاتف على الطرف الأخر من الخط وسمع صوتها، كانت الساعة الحادية عشرة عددها، ولكنها بدت في حالة بقطة تامة. ونفذ صوتها الحذب المألوف إلى قلبه كالسهم إذ كان مشغلاً بإيها.

'هل هذا وقت مناسب؟' سألها مباشرة فضحكت.

'مناسب لماذا يا حبيبي؟ في الواقع إنه مناسب جداً، فقد كنت الآن أتمنى لو أنك كنت هذا. فغوردون في ميونخ⁽¹⁾ لهذه الليلة. كيف كانت للرحلة؟'

'مؤلمة'. قال بصراحة، دون مراوغة. 'لما في سجن'. نظر حوله من جديد، ورغم أنه كان يعرف أن الأمور لم تكن سيئة، إذ إنها كانت أخذة في التحسن وبلغت دروتها الآن، إلا أنه لم يكن مكتئباً جداً على كل حال، فكره هذا المكان هنا. قال وقد بدا كمثل طفل يشعر بالحنين فيتصل بأخيه من مدرسته الداخلية.

'هيا، هون عليك، ولتكن لديك روح رياضية عالية. وسوف أحصل لك تشياء رائعة'. قالت تشجعه، كما فعلت عندما ذهبت صوفي إلى المدرسة في أول يوم. وفرتت فقلته: 'سوف نتحدث على الأمر، وقبل أن تعرف ذلك، فإنك

(1) ميونخ (Munich) هي ألمسية وكثير مدينة في بافاريا (Bavaria) في جنوب شرقي ألمانيا.

ستجيب فيه. ربما ان يفترض بك إلا البقاء بضعة أشهر وحسباً. كانت تحاول أن تشجعه، ولكنه بدا في حالة إحباط كبيرة، وانظر لها عليه. كانت تود أن تستطيع فعل شيء له، ولكن من تلك المسألة البعيدة كان ذلك لمرأ صعباً جداً. لقد كان على كل منهما أن يخوض معاركه وحده. ومن نواح كثيرة كانت معركتها أغسى منه.

وماذا لو بقيت هنا لستين؟ سأله. وقد بدا من جديد كأنه طفل.

هذا لن يحدث، ولأمر أن على ذلك. ما نوع الناس الذين في المركز؟ قد كان كلامها يعني أن يكون المركز يجمع بالنس طائعين في السن وبخسعين لعلاج ليشعروا من الإصابات، وبالتالي سيكون لديه عنصر قلة مشتركة معهم. ولكن من الأخطاء القليلة التي رآها، عرفت أن معظم المرضى الذين رآهم في طريقه دخلوا إلى المركز بدوا شبيهاً بالعين، بل حتى أصغر منه مئاً. كان كثيرون منهم همك بنتيجة حوادث تزليج، أو هلسفت قذلة إلى لسان السبلعة، أو حوادث سيارات، أو مائي جملز. والنفس الذين هناك، كانوا في معظمهم شبيهاً متكون لهم حياة مديدة مشرقة في انتظارهم.

يبدو أن لا بأس فهم، على ما ألت. وتهد وهو ينظر خارج النافذة إلى بركة السبلعة في الهواء الطلق التي تبلغ الحجم القياسي في الألعاب الأولمبية، ولكنه أن يرى عدداً من الناس يسهون وقد انتشرت الكروسي المدبوبة في كل مكان. لا أزعج في أن تكون هنا. لود أن أعود إلى واشنطن وأن أصل، لو أن أكون معك في باريس. أشعر وكأن الحياة تتجاوزني. ولكن لم يكن ليأ من المكانين متاعاً له. وما كان يشاء أكثر هو ألا يتمكن من لقاء ماً من جديد. لقد كان يبدى عليه أن يجلس لفترات طويلة، وأن يظل وفقاً لساعات عديده وأن يسافر وحده بشكل حر، وأن يعنى بنفسه، وأن يتحلى بالصبر، والقدرة على الحركة، وصفاء الذهن، إذا ما كان مبعود إلى مهنته. وكان يحاف أيضاً أن يولجه بعض الإعاقة أو العرقلة النفسية الآن. مخاضهم الناس وأزواجهم غريبة جداً، وربما يشعرون أنه إذا ما كان في كرسي متحرك ولديه عجز بشكل أو

بآخر. فإنه كان من الصعب أن يتكهن بمواقف الناس وأرواحهم المجهمة. ولأجانب كثيرة إذا كان يهمه أن يستعد قدرته على الوقوف على أديمه والسير من جديد.

ما كانت يرايبل لأتله لمجزء عى ذلك، ولكنها كانت تريد ذلك كثيراً من أجله. إلا أن حبها له ما كان ليتأثر فيما إذا استطاع أن يسير أم لا. لقد أحرته ذلك مرفراً ونكرواً، ولكنه كان يشغل بالها. وكان يأمل أن يكون تكتلياً أو معتمداً على أي شخص؛ مثلاً، أو بنته، أو رملته، أو أصدقائه، أو بالتكيد ليس يرايبل. فلن كان عاجزاً عن أن يصحبها ويؤمى بها، ويفق إلى جوارها كرجل، ويمارس الحب معها، ففي هذه الحالة لا بدوي أن يكون في حياته. وكان يعرف في قرارة نفسه أن هناك الكثير مما ينتظره نحو شفائه. ورغم أنه لم يقل ذلك حرفياً ليرايبل، إلا أنها شعرت بأن شمة مقدور كبير من المفاخرة والمجازفة لئمه. وكان ما كان بإمكانها أن تقطع الآن هو أن تكون إلى جانبه عن طريق الاتصال الهاتفى، وأن تصلني من أجله.

كيف حال تيدي؟ سألهما وهو قلق جوع. وكيف حاله؟

فما بخير. سوفي علكت إلى الجسمة البارحة. وتيدي لا يزال متعباً جداً، وفقاً لقة على قلبه. أحياناً أشعر أن حالته تسوء، ثم يمر عليه يوم طيب فيشعر بتحسن. من الصعب التكهّن بعقلته. ولكن روحه المعنوية عالية. وقد كانت كذلك منذ عودتها إلى المنزل. ولكن جسمها الغريزي أحياناً أن ما قاله الطبيب كان صحيحاً وأن تيدي كان لنضف مما كان عليه أي يوم على الإطلاق منذ زمن طويل. لقد خسر معركة حامية جدية بالاعتبار.

تقد صالت لوليفيا وجون إلى الجامعة الأسبوع الماضي، ولكنها أخبرتني أنهما مثاليان ليراني في نهاية هذا الأسبوع.

هل تأتي سنياً أيضاً؟ قد كنت تشعر بالغيرة نوعاً ما منها، ومع ذلك لها كانت لتعترف له بذلك. وكان يعرف ذلك بحال من الأحوال. وكان هذا بمثابة إقرار له. وفي الواقع كانت سنياً قد التزحت أن تأتي مع التاتين،

ولكنه فكر أن من الأفضل ألا تأتي. لم يشرح ذلك لإيزابيل لأنه لم يكن قد أخبرها بعد عن موضوع الطلاق. فكان لا يزال يعتقد أن الضغط سيكون أقل عليها إذا ما كانت تعتقد أنها كلها لا يزالان متزوجين. وهكذا إن فكر بأنه ينتظرها، أو يبحث عن شخص ما آخر. ولو كانت قد تحولت من غوردون لكان سينتظرها. ولكنه فكر أن هذا سوف لن يؤدي إلا إلى زيادة تعقيد الأمور إذا ما أخبرها عن ذلك. ولذلك حافظ على ما في مخيلتها بأنه وستبني لا يزالان متزوجين وأن الأمور على ما يرام.

أعتقد أن سبنديا عالج القادة لبضعة أيام. قال لها عرضياً. وكانت إيزابيل تفكر في قرارة نصها أنها لقصة قلب من سبنديا أن تصاب حبتها على ذلك الموقف، ولكنها لم تنطق على ذلك ليل.

سيمضي غوردون الليلة في مونتريخ. قد ذهب إلى هناك من أجل مؤتمر يتعلق بالمصرف. وسوف يأتي إلى المنزل في نهاية الأسبوع. أعتقد أن لديه مخططات معينة. ولكنك له بالقبول، ولكنها لم تعد أبداً جرحاً من مخططات غوردون بعد الآن، ولم تكن لديها رغبة حقيقية بذلك. فبعد الحادث في لندن، وعلاقتها المصيبة مع بيل، صارت تشعر بأنها منفصلة كلياً عنه، ما عادت تتضيق لأن غوردون لم يعد يدعوها إلى أية مناسبة. قد كان يرغب في أن يتركها في إبقاء في المنزل مع ابنها، وكان محققاً في ذلك. قالت لا تزال في غاية الإرهاق. مضت إلى النوم بكرة تلك الليلة، وجلست في يديها طوال النهار. وكانت قد خرجت مع صولي من أجل الغداء في الصباح. وهكذا كل جديراً بجعلها تشعر بنفسها مستنزفة. كان لا بد من مضي شهر آخرى، على حد قول الطبيب، حتى ترجع إيزابيل إلى سابق عهدها. والأمر يستغرق أكثر مع بيل. وقد عرف ذلك الآن، قد كتبت رحلة الطفرة مصدر عذاب وألم له، ولم يكن قد شعر بمثل هذا الألم منذ شهر وكان لا يزال يشعر به وهو يتحدث إليها.

ما الذي ستمعله هذه الليلة؟ سألته إيزابيل بصوت لطيف. لقد كتبت

تستطيع أن تعرف من صوته كم كان متعباً وحزيناً، وشعرت بالقلق عليه. أعتقد أني سأبذل. ليس هناك خدمة غرف هنا، ولكنني لست جالماً. لقد كان يستلم لدرجة لا يستطيع معها أن يخلد، وما كان يريد أن يأخذ مسكنات للألم. فقد قطع عنها قبل أسابيع، وكلما دأبت يمشي أن يذعن عليها. ولم يحدث ذلك، لصن الحظ، ولكنه ما كان يريد أن يعود لأخذها من جديد.

ربما عليك أن تقوم بجولة في الجوار. لم تكن لتحب فكرة أن يبقى وحده في غرفته. قد بنت الفكرة موحشة وتثير الإحساس باللعزلة، وكانت تخشى أن يصعب الكتابة.

سبنديا ذلك هذا. إيم لا يتحتمون لنا الكثير من الخيارات. سأبدأ الملاحق على الساعة السابعة مساءً، وإن أعود إلى غرفتي حتى الساعة الخامسة. قد كان نظاماً سهلاً. لكنه لفتت انتباهي لهذا السبب تماماً. لقد كان يفكر أنه إذا ما بدأ حيداً أكثر فإنه يحصل على نتائج أسرع. ولكن كل ما أراده الآن، وحسب قبل عبده بذلك هو أن يرحل. سأحصل بك في الصباح عندما أستيقظ. سيكون لك الوقت هو الظهيرة بالنسبة لها، وكان يعرف أن هذا الوقت مناسب جداً. فلو اتصل بها عندما يعود إلى غرفته في نهاية النهار، فإن الساعة ستكون العادية حشرة ألياً عندها. وإذا رد غوردون على الهاتف، فإنه سوسبب لها المشكل.

يمكنني أن أقص بك أحياناً، اقترحت عليه ذلك، ولكنه قال لها أن من الأفضل أن يتصل هو بها، وكان محققاً في ذلك.

سأحصل بك غداً يا حبيبتي. قال لها في النهاية، وهو متعب جداً ولا يقوى على الكلام أكثر حتى معها. كان ظهره يؤلمه للغاية، وكانت رقبته متعبة، ومطوياته كانت في الضيق، وشعر كله في كوكب آخر بعد عنها وعن الحياة التي عرفها يوماً. لقد عاد أخيراً إلى الولايات المتحدة، ولكن لم يستد من ذلك بشيء. لقد كان وسط اللامكان على جزيرة صحراوية، كما كان يراها، وكان محكوماً عليه أن يبقى هناك لسنة. ولم تكن هذه الفكرة لتسره.

لجك يا حبيبي، همت له على الهكف. وبعد أن أغلقا الساعه استقلت في سريرها تفكر فيه لفترة طويلة. وكانت تمنى لو تملقه وتضمه وترببه، ولكن وعلى هذا العهد جل ما كانت تستطيع أن تقطه هو أن تحبه وتوحي له بالأفكار الجميلة.

استوط بيل الساعه السابعة صباح اليوم التالي. لم يكن قد غادر سريريه بعد أن تحدث إليها. تقبب في سريريه ودام بقلبه، واستيقظ بعد أن رن جرس المنبه. كان قد سافر جواً وتعب من جراء منطليق التوقيت المختلفة، وبالكاد أمكنه أن يتحرك. رن الجرس لينادي الوصف كي يساعد للجلوس في كرسيه من جديد، وتعد طريقة لأخذ دوشاً. بعد نصف ساعة شعر بتحسن، واتصل بإيزابيل قبل أن يخلد للفرحة.

كيف تشعر يا حبيبي؟ سأته باهتمام. وبدت في حال الفصل ودوح معنوية أعلى من الليلة السابقة.

الفضل بكثير من ليلة أمس. لقد كنت مضطراً.

أطعم ذلك. وكلفت تقسم. فقد كان تريد قد استيقظ وبمخويات جيدة، وكان ذلك يوماً جميلاً من أيام أيلول (سبتمبر). وكان الوقت طهراً عندما.

لأنا أبف لأني بكيت وشكوت لك ليلة البارحة. لقد كنت أشعر وكأنني طلع في مدرسة داخلية، فانهست إذ قال لك، لقد بدا لها هكذا حقاً.

أعلم. لقد كنت أود لو أظير والتي بك إلى المنزل. قالت بتعطيل.

هذا ما تقطه الأمهات. أما الآباء فيخبرون الولد أن يتكيف، وهذا فرق جوهري بين الجنسين. لقد كانت البنتل تشعر دائماً بالحنين عندما كانت تذهب إلى المخيم. كانت سبدي تريد دائماً أن نلقها بكرة، بينما كانت أعتقد أن عليهما أن يتصلا المشقات حتى النهاية.

ومن كل يطلب؟ بدت إيزابيل مرحة. لقد كان هذا جانباً لطيفاً من سنثا لم تكن قد سمعته يتحدث عنه من قبل. وصارت تميل إليها أكثر من ذي قبل

لأجل ذلك. قد كنت لتقول نفس الشيء. فهي لم تدع أحداً من أولادها يتعد عنها إلى أن ذهبت صوفي إلى الجامعة وشعرت بإزابل أن هذا قبل الآن. لقد كانت تريد أن تبقى في باريس وأن تدرس في جامعة السوربون بدلاً من الذهاب إلى غريبول.

هي التي غطت في الواقع. لقد كنت بعيداً دائماً وما كنت تستطيع أن افرض قوانيني. وفي الوقت الذي سأعود فيه مستقران في المنزل. هذا جيد من أجلك.

حسناً. سأضطر لأن استعطف الحذر الآن، لأذهب وأرى كيف سيتفكرون في تحديي. لأنا متأكد أنهم قد استعدوا لذلك هنا. ولكنه لم يكن مستعداً للتعظيم المكثف الذي كلفوا له وضحوه.

فبعد المعالجة المتواضعة التي أخضعوها له في لندن، كان العلاج الوثنيك يشبه إلى حد بعيد الانتصاب إلى الماريلز. لقد لفت الصارين البنتلية بفضل ما أمكنه من كرسيه. لقد جطوه ورفع الأثقال بجهة تقوية نصف جسمه الطوري، واستخدموا أيضاً نمازين باستخدام الآلات. وكان ذلك علاج حصن متطابق ببقته، وتربلت طويلة في حوض السباحة، وتكريرات حاصة لرجليه. وكان قد أعطي فترة نصف ساعة من أجل الغذاء، وبالكاد كان هذا الوقت بكفي لكي يذهب إلى الكافريا أو يتحدث إلى أي كان. وفي الساعه الخامسة عاد إلى غرفته وكان متعباً جداً حتى إنه بالكاد استطاع أن يتحرك. بل حتى لم يستطع أن ينقل من كرسيه إلى السرير، واضطر ليقرع الجرس لينادي الوصف، الذي يقسم عندما سمع بيل يتكلم.

لقد أجريت تمارين جيدة اليوم يا سيد روبنسون، أليس كذلك؟ كل هذا شيئاً لمربكياً ليريقاً كان قد تدرب في سلاح الطيران، وتعرض للإصابة قبل خمس سنوات. كان يدرس كي يصبح معالماً فيزيوياً. كل بيل قد تشجع عندما رأى أنه لم تكن تبدو عليه أية علامات من إصابته السابقة وأنه كان في مظهر لا يصدق، وكان في السادسة والعشرين فقط من عمره.

"هل تمزح؟" نظر إليه بيل بؤس. "أعتقد أنهم حولوا قلبي اليوم."

تسوف أن تشعر بالغبك هكذا لمدة أسبوعين من الآن. تسوف تكون هذه التمارين خفيفة وسهلة بالنسبة لك كما لو كنت تأكل قطعة من الكعكة. لقد كان من الصعب على بيل أن يتصور ذلك. وقد أجرى الشاب مساجاً لبيل. وبعد أن غادر، قرر بيل أن يتجاوز طعام الغشاء وأن يبتلى في السرير. كان يشعر وبإذ بالغبك يفرق فليستيقظ من جنود، وسك وهو يشعر بالدماس من يكون لطرق. وعندما فتح عينيه وجد شاباً في كرسي متدوب قد صار داخل غرفته.

تمرحباً. أنا جو أندروز. أنا في الغرفة المجاورة لك. هل لي أن أدعوك إلى مباراة كرة سلة الساعة الثامنة؟ تأوه بيل وهو ينظر إليه ثم لطلق ضحكة. كان أندروز يجلس في كرسيه دوماً ارتباك، وبدأ أنه يستخدم إحدى ذراعيه فقط. لقد كان قتي وسيماً وبدأ في بداية الضربيات من الصر. لقد تعرض لحادث سيارة أودى بحياة أربعة آخرين قبل ستة أشهر.

مباراة كرة سلة؟ هل تمزح؟ يمكنك استخدامي ككرة. فلا أعتقد أنني سأسطيع أن أجلس مستوياً مرة أخرى فكيف بلى أتحرك وحدي؟.

"الأمور يكون قاسياً في البداية". قال له جو أندروز وهو يتنسم. ولكنه يصبح سهلاً بعد حين. هذا المكان رائع هنا. قبل ستة أشهر كنت مشغولاً إلى لوح مقبت إلى جسدي، وما كنت أستطيع أن أتحرك إلا عيني لذلك. وكنت سأعتبر نفسي في غاية السعادة إذا ما استطعت أن أتحرك أنفي. لقد كان من المزم أن يفكر بتلك الطريقة، ومع آهة أخرى نهض بيل.

"إن الشباب حليف لك"، قال بيل موضعاً له، ولكنه كل دائماً مشغول القوم إلى أن اصطدم به البعض. "أنا أنا فرجل عجوز".

"ليس هذا شيء من هذا القبيل. إن رئيس فريق كرة السلة يبلغ الثمانية والثلاثين من العمر، وهو يعاني من مشكلة دماغية. كل يلعب لصالح فريق أليانكير لسنتين سنة خلت".

"أنا لمت في عصبيتي، وإلا لكنت منجّلت في الماريلز".

"تستكون سهلاً، ولكن ليس هذا بطريف. وهناك بعض النساء الجميلات فيمنظر حقاً". لقد كان تلك كمثل الذهب إلى الجملة بشكل يؤثر الضبط، وشعر بيل على الفور بموجة تجاه هذا القتي. لقد كانت له عياد ضامكتان، وإضافة جميلة وشعر أحمر لامع.

"يبدو أنك لمضيت وقتك مشغولاً هنا. لم يكن جو كذلك، ولكن كان سيحب النظر في الأمور. كانت الفتاة التي خطبها قد ماتت خلال حادث سيارة، ولكنه لم يذكر ذلك لبيل.

"أنا ذهب إلى نيويورك في نهاية كل أسبوع. وربما تود أن تأتي معي يوماً ما، تستغرق الرحلة عشرين دقيقة بالقطار".

"إنها لفكرة. ولكني لا أفكر الآن في أسطيع أن أتحرك".

"لماذا لا تأتي وتفرج؟ سأعرفك على بعض الشباب".

لقد كان مصمماً أن يأتي ببيل إلى مركز الحياة حولهم. كان جو هو المشرف على المعنن، وكان قد نطوع للقيام بهذا العبء لكي يقوم بدوره معهم كما يفعل مع بيل الآن. لقد كان من المهم جعل التزلاء يشاركون في عدة أشياء إنشقة إلى علاجهم الشخصي. وهذا ما أفق حياة جو. فطتما جاء إلى مركز التأهيل كان يفكر بالانتعاش بعد أن تعرض للحادث. والآن مرّ بأسوأ مرحلة في حياته التي كان يروي فراها لم ترد إليها.

"ولماذا من النساء؟ قال بيل متزحاً ومطاطلاً.

"هل أنت متزح؟" سأله جو وهو يدفع بكرسيه خارجاً. لقد كان حلو المعشر مع الناس، ولمكن لبيل أن يرى فيه قتي طريفاً حقاً. ولقد حزن لرؤية جالساً في كرسي متدوب.

"لا. تسوف أطلاق".

"هذا سيء جداً. هناك فتاتان في الفريق إحداهما في الثامنة عشرة من العمر،

الغسل أن تكون خارج نطق سجنها إذا استطعت. وكم يبلغ عمر الأخرى؟

ثلاث وستون. قال جو وهو يتسلم البطاقة عريضة.

سوف آخذ هذه. إنها أقرب إلى عري.

كم عريك؟

ثلاث وخمسون وسأخبر في الخمسين اليوم.

هل تتناول طعام العشاء لم ليس بعد؟

أعتقد أنني لوئت العشاء الليلة. وكل ذلك قبل تلك الليلة السابقة أيضاً. في الواقع كان من المزعج جداً بالقبضة لـ لي يخرج من غرفته مرة أخرى. تلك فكرة سيئة. سوف أمر عليك الساعة الخامسة والنصف. يمكنك أن تقرر بعدها بمفوض الميزانية. لم يسأله رليه. وقبل أن يستطيع بيل الاعتراض كان جو قد غادر غرفته.

لقد كان يلجأ عمله بشكل جيد، ورغم نفسه، قد كان بيل جالساً في كرسيه للمدوبل الساعة الخامسة والربع، وشعر بتحسن أكثر مما كان عليه قبل ساعة. أخذ نوشاً وعلق نكهة وسرح شعره. كان يرتدي قميصاً قصيراً كان لا فية له ويطل جينز. وبدا هو وجو كملفين وهما يفعلان ما عجلت كرسيمهما نحو قاعة الطعام. بدا جو وكلفه يعرف جميع الناس ينتقم في طريقه، وعرف بيل على الجميع بقدر ما استطاع. على بيل إيان ذلك في جو كان في الثانية والعشرين من العمر ومن مينيابوليس. لقد تخرج من جامعة، وكل يريد أن يذهب إلى كلية الحقوق في العام المقبل. كان له شقيق وأخ توأم مطلق له تماماً كان معه أثناء الحادث. وأردى الحادث ب حياة شقيقه التوأم وخبطيته، ومات كلا الشخصين اللذان كلا في السيارة الأخرى. كان شقيق جو هو الذي يقود السيارة عندما اصطدمت بهما السيارة الأخرى في المقنعة خلال ليلة تجمية. كان العديد من الناس في المشفى لنهم لمص

قاسية، وقتلوا كانوا يرحون ويهون منهم مثل معظم القنابل، والمرأة أصيبت بطلق ناري في الصدر القوي خلال عملية سطو مسلح على متجر عندما توقفت في وسط النهار لتشتري كولا لأولادها، وأليس كانوا قد تعرضوا لإصابات في حوادث من كل الأنواع. ولكن من هؤلاء كانوا يخلصون، ليس فقط لعلاج إيزيتي بل أيضاً لمساعدة نفسية، مثل جو والمرأة التي أصيبت بطلق ناري في صدرها القوي. عندما كان هؤلاء يخادرون المشفى، كانت لديهم الفكرة بأنهم قادرون على أن يحورا حياة كاملة مثيرة وطبيعية بشكل مذهل.

كان حوالي مئتي نزيل في المركز، وثلاثمائة آخرين أو أكثر يأتون إلى مركز كمرحاض غير مقيمين كل يوم. ولكن أولئك الزلاء الذين عاشوا معك كانوا يأتون لواء بشرية يهتم كل منهم بالأخر ليصبحون عائلة واحدة خلال فترة مكوثهم الطويلة الأمد. الصلة التي في الكافتريا ذكرت بيل، ليس بالجلوس الجرم ما ذكرت بهظة كوكيل يرتص الناس فيها جميعهم على أقدام موسيقى السوينغ. كل الجميع يصيحون، ويتحدثون، ويضعون الخطط، يحسبهم يستلغز بالتصافقه عبر الأيلم، والبعض الآخر يتنمرون من أنهم كانوا يصلون بجد كبير. ولكن بيل شعر أنه لم يشاهد مثل كل هذا العدد من الوجوه المتبسمة منذ أمد بعيد. ولم يكن ليبدأ بتوقع ذلك عندما وصل إلى المشفى.

هناك دورة تسمى الأسبوع المقبل، إذا كنت تحب أن تلعب.

وزرده جو بمعلومات عنه بينما كان يتحدث إلى ستة أشخاص بنفس الوقت، وكل أربعة منهم على الأقل من القنابل. ولكنه لم يكن غريباً هناك، فقد كان لكثير من الشبان الجميلي الطلعة في كراسيم المدولة، واعتقد بيل أن نصف الناس الذين رآهم هناك كانوا في العشرينيات من العمر ونكورا. أما النصف الآخر فكان يشمل أيضاً من أعمار مختلفة، وكل أقل من النصف منهم نساء أو قنابل. وكان ثلاثة أرباع السكان نكورا. وبدا لهم تعرضوا لمشاكل،

أو صالفيهم حط عثر أو كانوا يقدون ميلاتهم بسرعة هائلة، أو غاضبوهم
مخاطرة ومجازفة كبيرة، أو كانوا يمارسون أفعالاً خطيرة. وكان ذلك ليضرب
عدد من الرجال والنساء في مثل عر بيل. وإلى طولتهم كلفت هناك فتاة
جميلة ذات وجه عذب وجذوب وكلفت تظن الكلمات بشكل متداخل وغير واضح.
كلفت هذه فتاة موديل وقد سقطت على درجات سلم رخامية خلال التقاط صور
لها وتعرضت لإصابة شديدة في رأسها. وقد ظلت في حالة غيبوبة ثمانية
أشهر، وإذ تحدث إليها بيل أدرك كم كلفت هي وإيزابيل مضطربتين. كل اسم
الفتاة هينسا، وكانت صديقتها المصلة في مركز الفأهل رافعة باليه شابة
كانت قد تعرضت لحادث سيارة، وكانت قد صممت على أن ترفض من جديد.
كان المركز يحل بيل بولجرسون حديث كبير للاقعة للاكتئاب، وكانوا يبدلون
جهوداً تأثير الإعجاب للفتاب على الإعاقات التي تعرضوا لها. وكان الإحباط
يغمر بيل تجاههم.

فسي الوقت الذي انتهى فيه تناول طعام الغشاء، كان بيل يشعر بالمتحمس
من جديد، ودعاه جو وهيلينا للمشاركة في المباراة، ولكنه لم يكن يريد أن
يلعب. كان يريد فقط أن يتفرج.

"إنهم رائعون حقاً، قالت هيلينا متبسمة متقدة بحديثها غير المفهوم بشكل
واضح. كلفت في كرسي موديل أيضاً، وسبب ذلك فقط هو أنها كانت تعاني
من دوخة أو دوار من جراء إصابة رأسها لديها وكانت تسقط أحياناً على
الأرض دون مسبق إنذار. فكانت تشعر بالأمان أكثر في الكرسي. كان بيل
متدهلاً بجمالها، ورأى أنها كانت تبدو مثل إيزابيل. لقد علم من جو أنها كانت
تعمل في نيويورك، وبليس، وميلانو وكانت فتاة العلاقات في مجلة فرغ ومجلة
هاربرز بازل قبل الحادث. رحسب جو، فقد كانت ملجئة في عملها. هي
المررة لقلعة طوك لي تلعب. قالت هيلينا تشجع بيل.

ولم لا تلمين أنت؟ قال مملوحاً لها، فقد كلفت لنول من العديد من
الرجال، ولكنه أن يعرف ذلك من خلال ملاحظاتها الطويلتين. وقد كانت ترتدي

بخطاً كبيراً وصندلاً وهي تجلس في كرسيها إلى جوارها، وتحتي بأصابع
كاملها بشكل جميل، وكان هناك طلاء أظفار أحمر اللون يراق على أظفارها.
وكان العديد من الفتيان قد أعجبوا بها، ولكن صديقها كان المصور الذي كانت
تصل له يوم التصوير حين ولدت، وكان يحبها بإخلاص منقطع النظير.
وكما سيتروجان عندما تخرج من المشفى، وكلفت تضع في إصبعها خاتم
خطبة كانت سدينا لتصفه بأنه بحجم بيضة.

جاءوا يتفرجون على المباراة جنباً إلى جنب، وكان هناك الكثير من
الصراخ والصفاح وخلفات التشجيع للفرقتين. وكان الجميع يبدون مسرورين
مستمتعين بما كان الفريق الذي يسجل النقاط. إلى حقيقة كونهم يأمرون بعد ذاتها
كانت تشكل نقصاً لهم جميعاً. وكان بيل مذهولاً من الصلة الرياضية
المثيرة للذهشة.

"هل أنت متزوج؟" سألته هيلينا عصبياً، فقد كان الجميع يعرفون أنها
كانت مضطربة ومفوتنة بخطيبتها. لقد سألت بيل ذلك بدافع الفضول. لقد كان
رجلاً وسيماً، ولو لم تكن مضطربة لكلفت أعجبت به، ولكنها كانت سعيدة الآن
مع خطيبتها.

نطلق. تقريباً. خلال بضعة أشهر.

"أنا للأسف. قالت متعاطفة. ستكون محبواً ودأ شعبية لها. وانضمت
لبنته عريضة. ولكن بيل كان يعتقد أنه لم ين مثل هذا الكم الهائل من
الرجال الجميلي المحيا في مكان واحد، وكان معظمهم في نصف عمره. لم
يكن هذا الموضوع ليهمه، كما وأنه لم يكن مستعداً له. لقد كان يحب إيزابيل.
هل لديك صحيفة؟ كان على وشك أن يقول لا، ولكنه بعدد قرر أن يكون
صريحاً معها قال:

تم.

"هل ستتزوجان؟ دخلت في لب الموضوع بشكل مباشر.

لا". وعندما ألقى بحجره وحيطته في مهب الريح. لم يكن يحتاج لأن يكون لديه أسلحة هذا. إنها متزوجة من شخص آخر، وسوف تبقى هكذا. هو الحل الآن".

ما معنى ذلك؟ نظرت إليه بذهول، ولحقها أن ترى إحدى القنابل الرئيسية في النوبة. كانت الضجة حولهما في الصالة تصم الأذن، ولكنها كانت مهتمة أكثر بما قاله بيل.

ينبغي أنها ليست في حاجة إلى مشكلتي تصليها الآن إلى مشكلتها الخاصة. فلديها طفل مريض. وأبست بحلجة إلى روج في كرسي متولي. لقد بدا الأمر واضعاً بالنسبة له.

لم لا؟ ما الفرق الذي يشكله ذلك؟ يجدر بك أن ترى هذه الفكرة من رأسك. هل تفكر هي على هذا النحو؟

لا، على الأرجح. ولكن هذا ما شعر أنا به. فسوف أن أكون عينا عليها.

هذا لطيف منك. وماذا عنهم؟ وأشارت إلى الشبان الذين يلعبون في الميقات، وهم يتكلمون نحو بعضهم بعضاً، ويدعون عجالات كرسيهم حول الملعب بالقسي سرعة وبتماسة عريضة على شفاههم والعرق يتصبب من وجوههم. لقد كانوا يمشون وقتاً راتماً. "هل يدون عينا في نظرك؟".

أنا لست متزجراً منها. ولكن ربما أفكر هكذا لو كانت كذلك. انظري يا هيلينا، أنا لا أستطيع أن أرفع، ولا أستطيع أن ألق على قدمي ولا لي أسير في الشارع، بل حتى لا أعرف إذا كنت سأصل بعد الآن. ولا أستطيع أن أفرض ذلك على أي شخص آخر. ولم أفكر لها عن محاولته ممارسة الحب معها وأشله في ذلك.

لماذا كنت قبل؟ متزجراً على الجلود؟ سألكه وقد رفعت حاجبها نحوه. لقد كانت فتاة لامعة. وقد أحب عثرتها.

أنا أعمل في السجل المسلي.

ألا تستطيع أن تقوم بهذا العمل وأنت جالس؟ يا للفرقة.
أنت تعلمين ما أقصد.

نعم. لقد اعتدت أن أشر كذلك لوماً، ثم وجدتني كنت حقا. متصمك إذا قلت لك. أحياناً ألقى الأشياء، وأسقط بينما أنا أفحدث إلى شخص ما. هذا مخرج جداً. ولا أعرف إذا كنت سأستطيع أن أعمل لثاء أخرى. فلما لا أزال أبدو مقبولة تقريباً. قالت له بولانغ. فابتسمت عينا اندهائاً. وقد أصبحا صديقين الآن. كلت الصدقات تتأثر سرياً هناك، لقد كان المركز مثل سفينة، والرباط الذي ينشأ بين لولا بهطهم يقيمون العلاقات مع بعضهم بعضاً بشكل سريع. لا رلت أتمتع بقلنا، حتى ولو بدوت حقا. وإذا كان هذا لا يكفي لشخص ما، فليذهب إلى الجحيم. حظي لا يلجأ لكل ذلك، وإلا فلن أريده عندك. فربما ينبغي عليك أن تعطى السبلة الفرصة لتتخذ قرارها بنفسها.

نعم الأمر محدد أكثر من ذلك.

وهل من شيء ليس فيه تعقيد؟ قالت هيلينا بلا تكرار، وقد عادت متعلقة المبالاة لتقو، وبجند علفت بنظرها على بيل وأرذفت قلقة. تؤكد ألا تتخذ قرارك لأسباب غير صحيحة. فإني أراهن على أنها إذا كانت تستحق حبك لها، وعلى الأرجح هي كذلك، فإني لن تهلي إذا ما كنت قادراً على المشي أم لا. لقد كلى يعلم أن ما كانت تقوله كان صحيحة. ولكن بالنسبة لإيزابيل كانت مشكلة تودي لا تراق قلعة. ولما بالنسبة لبيل، فإن يستمر في رؤيتها أو لا يعود على قدرته على المشي أم لا. لقد كان هذا شرطاً فرضه على نفسه، وكانت إيزابيل تجهل ذلك.

أنا أقبل رهاك يا هيلينا. كان يرد لها المجلدة. ولكنه قد سمع كل ما قالته، وتأثر بسبق، ليس فقط بشجاعته، بل أيضاً بصراحتها معه. وكذا في مزاج طيب.

جلسا معاً كصديقين قديمين حينين بقاء المبالاة.

ربح فريق جو المباراة عندما انضم إليهم في النهاية من جديد. لقد كان
 في سعيداً ومبتهلاً بالعرق وبهبي الطلعة، لاحظ بيل ذلك من جديد، بينما كان هو
 وجو وهيلينا عاكسين إلى الكافتيريا ابشربوا شيئاً بعد المباراة، وقد رافقهم معظم
 أعضاء الفريقين ومشجعهم أيضاً. لقد كانت أسيرة طريفة جميلة، وعندما
 تركتهما هيلينا في النهاية لكي تذهب إلى غرفتها، لبسهم جو إلى بيل وقال:
 "إذاً هل ستفسخ خطوبتهما؟ سأله جو بالأسامة عريضة. كلفد حاولا
 جميعاً معها".

"أحصل على هذا الأمر، ولكن ليس بعد". لقد كان كلاهما يعلم، أنه كان
 يمسح وحسب. لقد كانت مقومة بحق خطيبتها، وقال جو إنه شاب رائع. لقد
 كانا يوزيان الزواج في الربيع، وكانت هيلينا مصممة على أن تسير في عمتي
 الكنيسة مستتدة إلى سالفها. ومن خلال ما رآه تلك الليلة، وروحها التي لا تقهر
 والتي شقت منها مثل المباراة كان بيل متأكداً من أنها من الممكن أن تتجح في
 ذلك.

"من لها أختاً تأتي لزيارتها؟ علق جو قليلاً لبيل وهما يتلعان عجالات
 كرسيهما عاكسين إلى مخرجهما. "إنها تبدو مثل ضفدعة". حقيقة بيل ضاحكاً. "أ
 بعد أن لهما أماً مختلفة أو شيء من هذا القبيل. لقد طبعتهما هيلينا لي، وقد كانت
 فضلاً مدهشاً. ولكنها طريفة جداً. تبادل الرجلان العزات وضحك بيل من
 جديد.

"الأمور تتجح بهذه الطريقة أحياناً.
 وإذاً هل ستلعب معنا في المرة المقبلة؟ سأله جو وهما يجران الرعدة
 باتجاه غرفهما.

"أعتقد أنني أفضل أن أقترح". كان قد استمتع بالمحور مع هيلينا، وكان
 يفكر بما قالته، وهو لا يزال يخفقها الرأي، لأن يرضى أن يكون حلاً قليلاً
 أو رجلاً عاجزاً في حياة أي شخص كل، وبالتأكيد ليس إيزابيل، حتى ولو
 التقيا مرتين في السنة وحسب. إنها ورطة هي ليست بحلجة إليها. فكيفها ما

لديها من مشكل في حياتها.

"هل تريد أن تأتي إلى نيويورك غداً؟ بعض الشباب الآخرين لاندون
 معي. سوف نذهب إلى العشاء وعرض مسرحي".

"كنت لأود ذلك"، قال بيل بنطف، "ولكن يأتي أهنان لوزيتي. سوف
 تهيئان مسن المدرسة". كانت أوليفيا لثية من جورجلتون، وجين من جامعة
 نيويورك.

"كم تبلغ أعمارهما؟" سأله جو بالاعتناء. لقد كان مهتماً كثيراً بالفتيات رغم
 أنه لم يفرج مع أي فتاة منذ وفاة خطيبته.

"سبعة عشرة وإحدى وعشرين. أود أن أحرثك عليهما إذا كانت ها عندما
 تصلان".

"سوف أن نذهب إلى المدينة حتى الساعة السادسة". قال جو وقد وصلا
 إلى غرفة بيل. "لدي اجتماع لفريق السباحة غداً، ولكن سأكون ها". لقد كان
 رئيس فريق السباحة في كليته.

"سأبحث عنك". وعده بيل، ثم نحا إلى غرفهما. واستاء بيل لأنه لم يكن
 لديه وقت لتوصل بإيزابيل تلك الليلة، ولكن كان الوقت قد تكرر حتى يتصل بها
 الآن. كانت الساعة آنذاك الحاسنة صباحاً في نواقيتها. وقرر عندئذ أن ينتظر
 ساعة ويتصل بها عندما تستيقظ.

"استقي في السرير وراح يقرأ الساعة محاولاً ألا ينفور. وبعيداً، وفي
 منتصف الليل، فصل بها. وسرعت إلى الرد على الهاتف، وبدأت مرتاحة
 لصباح صوته.

"سألكه: "هل أنت على ما يرام؟ لقد كنت قلقة عليك".
 لها بخير. لقد ذهبت لمتعة مباراة كرة سلة. إنهم يتجرونني هذا. ولكنه
 ممكن طريف". ولغيرها من الناس الذين التقى بهم والقصص التي سمعها
 منهم، والعلاج الذي خضع له طوال النهار.

يا إلهي! لا أعتقد أني استطعت القيام بأي من هذا. قالت له بتأثر.

ولا أنا على يقين من ذلك. وليس لدي إلا يوم عطلة واحد. لكن
مستقبلنا غداً، وسبعيني أن أراها. لم يكن قد راحا منذ شهرين، واشتاق
لهما كليهما. وقد تعجب من أنه اشتاق لسنثيا أيضاً. ولكنه لم يخبر إيزابيل
بذلك. بعد ثلاثين سنة صار وجود سنثيا عادة في حياته ومن الصعب الإقلاع
عنها. حتى ولو كان يرى أن هذه العادة ما عادت تمت لحقته بصلته. كيف
حالك يا حبيبتى؟

بخير. مستيقظتُ نومي. لا يزال كودي ناعماً. ولما بدرشان قبض
الوقت، ثم أغلقتُ السماء عندما سمعت الطلح يتحرك، وكنت لا تزال أفكر
ببيل عندما ذهبت لتطمئن على كودي. أعطته أنوية الصباح، وعاد مباشرة إلى
السرور. فذهبت إلى غرفتها وفتحت ثيابها، ووقفت تنظر إلى الحديقة مطوّلة.
وهي تفكر ببيل. لقد حازت إذ لم تكن في سبب وفي وقت طويل حتى يلتقي من
جديد، ولكن السبب مقول وانطوري. وكنت تعلم أن هذا قد يطول لمدة
سنة.

وفي سريره تلك الليلة، كان بيل يتسم في قرارة نفسه وهو يفكر
ويفسّر لتعلم. واسترجع في ذهنه كلمات هيلينا بينما كان يضر، فك
مغولة له. ومع ذلك فقد ظل يفكر أنها ليست صحيحة بالنسبة إلى الله. ما
عبد ينتمي إلى حياة إيزابيل أو حياة أي شخص كان، طالما أنه يستطيع
يمشي. لقد كان يضمن بذلك يمتاعاً مطلقاً رغم أن اعتقاده أن يتفحص مع كودي
بإرهاق هنا. ولكن هيلين جميلة وفتية، وامرأة... فما كانت تستطيع أن تفهم ما
كان يشعر به... لقد كان الأمر مختلفاً بالنسبة له... فهو رجل. وكان يعرف
أنه إذا لم يمر على أدمية اليهود إلى حياة إيزابيل، فإنه لن يكون في حياته
على الإطلاق.

الفصل الرابع عشر

عندما جاءت أوليفيا وجين لزيارة بيل في اليوم التالي، كانتا في شوق
لرؤيته، ورأت كلتاها أنه كان يبدو على ما يرام. فأخذهما في جولة حول
المشفي والأراضي المحيطة بها، وحركهما على الناس الذين التقى بهم، ثم وجد
ركنا هادئاً ليلتهما في قهواء الطلق في جو سيمبر (أيلول) الدافئ. كانت
فترة بعد الظهر من يوم شمس، وكلفت الفتاتان تبدوان سعيدتين وبخير. لقد
كان لنديهما الكثير من لونه لونه، وتحدثتا كثيراً عن والديهما، وعن اشتغالهما
لنفسه. ورغبتا أن يأتيا إلى المنزل. لقد كانتا لا تزالان مستعجبتين من
موضوع الطلاق ولكن الجامعة كلت تشغلها كثيراً.

مضوا إلى كافتريا طلباً للهمبرغر في وقت متأخر من بعد ظهر ذلك
اليوم. قبل ذهابهم، وعندما وصلوا إلى هناك افتقوا بجو صدف. وقام بيل
بتحريف الأحداث الثلاثة ببعضهم البعض، وسرعان ما ساد جو من الولم
والإثمة بينهم. وكانت أوليفيا تعرف شخصاً كل ريلاً لها في الدراسة في مينيا
بوليس⁽¹⁾. لقد كان عالم طلاب الجامعة صغيراً. وسألتها عن ريلها في جامعة
نيويورك، فقد كان يروي الالتحاق بكلية الحقوق فيها، فأخبرته أنها كانت تحب
هذه الجامعة، واستمر الحوار ينور بينهم في جو من المودة والصراحة نون
مشركة كبيرة من بيل. وانضم جو إليهم في تناول الهمبرغر، وتحدثوا عن كل
المراضع التي كانت تهمهم. ولما حطقت أن جو كان يستغل حرة مذكوبة فقد
بدأ لا بشكل عاقل أياً لهم جميعاً. لم يلاحظ ولم يهتم أحد بذلك، وهذا ما
لاحظه بيل عندما غادروا كافتريا وسرروا عائدتين إلى مهمته، فصار ل أوليفيا

(1) مينيا بوليس (Minneapolis): أكبر مدينة في مينيسوتا وهي ولاية في جنوب وسط
الولايات المتحدة الأمريكية.

جنباً إلى جنب مع والدها، في حين كانت حين تتمشي إلى جوار جو. قد بدا مأخوذاً بها للعامة، وسألها إذا كانت تحب أن تذهب إلى السينما معه ومع بعض أصدقائه تلك الليلة في نيويورك، ولكنها قالت أنه كانت لديها مضطربات أخرى، وبدأت أسمع لأنها لم تستطع الذهاب معه. فطلبت منه أن يتصل بها مرة أخرى، أو يستكمل هي به. قد بدا وكأن هناك أشياء كثيرة مشتركة بينهما، وقد ظل ملازماً لهما إلى أن انصرفتا تقريباً، وعندما عادهم بتعطف تركاً إياهم لاجتماعهم العائلي. لقد كان حسناً ومهنياً وذكياً، وعُلق بيل بعد ذهابه بأنه أحبه كثيراً.

- "إنه ظريف". تكلمت حين بهذا الفتر من القول، وضحكت أوليتها مزحة.

لا بأس، ظريف؟! إنه جذاب شخصياً. لقد كان في حس المظهر وكان بيل يجد من الطرفة أن يرى كيف تقرب أولئك الأحداث مع بعضهم بعضاً وهم في مثل هذا السن. لقد ذكروه بهجاء تلو.

كانت الفتاتان تزعمان أن تضجنا تلك الليلة مع والديهما، وقد بيل إلى غرفتني عندما غادرتا. وعندما وصل إلى هناك، كان جو ينتظره وقد بدأ عليه الاهتمام والقلق.

سألت بصحبة: "لماذا أن أطرح عليك سؤالاً؟"

أجاب بيل ظناً منه أن الحديث يدور حول لعبة كرة سلة أخرى: "حسناً يا جو، ما الأمر؟"

- "لقد كنت أعرف... فعلاً... لقد كنت أفكر..." يبدو أن الأمر كان جدياً، فالتفتي الجذاب الشخصية صار فجأة محفود اللسان، محترّ لوجهه حتى جنور شعره الأحمر.

سأله بيل: "حسناً، تبدو وكأنك مستعمر سيلوني. وفي الواقع ليس لدي سيارة، وما من أحد منا مقدوره قيادة سيارة."

ضحك جو أندروز وقال: "كنت أتناول إذا كنت تملح إن..." ولحد نفساً

صوتاً وخلص في كرسبه واستأنف يقول: "... إذا كنت تملح إذا ما اتصلت بجو... يوماً ما؟ سوف أن أفض لك إذا كنت تملح، وهي قد لا تريد أن تراني بعد... قصد... كما تعلم... إن... حسناً...".

أعتقد أنها فكرة عظيمة. لقد كان لديها صديق عشيق كانوا جميعاً يكرهونه، واستمرت علاقتهما مستين، وأسرور بيل الشديد فإن هذه العلاقة قد انتهت العام الماضي، ولم تهتم بأحد آخر منذ تلك الوقت. "بحسب معلوماتي، فإنها غير مرتبطة، ولم يطلب أحد وداعاً، ولكني لست مهتماً بالإطلاع على التفاصيل. يجب أن تتحقق بنفسك عن ذلك منها".

لقد قالت لي أنه يمكنني أن اتصل بها، وأعطيتني رقم هاتف والديتها ورقم هاتفها في المدرسة. ولكني أردت أن أملكه كنت أولاً. لقد كان حسناً منه أن يفعل ذلك، ولقد تأثر بيل بذلك.

"لماذا أن أقول أنها بارقة أمل". وأبسم في وجه الفتى. "أهي إذا أفضل من شقيقة هيلينا؟"

"هل تزوج؟ لا يمكنك أبداً أن تقارن بينهما. إن حين رائعة. قصد... إن شقيقة هيلينا كانت فتاة ظريفة ولكن...".

"أعرف. لقد كانت تبدو مثل الضفدع".

"لا تقل لهيلينا أنني قلت ذلك، لقد كنت في الحقيقة فتاة لطيفة وذكوية للغاية". لقد بدا مدحوراً من فكرة أن يخبر بيل هيلينا عما قاله.

- "أعذك ألا أفض ذلك. إنه إلهاء لي أن تعجب حين. إنني ألهو بهما كليهما". وكان جو يعرف السبب. لقد كان يحب أوليتها أيضاً، ولكنها كانت تبدو كغير ولكن فضلاً، وأكثر تحفظاً. لقد كان يشعر بالارتياح أكثر إلى حين وكان محبوباً بشكلها.

- "قد أفضل بها القليلة".

- "الأمر حسناً إليك". قال له بيل بلهجة أبوية. واستأنف: "من الآن

فصاعداً، أنا خارج الدائرة، فهي خلاء لضجة رائدة. ولكنه تأثر بأن هذا الفتى الذي أحبه كثيراً قد شعر بهذا القلوب نحو جين، وفكر أنه سيكون لخبرها ما، لقد كانت في حاجة إلى شخص مثلك، مودع، ولطوف في حديثها، وكان هو يستحق بعض المعادة بعد ما قام. لم يخطر له فكرة لأول وهلة أن المقابلة كانت في غير محلها المناسب، وذلك لأنه كان في كرسي ذات عجائز، لقد شعر على هذا النحو بخصوص نفسه، من منظر إيزابل، ولما بالنسبة له وجين فقد فكر أن الأمر كان لا بأس به. لم يستطع أن يفرق بين هاتين الفكرتين أبداً.

مرتت الفاتنات بزيارتهما لبيل. واتصلت كلتاها به قبل أن تعودا إلى الجامعة في اليوم التالي. لم تذكر جين جو ثانية، ولذلك لم يعرف بيل إذا ما كان قد اتصل، كما وأنه لم يكن يريد أن يتصل. وسارعت متنبها إلى الهاتف لسبل أن ينها المكالمة، وسألته إذا كان بإمكانها أن تزوره تلك الأسبوع. تردد ثم وافق. طيس من ضرر في ذلك. فهو نفسه كان قد أخبرها أنه كان يريد أن يتطلقا كي يبقيا صديقين. وكما الحال مع الفاتنات، فهو لم يرها منذ شهرين.

بعد يومين، ومع قدم يوم الثلاثاء، جاءت متنبها لتناول طعام العشاء معه. وقد علمت بينما دخلا لكافتريا معاً. فقد كان الفاتن يتسعون ويصحون والمساعدة بأية عليهم، وما كان يهمهم حال المرء، سواء كان يسير على قدميه أم يتحرك على عربة ذات عجائز أم أن جسده مثبت إلى ألواح ثقالة، هذا أن الجميع كانوا يعرفون بعضهم البعض ولديهم ما يتحدثون عنه. لقد كان هذا أحد أكثر الأمكنة صميمية التي رافها على الإطلاق.

عرجت هيلينا عليه كي تسلم عليه، وقتما إلى متنبها فتى حركها بأنها زوجته.

من هذه؟ سألته متنبها بعد أن غادرتما هيلينا.

- إنها عروسة لربا.

- هل نراهما أو نخرج معها؟ سألته وقد التفتت الفورة في عينيها إذ صمكت.

- إنها مخطوبة.

- ثلاثة مخطوبة. قالت متنبها وقد بدت مرتاحة.

صمكت بيل وقال: هذا ما قلته أنا أيضاً. وبعد ذلك عادا إلى غرفته، وتحدثا لبعض الوقت. لقد بدت على ما يرام، ولكنها حدثت حزينة عندما تحدثا عن الطلاق.

- هل أنت واثق أن هذا ما تريد؟ سألته ثانية، إذ يبدو أن من الحساسة أقول بهذا لمر الآن. وفي صغرها، وبعد كل هذه الصن.

- ثم يبق من شيء يربط بيننا، يا سن. وأنت تعلمين ذلك. قال لها ذلك بلطف ولكن بحزم.

- بل كان هناك ولا يزال. انظر إلينا الآن. ما قلنا نتحدث معاً منذ ساعت. لا زال أحب يا بيل. أفلا يمكننا أن نتخاض فرصة أخرى؟

لم يبق لذي ما أعطيه. قال لها بصدق. أنا أيضاً أحب، ولكن ما حدث قطع. سوف أحبك دائماً، ولكن إذا حاولنا ثانية فإني أظن أننا سنعود إلى ما كنا عليه. فلما سأعود إلى العمل وأهملك فيه، وأنت ستترعين من ذلك، وستعودين إلى تصرفاتك السيئة السابقة. لم يرد أن يذكر لها صراحة ما يقصده بالصيغة، ولكن كلاماً كل يعرف ما يقصده بكلامه. لقد كانت لها عادات غريبة. وإذا لم أستطع العودة إلى العمل سوف أبقى في المنزل متخلفاً بينما تتجشدين حولك على هوائك. وفي هذه الحال أنا سأفزع. فأنسل أن أعيش وحدي. وأنت أيضاً كذلك، إلى أن تجدي الشخص المناسب لترتبطي به.

- فقد كنت أنت للشخص المناسب. قالت ذلك وقد بدا الحزن عليها، لما كانت تستطيع أن تقول له بأنه مخطئ. ولكن كان يسودها أن تشركه وحده معتمداً على نفسه.

- ربما كنتُ لشخص المناسب، وربما لا. ولكن لو كنت فعلاً كذلك
لكل زولنا أكثر نجاحاً مما كان.
- قد كنت حقاً كذلك، ولكنني فضيتُ الآن.

- كلاهما صبرنا أكثر رثداً ونضجاً. فدعينا نعالج هذا الأمر بنضج.
توقفت عن الحديث لوهلة، ثم تبهتت. لقد أدركت أنه كان قد اتخذ قراراً حاسماً
لا تراجع عنه. فعلمنا كان بيل يحترم أمراً ما، ما كان ليبدأ لغير رأيه. هكذا
كانت طبيعته.

- لماذا عن إيزابيل؟ سألتها سئالها عندها.
- لماذا عنها؟ لم يكن بيل يريد أن يتطرق إلى إيزابيل في حديثه معها.
ليس عندي ما أقول.

لم لا؟ كانت سئالاً مستغربة ومتعجبة. فقد كان بيتاً جداً أنه كان
معرماً بها، وكان يصعب التصديق أنه سيتغلى عن هذا الموضوع أيضاً.
وقد سألت إذا ما كان مكتباً محطاً.

- إنها متزوجة. وفقاً هذا. وهذا ينتهي الأمر.
- لا أعتقد أنك ستخضعي عن الأمر بهذه السهولة. لماذا فعل ذلك الناس
بمكانها أن تكون سعيدة مع ذلك الرجل الجليدي الذي رأيت في لندن؟ كان
يبدو نادراً حقاً.

- إنه كذلك فعلاً. ولكن لديها ابن مريض جداً. ومن ثم فقد ذهبت.
لهي لا تستطيع أن تترك هوريمتر، إذ إنها تعتقد أن هذا قد يسبب المزيد من
الضرر للعلاج. كما وأنها لا تستطيع أن تحول الطفل. صدقيني يا سيم، إن
المسألة هي غاية التعقيد. وفيها نظر أيضاً. سوف لن أحماتها مشاكلي فوق كل
شيء. إنها شغوق أكثر من ذلك. وأنت أيضاً كذلك.

نظرت إليه سئالاً بالهتاف: لماذا هو السبب الذي جعلك ترغب في
الطلاق؟ ولعلبت من هذه الفكرة.

لجأها صراحة: جزئية. ولكن لدينا أسباب أخرى أيضاً. إنني أقدم على
ذلك من أجلي. وسأبقى بعيداً عنها من أجليا. اللهم ما لم يصنعوا معجزة هنا.
فقلت له موبخة: أنت تعلم ما ألهروك به في لندن. هذا ليس يحدث.
وصوب أن تستطيع أن تخرج من هنا على مزاج رولربلايد⁽¹⁾ يا بيل. فلا تصنع
هذا بنفسك. ولا تأمل أكثر من اللازم.

كنت كذلك. واعتقد أن أي تحسين يحصل عليه سيكون نعمة كبيرة. ما
أردت أن أقوله هو أنني أرى هذا الشكل في سبيلي خارج نطاق حياتها.
وهل تعرف ما هي ذلك؟ بدت سئالاً مستغربة من أجليا. لقد كان هذا السبب
أسوأ بكثير من الأسباب الأخرى التي تنفخه إلى الطلاق. وشعرت سئالاً بأنه
معتاداً ما في سبيلي إلى الطلاق رغم أنها ما كانت تفكر له بذلك. فلو كان
معتاداً للعزلة، لكانت سترحب به من كل قلبها. ولكنها كانت تعرف كم
كانت مهملاً. وأسفين طويلة. لقد أدركت الآن فقط بشكل كامل أي كثر كان
لهذا. ولكن كل الأوان قد فلت. هل تعرف هي السبب الذي يجعلك تنهي
السياسة معها؟ سألتها هكذا إذ كانت تشعر بالأمس عليها.

هن بيل رآه نقلاً: إنها حتى لا تعرف لتي سبيلي الموضوع. ولكن
يمكننا الإبقاء طويلاً على علاقتنا طالما أننا على هذا المقدار من البعد ولا نرى
بعضنا البعض. وفي النهاية سوف لنقسم علاقتنا. فلما سأليني هنا، وهي لها
حياتها الخاصة. وسوف تتخطى على هذه المشكلة.

كنت على ثقة كاملة مما أقول. إذ يبدو أن ما من أشياء كثيرة أخرى لي
حياتها. والأهم من ذلك هو هل تستطيع أنت أن تتخطى على هذا الأمر؟
ولماذا ينبغي عليك ذلك؟ فإني كنت أرى ما أظنها عليه فهي أن تبالي بحالتك.
هذه. فأنت أفضل من كثير من الأشخاص القادرين على السير على أقدامهم.

(1) رولربلايد (Rollerblade) ساركة (علامة تجارية) نوع من الزلاجات التي تتوضع فيها
عجلات على صلب واحد مستقيم.

هذا ما كانت هيلينا أيضاً قد قالت له. 'ولكن ليس الحب هكذا.'

'ربما لا. ولكن هذا ما لنا عليه. سوف إن تشكل عينا عليها. وهي إن تترك فوريمستر بأي من الأحوال. ولا تستطيع ذلك. لم تكن سلتها مسرورة مما سمعت. وبعد أن عاينت بقي بيل هادئاً ساكناً لبعض الوقت. لماذا يصر الجميع أنه ليس مهماً أن يكون على كرسي مدواب على الدوام؟ لقد كان يهيمه هذا الأمر. وكان يعرف أن الأمر سيهم إيزابيل بمرور الزمن. لقد لمى أن يسير في ذلك الاتجاه مع إيزابيل أو مع أي امرأة أخرى رغم ما قالته سلتها. لم تكن لتطمح حقيقة الأمر. وكان على يقين أنها لن تحصله. وكانت ستكرمه للأبد بالنتيجة بسبب كل ما لم يكن عليه أو لم يعد مستطیع أن يكونه أو يفعله. وسوف إن يفشل هذا بإيزابيل، حتى ولو أسطر للكذب عليها مدعيًا أنه ما عاد مهماً بها. لقد كان مصمماً على ألا يعود أرويتها في باريس إن لم يستطع أن ينزل من الطائرة سراً على قدميه. وإذا خفرت سلتها بحالته، فقد لحن أنه ليس له أي أمل تقريبي في ذلك. ولو أنه ذلك لتوجب عليه الذهاب إلى لورد⁽¹⁾ للصلاة وطلب الشفاء.

وبمرور الوقت شعر بيل بالأسابيع تمر بسرعة في مركز إعادة التأهيل بشكل غير محوّل. لقد كان مشغولاً جداً ومتعباً جداً وكلّما يبدّل قسارى جده في كل أساليب العلاج المطلوبة منه حتى إنه بالكاد كان يتسنى له الوقت ليخرج لتتشق الهواء.

ولقد أحب بيل معظم المعالجين الذين كانوا يشارفون على إعادة تأهيله بدءاً، إذ كانوا لاصقين ونشيطين وبالغين، وكثيرون يعنون بمرضاهم عالية الفطنة. ولقد تكوّن لديه الطباع جيد عنهم من البداية. كانت هناك معالجة واحدة فقط لم يرتجح للمعامل معها، وكلّما مستاء عندما يحكيها له. لقد كانت هذه المعالجة المشكل الجنسية وتُدعى أليندا هاركرت، وفال لها منذ أول لقاء معها بأنه لا

(1) لورد (Lords): بلدة في جنوب غرب فرنسا يربتها القابص للصلاة والشفاء.

يهتم بمعالجتها له من هذه الناحية.

ثم ٣٧، سألته وهي تنظر إليه بهتوه من خلف طاوله مكتبتها. لقد كانت امرأة ذات نظيرة ذكية وملائح محببة ووجه يتم عن الفكاه. وفي مثل هذه تقريباً. 'هل تنوي التخلي عن الجنس؟' سألته مبسطة، ثم أن كل شيء على ما يرام؟ لقد خطر له أن يكذب عليها، ولكن الصدق الذي لحنه في حينها ملحه من ذلك. لم يرد أن يتحدث إليها عن فقدان الحياة الجنسية لديه، ولكن الطريقة التي نظرت فيها إليه جعلته يشعر بأن اعلمها بشأنه سيقل إذا ما حاول السهر من هنا. ولم يتر ما الذي جعله يهتم بنظرتها إليه، ولكن ذلك كان يعنيه بالفعل. لقد كانت من ذلك النوع من الناس الذي يسترعي الانتباه والاحترام. لقد بدت له امرأة جديدة، وكمثل باقي المعالجين في المستشفى، بدت مهمة وحسمة. 'لر في سجلك أنك متزوج'، قالت في هدوء، 'هل تعتقد أن زوجك ترغب في فتحك إلي؟' لقد كانت شبه متأكدة أن الوظيفة الجنسية قد تسببت لديه من جراء الإصابات التي تعرض لها في الحادث. وإذا لم يشأ أن يناقش هذه المسألة معها فربما تود زوجته ذلك، فلم يكن من المستغرب أن يتردد الرجال في البداية من مصارحتهم بشؤونهم الجنسية. وأحياناً كان من المفيد الأكثر لطفاً أن تتحدث إلي زوجاتهم بهذا الخصوص، عندما يكون لهم روحان. ولكن بيل كان قد سارع لهر رأسه راضياً للفكرة.

'سوف نتطرق'. قال لها ذلك بهتوه وبساطة مغلفاً باب الفاش هذا معها بهزم.

'متفق. وهل كان الحادث أحد أسباب هذا القرار؟' تحي بيل بنظره جالساً، ومرت دقيقة قبل أن يجيب برأسه نعماً ويقول: 'ليس تماماً. لقد كان ينبغي أن نقوم بهذه الخطوة منذ سنين. وما كان الحادث إلا تذكيراً لذلك.'

وحينها أصبحت الطيبة لكثير مباشرة في الحديث. 'هل كان لك أي اتصال جنسي منذ الحادث، أو حاولت ذلك؟' سألته هكذا دون ذية في التعقيب على جوابه ولكنه قد استغرب أنه أجابها نعم. لقد أجابها بكلمة واحدة

مقتضية لا تكل على كثير من التفاصيل.

سألته بصوت لطيف دوماً إقراراً في التعلطف، إذ كنت امرأة صليحة وصريحة، دون أن يوهي وجهها بالشفقة؛ كيف كان ذلك؟.

"بالنسبة لي؟" وصحك إذ تذكر المنشأ العظم، فابتسمت. لقد كان الرجل يستعملون هذا التعبير عادة للتعبير عن حالتهم عندما لا يظهرون في الأمور الجنسية. فأنكرت ما يقول بصدق، ثم ينجح الأمر صليحة.

"لقد حدثت قصصاً، أم أنه لم يحدث شيء، أم كلا الأمرين؟" سألته بلهجة جدية كحديث علمي. لكنني كانت سأله إذا كان يحب أن يشرب قهوة بالطبيب أم بالمسكر أم بكليهما. وهذا ما سأل عليه الإجابة أكثر مما كان يعتقد.

"كلا الأمرين. فلم نصل إلى ذلك بعد."

"هل كان احتياجاً؟" فلوماً من جديد. "مكثرت لم ولنضع؟"

"أوضح قليلاً. ولكن لم يحدث تقصيص معي، لقد شعرت بكل شيء.... تقريباً بكل شيء. ولكن لم ينجح الأمر معي."

"غالباً ما يستغرق ذلك وقتاً. ورغم ما تخبرني به، إلا أنه لا يزال ممكناً للأمر أن تنجح إلى الحد الذي تستطيع معه أن تمارس حياة جنسية طبيعية نسبياً فيما بعد. إن مسكناً كثيراً من العلاج يعتمد على معرفتك. والنجاح في هذا المجال يمكن أن يكون لمرأة مبدعاً للغاية. وإذا راح يصغي إليها شعر بالاكتمال والإحاطة. فلم يكن يريد أن يكون 'مبدعاً' أو أن يجد تحديد تعريه له 'المنحاح'. في الواقع، لم تكن لديه حتى الرغبة في أن يحاول من جديد، ومع من محاول؟ مع إسرائيل؟ لقد كنت في باريس، وليس لديه نية في أن يسحب إخطافاً آخر عليها، وما حدثت لديه أية رغبة في أن ينام مع سبندي ثلثة؛ بل حتى سيكون من الميسر أن يحاول ذلك معها. فما عاد يحبها. سألته الفكرة هازكوت ببساطة: 'هل لديك شريكة؟'.

"لا، ليس لدي."

"حسن. ومكثراً أن استحدثت عن ذلك، كما يمكنك أن تجري بعض التجارب على نفسك. في شعورك حول هذا الأمر وكيفية تعاملك معه له دور كبير، وليس فقط شعورك الجسدي، أو كيفية ممارستك للنفس."

"لا أريد أن أتعامل مع هذا الموضوع على الإطلاق" قال ذلك بتداع، موحياً لطبيته أنه ما كان يريد الخضوع للمعالجة الجنسية. لا أعتقد أن هذا الأمر يطغى في شيء في الوقت الحالي."

"أفان يحبك لاحقاً أبداً؟" ولققت عندها بعينيها بشكل مباشر، فلوماً.

"تماماً يا دكتورة. سوف لن أجعل من نفسي لصنوعة، لأنني أعلم أن الأمر لن يفلح."

"وماذا لو نجح؟ إن هذا الجانب من الحياة على درجة من الأهمية فلا ينبغي أن تتغلب عليه وأنت في مثل هذا السن؟"

"الحقاً تسير الأمور على هذا النحو. ثم أنني منهمك بعملتي جداً."

ولما أيضاً. وايتسمت له ونولته كتاباً من فوق طاولته مكتوباً. بدا ككتاب فكرياً وطبيعياً موجهاً للعلماء، فتردد ولكنه أخذ منها في نهاية المطاف. "المطلوب قرائته. وسوف يكون لديك استحقاق الأجور القابل. بدا مذهوراً مما لاقته، فصعقت. ليس تملأ. ولكن قد تجد الكتاب ممتعاً."

وها أنت اجتماعها به إذ تحدثت بما فيه الكفاية بالنسبة لأول يوم في العلاج. لقد كانت تترك وجهه نظره، وخبرته الوحيدة التي من بها بعد العائنة، وكان لديه الآن هذا الكتاب الهام ليقرأه في الوقت الحالي. وسيكون لديها مشغع من الوقت لتصل على علاجها، وكانت متفائلة أكثر منه عندما عاد إلى حرفته. لقد رمى الكتاب إلى سريده في غيظه، وجلس بجوار النافذة لوقت طويل. لم يكن يريد أن يخصص العلاج الجنسي، أو أن يتعلم كيف يكون 'مبدعاً'. لقد كان جل ما يريد هو أن يكون رجلاً، وإذا كان لن يفلح في هذا، فليج سيقطع من كل ما كان يعتبره عزيزاً عليه، أو عن إسرائيل على الأقل.

وبالتأكد ما كان سيشرع في مواصلة النساء، وأن يجرب أن يحقق اتصالاً، لقد كان مصمماً، على الأقل، أن يضمن كرامته أو يحفظ ماء وجهه.

لم يجبر إيزابيل عن قلقه بليندا هاركورت في المرة التالية التي تكلم معها، ولقد كان هذا هو الجانب الوحيد من مشفى إعادة التأهيل الذي لم يصفه لها أو يحدثها عنه، ولكنه كان لا يزال متأسفاً من لقائه مع المعالجة الجنسية، وصرت أبلغ حيدة عليه حتى النقط القليل أخيراً ليقوله، ولقد قنع من على المعلومات التي كان يحويها. وبصحب ما قرأه في خبرته الأولى لم تكن مثالية أو كافية، وقد حصل على نصن ملحوظ إذا ما شئت بإصابته. ولكن كانت لا تزال لديه شكوك عندما أهدى الكتب. لقد كان لا يزال يعتقد أنه من الممكن أن يصير واحداً من الفرقة الكبيرة من الرجال الذين لديهم احتياج ولكن دون ضبط كاف، والاضطراب يمكن أن يتلاشى بسهولة. وما كل يرغب في أن يتحقق من حدوث تقدم معه، سواء مع شريكة أو من نفسه. وكما بدأ في حديثه مع ليندا هاركورت من جديد بعد أسبوع، لقد كان مصراً على أن يتجاهل ببساطة هذا الجانب من حياته، قال لها أيضاً أنه ما عاد يريد لقاءها ثانية، وبعد أن أعطته كتابين آخرين، اقترحت عليه أن يلتقيا مرة واحدة أخرى فقط. قالت أنها تريد أن تعرف الطباع⁽¹⁾ بالسياسة للكتاب التي كانت جديدة بالنسبة لها. لقد كانت امرأة في غاية الذكاء، وكانت تتبع أسلوباً سهلاً وصريحاً. لقد أحبها في الواقع. كل ما في الأمر هو أنه لم يرد أن يلتقي معها موضوع حياته الجنسية المثبتة. فبحسب اعتقادها إنه قد صار مفضياً وكان ينبغي أن يبقى على هذا النحو. وما عاد يهمه الشعور بالإذلال أو الإخفاق أو الخيبة. لقد صار يحصل أن يبقى غريباً ووحيداً.

في ذلك الوقت اكتشف بعض أصدقائه السياسيين أنه كان موجوداً هناك، وطُرد اثنان منهم من واشنطن وحضرنا لزيارته، وقد حدد منهم سيارتهم من

(1) الانطباع (feedback): تعليقات، على شكل أفكار أو ردود فعل، على شيء معين قصد بها تقديم معلومات هامة تتبادر على تلكه تفرقات مستقبلية أو تطورات حاسمة.

ليونيوروك، والساوا بزيارته. لقد بدأ وكثفهم ينفذون من حالته الجسدية كثيراً عندما كانوا هناك، وأضوا كل الوقت يسألونه النصيح والإرشاد. وبحلول العيد كان يتلقى مكالمات هاتفية مطردة. ولقد غدا من الصعب عليه جداً أن يركز في أساليب العلاج المثبتة التي كان يخضع لها، وحاول أن يحفظ على القضايا السياسية في حالة هدوء. ولكن جماعته القديمة كانوا مصممين على إبعثته إلى الحياة السياسية من جديد. وعلى الأقل كان في هذا إلهاء له، وكان يحب أن يسمع عما يقوم به كل واحد منهم، ولما يعرف عن أعمالهم، ولست أرتجىهم، ومخططاتهم. وكان ما يظنونه منه، كالمعادة، هو مساعدته لهم لكي يضمنوا نتائج الانتخابات.

وكان قد وافق على أن يقصر في العيد في القصر في غرينويتش مع سنيلا والتفتين. ورتب لأن يذهب بسيارة ليموزين إلى هناك ليلة العيد، وكان قد وعد التفتين بأن يمضي تلك الليلة معهم. شعر ببعض الغربة في ذلك، ولكن سنيلا قالت له أنه كان بإمكانه أن يمكث في إحدى غرفتي الضيوف في الطابق الأرضي. وكان قد سمع من التفتين أنه قد صار لديها رجل جديد في حياتها. وكان يبل مصوراً لأطباء، وكل شيء بدا غير ما يرام.

جاءت السيارة لتأخذ الساعة الرابعة، وبعد ساعة كان في غرينويتش تسير به السيارة في الطريق إلى منزله القديم. لقد كان بيتاً كبيراً وفخفاً، وكان دائماً يحبه، ولكن وجوده هناك أحدث فيه حنيناً غريباً إلى الماضي. ولكن حالما رأى بيت التفتين شعر بالتحسن من جديد.

كانوا يبيتون المنزل عندما نخل إلى غرفة الجلوس. كانت هناك ترائيلهم الجديد في جهاز التسجيل، وبيت سنيلا أفضل حالاً مما راها منذ سنين. وعندما استدار ليستمع على أوليفيا وجين، تسعت عيناه من الدهشة إذ رأى جو أندروز في غرفة الجلوس، في كرسيه.

لمسه يبل مندهلاً: كيف جئت إلى هنا؟ كان قد رآه بعد ظهر ذلك اليوم في ردة الطعام، انضجك جو وبدأ حلاً مرتبكاً في حين انشغل يبل بقبضته

عريضة. كان جو مرثلاً ولم يذُ عليه الاستياء، وجاءت حين إلى جوار جو وأمسكت يده.

لقد أفتني حين في طريقها عائلة من المدرسة. لوضع جو، واستغفرت بقول: "لقد أردنا أن نغالبك". كل كلاهما يتهم منتهجاً، وكان بيل مسروراً بهما. ثم يكن جو قد قال له أي شيء من حين منذ اللقاء الأول الذي تم بينهما. ولم تكن لديه فكرة عن أنهما كلاهما يتفقان، ويبدو أن الأمور قد تطورت على نحو جيد بينهما خلال الأشهر الثلاثة الماضية.

- "إني مندهش". قال بيل وهو يتهم لهما، لقد كان مسروراً أيضاً. وقد كان يرى أن جو هي رائع.

تدخلوا طلعاً لجلساء معاً تلك الليلة، ودعوا بعدها إلى الصلاة، وفي صباح اليوم التالي ذهب مع جو على العريفت المئوية إلى غرفة الجلساء بهما نزلت الفتاتان إلى الطابق الأسفل. كتبت شيئاً قد أعدت لهن للطور لثوفاً، وكان صديقها الجديد قد انضم إليهما على الغداء. لقد بدا رجلاً تكياً حلو المشعر. لقد كان أرملاً وله أربعة أولاد راشدين، وبدا مغرباً كثيراً يستنواً، وهذا ما أيج بيل. لقد كان مندهشاً من نفسه لأنه لم يشعر بالخير في بالامتلاكية نحوها، وهذا ما أكد له من جديد أن الطلاق كان أمراً صحيحاً.

ركب وجو السيارة عاتين إلى المشفى معاً ليلة العبد، بعد أن عن هذا العهد الفراق الذي أضوه معاً. الأمر الوحيد الذي التقه به هو أن بيل. ثم كان بها عدة مرات وأخبرته أن كل شيء كان على ما يرام. ولكن، ولكن، ولكن من تيرة صوتها أنها كانت حزينة ومجدة. لقد كان غوردون قلباً معاً خلال الشهرين الماضيين. لقد كان لا يزال يعاقبها على العلاقة الغرامية التي كان يرى أنها كانت تقهمن من دون ريب، وكان العاتن لم يكن عتياً كلياً. وبدا تيدي وفقد قوته ببطء. وكانت صوفي تأتي إلى المنزل في العطلات والإجازات، وفي اليوم الذي تلا العيد كانت ذاهبة للترج مع أصدقائها في كورنويل.

"لا أعتقد أنك مستاء مني بسبب علاقتي مع جين؟" سأل جو بيل بحرص وهما في السيارة في طريقهما عاتين إلى المنزل، فابتسم له بيل وهز رأسه. - "إنها تستحق شيئاً طريفاً منك، ولت تستحق أفضل بكثير من لقاء تشبه السندوخ". وصحكا لتذكروها الموجد المشهور مع شقيقة بيلند. كانت هارينا قد ذهبت إلى نيويورك لتضاه العبد مع خليفها. وكانوا قد تبادلوا الهدايا جميعهم قبل أن تغادر.

كان بيل متأكداً أن لياً من جين أو جو لم يكن جدياً في علاقته، ولذلك لم يكن مهتماً إلا بـ... لقد كانا فنيين أكثر من أن يفكرا بهذا الأمر، ولتكنهما كلتا شخصيتين، وكان من دواعي سروره أن يراها معاً. واعتبرت أوليفيا بيل عاتقاً جيداً أيضاً. لقد كان مساعداً لسيناتور كل بيل يعرفه. ولقد توجس وهو في طريق العودة عندما وجد أنه كان هناك حبيب لكل واحد منهم إلى حد ما. لقد كان لا يزال معزماً بإوليفيا، ولكن بمكوناتها في باريس مع بوربون ولولائها بدأ وكانها على مسافة سفر سنين صونية. ولأول مرة وبعد وقت طويل شعر بالعزلة والحر عندما عاد إلى غرافته. كان جو قد قضى مع أصدقائه حلماً عاد إلى المشفى، وجين كانت ستأتي لزيارته في اليوم التالي. نرى بيل إلى سريره، وحول إلى يرا كتاباً ولكنه لم يستطع أن يصبر لتذكيره في الكتاب. وقد ارتاح كثيراً عندما اتصلت به جين في وقت متأخر من تلك الليلة.

هل أت غضب مني يا بابا؟ سألته جين في حذر. لقد كانت لها نفس تيرة الصوت عندما أخبرته يوماً بأنها خطمت له السيارة في سنتها قبل الأخيرة من المدرسة الثانوية، وضحك بمرودة.

بالطبع لا. ولماذا سأعصب منده؟ وابتسم وهو يفكر بها وبالوقت الجميل الذي أمضاه معها لتوه.

- "أنا أري ما شعورك حيال علاقتي مع جو".
- "بماذا تشعرين نحوه؟" سألها هكذا وقد بدأ يتعنى لو أن هذا الحديث

جوهره. ولكن بيل لا يزال مع ذلك يعتقد أن هذا القرار ليس بالصائب والسبب
لهما.

- لا أعتقد أنك تستطيعين أن تأخذي هذا الأمر على محمل الجد كثيراً
الآن. فقلت لا تزالين في الجحشة... ولسوف نحدث عن هذا الموضوع
يوماً ما. وهنا خُير مجرى الحديث، وتحدثنا عن المصلحة الرقمية التي قد
أصبحتنا مدأ كما في الأيام الخوالي، بل حتى الفصل منها. لم يكن ثمة توتر
بينه وبين سنثها، وقد استلطف بيل صديقها الجديد. وهذا قالت له حين بأنها
ستعرج عليه علماً تأتي أروية جو في اليوم التالي.

ما أن أطلق صياحة الهاتف حتى صر لدى بيل، ومن جراء المعاناة،
فالكثير من الأمور التي يجب أن يفكر بها، وأخير إيزابيل عنهما في وقت
متأخر من تلك الليلة عندما فصل بها.

لا أريدها حتى أن تفكر بالزواج من ذلك الفتى. قال لها بصراحة: وإيه
أمر مؤسف، إذ إن هذا الشاب رائع.

إنما لماذا لا يستطيع أن يتزوج؟ فالكثير من الناس يتزوجون وهم في
مثل أعمارهم. هما فانيق، ولكنها تبدو أكثر نضجاً ممن في سنّها، وهو عانى
الكثير، يا له من فتى بانس.

سيكون زولجها كارثة لها يا إيزابيل. إنها في حاجة إلى من يحاط
عليها. إنها تحب التزاح على الشاح والركض وركوب الدراجات. وسترغب أن
يكون لها أولاد يوماً ما. أما هو سوف يكون عائقاً بذلك الكرسي بقية حياته.
إنها تستحق أكثر من ذلك. وهو أيضاً كذلك، ولكن لم يكن لديه خيار خلافاً
لحين.

ما هذا الكلام المريع الذي تقول؟ قالت له إيزابيل في لهجة استياء،
وما الفرق الذي سيكفله أن تتزاح مع أصدقائها، أو ترافق مع شخص آخر؟
هل تريد القول أنك لا تريد أن يتزوجها، رغم حبهما لبعضهما البعض، لأنه
لا يستطيع أن يخطي درجاً؟ إنها بحق محدودة منك. لا أستطيع أن أصدق

كسان قد دار بينهما قبل ذلك، وفي المنزل، حتى يتسنى له أن يرى وجهها
وهما يتحدثان. فقد كان في صورتها نبرة من الجملة.
لما أحبه كثيراً، ولم أعرف أي شخص مثله قبلاً.

لأنا أيضاً أحبه. وقد من بعض الظروف القلبية جداً. لقد خسر فكرته
على تحريك ساقيه، وتعرض للإصابة في الحالت، وقد خطبته وشقيقته التوام.
وتغيرت حياته كلياً وللأبد.

أعرف. لقد أخبرني عن كل ذلك. وقد ملكت خطبته يا بابا بين ذراعيه.
ويقول أنه لن يضر لأصه البتة.

من خلال ما أعرفه، لم يكن الحادث خطأ، ما يشعر به هو إحصاس
قناعي بالنسب لأنه بقي على قيد الحياة بينما مات الآخرون. وسيتطلب على
هذه المشكلة بمرور الوقت.

أحب أن أكون إلى جانبه في هذا يا بابا. وما سمعت طويلاً إذ أدرك
بيل الحب، لتقول الذي كنت ستخذه على عتقها.

ما الذي تريدني قوله يا جيني؟ لقد خرج إذ شعر أنها تريد أن تقول
لـه بأنهما سيتزوجان، وما كان ليروى أن هذه الفكرة جيدة. فقد كان كلاهما
صغيراً قسبي السن، وأمامهم طريق طويل قسبي. ولم يكن ثمة أمل في أن
يستطيع أبداً استعادة فكرته على السور. وشعر بيل أن هذه مسؤولية كبيرة جداً
عليها. كان الأمر سيكون طريفاً لو كانت مجرد علاقة رومسية، ولستين
مثلاً، إيا ما نهما في ذلك. ولكن كان بيل يعتقد أن أي شيء جدي أكثر من
ذلك سيكون خطأ بالنسبة لهما.

أقول لك بأنني أفكر بالموضوع جدّاً يا بابا.

لقد بدلت أوهام. وهل يشعر هو بنفس الشعور؟

أعتقد ذلك. نحن لم نحدث خطأ من ذلك، ولكنه فتى رائع. لقد كان بيل
يحب هذه الميزة في شخصية جو، فقد كان جو رجلاً لا يراقى إليه الشك في

فقد تصد كلاً لأحد كعبه.

لما أهرق ما أقول: قال بنو عبد قطن جيبه.

لا لبست كذا: قالت له بحزم. كانت هذه أول مجادلة تكرر بينهما. واستدلت كلهما: أما أن والدة جين أنكى منك. لم أسمع لبدأ بمنك هذه الحصالات. أما ألا تقول هذا لجين. فسوف أن تصحك لبدأ عليه، وستكون هي على صواب.

عندئذ تفرق إلى مواضع أخرى وهذا كلامها، فأخبرها عن احتضانه مع سنانها وأبنتها بالمعد، وبالطبع لم ينكر لها شيئاً عن حقيق سنانها الجديد لأن إيرفيل لم تكن تعرف أن بيل قد سافر خارج نطاق حواشيها. وقالت إيرفيل أن غورنون كان مضطراً إلى سالت موزيتز في اليوم التالي لكي يذهب على التزلج مع أصدقائه. ولما هي مستمكة في باريس مع تودي، وسوف يمشيان عبر رأس السنة وحدهما. فقد كانت صوفي قد غادرتهم لتوها.

لم يتوقف بيل لبدأ عن الاندهاش من مدى اتصال غورنون لإيرفيل، ولكنه من جهة أخرى كل مرتاحاً لأن غورنون لن يكون هناك كي يخبئها. فقد كان غيبه نعمة من السماء. تحتها طويلاً فقد لليلة، وكان بيل يشعر بنفسه حزيناً واصحاً وحزيناً نوعاً ما. فهو لم يرها منذ أربعة أشهر، وقد اشتاق لها للعلمية، وهي أيضاً كذلك. ولم يمتطعها حتى أن يتحدث عن لقاء ثانية، فلا تزال ألامه شهر من إعادة التأهيل.

بعد المكالمات، استلقى بيل هناك لوقت طويل وهو يفكر بما قالته إيرفيل أنه بخصوص جين وجو. كان لا يزال يحافظها الرأي، فهي ما كانت تترك ما كانت تقول، أو مدى التعديلات التي سيجعلهاها. لقد كان يتمنى شيئاً بسيطاً وسهل لجين، بعض النظر عن مدى محبة لجو. ورشح اختلافه في رأيي بشدة مع إيرفيل، إلا أنها كانت بغاية اللطف والمتالية حتى تقوم مضاعفت ما كانت قد قالت عن رأيها في رواج جين وجو. وكان بيل عازماً أن يصارح جين برأيه إذا لزم الأمر. على الأقل لم يثق عليهما فهما على عجلة من أمرهما

لاتخاذ أية قرارات حتى الآن. وكان بيل يعلم أن يحق الأمور بأسرع ما يمكن.

غداً بيل وهو يحمل بزيئة منزله، ولأول مرة منذ وقت طويل، حكم بالضموء الأيمن الساطع من جند. لقد كان يسير نحوه، ممسكاً بيد إيرفيل، وعندما استدارت نحوه، قلبها، وحتى في منامه كان منزعجاً لرؤية جين وجو فلمعين نوحهما في نفس الطريق. وكان هو في كرسيه المدوولب، أما هي فكانت تسير إلى جانبه وتبدو متألمة، وحلماً توقفت في الحلم، استدرت نحو والدها وسألته لماذا لم يحضرها بل حبلها مستكون قاسية صعبة من جراء اختوارها جو.

الفصل الخامس عشر

عندما غادر غوردون إلى سانت موريتز⁽¹⁾، وصوفي إلى كورنثول، ساءت الصحة المنزل، بينما جلست إيزابيل في غرفة تيدي طوال فترة بعد الظهور من تلك اليوم، وهي تقرأ له. كان الجو عاصفاً وبارداً في المنزل فدفرت تيدي بكثرة فوق بيجامته، وغطته بلحاف.

لقد أتمنى العيد مسروراً، وأعطوه مثلث قفص والألعاب الجديدة. واشترت له لعبة على شكل دب مغطى بالقراء ليهي برافته. وكل ما صنعت إيزابيل لو تستطيع أن تقدمه له كان الصحة الجيدة والعافية. لقد كان مصدر قلق مطرد لها.

تصل بيل بإيزابيل أكثر من المعتاد لأنه كان يعرف أن غوردون كان قد غادر، وهي اتصلت به مرة أو اثنتين. كان بيل يتصل بها مرتين في اليوم. وكانت تشتق إلى الأمل التي قضياها في المطبخ معاً، وكانا يستطيعان فيها أن يتحدثا معاً في أي وقت. لم تكن لديها رغبة في الخروج من المنزل أو رؤية أصدقائها. وعندما فتحت البريد بعد مغادرة غوردون، اندثنت لروية دعوة موجهة لكليهما. لقد كانت مرسلة من زوجين كانت إيزابيل تعرف أنهما من الطبقة الراقية. كانت الزوجة متبصرة دار لزياه، ولما زوجها فكان طاعماً في السن، وكان يتمتع بلقب شرف، وكان مديراً لمصرف هام. لم تتذكر إيزابيل إذا ما كانت قد التقت بهما، ولكنها افترضت أن يكون غوردون قد التقى بهما خلال بعض نشاطاته الاجتماعية التي لم تذكرها هي، أو ربما يكون قد عرف زوجها من خلال المصرف. لقد كانت بطاقة الدعوة جميلة جداً، وكانت

(1) سانت موريتز (St. Moritz): بلدة في جنوب شرق سويسرا على بعد 14 كم من الحدود الإيطالية هما مجتمع سياحي هام.

لحضور زفاف ابنتهما في كانون الثاني (يناير). وضعت إيزابيل في بالها أن ترسل هدية إلى الحروس، ثم أعملت الموضوع. لما عادت تذهب إلى هكذا مناسبات، وما عاد غوردون يدعواها لأن تراقبه عندما كان يذهب.

أضحت الأيام القليلة التالية مع تيدي، وفي الحديث إلى بول. لقد كان يولي البقاء في مركز إعادة التأهيل من أجل عيد رأس السنة، وكانوا يخطون لكل أنواع التلوي والاحتفال. وعندها بأن يتصل بها في منتصف الليل في باريس في اليوم العادي والثلاثين، وهكذا يستقبلان العام الجديد معاً، وهي سوف تتصل به في منتصف الليل بتوقيت نيويورك. كانت تتنظر مكالمته عندما رر جرس الهاتف، وأظلمت امرأة على الطرف الآخر لسماع صوتها.

يا لهنائي. أنا آسفة للغاية. يبدو في طلبت رقم الخطأ. لقد كنت اتصل كسي أخبرهم أنه ستتتسي رحلة الطيران. هذا ما قلته للمرأة، وقد بدت مضطربة، ومترحة نوعاً ما، وأغلقت المصاصة. ولم تعرف إيزابيل من تكون هذه المرأة وإلى أين كانت تقوي لذهاب بالمتقنة. وفترضت إيزابيل أن المرأة قد طلبت الرقم الخطأ، وأظلمت المصاصة بالفتي.

وفي الحال اتصل بيل، كما وعد، وعلمها بالعام الجديد في باريس، وكان تيدي نشأاً آنذاك. واتصلت به إيزابيل بالمقابل الساعة السابعة صباحاً حيث كان الوقت منتصف الليل عنده. لقد كتبت هذه الاتصالات طريفة ومسلية لهما. وبعد أن تحدثت إليه، نزلت إلى الطابق الأسفل لتدق بجناحاً من نشائي، وتقرأ الصحيفة، ثم حلت إلى الصعود إلى الطابق الأعلى. لقد كتبت قد أضلعت هذا اليوم كمسألة لمرضة تيدي من أجل عيد رأس السنة، وكتبت مسرورة للاعتناء به بنفسها.

كل ذلك دام في وقت متأخر ذلك اليوم، وبدت بقراءة الصحيفة من جديد، وانذهلت لرويتها اسم غوردون في صود الشتمات، حيث يذكرون أنه يمكت في سانت موريتز. فقد ذكر الخبر أنه كان هناك مع لصداقه، وحدثوا اسم أها خان، والأمير شارلو، وعدد من الناس المرموقين. ورأت عندئذ لهما آخر.

فقد تذكر الصعود أن الكونفيسة أين كان متولماً أن تلطم إليهم وليضاً للاحتفال بعيد رأس السنة. لقد كتبت نص المرأة التي دعته في اليوم السابق إلى عرس ابنتها، واعتقدت إيزابيل أنها قد تكون من اصحاء غوردون. وهذا ويد راحت تفكر بالمسألة فتكرت الاتصال الذي تلقته ليلة أمس من امرأة قالت أنه فلتتها رحلة الطيران. والثانية شعرت إيزابيل بالقتضيرة تسري في حقها. لماذا اتصلت المرأة بمنزل غوردون؟ ولماذا لا تكون هذه المرأة هي الكونفيسة دي أين؟ كان اسمها الأول لويزا، ما كتبت إيزابيل لتتصل أبداً أن تكون لها أية علاقة بغوردون لها تكن، وربما تكون صديقة لولئك الناس الآخرين الذين ذهبوا إلى سانت موريتز. ولكن المصاصة شغلت فكرها طويلاً للنهار. وفي الساعة السابعة قررت إيزابيل أن تفعل شيئاً يدل على جنون مطبق. لم يكن لديها ما تقطعه غير ذلك، وأردت أن تسمع صوت لويزا دي أين. فالتصت بالاستعلامات وحصلت على رقم هاتفها بسهولة، وجلمت تفكر بالموضوع طويلاً ثم طلبت الرقم. وفي الحال رفع الطرف الآخر للمصاصة:

لو؟ نعم؟

هل هذه السيدة دي أين؟ سألت إيزابيل مع خضن الألقاب.

نعم.

تصل بك الأوكرد رحلة جيلر لك إلى سانت موريتز. قالت إيزابيل مون أن تكون لديها إلى فكرة عما يمكن أن يقوله بعد ذلك.

كما قلت لك قبل ساعة، لا أستطيع الصبر حتى يوم غد. فزوجي مريض جداً. قالت ويبدو عليها الانتهاء، ولكن إيزابيل سمعت ما أردت أن تعرفه. لقد كان نفس الصوت الذي تحدثت إليها ليلة أمس وكان مصطرباً بعض الشيء ومنذلاً في الظاهر حيث قالت أنه فلتتها رحلة الطيران.

آه، أنا في غاية الأسف. لا بد أنك تحدثت إلى زميلتي. لا ريب في ذلك. أحظر منك يا سيدة دي أين.

هل هناك حاجة لأن تؤكد ذلك من جديد؟ سألت الكونفيسة ويبدو عليها

نوع من البطرسية، غريب، لقد كان في صوتها نفس ميزة التفكير المتفرد التي تميز غوردون كما لاحظت إيزيبل، لقد بدا وكأنهما توأمان.

"لا كنت مضطرة لذلك، أتمنى لك رحلة سعيدة، قلت إيزيبل بحسيرة، ثم أغلقت الساحة، ونون أن تعرف السبب، كانت ترتجف، وهي تحاول أن تجمع المعلومات التي عرفتها، لم تدري لماذا كانت ترتجف فيها، ولكنها أدركت أن ثمة ما يربط، ولهذا، ودون أن تستطيع أن تمنع نفسها من ذلك، راحلت تتسائل عن السبب الذي جعل الكونيسة تتصل بغوردون الليلة الفلانة. لم تنأ أن تنظر إلى استنتاجات، ولكن بدا الأمر واضحاً بالمشية لها، بحالتها السامسة شعرت أن ثمة علاقة ما بين غوردون والكونيسة، ولا بد أنها كانت تريد أن تتصل به في سلك موريتز لتخبره أنه فقتها رحلة الطيور، ومن الواضح أنها كانت تحس مشروباً مفضلاً فالتصفت بمنزله في باريس بدلاً من ذلك.

"من هذا؟" سأل تيدي وهو يتجول لدخل غرفة أمه، التي قلما كان يدخلها. ولكنه لاحظ عندما رأى منظر وجه أمه، صغها: "هل من خطب؟".

"لا، قادم... أنا كنت أنصت بوالدك في سلك موريس، ولكنه في الخارج".

"على الأرجح له بترالج، أو ذهب إلى حطة عشاء". قال تيدي بخلاتية، وأوملت هي برأسها.

وعندما اتصل بيل بعد ذلك، ذكرت الأمر له.

"أنا أسيحبد هذا الأمر". قال لها بحد. "ولكن للنساء حسماً مذهباً بخصوص هكذا أمور. لا ألقى ببسبلك أكثر من علي. لقد كنت دائماً أطم عندما كانت سافدا تنام مع أحدهم. لقد كانت عندها نهدو مختلفة، إذ تكون أكثر لطفاً ووداً ومرحاً. واعتقد أنها كانت تجد في علاقتها تلك سرور كبيرة ما كانت لتعبر بها معي". لقد حدث هذا كثيراً معه، وكان دائماً على صواب عندما شك بوجود علاقة غرامية معها.

"لا أدري حتى لماذا اتصلت. لقد يكون مجرد خطأ في الرقم، ولكنها

كثفت في غلبة التذهب في حديثها. ولو كان الأمر كذلك لكثفت بإغلاق الساحة. ولماذا تدعونا إلى حفل زفاف ابنها؟".

"إنما كنت فرصتيك، صبيحة، فإنه أخبرها على الأرجح لك أن تأتي، وهي تريد ذلك. وهكذا احتلت على الأمر بطريقة لينة. وعلق بيل على ذلك بطريقة جافة. "وكان يمكنها أن تكفي بدعوتها".

توب أخيهما وأقبل الدعوة. قالت إيزيبل.

"وهل يهكم الأمر؟" سألتها بيل وقد استغرب رد فعلها. لقد كان يعلم أنها لم تنم مع غوردون لسنوات، ولكنها لا تزال متزوجة منه. وكان غوردون بخصاً جداً معها منذ الحادث، فيكون من المريح لها أن يكون لديها أشياء تستخدمها ضده. لم يكن هذا بالأمر الحسن، ولكن هذا ما شعرت به. لقد صار يعاملها بعد عودتها من المشفى وكأنها جرحت كرامته، وكانت إيزيبل مستاءة من معاملته لها وكلها مجرمة وهي في منزلها.

"لا أدري ما لخص به". قالت بيل يصق: "عاضية، متكلمة، متواصلة، رغبة في الإنكماش، مهلة، لمت متكدسة. ربما كلها مجرد صديقتين ولكن أنا على خطأ".

"سيكون ممكناً أن تعرف حقيقة الأمر". قال بيل في هدوء.

"لتي لي أن أعرف؟ فإن كنت محقة، أن يسترف لي بذلك. وسوف نصاب بالجنون إذا ما اكتشفت حقيقة الأمر. ليس لدي فكرة عما يقوله، أو أين يذهب، أو من يرى. فهو لم يخبرها بأية معلومات كاذبة عنه على مدى سنين.

"تستلجري تحرياً". اقترح بيل عليها بشكل عليل.

"سيكون في هذا جرأة وقلعة. وسحق على جداً إذا ما عرف. سوف يخبرني أكثر بكثير كي يخطي على ذنبه. وولفها بيل الرأي في أن ما نقوله صحيح على الأرجح.

"إذاً أبقِ لثنيك مستيقظين. قد تجدن شيئاً في الصفح بعد أن تذهب إلى

سألت موريتز.

"إن غوردون أكثر ذكاء وحققاً من أن يكشف نفسه إلى ذلك الحد. قلت لإيرابيل وهي تمنع التفكير في الموضوع، وبد أن أغلق السماع، طرقت في ذهني فكرة أخرى. فكلمت تعرف امرأة منذ سنوات تعمل في عالم تصميم الأزياء. كلمت ناهليان معاً إلى المدرسة وكلمت صديقين حميمين، ولكن إيرابيل لم ترها منذ سنين، منذ أن وكلة تيدي قبل أوانه وكفى مريضاً للطفلة. كل اسمها نتالي فريير، وكلمت على علاقة حميمة قبل زواجها.

تصلت إيرابيل من جديد بالاستعلامات وحصلت على رقم هاتف نتالي. وهذه لم تكن قد تزوجت أبداً، وكانت شغفياً مرموقة في مجال ابتكار الأزياء. لقد كلمت على نفس الدرجة من الأهمية مثل لويزا في مؤسسة مناسية. وشعرت إيرابيل وكلها نحل لغزاً كبيراً، وكانت مصطرة للبحث والتقصي لتعرف كل ما لمكتها من لويزا دي لين. فصار هذا هوساً لديها خلال الساعات الاثنتي عشرة الماضية.

التفتت إيرابيل حتى حين وقت مناسب واتصلت بنتالي. لقد كان يوم سيئ، ولجأت بنصها على الهاتف. وقد علمت عندما عرفت من المتحدث. يا إلهي، لم أتحدث إليك منذ سنين... كيف هو ذلك الصغير؟ وشعرت لها إيرابيل أنه كان مريضاً خلال السنوات الأربع عشرة الماضية وقد عا كل حياتها.

لقد شعرت أن شيئاً كهذا قد حدث، فالحق يقول أنه لم يحدث ناسكاً لهم زلت ترسمين؟

ليس لدي وقت لذلك. وسألت كل منهما عن لحول الأخرى لبعض الوقت. لقد كانت ولادة نتالي قد ماتت، وتزوج والدها من جديد، وعاشت مع

(1) النكس: (recluse) هو شخص يختار أن يحيا منعزلاً عن الناس في الصلوات وقيل. يستخدم هذا التعبير هنا للدلالة على العزلة التي تعيش فيها إيرابيل بتفادها من الاختلاط بالناس والمجتمع.

سينقذورة لعشر سنوات. عاد بعدها إلى زوجته المحترمة، لم يسبق لها أن تزوجت أو أجهت أطفالاً، وقالت إنها لا تزال تحب عملها. وبدأ كما لو أنه لم يمض وقت طويل منذ أن التقيا آخر مرة. لقد كلمت صديقين حميمين في المدرسة، ثم تفاعلتا عن بعضهما بعضاً عندما تزوجت من غوردون. لقد كلمت نتالي بنصه، ونرى أنه مغرور ومتكبر، وكانت مقتنعة أنه تزوج من إيرابيل من أجل علاقات أهلها الاجتماعية. لم تقب به أبداً، ولكنها لم تذكر إيرابيل بذلك الآن. لقد كلمت إيرابيل هي من ذكر اسمه أولاً.

لرسمين؟ لقد كنت في خدمة كبيرة، لست مقيمة في شيء بالذات، كل ما كنت أفعله أن أصرف شيئاً مالياً ولا لظن أن لحداً غيرك يمكن أن يصنعني في تقاضيات نتالي بالصمت على الطرف الآخر من الخط وهي تتعامل إلى أن أخرج من الصديق يمكن أن تكون عليها. كانت تتعامل فيما إذا كنت مستاءة هذه المكالمات، ولم تكن مستفوية تماماً من اتصال إيرابيل بها، رغم أنه ما من العريب أن تسأل الآن بعد كل هذا الزمن.

ماذا عرفتني أن أقول؟ سألت نتالي بهوء. تريد أن أسالك عن شخص، وأريد أن يبقى هذا سرّاً بيننا، وأتمنى أن تخبريني الحقيقة، ماذا تعرفين عن لويزا دي لين؟

أجبت نتالي بتهدئة خفية وقررت أن تجيب بشكل مباشر. إنها موهوبة جداً، وصعبة المزاج جداً، ومتكلمة جداً، وجميلة المظهر، وشعرت أنها أكبر منا قليلاً، وأحياناً تكون غظة جداً، وهي باردة العواطف وطموحة جداً على ما أعتمد. يقولون أنها الموهوبة للمؤسسة التي تعمل فيها. أعتمد أن زوجها اشترى لها قسماً كبيراً من هذه المؤسسة، وهو يبلغ من العمر حوالي ثمانية، ولا علاقة له بشيء البتة، على ما أعتمد، وهو مريض جداً، وسوف تترك أمواله عندما يموت. كان مقروصاً من قبل، ولولادة بكرهولها على ما أسمع، ولكنها شديدة الذكاء لدرجة تستطيع معها أن تضع حداً لهم. لقد تبهجت كثيراً بقهرتها على ذلك. لقد تزوجت منه ضمناً بأمواله عندما كان في حوالي الثمانين من العمر

وانتهيت مسلة طفلاً لكسي تضمن مستقبلها معه، وما هو الآن قد دخل في التسويات من العسر. لا يمكنه أن يعيش بعد أكثر. إنه يمك أن يحدى أكبر الشرورات في فرنسا. كانت هذه المطومات شينة ولكن ليست هي بيت القصيد عند إيزابيل.

أما الذي تعرفه أيضاً؟

إيزابيل. لا تبحثي عن الأثباء التي قد تتركك. فللحياة مؤلمة بما فيه الكفاية. لماذا تسأليني ذلك؟

لأنني أريد أن أعرف. ويبدو أن شمة شيئاً تعرفينه ليس كذلك؟

ساد صمت طويل بينهما ومن ثم تهيدة لغري. إنه ليس سرّاً تماماً. لأمصف باريس تعرف. وهنا شعرت إيزابيل بقلبها يتسارع لسماح هذه الكلمات.

هل هي على علاقة مع غوردون؟ سألتها إيزابيل لحرراً صا لرفت فعلاً أن تعرفه، وضجكت نكالي. لقد كانت إيزابيل لا تزال ساذجة بعد كل ذلك السنين. وكان هذا ما كانت قد أحبته تنكلي فيها عندما كانت هي المتروسة. لقد كان لدى إيزابيل براعة تلمس بها قلوب الآخرين. ولكن كان عليها أن تتضج وتصبح راشدة. ولربما أني الأولى لذلك.

إنهما عشيقة منذ عشر سنين أو لثنتي عشرة سنة تقريباً. إنهما يذهبان معاً إلى كل الأماكن. ويحدثني أنه ما من أحد لم يترك بذلك من قبل. إنهما يخرجان معاً بشكل علني في كل المجتمع، وهما على ذلك منذ مخين. ولجميع يعرفون؟

ما عدت أعتقد بأحد. قالت إيزابيل ويبدو عليها التثؤر. هل أنت جادة؟

نعم. إنه يشتري لها مجوهرات، ويشتري لها سيارة. وأعتقد أن لهما شقة في مكان ما في القيت بذلك. أعتقد أنها في رو دو باك. ويذهبان إلى فندق دو كلب في الصيف. لثقت بهما صدقة في سلك ترويز العلم الماسني. لقد كانت لديها حياة كاملة، علم كامل، يحوش معها، ولم تكن إيزابيل تعرف أي

شيء القبة عن ذلك. لقد كان هذا أسوأ بكثير مما كانت تخشى. هل سيهجر؟ سألتها تنكلي صلياً. إذا كان سوفيل إلى عليك أن تكثري لمرتك بعيداً عنه. فما سمعته، لقد صرف ثروة طائلة عليها.

لا أستطيع أن أصدق ذلك يا تنكلي. هل أنت متأكدة مما تقولين؟

بالطبع. وإن كنت لا تصدقينني، فقللي بضرورة لشعاس تعرفينهم وسوفولون لك نفس الأشياء تماماً. إنهما يعيشان كزويين منذ مخين؟

بسم لا ينوي أن يهجري. قالت إيزابيل متفكرة. لقد فكرت بذلك الجراحة، أو خصنت ذلك، ولكني لم توقع ذلك أبداً. بل الأسوأ من ذلك أنها كانت توقع علناً طلقاً مؤخراً بينهما، أو علاقة غرامية عابرة، وليس حياة أخرى كاملة قلقة بينهما لثنتي عشرة سنة بينما هي في منزلها تقوم بالحياة بأبها.

ليس من دأج لديه بعد ليهجره. فهي لا تستطيع التصرف بشكل كامل إلى أن يموت زوجها. وعندما يحدث هذا فلي اعتقد أن غوردون سوف يستغلها بكل ما في وسعه. إنها ذات نفوذ وثروة. ومن يعلم، لربما تكون قد ملئت من غوردون الآن. لا يمكن معرفة ذلك. اضرتسي منها، فهي سيدة الأخلاق جداً. إذا شعرت بذلك تتكلمين تهديداً لها فليها سوف تلاحقه. لقد رحتها لتعمل ذلك في مؤسسة تصميم الأزياء. إنها امرأة مبدعة. لقد كانت خبيلة مسخرة في أحد الروايات القافية في مكان ما عندما لثقت بالرجل المعجوز، وجعلها كوتنيسة وساعدها على أن تكرر شؤون ذلك العمل ليللي. وهي بارعة فيه، وإنني أشهد لها بذلك. ولكن لا يمكن العبت معها إذا ما اعتبرك تهديداً لها بشكل أو بآخر. فعندها سوف تغلص منك برمشة حين ومستعل كل ما يوسعها لأجل ذلك. فلي كانت تريد، فليوف تلغده ملك رهم لك. وفي الواقع كانت كلثامها تعلم الآن أنها كانت تريد.

شاً لا أشكل تهديداً لها؟ قالت إيزابيل وهي تبدو متأكدة. لقد شعرت بنفسها حقاً للغبلة. وفوق كل ذلك، فقد كلت قاسياً معها ولستين. لقد كان من

الخدمة أن يسلك معها هكذا.

لقد لا تنظر هي إلى الأمر على هذا النحو. ويسمى أن تقول ذلك يا إيزابيل. لقد كانت تنكح مترجمة من أنها للشخص الذي ينقل لها الدنيا السعيدة. لقد كانت تحبها دائماً.

لقد كان مذهلاً أن تفكر بأن هورود كان مرتبطاً بملكة مع امرأة أخرى إلى ذلك الحد. ولم تستطع إيزابيل أن تتفكر عن التساؤل هل كان ذلك ذنبها لأنها كانت منهكة جداً بأبنائها. لقد قالت لها نكالي بأن الملكة بينهما قصة منذ حوالي عشر أو اثني عشرة سنة. وكان هورود قد أطلق دونها عرفته وقبلة وحوافه بالضبط منذ ذلك الوقت. ومن هنا بدأت الأمور تتضح لها.

من الأفضل لك أن تهجريه يوماً ما يا إيزابيل. قلت لها نكالي بلهجة صليقة. ومن أجل تلك المسألة بشكل خاص. وبه أفني لا يقيم اعتباراً للأخيرة. وكنت أعتقد دائماً أنه يكره النساء. فلخبرتها إيزابيل عن الحادث، ولكن ليس عن بلل، وودع كل منهما الآخر بأن يتصل به ثانية في أقرب فرصة. لقد كانت إيزابيل تشعر بالامتنان لسماعها الحقيقة مهما كانت مؤلمة بالنسبة لها. بعد أن أغلقت الصماعة جلست إيزابيل تحرق في الفضاء طويلاً. ثم اتصلت ببيبل. لقد أيقظته من نوم عميق، ولكن ما كان بإمكانها أن تنتظر حتى تخبره بما سمعته.

سردت له كل شيء قطعة واحدة بينما كان يحاول أن يستيقظ. وعندما أنهت حديثها كان قد استوى جالساً في سريره مستغرباً ومذهولاً. لقد بدت هذه المسألة فرنسية جداً. فلن يكون للمرأة حقيقة على مدى طويل لمدة حوالي عشر سنوات أو أكثر أمر غير مأقوف في الولايات المتحدة. معظم الناس لجأوا إلى الطلاق. أما القديسة فكانت تنتظر موت زوجها كي ترثه.

يا لهذه القصة المخزية. هل أنت وافقة من صحتها؟ لقد أكتت له هذه القصة ما كان يوتاب فيه ولظهرت له كم كان هورودون نذلاً.

تعرف نكالي دائماً كل شيء. وإني أستغرب لماذا لما يخبرني أحد

بالحقيقة من قبل؟ لقد كان ميئاً لها أن تترك أن كل الناس في باريس كانوا يعلمون. وهذا ما جعلها تشعر وكأنها حقة.

لربما ظنوا أنك تطعن وما أرادوا أن يجرحوا شعورك. فلأكثير من الناس يمسكون هكذا خاصة في أوروبا، وحتى هذا يعملون هذا أيضاً. لم يخبره أحد قط عن علاقته سنيا الفرامية، وأدرك ذلك لقوة.

لما عاد الناس يلاحظون إلى هكذا علاقات سرية طويلة الأمد ذلك لأنهم يستطيعون أن يتلقوا. ماذا يجب أن أفعل بريك؟ لم تكن لديها فكرة عن كيفية استخدام هذه المعلومات التي حصلتها.

سألتها بيل بحساسية: ماذا تريد أن تفعل؟

لا أعرف. أود أن أوجهه بكل ما عرفته حتماً بلني إلى العزل، أو أن اتصل به في سانت موريتز. ولكني أشعر أن ليس هذا من الطق في شيء. لقد كانت تعلم أنه سيهاجمها بضربة إذا ما فعلت ذلك.

لما أرى أن تتطري وأن تواجهيه بذلك في الفرصة التالية التي يهاجمك فيها. هل تريد أن تهجريه؟ لقد كانت تريد ذلك، ولكن ما كانت تعتقد أنه يجب عليها ذلك. فالتفسير كان لا يزال قسماً جداً طلي ندي، ولم تكن لديها أية صمغلت بأن هورودون سيصلها ما يكفي لتتق على الصبي. كما وأن صديقته أن يكون بمقدورها أن تتزوج بأي حال من الأحوال. ولذلك صوب أن يتشوق لطلاق إيزابيل، أو يكون سنياً معها إذا ما فعل. سوف أن يريد فضيحة لنفسه، خاصة نظراً إلى شهرته وسمعته التي تظل من الشوايب والعيوب، في المصروف. لقد بدا أنه من الفكاه أكثر لبقاء الأمور هائلة والانتظار كما قال بيل. لقد كان لديها أشياء كثيرة تفكر فيها، وقرارات جديدة عليها أن تتخذها. قال لها بيل: "تفكري. إن لديك بعض الخيرة الآن تستخدمها عند الضرورة. إن أفضل ما تفعله الآن هو أن تخفي خبرتك إلى أن يحين الوقت المناسب وعندما تطلقين خبرتك عليه في حينه."

لما أن الجميع يعرفون بملاقته هذه سوف لا تكون فضيحة كبيرة إذا ما

نعم، ستكون. أن يكون للمرء حشوة بالسر حتى لو كان الناس يعرفون عن ذلك هو شيء، وأن تكون له روجة غاصبة هو شيء آخر تماماً، فهذه مسووف توضح كل شيء، وتحدث إلى الصمغة، وتقوم بقلهه علائقة، وتكثفه القمل الكثير، وتحول الرأي العام ضده. فثقت تبدين طاهرة ومعك طفل مريض وجلس. أنا قسلي الشؤون السياسية منذ زمن طويل. وعندما كان أحد المرشحين لديه بعض الصحت كهذا، كنت لأقول له أن يفتني ويحتي، وأن يبقى متزوجاً، وأن يظهر للناس مجتراً ما أمكنه ذلك، ولي يبدأ بإعلام الأتلم أو يكرس المال والاعتماد لصالح راجلت صيان. وبالتالي ما كنت لأصحه بأن يخلي عن القضاة الذي يحتي به، ويحرر الجميع، ويطلق روحه. سيكون لي حاجة إلى أن يخلي كل عبته وطيشه بكل هدوء ممكن. وفي مثل حلقه، إن الأمر يستند عليك يا حبيتي. إن الكرة بل حتى مصوره هو هي في ملعبك وليس بك. الأمر الوحيد الذي سوف لن يريده هو فصحة عافية، أو طلاق. وخاصة أنها ليست مطلقة الحال بعد. سوف يريد أن يتقاضي أية مشاكل عندما تصبح هكذا، وليس قبل ذلك مطلقاً. إذ أعرف شخصيته، فلي لا أعتقد أنه سيعتزل لك ويصبح لطيفاً منك بأي شكل من الأشكال. وفي خاتمة المطاف سوف يلقى اللوم عليك، وكلما زدد ما يحب أن يظفه، كلما صار أكثر ضمرولة، فحينئذ توجهينه إليه سيهددك وسيثبت لك عملياً إلى أي درجة من الخطورة والقذاعة هو عليها، وسوف يحاول أن يخيفك لئلا تتردعي القضاة عنه. كولسي حشرة جداً حبيتي. إن تحشيره في القلوبة، يشد مخالبه في عنقه. أعرف هذا النوع من الرجال، فهو لن يبدأ أو يقر عنه بالوم أو يرتاح بالله ما لم يتأكد. فهذا الزواج على جميع الأحوال كان في صالحه مهما كانت طبيعة هذا الزواج، ولي يسمح لك أبداً بأن تعني فيه. إنه يريد الحفاظ على روجه منك كي يحمض ماء وجهه، فهي لن تقتضي عن المعجز قبل وفاته. أعتقد أن لمرأ أكثره تجري ذلك لا تعرفها، فكرني حرة، ولا تفسه لأن يتور.

لقد كانت نصيحة حكيمة صالحة، وكنت إيزابيل تعرف أنه على صواب، ولم تعرف ما تفعل إزاء ما عرفته الآن. ولركت، وهي تفكر بالأمر الآن. إن القابلي العديدة التي لم يتم فيها في المنزل كان على الأرجح بمعنىها مع الكونفيسة في الشقة التي استمت إليها نثالي. لم تشعر إلا مؤخراً بالارتباب من كثرة لومه خارج المنزل، وكذلك الأمر صولي. وهاجت بدافعتها إلى السرحات التي ذهب فيها مع أصفقه، والمذنبات التي حضرها وحدها والصلوات التي ذهب إليها، والأماكن التي زارها، وشعرت أن نثالي كانت على صواب، فقد كان ذلك كله بدأ منذ حوالي اثنتي عشرة سنة.

فإن الأمر مشير من دون ريب، أليس كذلك؟ قلت إيزابيل ولا يزال الذبول يندباً عليها من جراء الصدمة. لقد بدأ غوردون فجأة غريباً عنها. وكانت لويزا دي لين أكثر فضاضة وحكة بكثير مما كانت تعتكدها. شعرت إيزابيل بأنها في غابة الحياة لأنها لم تكن تترك ما يجري حولها كل تلك المصنوعات الطوال.

تريد أن تفكر بموضوع كثير. لا تفعل شيئاً الآن. قال لها بيل وهو ضارق في التفكير. على الأغلب ما كان ليردها أن تتأذى بأي شكل من الأشكال، وكانت عرضة لذلك بكل سهولة. حصداً، فن لعل أي شيء.

وتذكيري، إن تحشيره في القلوبة سيهلكك. هذا الأمر أنا متأكد منه تماماً. وواقته الرأي مئة بالمئة. لكن يمكن لغوردون أن يصبح أشد ضمرولة إذا ما هاجمته بأي وسيلة. ولقد تكثفت ذلك بانها منذ سنين.

في الأيام القليلة التي تلت ذلك، راحت تتحدث إلى بيل عن الموضوع، ولكن لم يتوصلا إلى حلول جديدة، وعندما عاد غوردون إلى المنزل، بدأ سعيداً ولهمر لالو مصفرة، وكل ودوداً ولطيفاً معها بشكل حبيب. بل حتى سألها عن حال نثالي، وكنت له أنه بخير، ولم تلبس بلبث ثمة عن الكونفيسة دي لين.

الإزعاج للصغير الوحيد الذي سيئة له كان عندما نزلته بريد.
فلمست جزءاً من بريد، لأنه كان موجهاً إلى كليهما، وفكرت له عرضاً
بلن الفوت والكوتيمه دي لين بدوتهما إلى حفل زفاف. وقلت بلنها قبلت
الدعوة للموجهة لهما معاً وقلت أنه سيكون من الطريف حضور هذه الحطة.
لقد بنت بريئة للغاية، ولم تظهر في عتيه أية إيماءة وهو يصغي إليها. بل لم
تظهر عليه أية ردة فعل على الإطلاق.

يقول طبيب ندي أنه يجب على أن لسري عن نفسي أولاً بالخروج من
المزول لفترة، وأعتقد أنه على صواب. لقد اقترحت أن تركهم، وبما أن
الدعوة جاءت لكليهما إذا فقد اعتقدت أنك لن تتلع في ذهني. قلت أنه بحوية
وبعيني متسختون.

لا، أبدأ. قال لها وهو يبدو غير مهال على الإطلاق. ولوعة تساعت إذا
ما كانت تقالي مخطئة فيما قالته، ثم ما لبث غردون أن يستدر نحوها وتعليق
غريبة على محياه وقال: إنها شغفان مملا قليلاً. وهما طامعان في السن.
أعتقد أنك ستصليين بسلام إذا ذهبت. فإن كنت تفكرين بالخروج من المنزل
فأعتقد أن من الأفضل أن تختاري القيام بأمر أكثر إمتاعاً. لقد بدا جزءاً كبيراً
منه خفياً.

كم يمكن أن يكون عمرهما طالما أن لهما ابنة على وشك الزواج؟
سألت إيزابيل ببراعة، وهز غوردون كتفه بلا ميلاد.
لا أعتقد أن ابنتهما فتية جداً، أعتقد أنها عاشر سن في السن.
جذابة، ولا أجد المناسبة مناسبة.

لقد كان موطن العزم على ألا تذهب إيزابيل، ولأول مرة خلال سنوات
طويلة، وإذا تعليل معه، فإنها كانت تشعر بالثقل.

تمسك حق. فلا يبدو الأمر مسلياً. هل يدعي أن لكتب لهما وأعتذر لهما
عن الحضور، لم أن هذا سيدل على عدم الثقة؟

سوف أهتم أنا بالأمر. أين هي الدعوة بالمناجاة؟

إنها على طولة مكثي.

سوف أخضعها في طريقي خارجاً. وسوف أعمل سكرتيرتي تهتم
بمسألة.

تكرراً يا غوردون. وسوف أرسل لهما هدية طريفة مستورة عليهما.

سوف أعمل إيزابيل تهتم بذلك أيضاً. وكيفه ما تعنيه من أعباء.

شكرته بلطف، وغلغل إلى مكتبه وبطاقة الدعوة لا تزال في يده وضحك
بيل كثيراً عندما أخبرته عن ذلك عندما اتصل بها.

يا للهو شيرة مكررة. ولكن تكثري ما قلته لك. كوني حذرة منه،
فهو ليس الأسبق. وربما يرافقه ليعرف ما تكون عليه ردة فعله وما توين
أن يقطعه. وربما سجد أن أحدهم قال لك شيئاً ما، فلهم إذا كانت صدقتك
مسيئة، وأن من في باريس يعرف بالأمر.

قلت: إن قلم على أية حلوة. وخلال الأيام القليلة التي تلت ذلك
الحدث، كتبت بأن تتحقق من وجوده في غرفته في آخر الليل وعند الظهر
عندما تستيقظ. ولاسحت ما كتبت تنوكه تماماً، فقد كان يغيث من المنزل
طوال الليل متوكفاً لهما أن تعرف بذلك، إذ إنه كان محظوراً عليها ضمناً أن
تأتي إلى غرفته. ومن المفترض إذا أن يكون في الشقة في شارع رد دو بلان
مع لويزا.

وفي الشهر التالي بدا وكان إيزابيل وغوردون يلعبان لعبة الهر والفل،
ولم يتغير شيء في حياتهما، إذ بقيت الأمور على حالها كما كانت منذ سنين.
كانت له حاله مع تلك المرأة، وشقة، وعلاقة، وكان متزوجاً بها، بمعنى من
المعنى. أكثر مما كان متزوجاً بإيزابيل. على نفس الموال، كانت تسير هي
بأنها أكثر ارتباطاً ببيل من غوردون وكان بيل هو زوجها.

كان كد مضى عليه عشرة أشهر في مركز إعادة التأهيل حتى ذلك
الوقت، وقد غدا أقوى، وشعر بأنه في حالة صحية أفضل مما كان عليه خلال
سنين. ما عاد عتفه بسبب له أية مشكلة تفكر، وبما كفاها، وكانت أوراكه

ذخيرة، وعندما كان يرتدي لباس السباحة كي يسبح، كان يبدو كمثلي شاب قتي.
وهللت إليه معظم القدرة على الإحساس بساقيه، وصار بمقدوره أن يتحرك
بسهولة لكثير نسي كرسبه دي المجلات، ولكن لم يكن يستطيع المشي أو
الوقوف. فما كانت لمساقيه القوة بعد ذلك، وكلفتنا تحويله تحت وطأة قلبه عندما
كان يحاول الوقوف على قدميه. وحتى المداينات قتي كفت له ثبوت إليه كي
تساعدانه على الوقوف والحركة لم نلقها في مساحته على ذلك. بل إنه كان
يتهاوى أسرع عندما كان يستخدمها، أما فيما يتعلق بالبريد فما كان قد أحرز
تقياً فيما يحتمل في نفسه نحوها.

كان لا يزال يقابل الطبيب هاركورت، للمعالجة للشؤون الجنسية، رغم
تساعده لذلك في البداية. لقد كان لا يزال مصراً على التفكير بأن الجنس قد
انتهى من حيلته. لقد كان جارحاً له جداً عندما فشل في محاولته مع إيريل.
وتواصلت لديه قناعة أنه لن يحدث له أي تغيير من هذه الناحية. ولكنه على
كل حال كن يروق له الحديث إلى إيردا هاركورت. لقد كانت تسليه الكثير
من الكتب الممتعة على النوم. ولكنه بقي غير مقتنع.

ومما زاد الطين بلة، أن جين وجو جاءا إليه في آذار (مارس)، وأخبراه
أنهما يحترمان الزواج، ورغم أنه كان يحب جو كثيراً، إلا أن إيرل لفتاه من
الأمر، وتحدث مطولاً إلى سائها مررت عديدة على الهاتف بخصوص هذا
الموضوع. لقد كانت أكثر تفهماً منه لهذا الأمر، وتجادلا في هذا الشأن أسابيع
عديدة. وأخيراً، تحدث إيرل حديثاً مطولاً إلى جين عندما جاءت من جامعة
نيويورك بغية زيارته.

"يا بابا، نحن نعرف ما للفعل. فلماذا نتردد إلى هذا المكان منذ
سبعة أشهر. وأعرف إلى أين نفودني لدماي". بسبب طبيعة إصابته، كان جو
يستعمل حفاضاً، ويأخذ الأدوية، وكان بمقدوره استعمال دراع واحدة فقط. لقد
كان عجزه ومحدوبيته كبير بكثير من إيرل. وكان قد قبل في كلية الحقوق في
الخيريف، وكان مثقلاً الذكاء. وكان الأطباء يعتقدون، ولكن ليس بشكل مؤكد،

بأنه قد يستطيع إنجاب أطفال في نهاية الأمر. وشرحت إيردا إيرل أن بعض
الرجال، رغم عجزهم عن ممارسة الجنس اعتماداً على أنفسهم، بإمكانهم أن
يخصبوا زوجاتهم اعتماداً على المونة الطبية. لم يكن راضياً فيما إذا كان
جو ولداً من هؤلاء. لقد كان هو أيضاً ولداً من مرضاها. ولكن إيرل كان
يشعر أن جو يتمتع بالثياب وهذه نقطة في صالحه. أما إيرل، وهو في هذا
السن، فما عاد يرضى بأن يكون 'موضوع تجربة'، أو أن يجعل من نفسه
أضحية. لقد كان يفضل أن يضاعف كلياً من ممارسة الجنس ما بقي له من
العمر. وخلافاً لجو، فقد تقبل إيرل ذلك، ولكنه أمر محترم لا يمكن إيهامه.

"لست لا أكرهين حواش هذا الأمر" قال لها إيرل مجدداً إليها، واستأنف:
"سوف يكون موزناً عليك بشكل كامل، جسدياً وعاطفياً".

"لا أعقد ذلك. فهو يهين بي، وهو الرجل الوحيد الذي اعتنى بي، اللهم
ما عداك. سوف يكون محضياً، وقد استمر الماي للتوبيخي الذي أخذه من
جرائم الجاني، وإن لديه مليون دولار في سوق البورصة في شركة موثوقة،
إسقة إلى استثمارات جيدة أخرى عديدة. لقد أطلع عليها مسير البورصة
الذي تتعامل معه مانا، وقال لي جو قد قام بالعمل الصائب. ولا يهمني إن كان
لا يستطيع تسليق الصغير، أو رقص الفالس".

"ربما سيهمل هذا يوماً ما".

"لم تفعل ذلك أنت أو أبي، وكنتما تستعملان أن تسيرا على أقدامكما.
قلماذا ستهتم نحن بذلك؟ لماذا ستكون حالتنا أسوأ مما كانت عليه حالتكما عندما
تزوجتما؟".

"أنا متعلق". قلها إيرل بحزم. "وهذا سيكون حيناً قتيلاً عليك. صحيح لنا
أنا وللذكاء لم ندم بهذا أثناء عندما كنت أستطيع المشي، ولكن لو كانت
حالتني لذلك كما هي الآن لما كنت أقدم على الزواج من والدك".

"هذا أمر محزن. لا يمكنني أن أصدق أنك فكر بهذه الطريقة". لقد شعر
هولداً بالأسف لأنها زارته يوماً في المشفى وعركها على جو. لقد كان يفكر

أفدك، بله ليس من ضرر في ذلك، ولكنه كان مضطراً. لقد ناقش الموضوع مع إيزابيل وسنثيا، وكنا ابنك في الأموعين التاليين، وفي نهاية الأمر جلس مع جو وتحدث إليه بهذا الشأن. لقد كان جو يتوقع الكثير من الضغط الجدي عليه، وكان واضحاً وحتى قبل بدء المحاورة بينهما، أن بيل كان مستاءً من هذا الأمر. ولكنه لم يكن يتوقع من جو الإجابات التي قلبي بها.

أعرف حقيقة ما تشعر به يا بيل. قال جو بهوده. لقد كان قد جمع عن كل شيء من جين. لقد كانت غاضبة من والدها بسبب هذا الموضوع، وأرادت أن تتزوج من جو دون موافقة والدها. ولكن جو كان يحترم ويعتزم بيل في نص الوقت... لا أستطيع أن أقول لك مخطئ. ولا أستطيع القول أن الطريق ستكون سهلة أمامنا. كلانا نعرف ذلك. نعم، وبني أظنم ذلك أكثر من جين. وكلانا يقع فتى. الزواج ليس سهلاً حتى في أفضل الأحوال. والدي تطلقا، وأنت وسنثيا أيضاً. ليس من ضماكت في الحياة. ليس من شيء مصنوع. ولكنني أيضاً أعقد أن رباطاً خاصاً يجمعي جين، وأصدقك القول أنني لئن أن بمفخورنا أن نجعل الأمر يهيج بيننا. سوف أعمل كل ما في وسعي كي أحميها وأحميها وأحتي بها. وكنت أسمع أنك تفرق من عينيه، فأنشج بيل بوجهه إن لم نريد أن يتأخر. وتلقايل فتني لمتمك جداً ولا يمكن أن أقوم بساى أمر لا توافق عليه. تني ألق بطفك الرابح وحكمك الجيد على الأشياء. رغم أنني أعقد أنك محطني فيما تقرر به بخصوص زولجا. أعقد أنني وأنت لنا الحق بأن نحظى بحياة معودة وزواج سعيد، كما كل الناس. وبني كنت لا أستطيع أن أنشسي. لو أن استخدم تراعي اليسرى لهذا لا يعني أنه ليس لي الحق بل أحب. أبل أن تؤمن أنت أيضاً بذلك، ومن ألهك. ولكن إن كنت لا تريدني أن أتزوجها، أو كنت ستمنع، فإني سأقول لها بأنني أعدت النظر في الموضوع وغيرت رأيي. إن كان هذا ما تريد، فإني أفضل أن تكرهني أنا على أن تكرهك أنت. فأنت والدها، وهي في حاجة إليك، ربما أكثر مما تحتاج إلي. ولن أؤذي بل أكون عضو في عائلتك إن كنت لا تريد ذلك. الأمر

يعود إليه. كان بيل يشعر بالألم وهو يصغي إليه. لقد كان يود أن يصبح كل ما يقوله حقيقة، ولكنه كان يعتقد أن الأمر سيكون بالغ الصعوبة بالنسبة لكليهما، وكان يريد أن يحمي ابنته الصغيرة. كان يريد لها أن تتزوج رجلاً يستطيع أن يمسح معها عند غروب الشمس معتمداً على ساقه.

ماذا لو اكتشفت بعد المحاورة أنك لا تستطيع أن تتعب لطفاً؟ لقد كانت هذه قضية هامة بالنسبة له، وكان يعرف أن جين ستفكر بهذا الأمر الذي أصبح مشكلة لها أيضاً يوماً ما.

كسي هذه لحظة سئلهي طفلاً. لقد ناقشت هذا الأمر مع جين. ليس هناك ضماكت لأي كان. فلكثير من الأزواج ليس عندهم حجر أو نص ما، يحدون أنه ليس بمفخورهم إنجاب أو لا. سوف نفعل كل ما نراه صالحاً ونسألهي لكليهما. كان بيل يعرف أنه لا يستطيع أن يمسأ أي رجل المزيد من الأسئلة. لقد كان جر لمشيء، مصداً، ومقوياً بجين، ونكياً، ومهتياً، ومراعياً لمشاعر الآخرين، ومثقفاً، ويحال مالية جيدة، ولكنه كان مقيداً إلى كرسي مدولب أبقية حقيقته. لقد كان هذا لأصعب قرقر يمكن لبيل أن يتخذه. أسمى إلى جو طويلاً، وبعدما، ويصوم في حديقته رفع ذراعيه وفعلت الرجلان.

حسناً أياها الولد الصغير. لقد كانت الدموع تهمهم من عينيها، وكانت شفتا بيل ترتجفان وهو يصارع لتلا يقول شيئاً. إلى الأمام. ولكن الولد لك إذا سببت لها القسمة. فصدنا سألنا منك.

فقسم لك أنني سأفعل كل ما أمكنني لإسعادها ما حبيت. ولم يكن هناك المزيد ليقال، فكان هذا كل ما يمكن أن يطلبه رجل ممن محترج ابنته. مسح كلا الرجلين عينيها وأقسمتا، وأخرج بيل إحدى زجاجات المشروب المفضل من القلجاة في حرقته.

نمى تقوياً الزواج لا سأل بيل وهو يصب كأساً من المشروب المفضل لكل منهما. لقد شعر بالذهب وكثرة تسلق جبال الألب في نصف الساعة الأخيرة، وشعر جو بنفس الإلهاق أيضاً.

لقد فكرنا أن نعتد رفاقنا في حزيران (يونيو) أو تموز (يوليو). وسوف
الستحق بكلمة المشرق في جامعة نيويورك، ويمكننا أن نحصل فيها على مسكن
للمتزوجين، وهكذا لن يؤثر زولنا على التزامها بالجامعة. كانت ستبلغ
الشهرين وتصل إلى السنة قبل الأخيرة خلال خريف ذلك العام. أما هو فكان
في الثالثة والعشرين. لقد كنا نعتن بالثبوت، ولكن ثمة أمرين تزوجوا قبل
هكذا عمر، وكان زولهما ملجأ. كان بيل يأمل أن يكون الحد من نصيبهما
في الزواج، وكان هذا كل ما يتناهى لهما.

تمنى مستنصر هذا المصطفى؟ سأله بيل.

"خلال شهر أو اثنين. لقد مضت سنة على وجودي هنا، ويعتقدون أنه فن
لي أن أغادر. لقد كنت أفكر بأن أذهب إلى منزلي في مينهوليس ليرة. لوما
ببيل برلسمه. لقد بدا كل شيء محلول، إذا كنت تستطيع أن تقول هكذا. لو لم
يكن جو في كرسى ذي عجلات لكل بيل سيقفز من القرح. ولكن الآن، على
الأقل وافق على الزواج.

أحسنى كخلاصا بنس الشراب، وتصل جو بحين عندما عاد إلى غرفته.
لقد كان يشعر بأنه مستنزف القوى تماماً. لقد كان مرعاً مما سيقوله بيل،
ولكن سارت الأمور على ما يرام بشكل مذهل. وإذا سمعت جين بأنها انفجرت
بالدموع من العرح. فقد كانت مباركة ولقدما للزفاف تسلاوي العالم بالنسبة لهما.
لم تكن لتريد أن تتزوج ما لم يوافق، وهذا كان موقف جو أيضاً.

وما هي إلا خمس دقائق على مغادرة جو إلى غرفة حتى التفتت جين ببيل،
وكانت تبكي وتصرخ في نفس الوقت وهي تشكره، ثم أعطت السماعة لسنثيا
التي دخلت على الخط.

"نعم ما فعلت. لقد قلتُ عليك لوهلة، ولكم طعت الصواب". لقد بدت
هائلة ورتدة بشكل لافت للانتباه. لقد نصحت جميعاً في السنة الأخيرة وليس
فقط الأولاد.

"ما الذي يجعله متأكد إلى هذا الحد؟ سأله بيل ولا يزال يبدو القلق

عليه.

لقد عرفت قفو. وانرك أنك خائف قليلاً عليها. ولكن نطمئن قلبك،
لمسيكون جيداً طبعاً مهماً. لقد كان هذا جل ما يطلبه. أما باقي الأشياء
فمروكة للقرار.

"نعم به أن يكون هكذا. وإلا سيكون عليه مولجتي كما حدثنا".

"بني فغورة بك". قالت سنثيا.

"هيك وذلك، فاشطب طريف، ولم يكن في وسعي أن أرفضه".

يسرني ذلك.

وهذا ما قالته إيزابيل أيضاً عندما اتصلت بها لتعرف مجريات الأمور
معه.

"ما كنت لأسلمك لو فك رغبت". قالت له بصوت. لقد كان هذا
الموضوع يقلق بالها طوال الليل، واستيقظت في الساعة الرابعة لكي تتمكن من
الاتصال به. لقد كان الجميع يشجعونها ويؤيدونها، فالتعب لا يمكن أن يبدأ
مقومته. وكان من الواضح والمؤكد أن جو وجين كانا يحبان بعضهما البعض.
وكان بيل يأمل أن تكون الحياة طيبة معهما. على الأقل جو دفع رسوم الحياة.

في ذلك الوقت حل الفريج في باريس، ولم يكن قد طرأ أي تغيير على
حياة إيزابيل في الشهور الأخرين. فهي لم تجلبه غوردون بكتشافها للحقيقة.
لقد كانت تكذب الوقت. ولكن كل شيء تغير بالنسبة لها منذ اكتشفت علاقته
بلويزا. فما عادت تشعر بالذنب بسبب ما كانت تشعر به نحو بيل، وظلّت بعيدة
عن غوردون معظم الوقت. لم تقدم له أي اعتذار، ولم ترحّب شيئاً منه. لقد
هذا مجرد رجل ما عادت تعرفه يظن في نفس العنوان. وكان بيل يخشى أن
يكتشف غوردون أي تغيير عند إيزابيل. ولكن حتى الآن لم يبدُ عليه أنه لاحظ
أي شيء.

كان بيل لا يزال يتصل بها كل يوم، ولكنه كان يعلم أن عليه اتغلب بعض

جهدهم هناك. وكانت مصيبة في إحصائها بأنه يستصعب الانتقال، سفادته
لمركز التأهيل كان كمثل ترك الجنين يرحم أمه.

ولما بالنسبة لجروحها هي قد كانت قد شغيت أذهاله. والاضطرابات
والتمثيل التي قامت بها أظهرت نتائج طبيعية، وما عانت تشعب بالصداع. لقد
تمثلت تماماً للشفاء، ولم يبق أي أثر للحادث ما عدا ندبة رقيقة بلوية على
أزاعها اليسرى حيث أجريت عملية خياطة لشرائطها. فلم يبق هناك أية آثار
من الحادثة إلا العلامة التي نشأت بينهما في المشفى. وكانت لا تزال مشاكلة
إليه، وطالبت أن ياتي لزيارتها عندما يخرج من مركز إعادة التأهيل. ولكن
كلما كانت منه ذلك كان يجب بطريقة مبهمه. لقد كانت تعلم أنه لم يكن
الآن بعد بالمصيبة له ليقوم بمسحلت سفر، ولكنها كانت ترجو أن يقوم
ذلك علناً لم تره خلال سبعة أشهر بدت ذهوية لها. وكانت كذلك بالنسبة
ليل.

لقد كان هذا مصدر عذاب دائم له مع مرور الوقت، وكان يعاني من
تلك منذ زمن ليس بيسير. لقد كان يريد أن يراه، ولكنه لم يكن يجد هذا
ملمساً له. لهذا تفهم وتقبل حقيقة أنه لن يكون بمقدوره أن يمضي من جديد
تفسير كل شيء بالنسبة له. شعر وكأنه يتخذه. ففي نظره، لم يعد يملك ما
بقضه لها ما عدا الدعم المعنوي وبسبب التفاني العاطفة التي كان يمكن أن
يشاركها حتماً بضع مرات في السنة. لم يكن لديه إلا القليل لمسطبه لها، وليس
لديه أي شيء في المستقبل لها طالما أنها متزوجة ولا يمكن أن تصلي بالسلام
هي أو طفلها المريض بسبب غورنوس. ما كان لديه إلا الكلمات لبقتهما لها.
قتله الوحيد الذي لم يكن يريد منها هو الشقة. لما كان ليحتمل ذلك. وكان
يعلم أنه إذا ما اختار أن يتركها، ومن أجلها، فلها يجب أن تظن أنه سليم
معافى. وإلا فلها مستمر أنه بحاجة إليها وفي هذه الحال أن تسمع له
بجهرها. لقد كان يعرف طبعها تلم المعرفة. ولكنه في كل مرة فكر أن
بوجرها، لم ألا يتصل بها، كان يشعر بقلبه يكاد يتصلم. لم يكن يريد أن

القرارات في التريب العاجل. لقد مضى عليه سبعة أشهر في مركز إعادة
التأهيل، ورغم أنه كل لوى وأفضل صحة، إلا أنه لم تطرا عليه أية تغييرات
كبيرة هامة. لقد تكاثل جسده للشفاء، وكان قد خبط أصلاً أن يبقى سنة هناك،
ولكن للمعالجين الفيزيائيين القشيين على العملية به كانوا يقولون له بأنه
سيكون قادراً على مغادرة المشفى قريباً. لقد كان يفكر متردداً بأن يفكر في
أولار. لقد قالوا له لغيراً أنه ما عاد لديهم المزيد ليعملوه من أجله. لقد تحتم
عليه أن يبقى مقبداً إلى كرسي متحرك طيلة حياته. لم تكن هناك إمكانية
لاجترار معجزة، وما من صلية جوارحة كان يمكن أن يقوده. صر عليه لزمناً
أن يتكلم مع العيش على هذا الموق الذي هو عليه والذي سيبقى عليه. قد
كانت هذه الضربة الأقسى التي يمكن أن يتخيلها. أما لسوء ضربة كانت
مصيبة فيما لو ماتت إيزابيل في الحادث عندما اصطدموا بالحافلة. بالنسبة
لـه، عجزه عن المشي كان يحني حتم رؤيتها من جديد. لقد كان يؤثر الموت
على أن يحصلها حيد عجزه. وشعر كأنه ملت عندما أخبروه أنه ليس في
مقدورهم أن يصلوا أي شيء آخر له. لم يكن قد أخبرها بعد أن الأمر قد
قتى، ولكن كان يدرك أنه سيتوجب عليه ذلك في أقرب وقت. ولذلك فإنه لم
يغير رأيه. لقد كان قد أتم من العاطفة معها بدهو في أقرب
فرصة.

كان استغاثه لا يزالون يتصلون به من واشنطن. لقد المرشحين
الذين لمجلس الشيوخ كان يطلب منه أن يتولى حلفاً الانتخابية في هيريس
(بريسو). لقد كان هذا يتوجب إلى الوصول إلى سدة الرئاسة خلال أربع
سنوات، وكان يعرف أن بيل هو الرجل الذي يستطيع أن يصم له ذلك.
وبرغم كل شيء وعده بيل بأنه سيفعل ذلك.

وتحدث عن هذا إلى إيزابيل، وقالت إنها أصبحت تعتقد أنه سيكون مقبداً
لـه أن يعود إلى لجواء العمل. لقد كانت تتركه أنه ولا بد كان يشعر بالإحباط
أحياناً لأنه لم يحقق تماماً في مركز إعادة التأهيل البدني رغم أنهم بذلوا كل

تشعر أنها متروكة مهلة، ولكنه كان في قرارة نفسه يفكر أن هذا أفضل بالنسبة لها على المدى البعيد. لو أمكنه أن يقدم لها مستقلاً ما على شكل الذي يرغب به لكان ينتظروا إلى الأبد. أما الآن وقد أدرك أنه لن يستطيع ذلك وأنه سيبقى معتمدًا على الكرمي المدفون للأبد فقد كان يرتأي أن يتركها وشأنها وذلك من أجلها. وحتى لو كان جر وجين مهنيين كفاية ليعولوا بناء حياة زوجية معاً، وهذا ما كان لا يترقبه فإنه لن يفعل ذلك مع إيزابيل. وشيئاً فشيئاً بدأ هذا الأمر يصبح مبراة مصراعة بين بيل وصديقه كل يوم.

للخمس والعشرون التي منعت بها السماء عليها، إضافة إلى بيل، كانت لن تديني تحسن وضعه الصحي بشكل كبير جداً خلال الشهرين الآخرين. لم تعرف إذا ما كان ذلك بتأثير الطقس، لم لحظه، ولكنه بدأ أقوى وأفضل حالاً مما كان عليه طوال السنة. بل حتى لقد نزل إلى الطابق الأسفل ليتناول طعام الغداء معها في غرفة الطعام عدة مرات. وفي نيسان (أبريل) أخذته إلى بوا دي بولون⁽¹⁾ لأول مرة منذ سنوات. وتوقفاً لتناول التعلبات في جاردن دي كلفيمتسيون، وكانت في غاية الابتهاج عندما اتصلت ببيل وأخبرته بذلك. فلم تكن قد فعلت مثل هذا منذ كان تيدي صغيراً. وشكرت الله على فضله في حرارتها عندما بلغ الخامسة عشرة من عمره في الأول من أيار (مايو).

وتصل بيل بعد ظهر اليوم التالي. وبدأ يضع الأساس لما أصبح نفسه بأن عليه القيام به. فليخبرها بأول لكوبة. لقد فكر بها كثيراً. ورغم صعوبة ذلك إلا أنه كان يعرف أنه يفعل ذلك من أجلها. لقد كان يحبها لدرجة أنه كان مستعداً ليعضحي بحياته من أجلها. لقد غدا تيدي في حال أفضل، وغوردون تركها بمسلمات لمدة أشهر. فقد كان قلماً يتولد في المنزل، وشعر بيل أنه لن تمنح له فرصة أفضل من الآن للقيام بما كان يعتقد أن عليه القيام به. ويقلب منسحق لتصل بها ليحصل لها أخباراً طيبة، وحاول أن يجعل نفسه يبدو مطمئناً.

(1) بوا دي بولون: (Bois de Boulogne) منطقة مثقلة للترفيه في ضواحي باريس.

لقد كانت تصرفه حق المعرفة، فكان يخشى أن تترك أن ما يقوله لها ليس حقيقة. ولكن صدقته وباعجوبة عندما أخبرها أنه مشى على قدميه ذلك اليوم، وأنه استكمل قدرة دماغه على السيطرة على ساقه. بنت متدهلة مما تسمع، وللمصير بالدموع من الفرح لأجله، وهذا ما جعله يشعر بالأسى أكثر. ولكنه كان مصمماً على متابعة الخطوة التي بدأها. لقد كان يعتقد أن عليه أن يدفعها تمضي في سبيلها، كرمي لها، وأن يدفعها بأنه كل معالي. فلديها تيدي لتعني به، ولا يحوزها عيب بيل أيضاً لتصله. لم يكن يشعر أن لديه ما يقدمه لها مهما كانت نسيجة علاقتها مع غوردون. لم يكن يريد أن يزيد من سوءها وقتلها. لقد كان يأمل أن يحطم حياتها ويحولها إلى حاضنة أو مربية لطفل له يوماً ما. خلافاً لجر وجين، كل لبيل معرفة أكبر بألمور الحياة. ما كان ليتقبل أن تشفق عليه، أو أن تتفقد، أو تعني به. وبما أنه كان عاجزاً عن السير، فإنه كان يأمل أن يبقى في حياة إيزابيل. وما كان قد أخبرها به لقوة، في أنه سار ذلك اليوم، إلا الخطوة الأولى نحو إطلاقه لحالها. ففي نظره، كل هذا هو ما تبقى له ليعطيه. لقد كان ذلك بمثابة إطلاق الحرية لتصور جعل.

تحسناً معاً وفقاً لطولاً، وسألته عن شعوره عندما خطا أول خطواته، وهل كان خائفاً أم مبروراً. لقد كان قد درس خطته بإحكام. وبمراً بعد يوم صار يعرف قصته. لقد شعر بالألم والإرهاق لاتصاله بها، إذ كان يكره أن يكتب عليها. شعر أنه ليس لديه خيار، ولكن هذا الحد كل قصالاتهما الهلثية، لأنه كسل يكتب عليها. لقد كانت حبيبة رائعة رفيقة وواقعة به، وكان يحبها للغاية، حتى أنه ما كان يطيق أن يبيت في حديقها على وضعه الحالي. لقد كان يرى أنه الآن نصف إنسان، أو أقل، وليس عنده بعد ما يقدمه لأي امرأة. حتى ولو كانت لجراء من جسمه تقوم بوظيفتها. لأن ولكن كانت هناك أيضاً أعضاء منبهة مصطلة، وسوف لن تصل أبداً. في نظره، إن التفكيدات التي أصابها له للمعالجون الفزيولوجيون قد حطمت طلياً آماله في الحياة والعلاقة التي كان

هل سأخمن ما حدث وحدي أم لك تريد أن تخبرني؟

إنه سيرجيو. لقد اتصل... إن الحظ العاثر يرافنا مؤخراً. لقد كان يعمل في ميلان، وكل يغيب كثيراً. أجاتنا موعد الزفاف منذ عدة أشهر لأنه اعتقد أنه في حجلة إلى مزيد من الوقت... تباطأ، يا بيل، لقد كنا نتواعد لمدة ست سنوات... ولكننا لم نخطب إلا بعد الحادث. اعتقد أنه قام بهذه الخطوة لأنه شعر بالذنب إذ إنني مخطبة عندما كنت أصل لسابيه. في ذلك اليوم، كان يطلب مني أن أعود إلى الوراء أكثر وأكثر، وبعدما مخطبت على درجات السلم... والآن أخبرني أنه لا يستطيع الاستمرار في هذه العلاقة معي، لأنها صعبة جداً عليه، إذ إنني في حجلة إلى عناية شديدة. ويقول إنه يحتاج إلى امرأة في حياته تكون مستقلة أكثر. إنه بسبب هذا، قلت ذلك وصريت جواسيس كرمسيها المدولسب، وشرعت بالقاء من جنيد، في حين وضع بيل لراعته حول كتابها. إن قدرتها على التفتت غير الواضح نصبت كثيراً في الأشهر التسعة الأخيرة، خلافاً لبقلي أحوالها التي لم تنصن أبداً. لقد كان هذا ما يقشاه بيل بخصوص جو وجين، وهذا هو السبب الذي لأجله أراد إطلاق حال إيرابل الآن قبل أن يأتي وقت تكرهه فيه بسبب عجزه.

الربما أفرغه هذا الوضع، قال بيل بخلابة. كان سيرجيو المصورين الثبيل للنهص في هذا المجال، وكان في التسعة... من العصر. وكان بإمكانه أيضاً أن يحصل على أية عارضة أو فتاة موديل يريد حتى من لا تكون في كرمسي مدولب. لقد كان جميلاً ولكنه لم يكن بحاجة لهاين. ولكن، كما قال بيل لها، إذا كان هذا الأمر فوق طاقته لمن الأفضل أن يصنعها بذلك الآن. "هل تعلمين يا هيلينا؟ إذا كان لا يستطيع الالتزام معك فإن ما فعله هو الصواب. فقلت لا تريدني أن يهجر بعد أن تكونا قد تزوجتما. من الأفضل لك الآن أن تعرفي إذا كان هو الشخص المناسب لك أم لا." لقد كان هذا رأيي أيضاً بخصوص إيرابل، فرغم أنه كان يعرف أنها لن تتخلي عنه أبداً، إلا أنه فكر أنها يجب أن تفعل ذلك. وإياك كنت لا تقبل أبداً في

تقوم بذلك، فهو سوفل ذلك ومن أجلها هي. لقد استسلم للوبة الرئيس قتي لتنته في الأسابيع الماضية وأنتع نفسه أنه كان على صواب. وما فعل سيرجيو الآن إزاء هيلينا لك أنه صحت كل ما كان يفكر به، فلذلك "الأسحاء" ليس لهم أن يفرسلوا مع من هم أقل شأناً. "ستقيني يا هيلينا، يوماً ما سوف نترين لأن هذا حدث." قال لها، وبدأت هي بالقاء على نصر أند. لم تكن لتفقه الموضوع على هذا النحو. فقد كانت تحبه وتظن أنه هو أيضاً كل يحبها. لقد كانت قد جهزت شتان زفافها، وانتارت ممتهد الحلات، والمصور الفوتوغرافي، والفرقة الموسيقي، ولكن الزواج كان أكبر من ذلك بكثير، خاصة في ظروفهم هذه.

كما سيرجيو لي يكون هذا قد حدث؟ لم تكن تتحد أن كلام بيل مغلوفاً.

ذلك لأن لا تريد أن تكوني عبداً عليه. لهذا سيرجيو فقط.

لأنا كنت عبداً، قلت وهي تبدو سائلة. أنا لست مختلفة عما كنت عليه قبل الحادث. فإذا لا زلت نفس الشخص. كان جو وجين ليستسنان ما كانت تقول. أنا بيل فلا. لقد كانت لديه وجهة النظر المعاكسة.

ليس أحد منا هو ذاته. لا يمكننا أن نكون هكذا. إن لدينا عجزاً ومحدودية. فاشة أشياء أن نستطيع القيام بها ثانية. قال بيل في هدوء وهو يفكر بإيرابل.

تم! ماذا قرأت؟ التزلج على الثلج؟ التزلج؟ من يهتم؟ وتخطت من جديد.

من الواضح أنه هو يهتم. هذا رأيي. على الأقل كان صادقاً مطه، وهذا يعجبني في هذا الشاب.

لما أنا لست محبة به. فهو حشاة. فإذا لم أخطئ إليه حتى يخطئ علي.

لا. كل ما هنالك هو أن حطك سيء. كانا كذلك، ولهذا نحن هنا.

هل تريد القول أن ما من أحد سبحانه لأننا على هذا الحال؟ إنك مضطرب، على ما اعتقد، ومن القويض أن تقول ذلك. ومنا عن جو وجين؟ فطر إليهما. إنك أكثر ضجماً ورشداً ويهني أن تكوني أكثر نكاهاً منهما. كنت في الثامنة والعشرين من عمرك، وكانت ترغب أن يكون لها حياة وروح ولولاد. لا زال اعتقد أنهما يرتكبان خطأ، ويوماً ما سوف ينفقان شئيه. وربما ستمثل حين ما فطه سورجور لثوره. ومنا سيكون عليه الأمر عندئذ؟ في ذلك الوقت سيكون قد صبر لديهما ولدان، وسوف يتزوّج حياة الجميع.

«هكذا ما تعتقد؟ أنه ما من أحد سيهي إلى جانبنا أو يرغب فيها؟ هذا هو ما كنت تعرف ذلك. أو على الأقل أمل لك تعرف ذلك. في لنا الحق في أن نعطى ونتمتع بكل الأشياء التي يملكها الآخرون».

«ربما لا. قال لها وقد بدا متجهماً. أو لنقل على الأقل، لاني لا اعتقد ذلك. لا يعني أن أتحدث عن نفسي فقط. ولكن لا اعتقد أن لي الحق في أن ألبس الآخرين بهذه» قال ذلك وقد أشار بيده إلى الكرسي ذي العجلات. كانوا هذا من الإقصاف في شيء. لقد كان كلامها يدرك أنه إنما يتحدث من إيزابيل، ويبدو هيلينا أكثر استياءً.

«هل تحدثت إلى الطبيب النفسي هذا يا بيل مؤخراً؟ سألته وقد أصابها فجأة قلق عليه أكثر من القلق على نفسها. «اعتقد أنك في حاجة إلى ذلك، لأنني أظن أن مولدك هذا بهضم ومفتت. وفي رأيي أن سورجور نذل حقير، وربما تكون على حق في أنه كان من الأفضل لي أنه تركني الآن بدلاً من أن يهجرني فيما بعد، ولكن لا اعتقد أن لهذا علاقة بهذه» وأشارت بيدها إلى كرسيه المدولب بنفس الطريقة كما فعل. «اعتقد أن هذا يتعلق بهي لي أو لا، وبنوع الزوجة التي يظن أنني سأكونها. ربما يعتد لي أنت صالحة كفاية له».

«هذا رأيي». قال بيل بركة، ونظرت إليه هيلينا بغضب.

«لا. ليس الأمر كذلك يا بيل. إنك مشوش. أنت تعتقد أننا فقنا حقاً بأن نحب! لأننا انتهينا إلى كرسي مدولب. لا اعتقد ذلك. وسوف أن أفكر هكذا أبداً.

هناك أليس كثيرون خارج هذا المكان لا يشكل أي فرق بالنسبة لهم أبداً فيما إذا كنا ستمطيع الوجوه على أقدامنا لم نأنا مقدورين. أنا أيضاً لا أحب أن أكون هكذا. فلما أحب أن أركض مستندة إلى سائلي وأن أتمتع بالأجنحة ذات الكعب العالي، ولكني لمست كذالك. لماذا إذاً هل تريد أن تقول لي بذلك لا يمكن أن نحب امرأة في كرسي مدولب؟ هل أنت محدود التفكير إلى هذا الحد؟ لا اعتقد أنك كذلك. ونظرت إليه نظرة ثابتة حادة.

زيملا لا. قال بمرور غة متفادياً موابها، ولكن كان يدرك، رغم نصه، أن ثمة بعض الحقيقة والصواب في ما كانت تقوله. فلو كانت إيزابيل انتهت إلى كرسي مدولب، لأحبها بنفس المقدار بل ربما أكثر. ولكن لم تكن هذه هي الحالة. وما أود قوله هو أن بعض الناس ليست تعرضهم كثيرة ليطغوا ذلك. وحتى لو كانوا كذلك، فليكن أن تعني التفكير وتملكي نفسك إذا ما كنت تريد أن تعطى ذلك بهم. هل تريد حقاً تعرضهم لذلك، وهل تصيبيهم بما يكفي لتهجيرهم؟ لقد كان يتحدث عن نصه، ويبدو هيلينا مشوشة محزنة.

«سأفعل لا يلقون بنا جميعاً على جبل جلدي بعد في مكان ما؟ فهذا قد يصل المشكلة. عندئذ لن تشكل مشكلة لأحد، وسوف لن يضطروا لأن يكونوا بشرأ مهينين، أو لن تكون لديهم أية مشاعر عاطفية نحوها، أو حتى لأن يكونوا راشدين ناصحين. هل تعلم؟ إنني متعبة جداً حين وجو على الضلوف التي يقومان بها. إنهما يؤلمان ببعضهما البعض، وهما على صواب، كل منهما يحب الآخر، وهذا يجعلهم جديرين بكل شيء. وما حلا ذلك، ووجود الكرسي المدولب، أو المعاكيز، أو العذلهما لا يهم البتة. على الأقل لا يعني أن هذا أبداً. فلا يعني حتى لو كان الشخص الذي أتزوجه أسماً وأكماً وأعمى، طالما أنه شخص جيد طيب، ولأننا نحب بعضنا البعض، وأنه إنسان جدير بالاحترام، فهذا يكفي. لهذا الكرسي المدولب لا تعني لي شيئاً البتة حتى وإن كان هناك شخص آخر مكاني فيها».

«حسناً. إذا تزوجيني» قال بيل مازحاً، وأسست رأسها إلى الخلف في

كرسيها وهي قدام وسط الدروع.

"أنت مزعج للغاية" ضحكك وهي تقول له ذلك. "ولربك ياوصة. ولا أظن أعتقد أن عليك أن تتحدث إلى الطبيب النفسي قبل أن تغادر هذا المكان، وإلا فليكن مسترئيبك بعض الممارسات". لقد كنت إحدى مريضات ايندا هاركرت أيضاً، وقد أحرزت نجاحاً كبيراً معها، لأنها كانت تريد ذلك. "مثل ماذا؟" بدا يتفقد موقفاً دفاعياً، فقد كان يحبها، فقد كانت فتاة مثالية، وكأنا قد أصبحت صديقين حميمين.

كأن تتخلي عن الناس الذين يحبونك لأنك تشعر أنك عبء عليهم. لماذا لا نتركهم يقررون ذلك بأنفسهم بدلاً من أن نقرر أنت بنفسك عنهم؟ ليس لك الحق أبداً في أن تتدخل في تفكيرهم أو تتخذ القرارات عنهم". ربما أنا أعرف أكثر منهم. إذا كنت تحين شخصاً فليكن نوعين من تصيه حتى من نفسه".

"لا يمكنك أن تحمي الناس" قالت هيلينا بوضوح. لقد بذلت جهداً كبيراً كي تشفى وواجهت أموراً كثيرة، حتى أكثر من بيل. لقد أمضى كل وقته يرفع الأثقال، وتعمدسى الاحتكاك مع الطبيب النفسي في نهاية المطاف. وكنت هيلينا نعرف ذلك. واستأنفت تقول. "لنفس الحق في أن يتخذوا قراراتهم بأنفسهم. لا يمكنك أن تحرمهم هذا الحق، كما ولا يمكنكهم هم أيضاً ذلك. إنها مسألة احترام".

ربما تكونين محقة. قال بيل وهو غارق في تفكير حزين. ليست لدي الأجرأة. لدي فقط الأسطة. أنا أكبر منك سناً بكثير. ربما كنت أكثر شجاعة لو كنت لسي مثل منك، ربما تكونين على صواب. وربما يكون سيرجيو تالها. ولكن إذا كان كذلك، فإن الأفضل لك أن تكوني بيلوه، ومن الأفضل لك أن تحمي ذلك الآن".

"لأوقفك الرأي من هذه الناحية". قالت له بحزن ولكن الأمر مؤلم بماي حل من الأحوال".

تمام. إنه كذلك. ولكن العواء مؤلمة أيضاً. فتاة لمور كثيرة تحدث تبسع الإنسان كبار الجحيم. بعض الناس يخافونك. لمن الحسن أن تتغلبسي منهم في أسرع وقت ممكن". قال لها ذلك، وأولمات هي برأسها موافقة. لقد كان يفكر بمخفها، ولم يكن لهذا علاقة بكرميه.

"أعتقد أن سيرجيو هو نموذج عن هؤلاء". قالت له متألمة متفكرة.

ربما تحصلين في المرة القادمة على خاتم أسفر حجماً، وشاب أكبر حجماً. ولومأت برأسها، وربما يتحاشان مع بعض لفترة، ثم صالت إلى طرفها بعد أن تكسرت بسيل ثانية بأنها ترى أن يحاول رؤية الطبيب النفسي قبل رحيله. وعندما اتصلت به لإزليل فيما بعد تلك القليلة بدا مضطرباً. لبعض الأشياء التي كانت قد قالت له هيلينا أربكته من جديد. لقد كانت نظرتها إلى محوويتهم وعجزهم تثير الإعجاب إذ كانت ترى أن هذه العواطف لا تشكل حاجزاً بينهم وبين الناس الذين يحبونهم، وكان يتساءل إذا ما كانت مصيبة في رأيها، ولكن ليس تماماً. لقد كانت امرأة غنية، وإذا كان من رجل يريد أن يهتم بها هذا أمر. ولما هو فكان رجلاً، وبالتالي فهذا أمر آخر، إذ كان يشعر أن عليه أن يكون أكثر قدرة على العطاء من ذلك.

تبدو متعباً. قالت ليرابيل وقد شعرت سريعاً أنه يشعر بالإحباط والانهيار. "هل سرت كثيراً اليوم حتى أجهت نفسك؟" لقد صنتقة تماماً، بخصوص ما قلته لها عن تسكته من المشي من جديد. وإذا أصغى إليها لطر إلى كرسيه المدوب وهو يشعر بالندب. لقد كانت هذه الكذبة هي ما جعل رؤيته لها أمراً مستحيلًا. لكنه بذلك قد وضع لنفسه السهم في الطعام، وما حد يستطيع الاقتراب منه. ولكن كان هذا عزمه وعلمته. وما كانت لديه أية بآل يستراجع هذا الآن رغم ما قالته هيلينا. لقد تجاوز الحد الذي يستطيع معه التراجع، وكان لا يزال مقتنعاً أن هجره لها هو الحل الصحيح الذي عليه التوهم به. ولكن السؤال الوحيد الباقي في ذهنه هو متى يكون ذلك.

تمام على ما أعتقد. لدي لمور كثيرة أصلاًها قبل رحيلي". قال ذلك

تقد أنجروا عملاً عظيماً. قالت إيزابيل وقد بدت تكثر لطفاً ورقة ورقة من قبل ومجرد سماعه لها كان يمزق غواده، رغم أنه ضلّها، إلا أنه كان يسرود أن يجعلها حرة من أي عبء كان يشير ويكث تكديده أنه سيحرر حبيبها، وكان يعرف أن هولنا كانت لتقول له أن لإيزابيل الحق في أن تتخذ قراراتها الخاصة بنفسها، وأنه كان يحرصها من ذلك الحق. ولكنه كان مقتنعاً بأنه يعرف الفضل، وأن إيزابيل كانت في غاية اللطف والرفقة حتى إنها لا يمكن أن تنطلي عنه. ولكن وعلى مدى أيام عديدة، شعرت بشيء غريب في صوته، ولم تستطع أن تعرف ما هو. لقد بدا مختلفاً وبعداً وتعباً، لقد كانت تضمن أنه متوفر الأعصاب بسبب مخاوفه لبيئة مركز التأهيل التي كانت تطويه بإسماً بالعالمية، وإسبته بحياة جديدة. أما الآن وقد صار قادراً على أن يمشي من جديد، وعلى حد علمها، فلي الأمور تصبح أكثر سهولة بالنسبة له، ولذلك فقد كانت تشعر بالارتياح شديد.

كيف سير الأمور التحضير للزفاف؟ سألته بعد بضع دقائق، وهي تروجو أن تصرف انتباهه عما كان يزججه ويقتفه.

سألتها بشدة العماسة. وأما أنا فأحاول أن أبقى بعيداً عن هذه الأمور. كل ما ينبغي علي أن أفعله هو أن أفيق الفوتير. وهذا هو الجانب الجيد من العملية. أما الجانب الصعب فكان ما يحيط بالفوتير به تجاهه. ولكنها كانت تعرف بذلك بعد. كيف هو تيدي؟ سألتها لغير موضوع بمرحة، وقد لاحظت أنه يفعل ذلك كثيراً هذه الأيام، فينقل من موضوع إلى موضوع. لقد بدت تشعر فجأة بالارتياح للدخول إلى صق الموضوع فحيرها. لقد بدا على غير طبيعته، وعلى غير عافته في الأحاديث التي كنا يتشارك فيها حرفي خمس سنوات. لقد كانت تعرفه أكثر مما كان يظن، بل الفضل بما كان يتوقع منها.

إنه على خير ما يرام، قالت إيزابيل، وهذا ما شجعه على المنسني قماً

في شايته. فما كل ليتمكن أن يضع حداً لعلاقته معها لو كان تيدي في حالة سيئة. لقد كانت بذلك وكثيراً ترسم قهراً ما يتصوره بيل أنه كان محقاً في رأيها. ثم يكن أبدأ في حال جيدة كهذه.

تصفاً. ثم أخبرها بأنه كان دائماً إلى واشنطن كي يبحث نفسه عن شقة في الأسبوع المقبل. وهذا ما جعلها تسأله عن إمكانية مجيئه إلى باريس من جديد.

لربما يمكنك أن تجيئه إلى هنا بعد الزفاف، إذا لم تكن متعباً جداً. بضعة أيام ستكون كافية قبل أن تشرع في العمل. لقد كانت تود أن تطلب منه التخليص، ولكنها كانت تخشى ألا يتوفر لديه الوقت ليقوم بذلك. لقد كانت تملك كل ما مدى ترحم الأمور المعلقة عليه وتلك التي سيقيم بها الآن.

سألتها إمكانية ذلك، فقد أبدأ الصلة الانتفاوية ذلك الأسبوع. لقد كانت هذا كتراب أخرى. فما كان سيداً العلة قبل نهاية شهر حزيران (يونيو)، وأن يجيئ له الوقت ليزيد إلى هناك، ولكنه ما كان يستطيع المشي وما كان يستطيع أن يغيرها عن ذلك. لقد جعل الأمر مستحيلاً عليه ليزورها. سوف تفكر في الموضوع. كان هذا كل ما قاله، وعندما أنهاى المكالمة ووضعها السماعة، كانت تشعر بالقلق. لقد كان لديها إحساس واضح أنه كان يتحفظها، ولم تكن لمداد. لقد بدأ ذلك فجأة بين ليلة وضحاها، ما كانت تجهله هو أن القوموس الذي صار يلقه كل قد بدأ في اليوم الذي أكد له المعلقون القويون أنه لن يسير من جديد أبداً. كانت تلك نقطة التحول له. لقد كن قد عاهد نفسه أنه عندما يحدث هذا فإنه سيتوقف عن الاتصال بها وسيتمتع عن رؤيتها. ولكنه لم بعد يستطيع أن يحمل نفسه على عدم الاتصال بها. ومن جانبها، كانت تخشى أن تكون قد قالت شيئاً ما أزعجها، ولكنه لم يبد غاضباً منها، بل مجرد بعيد عنها. كان قد مضى عليها تسعة أشهر لم نره فيها، وما كانت لديها أي فكرة متى يمكنه أن يأتي على باريس لزيارتها. وما كان بإمكانها أبداً بأي شكل من الأشكال أن تذهب إلى واشنطن أو نيويورك لزيارته.

فما كان بإمكانها أن تتركه تبدي كل ذلك الوقت لو تخطط إلى ذلك الحد.

في الوقت الذي حل فيه موعد الزفاف، كانت إيزابيل في حالة من الذعر. فقد نسي أن يتصل بها عدة مرّات، وعندما سألته عن سبب ذلك قال إنه كان مشغولاً جداً. لقد وجد شقة في واشنطن، والتقى بالسياتور الشاب بشأن حملته الانتخابية، لقد بدا في غاية الإثارة عندما تحدث عن ذلك، ولم يتصل بها بها إطلاقاً خلال اليومين اللذين أعقبها الزفاف. ولصعب غريزي غريب لم تجزو على الاتصال به. لقد شقّ فجأةً جذراً لتفصله عنها.

لقد كان الزفاف جميلاً، وحقق الجميع عندما تبادل جو وجين القسم. لقد كان مشهد جو في كرسية المتولاب، وجين تقف بجانبه ممسكة بيده مژّراً جداً. وكان بيل أكثر واحد هدف لهما وهو يجلس في كرسية ذي الصعالي إلى جانب سثيا على طرف المقعد الأول.

"هل أتت على ما يرام؟" سألته في حفل استقبال للعروسين. لقد كان يجلس إلى جوارها، ووجنته ملأاً على غير العادة. "نكّ تبتو مجهناً".

"كل ما هنالك لي ففكر بالعمل. صوف أأغار مركز إعادة التأهيل وأذهب إلى واشنطن خلال أيام. أنت تعرفين لحوالي". لقد بدا في حالة صحية جيدة من الناحية الجسدية، ولكنها شرت أن هناك ما يزعجه.

"تبدو مستاءة". وفترضت في البداية أنه كان يشعر هكذا إذ يشاهد ابنته الحبيبة تخرج.

جاءت أوليفيا وجالست إلى جانبه بعض الوقت، وعندما كان من المفترض بيجن أن ترقص معه، وأصت مع جدها بدلاً عنه بينما راح هو وجو يتفرجان ويبتسمان لها. لم يبد الأمر مرحباً بالنسبة لجو، ولكنه كان مرحباً جداً لبيل. لقد كان زفافاً جميلاً، وحظاً رائعاً، وأصمى الجميع وقتاً ممتعاً. وإذا ذهب بالمسيرة عاداً إلى مركز إعادة التأهيل تلك الليلة، كانت إيزابيل هي كل ما كان يفكر به.

بقي في هرقته ولم يذهب إلى المعالج الفيزيائي طواف يومين، وبعد ذلك

استجمع شجاعته لكي يجري الاتصال الهاتفي. كانت آنذاك قلقة عليه، وكان قد انتزع عن الفرد على اتصالاتها. لقد رن جرس الهاتف عدة مرات خلال اليومين الماضيين. وكان يحرف أنها إيزابيل. وتكفي بأن يستقي في سريره ويفكر فيها ويمشي لو كان ميتاً.

"لن كنت؟" سألته عندما اتصل بها أخيراً وصوتها بدل على مدى خوفها عليه. لقد ظننت أنه ذهب مع العروسين إلى شهر العسل. قالت له مازحة. ولكنه استطاع أن يصرى القلق بداً في صوتها وتكلم وتوسل بأنه يكره نفسه بسبب ما سببه لها. وعرف أن القلق الذي كانت قد شعرت به لا يضاهي الألم الذي كان سببه لها. بعد خمس سنوات من الأحاديث المشتركة بينهما، كان لا يتصور ألا يعود لإيزابيل وجود هي حياته. ولكنه كان وفقاً الآن بأن هذا هو الهدية الأخيرة التي يدين لها بها. كعب كل الزفاف؟ سألته ببراعة، فتحدث.

"لقد كان جميلاً. لقد هدف للجميع لي مراسيم الزفاف، وبعد ذلك أمضوا وقتاً ممتعاً".

"أخبرني عن ذلك". كان تبدي لا يزال نائمًا، فقد كان ينام حتى وقت متأخر تلك الأيام، وكان لديها إذاً متسع من الوقت.

فحكي لها عن الزفاف، ثم التقط قلمه. لقد كان كس يستعد للقفز من مكان عال. "إيزابيل، ثمة شيء ينبغي أن أخبرك به". شعرت بلقبتها بتوهف. لقد ألسنت، وقبل أن ينطق بكلمة أخرى، أن ثمة أمراً جليلاً.

"لماذا أجدني أشر بعدم الارتياح إزاء ما ستقول؟" قالت ذلك وهي تتماكك أصابعها، وتنتظر بآهة كلامه.

"لقد جندت أنا وسثيا ههدنا لبعضنا البعض". ساد صمت مطبق عليها بينما تحاول أن تستغوب ما قاله للقر.

"لماذا تعني بالضبط؟" كانت تحاول أن تكون لطيفة، ولكنها كانت تود لو تصرخ، ولكن كما هي على الدوام، لقد كانت لينة وانتظرت أن يشرح لها ما

لقد جددنا التزامنا بعد الزواج بيننا. كنت هذه نثي لسراً مكتوبة وبخبرها بها. أما الأولى فكنت عندما قال لها بأنه استطاع السير على قدميه من جديد. لقد تغيرت الأمور منذ تولدت مركز إعادة التأهيل. وعرفنا أن هذا امر هام من أجل البقاء. كانت إيدامها قد تزوجت ولما الأخرى هي الثانية والعشرين من عمرها. إلى أي درجة من الأهمية بقضية لامرأتين راضيتين فاضحتين أن يجدوا ولداً بعد عهود الزواج؟ ولكن إيزابيل لم تسأل هذا السؤال الرطبخ، لما كان بهما هو ما فعله وبسمعت عنه الآن.

ومنى قررتما ذلك؟. كانت ترتجف من راسها حتى لسفل قدميها، ولكنها بدت هائلة في الظاهر.

قسي الأسابيع القليلة الماضية. لقد بدا يتحدث وكلمه فارس شهيم وأجبر نفسه على ألا يفكر بما يمكن أن يحدثه كلامه في نفسها.

لقد كنت أفكر أن شمة حطاب ما. وكانت محقة في ذلك. لقد كانت تعرفه حق المعرفة، وهذا ليس بالأمر الغريب بعد علاقة استمرت حوالي خمس سنوات. أنها هو السبب أنك لم ترد التفكير بالمجيء إلى باريس؟ لقد اتضعت الأمور لها الآن. لقد كنت تعرف أن شمة ما يظنه، ولم تكن تعرف ما هو. وملاً يعني هذا بالنسبة لنا؟.

لا اعتد أنه ينبغي عليها أن تتحدث معاً بعد الآن. لقد كنت كلمته نفسي من الصلحة التي تلقينا من الباص. لقد عجزت لدقيقة عن الكلام، وراحت تفكر بما كان يقول وأوشكت على الإهواء. لم تستطع أن تتفكر، وشعرت أن قلبها يتقبض بشدة. لقد بدا الأمر وكأنه لسفط عليها كرة دم المبالى، وكانت مشمة جداً لدرجة تمنع عن الرد. ولكنها كانت تعلم أنه يجب عليها أن تقول شيئاً. لم تكن لتتوقع ذلك. ولكن بالتأكيد كان بإمكانها أن تلموه. فهي راضيت أن تهجو هورودون كسر مي نثدي. لقد كان لديها القليل لتقدمه ليزيل، ما عدا قصة لثيها القليلة. فبدأ محفلاً لها الآن أن يجد وسيلتها تمهد لها نحو بعضهما بعضاً رغم

أن هذا سبب لها الألم. لقد رأيت أنه له هذا الحق، وكنت هي تحبه لدرجة أنها تريد له أفضل ما يمكن.

لا أفري ما أقول. أنا سعيدة من أجلك يا بيل. لقد استعادت ليس فقط سابقه بل روحه أيضاً، وكنت تتمنى له كل الخير. لقد أمكنه أن يسمعها يتكلم وكان يود أن يموت. ولكنه كان يعلم أن هذا هو الصواب بالنسبة لها سواء عرفت ذلك أم لا. حبه لها وحده هو الذي دفعه لتقديم بهذا الأمر المريع. لقد كل يدرك أن ما قاله لها كان كميلاً بتحميل قلبه هو نفسه. لقد كانت هذه أقصى تضحية يمكن أن يقدمها كل منهما لأخر.

لربك أن تهتم بنفسك. لا تدعي هورودون ينال منك. حافظني على خيرتك، وإذا حاول أن يصيبك، استخذيها ضده. وسوف أن يرعوك بعد ذلك. وطالما أن روح لويلا على قيد الحياة فهو سيبقى رغباً في الإنهاء عليك روجة له. لقد فكر كثيراً بهذا الموضوع، وكان هذا هو الأمر الوحيد الذي كان يثير قلقه الآن. ثم يكن يريد هورودون أن يضيها، وسوف أن يعرف بعد الآن عن ذلك. وسوف أن يستطلع أن يصيها منه بأي شكل من الأشكال، ما عدا بواسطة حبه الذي بدأ خبيلاً جداً الآن.

لله لطف منك أن تهتم بذلك. قالت له وقد بدت مصدومة ومشوشة. كنت أفهم... كنت لم تقل لي أن الأمور كانت تتحسن بينك وبين سنفيا. كيف حدث هذا؟ ومنى؟.

لا أفري. ربما علمنا قرر الأولاد أن يتزوجوا، فقد فكرنا أننا في حاجة لأن نصنع طوكاتا. في الواقع كل طلاكهما قد تم في آذار (مارس) أي بعد أن أخبرهما حين وجو بأنهما يعترضان الزواج. لقد ظهرت سنفلها الآن جديداً في علاقتها مع الرجل الذي تخرج معه منذ تسعة أشهر، وكان بيل سعيداً لأجلها. لربك أن تكون سعيداً يا بيل. قالت له بسلمة خلق. ومهما كان هذا يصيبك، ومهما كل يستحق فيني أردت القول أنني أحبك من كل أعصاب قلبي. أعلم ذلك. قال لها ذلك والدموع تتفرق من عينيه، ولكنه لم يشعرها

من صوته أنه كان يبكي. إن حريتها تعتمد الآن على درجة إتيانها لها، وقد كان عاجزاً على أن يفعل ذلك بالطريقة المناسبة. "ولأننا أيضاً أحبكم يا إيزابيل". وكان يود لو يقول لها بأنه سيحبها دائماً، ولكنه لم يستطع ذلك. "انتهى نصفك، إذا أحببت إلى شيء فتصلي بي. فساكنين دائماً إلى جانبك".

"لا أعتقد أن سنلتقي مستقبلاً بذلك".

"إن ثلاثين سنة زمن طويل. ومن الصعب أن يمتسى الإنسان ذلك". ولكنه لم يمتسى ذلك بالفعل وهجر زوجته، ولغض الأسباب. ولكن إيزابيل هي من كانت تلك قلبه، وكان يعرف أنها ستبقى دائماً حبيبة قلبه. ولكنه هو فقط كان يعرف ذلك.

تمسّخا قلبه كثيراً. فقلت له وبدأت تتشجج بالبراءة. "ولكني أريدك أن تكون سعيداً... كن سعيداً... كن حليماً مع نفسك يا بيل. أنت تستحق الكثير". أما هو فكان يدرك أنه إنما يستحق أن يحرق في نار الجحيم لما كان يفعله بها، ولكنه كان لا يزال مقتنعاً أن هذه الهدية التي كان يمنحها لها كانت أعظم من الأكم الذي شعرت به الآن. سوف تترك ذلك يوماً ما، وهو على ثقة أكيدة من ذلك.

"إلى اللقاء". قال ببساطة، ثم وضع السماعة بلطف، بينما أغلقت إيزابيل السماعة وبدأت تبكي مطولاً من فرط الأكم. لقد بدا وكأنها فقدت إنساناً عزيزاً، وقد كان الأمر هكذا بالفعل.

"ما القبط يا ماما؟" هرع تيدي لدخلاً غرقياً بمهين مذخورين. لقد سمعها من الرعدة، ولم يكن قد رآها في حوتها على هذا الحال أبداً. لقد كان منقطع الأسلاك عندما وصل إلى حيث كانت تجلس بعد أن وضعت سماعة الهاتف.

لم تستطع أن تقول أية كلمة لذهقة، ولكنها أدركت أن عليها أن تتماثل نفسها من أجل أبنها. لقد توفي صديق قديم لي للتو. لم تدر ما تقول غير

ذلك، وبشكل من الأشكال هذا ما حدث. فبيل قد عدا متهماً بالنسبة لها الآن. لقد قضى. وهو قسود بالنسبة لها. ما كانت لتتقبل الحياة من دونه، وما كانت لتستطيع أن تتصور حياتها دون أن تكون بينهما قصصات خفية. لقد كان هذا بمثابة حكم الإعدام على حياة كانت قد عاشتها لبرهة قصيرة فقط. ولما الآن فلم يبقَ لها سوى الحزن. وإذا كان تيدي يرفضها، نهضت وأخذت مصطفاً ثم جاءت تعلقه. "لما بخير. فقط حزينة. سوف أخرج في فزعة قصيرة". وأعطته إلى غرفته، ووضعته في سريره. ثم خرجت من المنزل، وتمتعت لسماعات. وعندما صالت كان وقت الغداء قد حان، وبدأت تسلمة كالأموات، وكالعة لوجه. وحتى ممرضة تيدي خلقت عليها.

"هل أنت على ما يرام يا سيدة فورستر؟" سألتها باحترام. فطوال القسنتين التي عرفتها فيها لم ترها أبداً على هذا الشكل. لومات إيزابيل برأسها بهدوء، وهي تيدي بهتمة كهيبة. وكانت عيناها غائرتين من الحزن والألم.

"لما بخير". قالت بطريقة قلبية. لم يكن لديها أي شيء آخر لتقوله. ولكن بعد ظهور ذلك اليوم، وإذا رلعت تقرأ لأبنها، كل هناك محل من الدموع بههم من حينها ويسيل على وجنتيها، ورئت تيدي على يدها بهدوء، لم يدر ما يقول لها. وعندما ضمتها وقد حان وقت يومه تلك الليلة لتجرت كشج بالبراءة.

"لست يا ماما". قال لها بلطف وهو يعانقها بشدة، ولومات له بالهتمة حزينة.

"ولما أيضاً يا حبيبي".

كل ما كانت تستطيع أن تفكر فيه تلك الليلة كان بيل. لقد كانت منهارة أكثر من أي وقت مضى في حياتها. لقد خربت من الأمل والضحك والحب والراحة، واستعادت لونها تلكلة قاتمة. ما عاد لها من تلجأ إليه الآن، وأدركت أنها لن تمنحها بهذا شخصية ثابتة. وسوف توت سمينة لغوردين، وما عادت لتبالي بالأمم، أو بأي شيء. سوف تعيش لكي تقوم على خدمة تيدي وصوفي، وتتفق ما تبقى لها من العمر.

ولما سلك فقد استلقى في غرفة المظلمة في مركز إعادة التأهيل. ولم يحس به سكتاً منذ أن فصل بها. لم يلم أبداً ذلك الليلة. ضغط استلقى هناك وكان يركس. ولكن كل ذلك هو الصواب الذي عليه أن يسلم. ومعرفته لذلك وفتاعه به كان العزاء الوحيد الذي لديه.

الفصل السادس عشر

بنت الأيام لإيزابيل وكلها لا نهاية لها بعد أن هاجر بيل حبيبها. لم يكن يومها بداية أو نهاية ولم تشر في أي وقت من النهار بالراحة. راحت تحكي بتدري على هونها، ولما الآن فقد بنت هي نفسها مريضة. ما كانت تأكل وما كانت تلم. وكانت قلما تتكلم رغم أنها بذلت جهوداً من أجل تدري. ولكنها كانت تشر وكلها سقطت في هوية سحيقة ليس فيها شمس مشرقة أو ضوء. قد كانت تتوق لسماع صوت بيل، ولكنها لم تعد حتى تدرى أين يكون. عرفت أنه ذهب إلى المستشفى، وكانت تتسائل إذا ما ذهبت سنثياً معه. ولكن أينما كان ما كان يخصها، وعلمت الآن أنه لم يكن أبداً كذلك. لقد كان هبة مؤقتة من حوتها وكانت ممثلة له. ولكن لم تعد له كل مبرحاً جداً حتى صارت تتسائل إذا ما ينبغي حياة. لقد كان قد اتفقا بيل نفساً بكثير من نجاحها من البأس. فالصدمة التي تلقاها هذه المرة كانت لروحها.

وحتى غوردون لاحظ ذلك خلال الوقت القصير الذي كان يمضيه في المنزل. وتتسائل إذا ما كان ما يراه هو توتراً صحي من جراء الحادث، وعندما رأتها صوفي بعد رجوعها من الجامعة معها ما رآته. فقد بنت إيزابيل كما لو كانت تخطو.

لم أنت مريضة ٣ سألها غوردون أخيراً في أحد الأيام وما يتناولان طعام الغطور. لقد كان قد أمضى الليلة في المنزل بالفعل، وكان لا يزال يجهل أن إيزابيل كانت تعرف أنه غالباً ما كان يقضي ليلته خارج المنزل. ولكن إيزابيل فقدت الكثير من وزنها حتى إن إليها صارت منهكة عليها أكثر منها بعد الحادث.

لمست على ما يرلم. فلما أعاني من الشقيقة^(١)، قلت ذلك كي تتلأ لون وجهها الشاحب. لقد كنت تراه أيضاً، ولكن يبدو أنها ما عانت ككل أو قلم.

"لا بد أنه لنكتفينا ناهج عن إسقاطك"، قال وقد بدا مهتماً بشكل غامض. "لربك أن تقتصلي بالطبيب لاستشارته". لقد كانت هذه أول علامة اهتمام ببنيتها منذ أشهر. سوف أكون غالباً الأسبوع المقبل، وأعتقد أن عليك الاستمرار عن حالتك قبل أن أذهب. وتساملت إذا ما كنت مهدهب مع لويرا. كانت قد أتركت أن غوردون، منذ زمن بعيد في الصيف الماضي عندما كانت في المشفى مع بيل، قد أضمن كل الوقت مع لويرا. فضيلها كان خيراً له، وكلفت وثقة من ذلك، وما كان لاستقامته عن العودة لبرائتها علاقة بها أو بيل أو بلسيتته من ذلك، بل كان الدافع لذلك هو انشغاله مع لويرا، وحاجته لإضفاء الوقت معها خلال غياب إيزابيل. ولكنها ما عادت تهتم بذلك. لقد كان ذلك أمراً واقعاً في حياتهما، ومن الواضح أنه كان كذلك حتى مدى سنوات.

"لبي أين تذهب؟" سألته وهي تحاول أن تبدو مهتمة ولكنها لم تكن كذلك في الواقع، بل لم تعد مهتمة بأي شيء على الإطلاق. كل ما كان يهمها هو تئدي الآن، وكانت تشعر بالارتياح لأن صوفي قد جاءت إلى المنزل لتتضمن بضعة أيام هنا.

"سأذهب لرؤية بعض الصلاء في جنوب فرنسا". وكانت هي متأكدة أن هذا العمل "لم يكن إلا لويرا، ولكنها لم تسأل عن ذلك بالطبع". "لربك أن تقتصلي بالطبيب اليوم"، قال لها منكر أنها ما بينا كان يخاف، ولكنها لم تتصل. لقد كانت مصطمة الفؤاد، ولم يكن لذلك أي علاقة بالحادث الذي وقع قبل سنة. لقد مضى عليه سنة كاملة تماماً. لقد كان يصعب عليها أن تصدق أن بيل قد هذا خارج حقيقتها. وفي الأونة الأخيرة وجدت نفسها تتخلى أو أنها ماكت خلال الحادث. لقد كان ذلك أسهل بالنسبة لها مما تتخيله الآن. وتساملت هل سيتوقف

(١) الشقيقة (migraine): ألم يصيب نصف الرأس متكرر دورياً.

هذا الألم الذي تشعر به، ولكنها كانت تشك في ذلك، كان كل يوم يمر أمواً من الذي سبقه. لم يكن لديها ما تتطلع إليه، أو ترغب فيه، أو ترجوه، وما عاد من شسبه كآمن به، أو يطمح بأن الحياة ستكون لطيفة معها. لقد أخذ بيل منها كل أسهل وكل رجاء ولم يبق لها إلا الأفكار والحزن. والأموا من ذلك أنها لم تكن ساسطة عليه. إنها كانت تحبه وطمحت أنها ستحبه إلى الأبد. لقد كانت كمال حيوي لقد رغبته فراح يبحث عن مكان هادئ لموت فيه.

"ما الخطب يا ماما؟" سألتها صوفي بصوت مضطرب عندما التفتا خارج غرفة تئدي بعد ظهر ذلك اليوم.

"لا شيء يا حبيبتي. أنا متعبة فقط". لقد بدت في حالة مزرية، وأمكن التلميح لي بروا ذلك. كانت صوفي وامرأة، مريضة تئدي، تتحدث عن ذلك بعد ظهر ذلك اليوم. قال تئدي إنها صارت تبدو مريضة منذ أن تلتك اتصالاً هاتفياً عرفت من خلاله أن صديقاً لها قد توفي. ولكن الآخرين كانوا يشعرون أن بيل إيزابيل كان يعود إلى سبب أنقص من ذلك، وكانوا خائفين بشكل كبير ليس على صحتها وحسب بل على حياتها.

عندما استلم غوردون عن أمها تلك القليلة، قالت لي الطبيب قال لها بأنها عيسى ما يرلم. ولكنها في الواقع لم تكلف نفسها عناء الاتصال، وكانت تعرف أن غوردون سوف أن يتحقق مما تقول.

لقد خطر في ذهنه أن أمها ما عاتلها شديد القوطة قد سبب لها ذلك، ربما علاقة فضلة هراسية، أو قلب محطم. وهنا قلل ذهنه إلى بيل، ولكنه طرد الفكرة في الحال. لما كانت تتجرو حتى أن تئدي الفكرة، في نظر غوردون، بعد التحذيرات التي أبداها لها. ولكنه لم يكن ليظنهم مدى قوة حبها لبيل أو من تكون هي حقاً.

عند غوردون في اليوم التالي إلى جنوب فرنسا وقد بدا غير مكثوث. كسالي الحنون الذي يتجه إليه هو فندق نو كاب، لقد كان يروي أن يتحجب عن المنزل لثلاثة أسابيع ولم تسأل إيزابيل عن ذلك. لقد كان من المرجح لها ألا

يكون في الممرات. فلا يعود مفروضاً عليها أن تقدم تبريرات له عن المرض الذي أصابها، أو الهيئة التي كانت عليها. لقد كان أسهل لها بكثير أن تكون وحدها.

وإذا عاد بعد ثلاثة أسابيع صبح أرويتها تبدو على حال أسوأ. أما هو فقد بدا في صحة وعافية وقد استمرت بشرته، وبدت هي وكلها تملأ من مرض مميت على وشك أن يقتني على حياتها. لقد بدت هي وتدي مريضين على نفس الدرجة. وبكت صوفي وهي تتحدث إليه عن ذلك. ولكنه قال لي ولديها قد رأت الطبيب قبل عدة أسابيع وقال بأنها على ما يرام. لم يكن يريد أن يعرف أكثر من ذلك لو أن يولجه احتمال أن يكون في الممرات شخص آخر مريض عاجز.

شعر غوردون من جديد في آب (أغسطس) مطلقاً في رحلة عمل طويلة بمضيقها في إيطاليا ولسبانيا. أما صوفي فقد ذهبت إلى بروكلي (1) لبعضة أسابيع كي تزور أسديعها. وكانت إيزابيل راضية لأن تكون وحدها مع ندي. لقد كانت تقرأ له من جديد وتبذل جهودها من أجله لتلا وتُصَلب بالقلق عليها، ولكنها ما كانت تقتصر أن تعود إلى طبيعتها وسجيتها من جديد. لقد كان القلق على مصاعف الحداث أسهل من فقدان بيل. كانت تستيقظ كل صباح وهي تفكر فيه وتتمنى لو أنها كانت ميتة.

وفي فترة غياب غوردون وصوفي أصوب ندي بالقول أنها صليبة مزعجة. وهذه بدت مال حمى رقيقة (2) في أول الأمر، ثم زلت إلى صدره وأصبح يصي مرثمة، وأعطاه الطبيب مصادف حيوية لتلا تسوء حالته. ولكن الحرورة كانت أخذت في الارتفاع، ولم تفلح كل جهود إيزابيل أو الممرضة في خفضها. في اليوم

(1) بروكلي. (Bartholomew) إقليم على شكل شبه جزيرة في شمال غرب فرنسا بين خليج بيسكاي والخليج الإنجليزي.

(2) حمى رقيقة: (head cold) إصابة فيروسية في الأنف والحنجرة والقصبة الهوائية. تظهر أعراضها من خلال سعال، وحُمى، وصداخ، واحتقان في الأنف.

ثلاث صار بالكاد كثراً على التنفس وحتى الطبيب نفسه كل قلّاً بسبب حجم استجابتها للعلاج. وبعد يومين آخرين، أصيب بذات الورنة. لقد كانت حالته تتقل من سيء إلى أسوأ بسرعة. وبعد خمسة أيام من بدء المرض، وضعه الطبيب في المشفى، ومكثت إيزابيل هناك معه. وفكرت أن تتصل بغوردون ولكن بدا لها أن من الخطأ أن ترعجه. فلم يكن يحل من الأحوال مهتماً بمرض ندي وإلامه. فهذه كلها كانت تقع على عاتقها هي.

هل سألت؟ سألتها ندي بعينين متفتحتين كالبلور في المشفى، فهزت رأسها، ووضعت قطع قماش باردة على جبينه ومغمضيه. وكانت الممرضة معتادة لقول الذي تخمه لهن.

بالطبع لا. ولكن عليك أن تتصن الأن. فهذا مرض سخيف بسيط، وكذلك مرضاً حتى الآن. ولكن كانت درجة حرارته قد وصلت إلى 41.8 درجة مئوية تلك الليلة. وتصلت إيزابيل بغوردون في اليوم التالي.

لا تخزي ما هذا. إنه نوع من الفيروس. لكنه مريض جداً. وبدت حتى متعبة أكثر من ذي قبل وفي حال أسوأ.

إنه مريض حقاً. قال غوردون بلطمض. لقد كان في توسكانا (1)، وكل يصعب على إيزابيل أن تتكلم أي نوع من الصل لديه هناك. لقد كانت تلك لحظة يقضيها مع لويلا ولا روي في تلك، ولكن إيزابيل ما عادت تهتم. لا أستطيع أن أفعل شيئاً من هذا.

لقد فكرت أنك ربما تريد أن تعرف. قلت له وهي تتسائل لماذا كلت نفسها عام الاتصال به. لقد كان ذلك منها لبقاً منها أكثر منه طائشة للمساعدة.

تسألني بي إذا سألت حالته أكثر. وماذا سيفعل في تلك الحالة، قالت إيزابيل هي فسورة نفسها. لماذا لو توفي، هل سأصل به عندهذا؟ أم أن هذا

(1) توسكانا (Tuscany): إقليم في شمال إيطاليا، وكان مركزاً حضارياً هاماً خلال عصر النهضة، عاصمة فلورنسا.

مشكل حيناً قليلاً عليه أيضاً؟ ولكنها لم تقل له شيئاً أبداً.

استطرت يومين آخرين، وبعدما اتصلت بصوفي. كان تهدي في ذلك الوقت في حالة ذهيان من الحمى، وكانت إيزابيل تشعر بالخوف الشديد وهي تحاول أن تتحدث إليه. قد كانوا يطوفونه مضادات حيوية ضمن الأوردة، ولكن في غضون ذلك كانت رثاء قد بدأتاً تنصران في طبيقتهما، وأصيب الدكتور بالقلق بخصوص قلبه. وفجأة انتابها الخوف من أن تكون هذه اللحظة التي كانت تحشاها دقماً، وخلافاً لوالدها، فلي صوفي جاءت إلى المنزل في تلك الليلة عادة من بريتي. وجلست المرأتان معه لمساعدته، ولم يمسح جنس لأي منهما، وكلفنا تمسكان يد بعضهما البعض، ونظنا على كلا طرفي السرير بينما عليه للنمل. لقد كان يحكي في نومه أحياناً، ولكن لم يكن لمعلم ما قاله أي معنى.

ولميراً بدأ هادئاً يدم بالسلام في صباح اليوم التالي عندما استيقظ. لقد كان ذلك اليوم حاراً ورطباً، وكان يبدو مرصع الحرفة عند الشمس، لكنه ظل يقول إنه كان يشعر بالبرد. وحل الظلام قبل أن يتحدث إليهما ذلك اليوم. كان الطبيب يتردد إليه، والممرضات تنقسنه، وفي وقت متأخر من تلك الليلة أخبر الطبيب إيزابيل أن الأمور لا تبدو على ما يرام. قد كانت حالته سوء أكثر.

ماذا نقصد؟

إنني قلق على قلبه. فلا يمكنه أن يصمد لمثل هكذا إجهاد. لي القتي مريض جداً. لقد كانت قد أدركت ذلك قنواها، ولكنها أصبحت لأهم لم يستطيعوا أن يخطوا أي شيء له.

ولخوفهم فقد امنوا لسبوعاً آخر على ذلك النحو، وتهدي يتراجع فيما يبدو بين الموت والحياة. وكانت صوفي وإيزابيل في قمة الإزعاج لذلك، فقد بدا في حالة سوية مثله. وهال إيزابيل أن غوردون لم يتصل أبداً ليسأل عن حال سيدي، بعد اتصالها به إلى توسكنا منذ قرابة أسبوعين. وتصورت أنه للترنن لي تهدي قد تمقل للشفاء. ومع بداية الأسبوع الثالث، غلب تهدي عن

الوعسى. لقد انتابته عدة نوبات مرضية، وكانت ذات الرئة هي الأسوأ. وكانت إيزابيل تعجز عن أن تتصور كيف لا يزال يصرخ الموت كل هذا الوقت، وجلست في الأرومة وولعت بكى، ثم عادت لأرومها إلى الغرفة لتجلس إلى جواره. واتصلت بغوردون في تلك الليلة من جديد.

وصدق تشخيصها فقد القترن لعلاً أن الطفل قد صار على ما يرام، وأجل إذ سمعنا خبره إلى أي درجة لا يزال مريضاً.

لا أدري إذا كنت قد ن تعود إلى المنزل.

هل من الضروري ذلك في رأيك؟ لم تعجب الفكرة ولكنه بدا مهتماً. لقد كانت الحالة أسوأ بكثير مما كان يتوقع أن تكون عليه هناك.

الأمر عاكس إليه. إنه مريض جداً. لم يكن قد استعاد وعيه منذ ليلة ما قبل البارحة، وما حد الأطباء على يقين من أنه قد يستعيد أبداً. وقال لها غوردون أن تتصل به في اليوم التالي.

لأزمت إيزابيل وصوفي تهدي طوال الليلة تلك، وفي الساعة الخامسة فجراً فتح عينيه ولتسم لهما. فبكنا كثنائهما من الفرح لأنه استعاد وعيه وركنا في ذلك علامة طيبة. ولكن الممرضة قلت لي حرارته ارتفعت بشكل كبير خلال الليل. وأقربت إلى 42 درجة مئوية. ولكنه كان يتحدث إليهما. وهذه المرة هو رأسه حينما جاء الطبيب. لقد كان قلب الصبي ينهار. لقد كانت إيزابيل تحاف هذه اللحظة طوال حياتها، وها قد جاءت الآن. فبنت إيزابيل محطمة مخوفة الفؤاد، ولكنها كانت تشعر بهنوه في داخلها في انتظار ما تفعله يد القدر لهما.

راح يتحدث إليها بوضوح وقد أمسك يدها. ونظر إلى صوفي بالأسامة ملائكية. وهفت إيزابيل وجنتيه، وشعرت كم كانت سلطنة ورطبة إلى أن اغتسلت بدموعها. ولم تتسلح أن تكف عن البكاء.

تحك با صغيري. لقد كان محباً لها دقماً، وصبوراً وطواً. لقد أمضى

حواله كلها في ألم ولم يتحمر أبداً. ولم يتحمر الآن. لقد أسك يدها بيده وهو بين
الدمع والمستقر. كان يخلع في نصها باعث لا يمكن للتعب عليه جعلها
تتمسك به لتقيه بعيداً عن حافة هاوية الجحيم حيث كانت ترفرف روحه. ما
كانت لتليق فكرة قتله. ولكن لم يكن في يدها حيلة إزاء ما كان يجري له.

وعندئذ نظر إليها وابتم. أما سعيد يا صلياً. قال في هدوء ثم استدار
نحو أخيه وقال لها: "عليك يا صوفي". وهذا أطلق رغبة متعاقبة في الصبر
ولفارق الروح في حين كانتا تسكان بيديه. لقد كان هائلاً ومسلماً لتتق
روحه من الجسد الذي كان يحويه طوال حياته. ولعنته إيزابيل بين ذراعيها
وعنفته وهي تبكي. وراحت صوفي تنظر إليها وهي تشعج بالبكاء، فمقتها
إيزابيل عنده. بدا تبدي جميلاً وهو يرد في سريره، وعانته المراتل وقيلته
لأخر مرة، ثم خرجتا من الغرفة في هدوء. لقد كان يوماً مشمساً حاراً وشعرت
إيزابيل بالضيق عندما وصلت إلى الشارع. ما كانت لتقدر أن تتخيل أنه
تركها. لقد كان ذلك أعجز من أن تتخيله أو تفكر فيه أو تتصله. لقد بدا حواً
جداً. وكلفت تعرف أنها ستتذكر آخر عبارات نطق بها طوال حوالتها. وقفت
في الشارع تشعج في البكاء وقد علفت لبتها صوفي التي تثبتت بها بقوة.

ركبت المراتل ميلوة أجرة ودخبتا إلى المنزل، وفجرت إيزابيل في
البكاء عندما رأت حورته. لقد كان حقاً مثل الأمور الصغيرة في كتاب مفت
إكروبييري، والآن قد مضى إلى علمه الحس، العلم الذي ما كان عليه
بغيره ولكنه كان لها فرحاً كبيراً طوال حياته القصيرة الآن.

أعدت فندقاً شاي لصوفي، ثم اتصلت بغوردون، وقد بدت في هيلة
الهدوء. وانصق لسامحه اللبا. وقال إنه سيكون في المنزل تلك الليلة. لم يبه
ولم يقل لها إنه أسف أو حزين. بلواقع لم يقل شيئاً يستحق الذكر وأطلق
السماحة. وفكرت إيزابيل بالاتصال بيل، ولكنها كانت تعرف أنه لم يكن من
داع لذلك، فما عاد هناك من ألهها وهو لم يلق بالصبي على الإطلاق. كانت
تصرف أنه عليها أن تتركه بيل وشأنه. وشعرت أنه لم يعد لها الحق في أن

تتصل به أو تتدخل على حوالت.

نهجت وصوفي إلى صلاة المزمع بعد ظهر ذلك اليوم وقالتا بإجراء
ترتيباً من أجل جنازته. واختاروا تابوتاً أبيض بسيطاً، وطلبت إيزابيل
أزهاراً وزئبق الفودي ووروداً بيضاء. وكانت تعلم أنه ما من أحد سواهما
وممرضاته سياتي إلى جنازته. فهو لم يذهب أبداً إلى المدرسة، ولم يكن له
أصدقاء، وعشت إيزابيل حياة معزلة على مدى سنين عديدة. لقد كن
الوحيدتين اللواتي مرعه وأحبينه. ما كانت إيزابيل لتستطيع أن تتصور ما
يقتل من كونه. لم يكن لفظ حوالتها ولقبها، بل شظايا الشغل على مدى سنين
كلية. عندما هلتا إلى المنزل كانت إيزابيل تبكي في هدوء وأما صوفي
فكانت بلا عراة وكوصل غوردون من روما في وقت متأخر تلك الليلة وكان
يسو مكتئباً جداً على لونه.

في صباح إيزابيل وصوفي إلى صلاة المزمع في اليوم التالي. فقد كانت
إيزابيل لا تطلب إهلاك للتبوت. فلم تستطع أن تتحمل رؤيته على ذلك النحو.
رغم أنه كان جميلاً في صمته كما كان أيضاً في حياته. وقال غوردون إنه لم
يود أن يرفه. وكلفت إيزابيل تتقدم ذلك. لم يكن ليتقبل ضعف تبدي لو مرضه،
ورغم أنه كان أباه إلا أنه بالتأكيد كان يعرفه. لقد كان طوال حياته يقوم فكرة
لتعرف عليه، وكان الأول الذي فلت الآن.

تداول الثلاثة طعام المشاء في حجرة الطعام تلك الليلة. ثم تلى إيزابيل أي
كلمة فيما صوفي وغوردون كانا يتحلمان. لم يتكر أحد شيئاً عن تبدي، لقد
كل ذلك مؤلماً للغة. بعد ذلك ذهبت إيزابيل إلى غرفتها واستلقت على
سريرها، وكل ما كانت لتستطيع أن تفكر فيه إذ ذاك هو ذلك الطفل الذي
حصلت به والذي كانت حياته ضعيفة هشة للغاية وعلى الدوام. لقد كان مثل
فراشة هربت منهم أخيراً وطارت مبتعدة. لقد كانت ممثلة لأنها أحبته وعرفته.

كانت الجنازة في اليوم التالي، ومما ألهك إيزابيل حتى كانت تنهار، هو
الموكب إلى المقبرة، لما كانت لتستطيع أن تحصل أن تتركه هناك ولراحت لو

ترمي نفسها على تايوته، لقد لمتها مئات المرات قبل أن تغادر المكان، ولأخنت معها إحدى الورود البيضاء الخاصة لكي تضعها في كتاب، لقد كتبت تسمر وكأفها تسبح تحت الماء أو تستوقظ من غيبوبة أخرى، لم تكن لديها فكرة كيف كانت تبدو متعبة ومريضة عندما وصلوا إلى المنزل، كانت بالكاد تستطيع أن تنكس أو تتحرك، وكل لحظة كانت تسمر كانت مؤلمة بشكل لا يطاق بالنسبة لها.

في وقت متأخر من بعد ظهر ذلك اليوم دخل غوردون إلى غرفة نومها، وقلب حجابيه ونظر إليها، لقد كانت راكدة في سريرها وكان وجهها أبيض كالرغاف، "لا لأري ما خطبك"، قال لها وقد بدا مرهحاً أكثر منه مهتماً أو قلقاً عليها، لقد بدأ يكره أن يكون قريباً، لقد كانت دائماً ومنذ فترة تبدو مريضة جداً، "إنك تبدو وكأنك قضا بنفسك" أتت اليوم بدلاً من يدي، ما بك يا إيريل؟

"لقد فقدت ابني وحسب"، كانت عيناهما منكسرتين وهي تنظر إليه، وهي لا تكاد تصدق ما تسمعه.

وأنا أيضاً، ولكنك تبدين على هذه الحال منذ شهرين.

"أحقاً؟" يوسفي ذلك، قالت ذلك وأسلخت بوجهها عنه، لم تكن لتريد أن تراه، وكيف ترغب في تركها.

"إن الأمر صعب جداً على صوفي أن تركه على هذا الشكل.

"في الأمر صعب جداً علي أن أفقد ابني" قالت دون أي تحير في صوته، "لقد كنا نتوقع ذلك منذ سنين"، نكروها وقد استلطف بقول، "رغم أني أعلم أنها صدمة، وخاصة بعد الإصابة التي تعرض لها جسدي في العلم الماضي"، لقد بدأ يفكر الآن بأنها لم تستد عاقبتها كلياً، ولكنها كانت مصدومة، وهي تركه، بسبب البرودة والعدم العواطف التي كانت تظهر عليه، لما من أحد كان ليصدق أنه فقد أبه لثمة، لقد بدأ كزائر للمنزل أكثر منه فرد من الأسرة، وبالفكر بعد ليس كولد للطفل، نظر إلى إيريل بالحنول وسألها سراً غريباً: ماذا ستفعلين الآن؟

بخصوص ماذا؟ غرفة؟ حيلة؟ ثيل؟ ما كانت لتقوى على أن تفكر في ذلك.

"إن العذلية بتدي هي كل ما كنت تأملينه في السنوات الخمس عشرة الأخيرة، لا يمكن أن تدفني نفسك معه الآن."

لم لا؟ فكرت هكذا ولكن لم تقل له شيئاً، فعلى كل حال، كانت أخذت في الاحتضار، بعد فقدان يدي، وبيل، ما عاد لديها الكثير لتعيا من ليله إلا ما عدا صوفي، ولكن غوردون سمعها بما قاله بحدث، "أعتقد أن عليك أن تذهبي للمكوث مع صوفي في هيربول عندما تعود إلى الجامعة بعد أسبوعين، أعتقد أنها فكرة جيدة حقاً، فأنت بحاجة لأن تخرجي من هذا المنزل في نهاية الأمر، جسناً أن تكوني معها هناك، فيمت إيريل من حديثه في الحال أنه كان يطردنا إلى الأقاليم كي يستطيع البقاء مع ليزا، لقد كانت خطة بلعة، وسهل تصورها بعد أن توفي يدي، لقد كن غوردون ذكياً بلحاً.

"هل أنت جدي؟" كانت تضحك لمراى وجهه، لقد بدأ جرعاً وتوفاً جداً لأن تغادر المنزل، لا بد أنه كلى يخشى الآن، بعد وفاة يدي الذي كلى يشغل وقتها، لي تحاول المطالبة بمكثها كروحة، "توفاً تتوقع مني أن أفل هناك؟ فأنا ملكة بل صوفي سيصيرها الهلع عندما تراني مطفزة"، وكان هذا آخر شيء تريد إيريل أن تقوم به الآن.

"لا يمكنك الاكتفاء بالاستلقاء هنا وحسب، قل لها وقد بدا مرهحاً من جديد.

"هل تظن أن هذا ما أفعله؟" كلى هناك حد الحوار بينهما، فقد كلى إيريل ما يكفي من الادعاء والخزي اللذين عاشاه خلال سنين كثيرة وسوف لن ترضى بل تطرح جانباً وتداس الآن بصحة أنه يعتقد أنها يجب أن تكون مع صوفي، لقد أصبحت من فقدان يدي، ولكنها سوف لن تقبل أن تكون مصدر إزعاج لابنتها وهي تنجب لها، فليها يسلس وكرامة أكثر من ذلك بكثير، وكانت من الفكاك بمكان بحيث لا يخلو عليها ما يدور في ذهنه.

"ليس لدي فكرة عما تفعلين". قال بلهجة استهزاء "ما عدا الغلبة بذلك الطفل".

تلك الغلبة الذي تعكس عنه كان ابنك، وهو ميت الآن. فلما تبدي بعض الاحترام، من أجله ومن لأجلي". كانت هذه أول مرة تجرؤ فيها على توجيه الحديث إليه على هذا الشكل. ولم يكن مسروراً من ذلك.

لإيرابيل، لا تقولي لي كيف أقصرص، إذا كنت تتكررين، لقد كنت متساملاً ومتساملاً جداً إزاء ملوكك اللامعين في العالم المنصرم في وقت الحادث وما تلاه. وسوف لن أقبل أي هراء منك بعد".

"حقاً؟" سألته إيرابيل ويريح خطير يلمح في عينيها. لقد كان قد بدأ يتجاوز الحد الذي يمكنها أن تتسامح معه، وبسرعة مذهلة. "أي نوع من الملوك اللامعين كان ذلك؟".

تكررين ما أقصد بالضبط. لقد تساهلت في حلافك الفخرية مع بيل روبيسون. وكان من حسن حظك أني لم ألتفتك". ها قد بدأ تلقيم الأسلمة. وربما أن إيرابيل فقدت الكثير مما عاينت لتخلف منه. فتمرت تبدي خسر غوردون مطوئته عليها، وربما للأبد. وعلى الأقل الآن، وبشكل كئيد.

"ولمخس حظك أنت أني تساهلت معك في طريقة معلنتك لي حلال المسوق العشرين الماضية، وعلى طريقته المروعة في تعامله مع ابنك للمسنات الخمس عشرة الماضية". لقد اشتبكا في عراه مميت، فيزابل لم تستوقع أن يحدو الحديث معه بهذه المروعة بعد وفاة تبدي، ولكنها كانت على أهبة الاستعداد له. وتكررت ما كان قد قاله بيل لها عندما رحل، عن إضمار الذخيرة أو السبلود إلى أن يهاجمها غوردون من جديد، رها قد فعل أخيراً. وفي يوم جلدة تبدي. لقد كانت هذه لقوة مريعة وقلة احترام كبيرة، ولكنها لم تستغرب أن يبدل هذا منه.

وقب غوردون ينظر إليها وكأنه يريد أن يصلحها، ولكنه لم يجرؤ. "سوف لن أقسامل معك في ذلك. وسوف تجدين نفسك معلقة على الفرعة

الطريق يا إيرابيل إذا لم تكوني حذراً.

"ما عنت تخيفني يا غوردون". لم يبق لها ما تقهره. فما عانت بحاجة لسمية تبدي، وما عانت لتبالي إن ألقى بها غوردون خارج المنزل. وفي نهاية الأمر سيكون هذا لصالحها. إنك لا تخيفني على الإطلاق". ولكنه لم يرى أنها فعلاً ما تقول.

ولكن مستذهنين إذا ما أقيمت بك خارجاً؟ قال لها هذه الكلمات، وبدت إيرابيل في غاية اليأس. وألقت عيناها بعينه وثبتت نظرها فيه وقالت: "أعتقد أنه سيكون من لطيف أنت والكونتيسة دي إوين أن تسعما لي بالملوك في شتكتها في شفرح رو دي بك. إذ لنن لك، إذا ما أقيمت بي خارجاً، فليها ستبقى معك هنا". قالت له بصوت هادئ مليء بالكبرياء فهدر غوردون من القصب. لقد بدأ كالأسد الجريح، ولتقرب منها للغاية لاستطاعت حتى أن ترى سسله. لقد كان مهتماً للغاية ويرتجف من الانفعال.

"لنت لا نمرقن عما نتحدثن". صرخ في وجهها ولقد انصبق بما فعلته. لقد كانت هذه لحظة لم يكن يتوقعها، ولو أنه ألقته برفقه.

ربما لا. ولكن بالتأكيد نصف باريس يعرفون ذلك وطوال السنوات العشر الماضية. لقد اتصلت بك هذا خطأ في ليلة عيد رأس السنة. أعتقد أنها كانت مذهلة، ولكنها لم تكن عني لما كلى يجب أن أراه منذ سنين. لذلك لا تخشني عن بيل روبيسون يا غوردون. فهو خارج الموضوع.

"ألا يزال في حياتك؟" لم يكن يحق له أن يعرف، ولكنها أجبرته على كل حق. وقد كان مذهلاً لكونها تعرف عن لويزا ولم تقل له شيء عن ذلك أبداً.

"لا، لم يعد في حياتي. ولكن أعتقد أن الكونتيسة لها اعتبار كبير في حقلك. وليس أنها كانت معك في إيطاليا". لم يترقب لإيرابيل بذلك ولكن عليها كل في مكانه، وكان حد من الناس يعرف بذلك، واستأنفت تقول: لقد قيل لي أنه لا تتخلع وسوف لن تتزوج بك إلا بعد وفاة زوجها، وأعتقد أن الأمر

صعباً بالنسبة لك. لها الذي كنت تخطط لتفعل بي عندك يا غوردون؟ كيف كنت تتوي التخاص ملي عدا تقلي إلى غريويل لأبقى مع صوفي؟
 أنت مجنونة، أنت مشوشة من جراء فقدانك لابنك. وسوف لن أصلي إلى هذه القزعات. بدا غوردون على وشك أن يصرخ. فلم يشأ أن يسمع أي كلمة أخرى منها.

لا، قالت بهنره. بل أنا مضطحة الفؤاد، ولست مجنونة. ولكن لا بد لي كذلك. وإلا لأرث ما كنت تقطعه كل تلك السنين. فأنت ما كنت تلم هذا، وكنت من الغباء حتى لم أعرف ذلك، لأنه كنت طوال الوقت تحاول أن ترعيني وترهبني. على كل حال، لقد ولت هذه الأيام.

الخرجي من منزلي. صرخ فيها وهو يرتجف من الحق.
 "صافيل، ولكن ليس قبل أن أكون مستعدة لذلك. ولها أن ذلك، اقترح عليك أن تبقى معها. أخرج من غرفة نومها وهو يهدر كالرعد، وبعد دقيقة سمعته يصقق الباب الأصلي. لقد كان مشهداً لا يصدق، ولحركات فجأة أنه كان يحاول سحقها، ولم يتبالي بذلك. لقد بدا وكأنه ضاها فتدي قد حررها أخيراً. لقد فكت لكثير بقدراتها لتسدي ويسل وما عاد لديها شيء تضره ما عدا صوفي ويرحبها، سيكون غوردون قد حررها من اليأس والأكاذيب التي كانت تروح تحتها على مدى سنين كثيرة.

"سأذا قال لقد يا ماما؟ سألتها صوفي بهنره. لم تكن غريويل قد دخلت إلى غرفتها. كانت قد دخلت بعد أن غادر والدها، كانت خائفة من أن قد سمعتهما يتشاجران على هذا النحو طوال حياتها.

لوس بالأمر الهام. قالت إيزابيل وهي تجلس إلى سريرها من جديد. لقد شعرت بأنها مصدومة ولكنها مرتاحة.

بل هام يا ماما. إنه مخيف لي سلوكه منك. إنه أبي وأما أخيه ولكني لا أريده أن يعاملك معاملة سينة بعد الآن. وخاصة اليوم، بعد جنازة تيدي، قد كان سلوكه شائناً.

وإذ نظرت إلى لبتنها، ألحكت إيزابيل فجأة كل ما حدث للتو. كل ما في الأمر أنه طلب إلى لي لرحل. لقد كانت هائلة ورابطة الجالس بشكل غريب وهي تقول لها ذلك، وكانت صوفي بحاجة لأن تعرف ما حدث.

وهل ستعلمين ذلك؟ وانسحت عينا صوفي في حصى راحت إيزابيل تفكر بالأمر. بدت بدت صوفي خائفة بحسن إيزابيل. لقد كانت هائلة بشكل غريب.

أعتقد ذلك، فهذا منزله. لقد فتني رولهما في يوم جنازة تيدي، وكان يجب أن يحدث هذا. فأخبراً قصي الأمر.

أين كنت؟ سألت صوفي والدموع في عينيها.

كنت في علي أن لستأثر شقة. كل يجب أن فعل ذلك منذ زمن بعيد، ولكن ما كنت أستطيع الاعتناء بتيدي دون مساعدته. طأطأت صوفي رأسها، وفهمت إيزابيل كل شيء حولها قد انتهى. لقد خسرت الكثير: تيدي، وبيل، ومسنو، ورواها، كل ما عرفت أو أحبته أو تحقت به أو اعتمدت عليه أو آمن به قد انتهى. لم يبق لها ما تقطعه سوى لي تبدأ من جديد. وإذا نظرت إلى لبتنها، دنت صوفي منها وأحطتها بذراعيها، وتماثلت لمرأتين دون أن تتبسا بينت شقة.

تسدي هو من حررها من غوردون في نهاية الأمر. تيدي هو من أخذ بهنرها واستلها بعيداً، ما كان بيل يستطيع ذلك، وقد تركها أولاً. وما كانت لتتمكن الشجاعة لتفعل ذلك من نفسها، ولكن تيدي، بتحرير نفسه من جسده الأرضي القوي الذي كان مصدر عذاب له طويلاً، قد حرر والدته من الضيق التي كانت تتعذب فيها. لقد بدا وكأنها تشعر به إلى جوارها، مسروراً مما فعله. فبعد كل ما فعلته لأجله لمس عشرة سنة كانت هذه هدوة نهائية وبهنا لها. وتحررت أخيراً.

الفصل السابع عشر

لم يعد هوردون إلى المنزل في شارع رو دي هيريل لعدة أيام. وكانت إيزابيل تعرف أنها تستطيع أن تجده إذا أرادت، لكنها لم تحاول. لم يكن من دأب إلى ذلك. لم يبق هناك ما يفعله. وكفت حتى ثقة بأنه مع القويضة دي لين.

راحت إيزابيل تجول أرجاء المنزل دون هدف معين لبرهة وهي تحاول أن تستوعب كل ما حدث. وجلست في غرفة تيهي لساعات، وبكت، ثم بهتست فجأة عبر دموعها إذ تذكرت لشواء كان قد ضلها أو قلها. لقد بهت ملغوة إلى عالم آخر. وبدا كانت وحدها. وفي وقت متأخر من إحدى الليالي، شرعت تجمع أبحاثه. لقد كفت هذه القيلة، وكأنه كان يمر هذا العلم عوراً قبل. كان لديه كتب، وألعاب تركيبة ونسي من طفولته، وثياب نوم لا تصفى، وبعض المقالات القديمة التي كفت للمرضيات قد أعطتها له عبر السنين. راحت إيزابيل تتشقق نوبة ووساكنه قبل أن توضحها. ولكن لم يكن لديه الكثير فعلاً. لقد كان أكثر ما يهيمه هو الصور الفوتوغرافية التي كان يحتفظ بها لأمه وصوفي. وكانت هناك صورة جميلة جداً لإيزابيل وهوردون في يوم زفافهما. لقد كفت هذه الصورة الوحيدة التي يحتفظ بها أو يريد ما لواده.

حزمت هذه الأبحاث جميعاً، وغلفت ساعرة حتى الصباح. وفي الوقت الذي استيقظت فيه صوفي صباحاً كفت إيزابيل قد أهدت ذلك. كانت هناك طيب كبرتون محزنة ومكسمة في غرفته. وعندما أهدت من ذلك، رجعت إيزابيل إلى غرفة نومها ونامت.

ولمست إلى هوردون في وقت متأخر من ذلك اليوم. لقد كان يريد أن يعرف بمسقطاتها.

ثم أعرف بعد، قد كنت لعزم أغراض ندي.

تسا لهذا السعي الذي يولد المرض، لماذا لا تدعين المعرضات بطن
ذلك؟ لقد فطنت ذلك بنفسها بدافع الاحترام للطفل الذي أحبته للغاية. لكن
غورديون لم يكن ليفهم ذلك. فهو ما أحب أحياناً إلا نفسه، ولم يحب أحداً أبداً.
وليس تكن إيزابيل لتتخيل طبيعة علاقته مع لويزا. لقد كانت متأكدة من أن تلك
العلاقة قائمة على أساس مكائنها الاجتماعية ولقبها. لقد كانت نصن الواقع
التي اجتلبته يوماً إلى إيزابيل. ولكنه لم يكن يستل الشخص أو الواقع. لم يعد
بهاجة لهما. لقد أسأت التصرف تلك الليلة. قال ينهم لهاها ويحاول أن يبالغها
بأدبرة صوته. كانت قد سمعته يتحدث هكذا كثيراً وما عانت بتأثير بكلامه. وما
أفزعها هو جرأتها على مواجهته لعلاقته القروية مع لويزا. لقد قفز من أنها
كتشفت ذلك بعد كل تلك المطين. وعندما سألت لويزا إذا كانت قد قصفت
بمزله فعلاً ليلة عيد رأس السنة عندما هفتها رحلة العليان إلى سفن مورتيز
قالت إنها فطنت ذلك على الأرجح. لقد كانت غطلة بريئة غير مفسودة. ولكنها
حلت للأفز وكشفت أكاذيبه المنمقة المدروسة بحذارة التي كان يمارسها عليها
لحشر سنوات. ولم يجرؤ على أن يشكي لها عن ذلك.

لقد كان هذا وضعاً رديئاً على مدى زمان طويل. قالت إيزابيل بهمسلة،
وكانت هذه هي الحقيقة. لقد كانت دائماً أعقد التي خفائه نوعاً ما وأن هذا هو
سبب برودتك ومسودتك نحوي. لقد كنت أعتقد أنه نفي، لأني كنت دائماً
منشطة بنهدي. ولكني فهمت أخيراً أن ليس لذلك أي علاقة بي أو به. وكل ما
هناك هو أنه ويكل بهسلة لم ترد أن تكون هنا.

بل أنت السبب في كل ذلك. فلو بذلت جهنم لتفكرني زوجة صالحة لما
حدثت كل ذلك. لم يكن ليقر بشيء لها بل يلومها على كل شيء. فقد كان من
ذلك اللوع من الرجال.

لقد كنت زوجة صالحة لك يا غورديون. لقد كنت هنا دائماً من أجلك
ولسي خدمتك. وفي الواقع لقد أحببتك في البداية. ولكنك أنت من عرلني ذلك

والعرجي من حائك وشود جديراً بيبي وبونك، وكنت من هجر غرفة نومنا
وبنيتي. وليس لي علاقة في كل ذلك وأعتقد أنك تعرف ذلك.

ليس بإمكانك أن تجرري تصرفاتك بتلك السهولة. فما كنت لأفهم على
أي شيء من ذلك أو أنك تطمت ولجبتك ملاذ البذلة.

لقد كان استنذاً لها، وهي القلمينة. ولماذا لم تعرف أنها أغضت بالمحتاج
بشكل كبير. فكل حبها وإخلاصها وولائها لم يكن له أي اعتبار عنده. ولم
يكن ليهتم بنفسها أو يعرف من تكون. لقد كان هذا وصفاً جداً. لقد كانت
تؤدي له حركات بهولية على مدى سنوات بينما كل هو يصرخ قفلاً:
أطسي، المزعج، ولم تكن جيدة أو ماهرة كافية بالمسبة له. فبعد أن استغل
الطفولة الاجتماعية والعلاقات والارتباطات التي كانت لأهلها وألس نفسه، لم
يعد له لسانة ترتجي منها. وكنت أعلم أنه سوفهم بنفس الأمر مع لويزا.
صنمنا يلطم النفس أنه تزوج من كونيسة، وأنها كانت امرأة ثرية وناجحة،
ولستفها لإرضاء رغبته وتحقيق مصالحه، فبقي سيقلي بها أيضاً إلى الخارج.
وما كنت إيزابيل لتتصور أن غورديون يهتم لأحد، أو لها، أو لأولاده، أو حتى
لحقيقته. لقد كان فرجياً⁽¹⁾ إلى أقصى الحدود.

أعتقد أن دماغك قد تخرب منذ الحادث" قال بيرود، ولستطاعت في
الحال أن تتحول الصورة التي كان يورسها، بلها ليست على ما يزم تماماً
بعد الغيبوبة، وأنها كانت قدما غريبة الأطوار، ولها تعرضت لخلل نفسي
قلبي بعد وفاة ابنها. لقد كان هذا المبرر المثالي ليتخلص منها. لقد بدت وكأنها
لمحت فجأة كهفاً صعباً مظلماً ورأت الوحش الذي يعيش فيه. في سابق الأيام
كان هذا يهيمها ويحبها ولكن ما عاد كذلك. لم تكن تريد أن يكون لها أي
علاقة مع ذلك الوحش. "توقع منك أن تتكلمي بهرعة". قال بيرود. لقد كان
يستغضي منها، وكل ما كان يريد منها الآن هو أن تكفلي. وكان هذا بلائمه

(1) الفرجي (franciscain) من ليله خل في شخصيته وشغل بالديرة الموطر لثاته وعظيره
وذلكه وحالة كبيرة لأن يكون موضع إعجاب.

تعلماً. لما عادت له فائدة منها وقد أصبحت مشكلة الآن، وأراد إصالتها. فقد كسبته، ولم يكن لها شأن معها. وقد سلطت ضوءاً ساطعاً عليه ووضعت لن تكون صفاء. لقد خضعها على مدى سنوات عديدة، ولم تعد كذلك الآن.

"سوف أعادر عندما أجد شقة يا غوردون." قالت له وقد بدت متعبة. فقد كانت مستيقظة طوال ليلة أمس وهي تجمع أغراض يدي، "كنت نطم ولا شك، أنك إذا ما انتهيت في الشارع بعد وفاة يدي فإن الناس سوف ينتقدون بشدة".

سأقول لهم بذلك أنك قد فكت حقلك بسبب موته وأنه هرب لأسباب لجهلها متأثرة بالطبع بالإصابة في الدماغ". لقد كانت فكرة بارعة منه بالفعل، وقد تبين أنه يفكر بهذا منذ زمن. وكانت تتعامل يا ترى هل تستعمل بلوزا.

"أنت تقترض لي الناس وصندوقك، وأنا أشك في ذلك. نعم ربما بعضهم لكن من يعرفني يدرك أنني لست (مجنونة دي شيلوت) المختلة في الطول. أنا امرأة كنهيت أنت عليها وحنتها وعلمتها بكل قوة. يوماً ما سيعرف الناس حقيقةك كما فعل أبلوك. فلا يمكنك أن تضل الناس وتخدعهم إلى الأبد، ولا حتى لنا". كانت خيافته لها كمثل ضربة قوية لتفتتها منه. وما كان يفعله الآن بدا لسراً إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الصدمة التي تفتتها برفاة يدي. لقد هجرها بهل، بعد خمس سنوات، والآن غوردون، والذي كان في الواقع قد هجرها عاطفياً قبل سنين، ورحل يدي علماً لأنه لم يكن لديه خيار. ولكن على جميع الأحوال كانت هذه الصدمات قوية ومؤثرة على إيزابيل. وكانت تعرف، وهي تصغي إليه يتحدث عن نواياه بأن يسيء إلى سمعتها، أنها سوف لن تكون في ملأى كلبا عن خذل الناس الذين أحببتهم كثيراً لها. لقد قضى هذا على كل إيمان لديها بالحياء منصفه عاقلة وأن الأمور تنتهي إلى نهاية سعيدة. فلم تكن شمة نهائيات سعيدة في عالمها. بل حتى ما عادت تتوقعها. كل ما كانت تريده هو أن تتم بالسلام وحسب.

أرسلني متى شئت. ولكن أعلموني بذلك وحسب. لقد قصلت بمحامي

اليوم. وسوف يصنع مسودة ضد اتفاق بيني وبينك". لقد تحرك بسرعة كبيرة جداً. وتسلطت إذا ما كانت حالة الكونت دي لين كتهار. لقد بدا غوردون على عجلة من أمره فجأة. وسوف ينسجه جداً إذا ما كانت على استعداد لأن ترحل إلى غريبول. لقد كان يمكنه أن يقول إنها كانت في مصحة، أو أنها فكت صوابها، أو أنها كانت تعني من لكتيب. كان مقدوره أن يقول أي شيء طامحاً ما عاد أراها. ولكنها لم تكن تتوي أن تجعل الأمور بهذا تلك السهولة له. وأخبرته، وهي تصني إليه، أن عليها أن تجد محامياً ما، ووجه غوردون إليها تحذيراً آخراً: "التهبي عندما تحزمين أهرضك يا إيزابيل أنك تستطيعين فقط أخذ ما هو لك، وكل ما جلبته معك عند الزواج. أما كل شيء هذا فلك فهو بخصلي قات".

فقد كل هذا في يتي. قالت له في برود، كم كان سريعاً أن تصغر علاقتهما إلى درجة تحديد ما يخص كل منهما. لقد كان كل ما تريد أخذه معها هو ثيابها، وأغراض يدي، وبعض اللؤلؤ والأشياء الأثرية التي تعود إلى ولديها، وبعض قطع المجوهرات التي كان غوردون قد قدمها لها. وما كانت تريد حتى أن ترى بقية الأشياء من جديد وكانت ستأخذ المجوهرات معها فقط لكي تنضمها لصوفي في المستقبل. سوف أعطيك متى وجدت مكاناً أسكن فيه.

راحت تبحث عن شقة بسمي مصمم خلال الأسابيع التالية. وقد كان ذلك أسهل عليها عندما عادت صوفي إلى الجامعة. لقد كانت صوفي منددة من كل ما حدث، وبأن إيزابيل لم ترد أن تزجها أيضاً. وفي نهاية ليلول (سبتمبر) وجدت إيزابيل شقة مناسبة جداً لتقضيها في شارع رو دي فرانس، ليس بعيداً عن القنول الذي كانت تعيش فيه مع غوردون في شارع رو دي غرينيل. كانت الشقة مؤلفة من غرفتي نوم، وغرفة جلوس كبيرة مشمسة، وغرفة طعم صغيرة، ومطبخ عتيق الطراز بوحاً ما مع خزانة للمون وشرفة صغيرة يطل على موسى رود. لقد كانت هذه الشقة في الواقع هي الطابق الثالث في فندق بارنوكولسير القديم. وكان ذلك موافق للسيارة كان يوماً

اصطبلًا، وكان في حالة مقبولة نوعاً ما. لقد كان هذا المنزل بعد ذلك ليقاً يوماً ما، كمثل البيوت الكبيرة الجميلة التي تعود إلى القرن الثامن عشر الواقعة على الضفة الشمالية، وكان الناس الذين يملكونه عبر الأجيال قد ألقوا بها عسوا يستطيعون صولته منذ زمن بعيد. كان هناك صعد صغير بدا كقصر حصور وأستف مرتفعة، وأرضيات جميلة ولكن بالية، وكل مالكو المنزل عائلية أرستقراطية سبق لها أن التقت بهم يوماً. لقد كان حياً جميلاً وعزواً جسداً، وأدركت أنها ستعيش في سلام وأمان هناك. وكلفت تعلم أن لديها ما يكفي من الأثاث من ولديها لكي تزين البيت بشكل لائق. اتصلت بمحامي غوردون بعد أن وقعت عقد لإيجار الشقة، وقالت له إنها ستنتقل خلال أسبوعين. ثم اتصلت بصوفي.

لقد بدا الأمر لصوفي وكأنه سرور مفضل. فقد كانت سعيدة لأن ولديها قد وجدت هذه الشقة، ولكن كان من المستغرب أن تعيش في مكان آخر. كانت لتسقي في رو دي غريويل عندما تزور والدها، ولكن بما أن والدتها وتيدي قد غادرا المنزل، فإن مجرد التفكير في ذلك كان يشعرها بالانكباب.

حصلت إيزابيل على عقد الإيجار من غوردون بحدود. كان يقدم لها بيتاً مشيئلة، والتي ما كانت أبداً لتتناسب مع الحياة التي شغلته فيها. حتى إحدى وعشرين سنة. واقترح محاميه أن تتحول الحصول على بيت، ولكن هذا ما توي لفته على كل حال، بدلاً من أن تطلب المعنى من غوردون. كان كل ما في العرض الذي قدمه يسير لصالحه، وقد كان في الواقع سلفاً لها لها على وجهها. في الواقع، إنها لم ترد أي شيء منه. وقد تنكث لها سحرة ما فكرت به عندما كانت تأتي أن تفصل عن غوردون خشية على تيدي. فقد كانت تتركه أنه سيجعلها يتصوران جوعاً إذا ما هجرته. ولما الآن فلم تكن تريد منه إلا الذئب اليسير، فقط ما يكفي لتغطية النفقات لوما إذا حدث طارئ ما لها لو أصيبت بالمرض.

لقد كان محاميهما غائباً جداً بما كان قد كتمه غوردون، ولماذا أن

تصلوب فتحصل على نصيبها العادي، وحتى أن تنسب المنزل في رو دي غرينيل. ولكن إيزابيل كانت تترك أن هذا الانكسار أجوف فارغ لا قيمة له. لقد كانت راضية بلى تتركه بأقل ما يكون معها وذلك لسد حاجتها وليس أكثر. وتقريباً لم تكن تريد منه أي شيء.

انتقلت إلى الشقة في شارع رو دي فزوين في منتصف شهر تشرين الأول (أكتوبر)، وذهبت لرؤية الشقة بذلك الجمل بعد أن قامت بإجراء بعض الإصلاحات فيها. لما الأمر الوحيد الذي كان يؤلمها بتركها منزلها القديم فهو أن تترك ذلك المكان الذي أمضت فيها مع تيدي كل حياته. ولكن كانت تعلم أنها ستعيش إما كانت تنقل معها ذكرياتها أيضاً. وألقت نظرة أخيرة من فوقها إلى المكان ومخرجت من المنزل في حين كانت جوزفين، مدبرة المنزل، تبكي. لقد علمت إيزابيل أن تلحها لزيارتها في عوانها الجديد.

في صوفي قد ذهبت في أول مرة تأتي إلى الشقة في عطلة نهاية الأسبوع. لقد كانت عطلة day of all Saints⁽¹⁾، وكان لديها أربعة أيام عطلة من المدرسة.

لها تبدو رائعة يا ماما. أشرف وجه صوفي بالمتعة عندما رأت غرفتها. كانت إيزابيل قد استخضت بعض القصاص في تزيين الغرفة، فقامت من العريس ذي اللون الأرجواني الفاتح ورسمت عليه أرواح الديك والبنفسج وطلعت الجدران بلون علامي دافئ مع تغطية رقيقة بلون أرجواني شاحب. كانت غرفة مثالية لفتاة. وكانت قد طلت غرفتها بالأصفر، وكانت غرفة الجلوس مليئة بالقطع الأثرية التي كانت يوماً لولادة إيزابيل، والتي كانت قطعاً قيمة جميلة يعود معظمها إلى عهد الملك لويس الخامس عشر والسدس عشر. ما كان لد مصفى عليها سوى أسبوعين ذلك، ومع ذلك فقد كانت تشعر بالارتياح إلى المكان، وبشكل ما أكثر من رو دي غرينيل. فقد كانت هذه الشقة

(1) all Saints' day: يقع في الأول من تشرين الثاني (نوفمبر).

ملكاً لها.

والأكثر من ذلك، إن ما نُشر دهشة إيزابيل هو مدى السهولة التي تكلمت فيها مع حياتها الجديدة. لم تتفقد غورديون، ومن خلفته كثيراً جداً كل شيء، وكان قلبها يسلط كل ما تفكرته. العيش في الشقة الجديدة سبب لها بعض التسلية، ولكن لم يكن ممكناً أن تفكر حقيقة أنه رحل. ولكن أن تكون في مكان جديد كان أسهل بالنسبة لها، فهذا إن تتجول في الأماكن التي سارت معه فيها يوماً، أو تجلس في الحجرة التي أصبحت معه ساعدت فيها. ورغم انتقالها إلى مكمل جديد، فإنها ألفت معها ليس حزناً على شيء وحسب بل أيضاً توفها بالاعتقادي إلى بيل. فما كانت لتقبل بسهولة فكرة أنها لن تراه من جديد أبداً بعد أن أصبحت معه خمس سنوات تتحدث إليه، وينصحه، ويريحها. لقد كان النصيح المخلص، والصديق الصدوق لها، وأخيراً الحبيب. فلا يمكنها بعد كل ذلك أن تتوعد فكرة أن يتركها ويمضي. لقد كان هذا آخر ما كانت تتوقعه منه، وذلك الصورة الوحيدة التي بدرت منه، والتي كانت أسوأ ما تعرفت له في حياتها. وكانت تتركها أن تتواءم على مدى العمر. وما كانت لتتجر أن تتصور أن تحب شخصاً آخر أو تنق بشخص آخر من جديد. وبالنتيجة، لم يكن غورديون الذي حمل قلبها ودمر إيمانها، ذلك لأنها ما كانت تترجو شيئاً منه، وأسم تكن كذلك لسبب، بل بيل هو الذي قد ألهمها أكثر لأنها أحبته حقاً ورقيت به. ولكنها كانت تعلم أن عليها أن تتأقش مع هذا الوضع مهما كان الأمر.

بعد أسبوعين من انتقالها إلى الشقة، وحتى قبل مجيء صولي إلى البيت في عيد التوسلات⁽¹⁾، رأت صورة له في الجيرالديون. كانت المقالة

(1) عيد التوسلات (the tussling)؛ نسبة إلى توسل لوفرتور (Toussaint L'Ouverture) وهو فرنسي دويك (François Dominique) (1743 - 1803)؛ جندي ورجل دولة هايتي، ولد في اليهودية، وكان ناشطاً في الحركة التي أدت إلى إلغاء الاسترقاق في هايتي (1791). وصل حاكماً لهايتي منذ عام 1797. ولكن الفرنسيين أسروا عام 1802.

تحدثت عن الانتخابات الوشيكة في الولايات المتحدة، وعن دوره في تقليب هام بين أعضاء مجلس الشيوخ. لقد كانت المقالة إلهاماً له، وجعلت تتحدث إلى الصورة مطولاً، ورأت أنه يبدو بحال جيد. لم تكن تستطيع أن تعرف على وجه الدقة، لكنه كان يبدو كما لو كان وفقاً ضمن مجموعة من الرجال، والمرشح الذي يناصر قضيته كان يقف إلى جانبه. ونشرت المقالة بالانحصار أنه تعرض لحادث سيارة كاد يؤدي بحياته في لندن العام المنصرم وأنه حقق شفاهة ملحوظة، وعاد إلى الحياة السياسية أقوى من قبل. ورغم أن المقالة ما كانت تذكر في إذا ما كان يسير أو يركض في سبلات المارتون، إلا أنها بدت تكلم ما كان قد قلله بيل لها عندما كتب عليها بشأن قدرته على المشي من جديد. لقد بدا وكأنه في كامل صحته وعافيته وأنه استرد طاقته كلها. وفي النهاية، بعد أن عادت إلى الجريدة اليومية وهي تعذب نفسها، ألفت بالجريدة جلاباً.

كانت صولي قد عادت لتوها إلى الجامعة بعد عطلة عيد التوسلات عندما رأت إيزابيل بيل على التلفزيون على محطة سي إن إن⁽¹⁾. لقد كان في جلسة للشيوخ في واشنطن، وقد جلس إلى طاولة طويلة بجانب لجنة من الشيوخ في جلسة مخصصة. ما كانوا يقولونه بدا تقياً للغاية ومملاً بالنسبة لها، ولكنها تسمرت إلى التلفزيون كالنوم مغتلبساً عندما رأت وجهه. لقد كانت قد عاشت من يوم شيء تفكر ما تؤدي، وأخيراً استسلمت لمحاولة بأن تسري من نفسها. فذهبت إلى سريرها وأدبرت التلفزيون لتتأكد لما تراه. ولم تستطع أن تبعد نظرها عنه وهو يتحدث وقد ألقى خطاباً مثيراً للعواطف، ثم استدار نحو الكاميرا وكأنه كان يتحدث إليها.

فهمت في رقة: يا لله من فعل! لقد كانت تود أن تتعلمي أنه كل الخير بعد أن جدد نظره نحو منفياء، ولكنها لم تستطع. لقد كانت لا تزال متماكة جداً

(1) سي إن إن (CNN)؛ هيئة الإرسال لـ (Cable News Network)؛ وهي من شبكات المحطات التلفزيون الأمريكية

معه بسبب ما فعله بها. وكانت لا تزال تتذكر كل كلمة قالها عندما أخبرها أن الأمر انتهى بينهما. لم تكن تستحق ذلك، قد أحبته حياً جماً، وكلنا سعدين للغاية. كانت تتعجب وهي تتذكر كل ذلك، عندما ارتد المصور بالكاميرا إلى الخلف في نهاية الصليب، ورأت لحدهم يدفع عربة خراجاً، ففرت فاما وهي تشاهد ذلك، كان قد أخبرها أنه يستعد لقرته على استخدام ساليه بشكل كامل. وكان من الواضح مما تراه أنه كان لا يزال مقبداً إلى كرسي مدولب. ولكن لماذا؟ لماذا أخبرها أنه صبر يستطيع المشي إلى لم يكن كذلك؟ ما الهدف من ذلك؟ وعندها وهي تشاهده يخفي من على الشاشة مع مجموعة من الناس في الحشد، تذكرت ما كان قد قاله لها في البداية. قد لمح لها شيئاً وجهاً في لندن أنه إذا لم يستطيع أن يسير من جديد، فسوف أن يبقى معها لتلا بشكل عذاب طبعها. لم يقل ذلك بالحرف الواحد، ولكنها فهمت ما كان يقصده، وقد فكرت أنه كان مكتئباً. لم تصدقه حقاً آنذاك، وكانت تفكر أنه ربما يتحدث بطريقة مسرعية، ولكنه صارت تتساءل الآن إذا ما كان يعني تماماً ما قاله. وإذا كما لو أنها كانت تسمع كلماته الآن بوضوح شديد جداً. لم تفكر أبداً في هذا الموضوع لأنه قال لها بوضوح أنه كان يسير من جديد. وفجأة سألت إذا ما كان يكتب عليها بشئ كل شيء لفر.

جلست في سريرها طويلاً وهي تفكر بما ستقبل الآن. وكيف ستطيع أن تكتشف ما قد حدث. فرائد أن ترفع سماعة الهاتف وتسلقه. ولكن لو أنه كان يريد أن تعرف الحقيقة لأخبرها من أجل خصمة لشهر بدلاً من أن يكتب عليها. لكنها كانت مضوشة الفكر تماماً. ألقت عنها الأغطية ونهضت من سريرها ورأحت تزعج الغرفة جبهةً وذعلاً فيما تتفكر بعمل. ولطالفة لكي تستطيع أن تفكر بصفاء ذهن، ثم نظرت إلى ساعتها. لقد كان ذلك وقت الظهيرة في واشنطن والساعة السادسة مساءً في باريس. ثم خطرت لها فكرة. فهرعت، نحو المطبخ، ولقظت سماعة الهاتف.

طلبت رقم الاستعلامات في واشنطن وسألت عن رقم هاتف مكتبه،

وأعطوها الرقم في الحال. ما كانت لتعرف ما ستقبل بعد ذلك، ولكن عندما لجأت صوت، وقد بدا منشغلاً، سألت عن مساعد السيد روبنسون، فجاءها صوت ذكرى على الهاتف. فأوصحت للمتلقي أن السيد روبنسون قد شجعها على الاتصال به من أجل جلسة معرو الأمية عند الأطفال في ديب سولت، ولكنها أن تسمع للمساعد بصفي بفتناه. لقد كانت إيزابيل تعلم أن معرو الأمية في كل أرجاء أمريكا كان أمراً مهماً بالنسبة له، وكان يبحث كل مرشحه على مناصرة هذه القضية الهامة.

تالطبع. قال المساعد مؤكداً فكرة إيزابيل.

لقد كنت أرجو أن يحضر زوجته طفلان الذي سوفام في كانون الأول (ديسمبر). ونود أن تكون زوجته ضيفة الشرف علينا. ساد صحت ليرة عفا كان المساعد يلتفت لقلبه وتستجمع إيزابيل أفكارها وشجاعتها وهي تصلي أن يكون حنتها في محله.

تالتركسيد سيد روبنسون المشاركة في ذلك، سوف تحقق من جدول مواعيده عندما تحدي لي التاريخ والوقت ولكن أخشى... ل... ألا تستطيع السيدة روبنسون أن تكون ضيفة الشرف. لو بالواقع، قد يمكن هذا، ولكن... حسناً. إنها مطلقاً. في الواقع، فإن ذلك وقد بدا مرتبكاً محرجاً قليلاً، وهي سوف تزوج من جديد الشهر القادم. وأعتقد أنها ولا ريب ستتم بالأمور إذا ما كنت تودين أن تسألينهما. يمكنني أن أعطيك رقم هاتفها إذا أحببت الاتصال بها. ومن جهة أخرى، أعتقد أن السيد روبنسون سيكون مهتماً بحضور حفلكم كصيف شرف، إذا ما أرسلت لي بعض البيانات عنها وأهلتي المودة.

من كل بد. سوف أرسلها لك اليوم. قالت إيزابيل ويدها ترتعش وهي تمسكه بسماعة الهاتف وتلمس عينيها. لقد كتب عليها في كلا الأمرين. فهو وسيتينا ليسا معاً، وليس بمختوره أن يمضي، وتلكت الآن من أنها عرفت ما كان قد فعل. لقد حررها، كرمي لها، من فكرة مجنونة كان يريد أن يجيها

منها، لأنه أحبها، ولكن ربما ما عاد يحبها... ولكن الأمرين كلنا مؤكنين، فما عاد مقروجا إلى سنائها، وما زال بعد في كرسي متولب.

تكرأ جزيلاً، قالت لمساعدته على الهاتف.

هلاً لتفضلت من جديد وتكرت لي الموعد؟.

تلكاية عشرة من كلون الأول (بسمير)؟.

تمسك هذا في جدول مواهيده من لهلك وأعلمه بالأمر.

تكرأ.

لما هو اسمك؟ علواً... لم أظنه...

لا بلن. سالي جومز.

تكرأ ألسه جومز. شكرأ على تصالك.

جلست في سريريها بعد ذلك طويلاً وهي تفكر ملياً فيما سقطه في الطفرة القلبية. جلست هناك وهي تفكر فيه، وهي متكددة أكثر مما قد فعلت وعرفت السبب في ذلك، وشعرت وكأن كل شيء قد تغير في لمح البصر ولكن في هذه المرة، وبدلاً من أن تنتمي الموت كما حدث معها قبل شهر، فقد شعرت بنفسها على قيد الحياة من جديد.

وعند منتصف الليل، وبعد أن أصحلت أفكارها في ذلك الوجه، عرفت ما حلها أن تطفه. فرفعت سماعة الهاتف، وتصلت بشرف الطيران، وكانت بالبحر على رحلة الطيران بعد ظهر اليوم التالي. ثم كانت فتنة بعد أربعة أيام فقط، وربما كان التوقيت غير مناسب، ولكن ما كانت تملك صبراً على الانتظار. فجهزت مقعداً في رحلة الساعة التالية لليوم التالي. ثم اتصلت بصولي وأخبرتها بأنها ذاهبة إلى واشنطن لهنسة أيام.

ثم أتت سألها صوفي وقد بدت مندشة ولكنها كانت مسرورة. فقد كانت والفتها فائدة الحياة، وحرية، ومضطربة وذائلة منذ شهر، وخاصة بعد موت ندي، ففكرت بالارتياح لفكرة ذهابها إلى أي مكان.

فلو صنعت إيزابيل: سألها لرى صديقاً قديماً.

وهل أعرفه؟ سألت صوفي وهي تحاول أن تعزز. قالت ولدتها تتصرف بشكل غريب إلى حد ما. لقد بدت سعيدة ومنقلة وخلفية.

نيل روبسون. لقد كنا معاً أثناء الحادث. قالت إيزابيل بلطف، فاستصت صوفي على الطرف الآخر.

أعرب يا ملما. لقد كان لطيفاً معي في لندن عندما زرتك في المشفى. إن لديه ابنتين ونوجة رائعة.

هذا صحيح قريبا. ما عاد ما يتطرق بزوجته.

هذا جيد كثيرأ. قالت صوفي ببراعة، وانصتت إيزابيل.

ولما أضحى الجبه. سألني وأعلمك أين أكون ومتى أعود إلى البيت، مصداً لنهي صوفي لي بغيري. سأرجع عما قريب.

تكرأ في العودة فليست قادمة إلى المنزل حتى العيد القادم. فليست بوقت.

تكرأ. قالت إيزابيل وأغلقت السماعة.

ثم تستطع النوم تلك الليلة، وغادرت إلى المطار اليوم التالي الساعة الحادية عشرة. كان يجب أن تكون هناك عند الظهر. وكانت بالكاد تستطيع أن تمنطق نفسها في الطائرة. لم تكن لديها أدنى فكرة عن كيف تراه، أو ما ستقوله له عندما تراه. وربما يستاء منها عندما يجد أنها اكتشفت أمره وطافه. وقالت في قرارة نفسها أنه لو كان يريد أن يكون معها، لكان عليه أن يحصل ذلك. لقد أوضح فكرته تلمساً، وكانت تلكش الأمر في نفسها وهي تمسح لوق الأطلسي. ولكنه كل مضطرب. هذا هو الموضوع. لقد كل مضطرباً تلمساً وبالكافية. ما كان عليه أن يدل لها ذلك، أو أن يضمي بنفسه، فما كانت اتهم حتى ولو لم يمثل على الإطلاق، إلا من أجله هو، وليس من أجلها هي. كل ما كان يمكنها أن تفعل الآن هو أن تجده وأن تعيره بذلك. ولكنها تعرف

أنها لن تكون مسألة سهلة. فقد كان رجلاً عنيداً جداً. وتكررت الآن بشكل واضح اعتراضاته الكثيرة من زواج جو من حين.

ما إن حصلت الطقرة في مطار تولوس حتى أخصمت إيزابيل عندها وتلت صلاة صلوات راحة من الله أن يصفي إليها. فما كانت لتعلم إذا ما كان سيستمع إليها أم لا. ولكنها ستحاول ولو مرة على الأقل.

كانت تعمل عنوان مكتبه في جيبها وكانت ترتجف من الجوع والقرص، وولفت إلى سيارة أجرة وأعطت السائق عنوان فندق الوصول الأربعة في جورجلون، حيث كانت قد حجزت ليلة أمس. كل ما سيتوجب عليها الآن هو أن تكتشف أين يكون.

الفصل الثامن عشر

كانت الساعة قد قاربت الرابعة عندما وصلت ليرابيل إلى غرفتها في الفندق. وكانت تعرف أن عليها أن تتصل بمكتبه في أقرب وقت لكي تعرف أين سيذهب تلك الليلة، أو ربما عليها فقط أن تكفل إلى مكتبه مباشرة، وربما هي فكرة مجنونة أن تكفي بنفسها إلى هذا. كان في ذهنها سيناريوهات جديدة ولم تعرف كيف ستفعل لها منها. وإذا نظرت إلى الهاتف، بدأت تشعر أنها ارتكبت خطأ فادحاً. فربما ما عاد يحبها. وأخيراً، وبعد نصف ساعة أخرى من الخوف، اقتطعت سماعة الهاتف.

ردت موظفة الاستقبال على الهاتف وأرحت إيزابيل لها بأنها منهيكة جداً وعلى عجلة من أمرها.

مرحباً. نحن مع جماعة الأمن لهذه الليلة، في أي وقته سيصل السيد روبسون؟ قلت ذلك وهي تتكلم جهدها أن تبدو أمريكية، فلما تعرف المرأة أنها فرنسية.

تألف طيف، لا أعلم، قالت الفتاة وقد بدت أكثر إجهاداً مما لاحظت إيزابيل. سيذهبون إلى ستة مواقع مختلفة. من معي من جنود؟

الأمن. كما تعلمين، نسأل من أجل العشاء.

أه. نعم. طبعاً... أنا... لقد طلبت أنه أبقى ذلك... لا، هذا صحيح... حسناً... إنه قائم إليكم الساعة الخامسة... ويؤسف أنه تأخر، ولكن لا يستطيع أن يكون هناك قبل هذا الوقت. أنتم محطته الرابعة، وسوف أن يطلو الموكب... وأنتم تعلمون أنه في كرسي مدواب، أليس كذلك؟

جسداً. لقد كتبت ذلك في دفتر ملاحظاتي. قالت إيزابيل وقد بدت رسمية ومطلعة على الأمور.

"عليكم أن تأخذوا الكرسي من على الطاولة لكي يضع كرسيه المتوالب مكانها بنصفه. هو لا يجب أن يحدث جلبة. ولا يجب أن يصور وهو في كرسيه. بل فقط صور جانبية منخفضة. سوف يدخل هو والسيلتور جونسون من باب جانبي، وسيفادان بنفس الطريقة".

"صناً. قالت إيزابيل، ولكنها لم تعلم بعد أين سيكون المشاء ولا يمكنها أن تسأل عن ذلك.

"السيلتور جونسون له حرمه الخاص، وسيلتون بكم عند المنزل الجانبي لمركز كينيدي مثل المرة الماضية تماماً..." الحمد لله، همت إيزابيل بينها وبين نفسها. إنه مركز كينيدي إذاً.

"هلاً يصعب ربطه حلق سوداء... حتى لمرقه مباشرة..." لقد أرادت أن تعرف ما تلبس.

"لا، هو متلف... لن يعمل ذلك... ولكي متأكدة أن الأمور ستجري على ما يرام".
"صناً.

تحدث في التفاصيل أكثر دقة أخرى، وما عفت إيزابيل تهتم بما كانت موظفة الاستقبال تقول. كل ما كانت تريد معرفته هو أنه سيكون في مركز كينيدي الساعة الخامسة أولاً. وسوف يمار في الساعة العاشرة إلى محطته التالية. فكل أسلماها إما أن توجهه في طريقه دافلاً، أو في طريقه خارجاً، أو تحدث جلبة على المشاء، مثل أن تختبئ تحت طاولته، أو تشير مسدداً في وجهه... كل الاحتمالات كانت ممكنة ولا نهاية لها، ولكن معظمها بدت محبوس منها الآن وقد صارت هناك. لم تكن لديها فكرة عن كيفية القيام بذلك، ولكنها كانت تعلم أنها يجب أن تحلوه.

في النهاية، كانت قررت أن تقبله خارجاً، بعد المشاء، في طريق الخروج. وهذا سيكون في الساعة العاشرة. كان أسلماها ست ساعت بعد، وهي لأسلوب ست ساعت في حينها. فأجرت اتصالاتها واستلجرت سيارة ليموزين

من أجل تلك الليلة. ويحاذ جلمت في غرفتها وهي تفكر قلقة فيما ستقوله له أو إذا ما كان سيمنحها الفرصة لتحدث إليه. لقد كان من الممكن جداً أن يصرفها قليلاً لها إن ليس لديه ما يقوله. فبيل هو الذي لال لها بأنه سوف أن يسري أن يراها ثانية، ولكنه كتب عليها، وأخبرها أنه صار بمشور. أن يمشي وأنه وسيدى قد جدا عهدهما. وظلت خمسة أشهر لا تفهم كيف أمكنه أن يقطع كل الروابط بها بهذه السهولة. ولكنها الآن فهمت تماماً. لقد كان كل ذلك لأنه لا يريد لنفسه أن يكون حيناً عليها. ولهذا لم يكن يريد أن يراها في باريس، لأنه لم يرد أن يعطيها تعرف أنه كالأ لا يزال عاجزاً عن السير، وأنه سيبقى كذلك أبداً. لقد فكرت في كل هذه الأمور. ولكن ما لم تفكر به هو كيف تقصمه لأن يغير رأيه. وكانت تعلم أن لديها فقط دقائق معدودة تمنحها معه حيث سيكون السيلتور وفقاً على حدة، قبل أن يصد إلى السيارة ويمضي بعيداً. لم تكن لديها أدنى فكرة عما ستقوله. كلمة أصعب، ستكون الهداية ولكنه عرف ذلك على كل حال، وكان يعرف ذلك عندما أنهى العلاقة بينهما، ولم تودعه هذه أذذاك. فكيف تودعه الآن؟

لقد كانت هناك أشياء كثيرة لم يعرفها: فيما ينطق بكيني، وعن هجرها لخردون وتركها للمنزل. ولم يعرف أنه قد حلم فزادها عندما غادرها. وفوق كل ذلك، لم يعرف أنها ما كانت لتبالي كونه في كرسي متوالب بقية حياته. فكل ما كانت تريد هو أن تكون معه، وأن تحب ما دلم على أيد الحياة.

وإذا جلست هناك، تفكر فيه، بدأت تتسائل إذا كان من الخطأ أن تحلوه رؤيته تلك الليلة. لربما كان يجب أن تحلوه رؤيته في المكتب، أو تتصل به بالهاتف. فقد كانت تعرف أنه ولا بد سيكون حزيناً متوتراً لأن الاتصالات ستكون بعد ثلاثة أيام. وقالت لنفسها ربما ينبغي أن تنتظر إلى ما بعد ذلك، ولكنه قد يغادر الهداية أو يخطي. ما كانت تريد أن تنتظر. فقد انتظرا زمناً طويلاً بما فيه الكفاية.

لم تستطع أن تأكل تلك الليلة، وحاولت أن تأخذ قيلولة، لكنها كانت بظقة

منتجبة. في النهاية، أخذت حبلأاً وأرعت ثيابها، وفي الساعة والنصف كانت في سيارة التيموزين تذهب الطريق نحو مركز كيندي. وبدأت تشعر بالذعر عندما وصلت إلى المدخل الجفتي. ضلأاً لو غادر المكان لتوه؟ لقد أصابها القلق وهي تترجل من السيارة، وتذهب للوقوف جانباً في مكان مستلوع منه مراقبة المدخل، ورؤيته عندما يخرج. لقد كان الجو ظاماً. ولكنها ما كانت لتهتم له، وبعد ذلك، وكما لو كان نذير شوم، بدأ القلج ينساق.

كانت فتور كبيرة شبيهة بالمفرمات تسقط من السماء وكانت من ذلك النوع الذي يلصق بالياب وأهداف العين والشمس. وقد تساقط القلج دونما إذأر، وكانت هناك ربح شاملة تنزوه في كل الأرجاء. دقت الساعة معلقة العشرة والسرير دون أن يظهر له أي أثر، وشعرت أنه بالتأكيد قد غادر المكان من باب آخر. ظريماً حدث تحيل في اللحظة. كفت إيزابيل ترتدي معطأً ثقباً كبيراً أسود اللون وقبعة من فرو السمور، وحذاء عالي الساق سودياً أسود، وقفازات. كفت لا تزال تشعر بالبرد القارس رغم ذلك، وكل القلج يصلبها.

في الساعة العاشرة والنصف كانت قد فقدت الأمل، وشعرت أن عليها أن تصالو من جديد بطريقة أخرى. سوف تجرب حيلة أخرى في اليوم التالي. قالت في قرارة نفسها أنها ستحتك حتى الساعة الحادية عشرة لكي تكون راضية في نفسها، ولكنها كانت متأكدة أن بيل والسيفاتور قد غادرا المكان منذ بعض الوقت إلى مصطنهم التالية.

ولكن في الساعة الحادية عشرة إلا عشر دقائق حدثت جلبة وحركة مضطربة كسرب الفأب. وخرج رجلاً من الباب، وتلاهما حارس بزي رسمي وطى لأنه جهاز اتصال، ثم تلاهما رجل حسن الهيئة قد طأأاً رأسه بولاه الريح وهذا خطأ خارجاً من المبنى واتجه نحو سيارة تنتظره ظهرت لا تدري من أين. لم تكن إيزابيل قد رأتها قبلاً. لقد بدأ وكل هذا هو السيفاتور ولكنها لم تصرفه بشكل مؤكد من رطوبة وجهه التي رأتها. ورعت ترقبه فوهلة، ولم يخرج أي أحد آخر. ورعت لتسأل إذا ما كان بيل لم يحضر

أصلاً، لو قرر أن يبقى. وإذا رعت ترقب المكان، رأت كرسيأً متولأاً يبرز خارجاً ببطء ورأت أنسأاً مستترأين في الحديث معه، وكان يومه لهم برأسه وقد ألقى إلى ما كانوا يقولونه. لقد كان يدفع عجلات كرسيه بنفسه. كان يرتدي ثقباً سمكاً ومعطأً غامقاً وعرفت أنه بيل في الحال. وشعرت بقلبها يخفق بقوة وهي تنظر إليه يدفع كرسيه نحو الدرجات، ثم يتجه نحو الرصيف المنحدر إلى حيث كانت تقف. لم يكن قد انتبه إليها، وتركه الآخرون والعصرأوا عائدتين إلى الداخل هرباً من القلج. وكان السيفاتور ورجاله قد صالرو الآن في سيارة التيموزين ينتظرونه.

وإذا شعرت بقلبها تعمل حينها على راحة بدنها، سارت نحو الرصيف المنحدر وبذلك تسعد إلى حيث كان. فالتقت به في منتصف الطريق واعترضت طريقه. كان قد ألقى رأسه إزاء الريح، فلم ير إلا معطأها وساقها، ونمتم يقول: "عذراً". وهو شارد الذهن، ولكنها لم تتحرك من مكانها.

نظرت إيزابيل إليه، فسمع صوتهأ قبل أن يرى وجهها. لقد كتبت على، قالت له بصوت لطيفاً حلم بسماعه خلال الأشهر الخمسة الماضية، وكان يطن في قرارة نفسه أنه إن سمعه من جديد. رفع نظره وألقت أعينها، ولم يستطع أن ينطق بكلمة. بل نظر إليها فقط وهو مذهول وحالو أن يستعيد ربطة جأته بأسرع ما يمكن.

مرحباً يا إيزابيل. ما هذه الصدفة التي نراك فيها هذا. لقد افترض لأول وهلة أنها قد جاءت إلى القلدة مع غوردون لعل ماء وأنها تراقبه. لم يصر لها وجوده على كرسي متولب، رغم ما قاله لها قبل خمسة أشهر.

كسي الواقع إنها ليست مصطنعة. قالت له بسدق. لم يد ذلك مجال المرید من الأكاذيب. لقد طرأت من باريس إلى هنا كي أراك. ألتزم في أسره ماذا يقول لها والريح تصف بوجهيهما، وقد تجمع القلج على قلوبها. لقد بدت له كمثل بطاقة معاينة في اليد، أو كأميرة روسية. لقد بدت جميلة جداً وهذا

ما حطم فؤاده، ولكن لم يعبر وجهه عن شيء. لقد حصل نفسه على أن يبدو غير عاطفي وغير مبالي، وتلك لكي يخفي كل ما كان يشعر به. وقد صار متعمداً في ذلك.

'علي أن أذهب. فستبدأ تنتظرنني في السيارة'. لقد كان هذا أول عذر خطر في ذهنه ليهرب سريعاً. لقد كان يعرف أن عليه أن ينسل بعيداً عنها بأسرع ما أمكنه قبل أن يفقد عزيمته.

'لا، ليس كذلك'. قالت إيزابيل وهي تلف نفسها بمصطفها بإحكام. 'تألمنا مطلقاً. وقد كنيت في ذلك أيضاً'.

'أعتقد أنني كنت في أمور كثيرة، ما عدا أن الأمر قضى بالنسبة لي. هذا الجانب كان صحيحاً. كان كل ما فيه يدل على مقاومته لها ولكن عيناه كلتا تخونانه'.

'لماذا قضى الأمر بالنسبة لك؟' كانت مصممة في بحثها عن الحقيقة، ولو قال لها بأنه لا يحبها إذاً لكفت ستتركه وتمشي إلى الأبد. ولكن كان عليها أن تراه للمرة الأخيرة. وقد أرادت أن تستغل فرصة قدومها الآن من أجل ذلك. ولكن إذا كان سيتغلب عليها من جديد، فعلى الأقل كانت تريد أن يقول لها ذلك وجه لوجه.

'تحدثت الأمور على هذا الشكل أحياناً. كيف حال عدي؟' سألها لكي يحطم جدار التوتر بينهما، ولكي يخبر الموضوع، ولكنه لم يكن يتوقع أن يجد استعداداً لما قالته بعد ذلك.

'لقد ماتت منذ ثلاثة أشهر. قد أصيب بأفقر من أجله. ويومئذ فك لم تخبرني عليه'. قالت في حزن وهي تحاول إقناعه روحها فما كانت تنوي أن تنقل عليه بحرنها. ولكن غفرت له عليه أن يعرف.

'أنا أيضاً'. قال بركة وقد بدا متأسماً من أجلها. ولوحة ارتبك من اللطمة التي تلقاها بموت عدي من غير ريب، ومن إفساده النفسي بالذهب لأنه لم يكن إلى جانبها آنذاك. 'أنت على ما يرام؟' لقد كان يود أن يصل إليها

ويحيطها بذراعيه، ولكنه لم يجز. وكان من المخرج والمريب له أنها اكتشفت كذابه وأن تراه في كرميه. لقد كان مقتنعاً جداً أن طرفيها سوف أن تلقى أبداً من جديد وأنها أن تعرف أبداً.

كيس بعد، ولكني سلكون على ما يرام في نهاية الأمر. لقد اشقت إليه كثيراً. واشتقت إليك أنت أيضاً. كان صوتها حزيباً وناعماً. كيف حاله؟' لقد كانت تود أن تسأله عما إذا كان قد اشتق إليها أو ندم على ما فعل، ولكنه كان توالاً لأن ينصرف. لقد كانت تعلم أن السيناتور ينتظره. ولكن كانت هذه فرصتها الوحيدة.

بخر. فصل من أياما وقت مضى. لقد صحت إلى صلي. الانتخابات بعد ثلاثة أيام وهذا نظر إلى ساعته. لقد كانوا متأخرين ساعة عن موعدهم الفعلي. في ذلك إلى إيزابيل نظرة استدل بالانصراف، ولكن لم تذب عليه أية علامة على أنه يريد أي شيء منها. 'علي أن أذهب الآن فعلاً'.

'أنا لن أتركك يا بركة'. قالت له وهي تشعر بأنها ضحية لأمه، وقد كان هذا هو سبب ميلها. وقد كانت تريد أن يعرف. 'أنا لا يهمني إن كنت تستطيع التراجع بالزواج أو إذا كنت تستطيع أن ترفض. وعلى كل حال، ألفت مرافقة ماهرة ولم أكن كذلك يوماً'.

أبسم لها وشعر بالتوق إلى الماضي الذي لا يمكن استعادته ثم نادى نوحها ولهمس بعدها. 'هل أنت جادة في قولك أنك جئت إلى هنا كي ترتبني؟' كان صوته لطيفاً، لقد كان هذا الصوت الذي تذكرته جيداً وكان دائماً في عقلها. كل ما أمكنها أن تفعله هو أن ترمي برأسها فيما انزعجت عنها ما بالمرح ثم تمالكت نفسها، ونزلت بضع دمعت شاردة على وجنتيها لمسحتها بيده التي ترتدي فيها قفلاً.

'لقد رايست البارحة في محطة السي إن إن، وظننت أنني علمت لماذا كنت علي وأردت أن تعرف أنني لا أبق'.

'أعلم أنك لا تفهمين، وأنت لم تفهمي أبداً. ولكن أنا أبق. إن أسمح لك أبداً

أن تقطعي ذلك بنفسك. أملك جداً حتى لا ألبق أن أضعك تتمرين حياتك بتصديق عبه هذه. قال ذلك ونظر إلى الأسفل إلى كرسية، وحتى لو تركت غوردون يوماً ما، وخاصة حينئذ، هل يملك برفق؟ وجل بيسره يبحث عنه في السببية، وأدرك أنه لم يكن هناك. لا بد أنها تخلصت منه بطريقة ما أو تركته في القندق.

اقتضت لسؤاله وقالت لقد استخدمت خيوة البرود ضدك، كما قلت لي، عندما توفي ندي. لقد لقي بي خارجاً. وانتقلت أنا وصوفي إلى شقة في شارع رو دي فارين". لقد حدثت تغيرات كثيرة في حياة كل منهما، ولكنها لم تغير طريقة تفكيره وشعوره نحوها، أو القرار الذي كان قد اتخذته. بل في الواقع، إن رؤيته لها زادت من هرمه. لقد كانت حرة الآن، وكانت تستحق أكثر بكثير مما يستطيع هو أن يقدمه لها، أو هذا ما فكر به.

يمرني فك على ما يرام. ولكن لكفتي بذلك ولم يقل المزيد. أحلم أن عليك أن تعجب قلت له وهي تلمس قشور الفلج عن عينيها. سيكون في القندق القصور الأربعة. إذا أردت أن نتحدث معاً، فنصلي بي. أما هو فقد هز رأسه. لقد كان الفلج يغطي شعره، ولذركت أنه شعر بالبرد بالتفكير، قالت: "سوف أن أقصلي يا إيزابيل. لقد قمنا بالصلب القسب قبل خمسة أشهر. لقد فعلت للصواب. ولكننا. وعلمنا أن نتعاش مع هذا الواقع الآن".

فما لا أملكك الرأي، فالأمر برمته خطأ. ولكننا قلنا الحق لي نحب بعضها يا بيل. وحتى لو بقيت خارج حياتي سوف لن أكف عن حبك. لقد.

"سوف تسيبن في نهاية الأمر". قال لها وهزت رأسها نعماً وتحت ص طريقة. ونظر إليها مطولاً وهو متلم وقال: انتهت جداً لنفسك. لقد كان يريد أن يقول لها من جديد إنه نصف من بيل ندي، ولكن لم يفعل. فما أمكه أن يسول المزيد. فرفع عربةه وقطع ما تبقى من الطريق فزولاً إلى القصر الصغير، دون أن ينظر إليها في الخلف، وركب السيارة. اعتاد السائقون

بمسبب التفكير، وقال إنه اتقى بالصفة بصديق قديم. لم يقل شيئاً آخر أبداً طسول الطريق إلى محطته التالية، وشعر السيناتور بمنزله للمكتب. لقد بدا شاردناً جداً.

كان الوقت بعد منتصف الليل عندما وصل بيل إلى منزله، ولم يتصل بها. لقد كان الوقت متأخراً، وقال في نفسه من جديد أنه سوف أن يتصل. لقد كان مقتنعاً بما فعله من أخطاء ومتراً بال هذا هو فعل الحب الذي يجب أن يقوم به. لو كان حبه لها أقل من ذلك إذاً لكان سيحبها عبه نفسه أيضاً، ولكن حبه الكبير لها منعه من ذلك، وكان يعرف أنه سيحبها على هذا النحو إلى الأبد. لقد كان مطمئن لقواد من أجلها لوفاء إليها، وشعر كم كان موته مدمراً لها. وارتاح على الأكل لأن غوردون لم يعد في حياتها. وقد شعر أنها بالتفكير مجد شخصاً آخر عما قريب. لم سبق له أن رآها جميلة جداً هكذا لو حريته جداً على النحو الذي رآها عليه وهي تقف هناك تحت الفلج. كان هذا كل ما أمكه أن يفكر به وهو مستيق في سريره تلك الليلة.

كان الفلج لا يزال يشاطب بينما جاست إيزابيل في غرفتها في القندق تفكر فيه. وكانت تعلم أنه سوف أن يتصل بها. فكل ما رآته في وجهه كان يعطها بعزمه اللطيف على ألا يتواصل معها من جديد. عندها فقط أعلمتها أنه كان لا يزال مهتماً. وقد وجب عليها أن تتقبل ذلك الآن. وحتى ولو كان قد كذب عليها، فإن هذا ما كان يريد في نهاية الأمر. لقد كانت محبة في رأيها حلال الاثني المفضية بأنه ليس من نهالت سعيدة في الحياة. كان هناك فقط دروس وحساتر وكان لها نصيب كبير في ذلك.

بقيت مستيقظة معظم الليل، وعندما غلت أظفراً، كانت تعلم به. كانت تلط في يوم صديق عندما رن جرس الهاتف إلى جانبها في الساعة الرابعة بعد منتصف الليل. لقد كان بيل هو المتصل. وراح أن يشاوة اللوم في عينيها كانت تلتها إلا أنها كانت تمل صوت.

لنسف لاتصلي بك في هذا الوقت المتأخر. بل كانت قلقة جداً بدا حزناً

محباً تماماً مثلها عندما أوتيت إلى موريها.

أقوي. وكانت بغلة تماماً إذ سمعت صوته الذي بدا مألوفاً جداً لها. ثم خطر لها أمر. أين أنت؟ سألته برقة وأصت له تردد.

في الطابق الأسفل. في راحة الفندق حيث كنت. فأهمون منك. ولكن لم أعرف موعد رحيلك. ويجب أن أكون في نيويورك غداً. فكرت بما أنك تعلمت مشقة الرحلة من باريس إلى هنا. فوجب أن تتحدث. لم يكن أي منهما يظن أن الوقت غير مناسب.

تبرني أنك هنا. لماذا لا تصعد إلى الطابق الأعلى؟

وسرحت شعرها ونظفت أسنحتها بالفرشاة ونضجت وجهها ببعض الماء في حين رلحت تنتظره حتى يصعد. بعد خمس دقائق كل هذا. قرع على بابها. كان يول ينظر إليها وهو جالس إلى كرسيه. ودفعها بهدوء دليلاً في حين أمسكت الباب له لكي يدخل ثم أغلقت بهدوء خلفه. لقد كنت تود لو تقرب منه وتلمسه. ولكنها لم تجرؤ.

ألف إلى جنت إليك في هذا الوقت يا يوزييل. فلم أستطع أن أقدم. لقد صحت إذ رأيتك هناك الليلة. ولله ضرب من الجنون أن تقضي نكاح. ولكنه لم يبدُ مستاء منها بل كان مثلاً. وفي الوقت نفسه منزعاً من أجلها. لقد أيقظت الكثير من المشاعر القديمة التي أمضى شهوراً يحاول أن يهرب منها. وعندما رآها هناك خارج مركز كيندي تحت القلح استيقظت تلك المشاعر وعادت إليه. أنا أفس جداً بخصوص تيدي. ما لدي حصل؟

جلمت على الأريكة بالفتة. وأخبرته بالفتنة عن أيام ابنها الأخيرة. كانت هذه عذوبة في صوتها وهي تمكي عن ذلك. وكانت حينها ممتلئة بنموح لا تتساقط ثم كلكت دمة سالت على حدها. وبدون أن يفكر رفع يده ولمس يدها.

وهمن قائلاً: أنا أفس؟

ابتسعت وسط الدموع. وأنا أيضاً. يقول الآخرون إن الموت كان راحة

له. ولظن ذلك أيضاً. ولكنه أيضاً استمتع ببعض لحظات السعادة. وإلى أفندي كثيراً. لم تكن أدرك كم كنت حزين تذكور حوله. ولا أدري ما فعلت بنفسي الآن وقد مضى. وصوفي ذهبت إلى الجامعة.

سوف يستغرق الأمر وقتاً حتى تتكلمي مع الحياة الجديدة. وستعانين طويلاً. فهذا التغيير كان كبيراً بالمسبة لك. لقد تغير كل شيء في حياتها. سألها. طلاقها. موت ابنها ولقدان بيل. وكل ما قد فعلته هو مواجهة الألم والتغييرات التي طرأت على حياتها في العالم المنصرم. وهذا ما كان من أمره هو أيضاً. لا أدري ما أقول لك. قال لها بيل وقد بدا غير مرتاح. ما كنت أعقد أفساً سنقتي من جديد. ولم أعتقد أن عولت ذلك. ما كنت أعظ أني لي الحق بأن أفس حياتك يا إيريل. إنك تستحقين أكثر بكثير مما أستطيع أن أن أقدمه. أنت تتحلمين إلى شخص رائع في حياتك. شخص سليم محلي... وليس رجل مثلي.

أنت سليم محلي. قالت في رقة وقد ثبتت نظريتها إليه. لم تكن متأكدة بعد مما تريد أن يقوله لها. ولم تكن متأكدة بأنها تريد أن تعرف. لقد بدا وكأنه وداع جديد. أو تدريبات أخرى يقدمها ليقال السحب الذي يمنعه أن يكون معها. ولكن على الأقل لم تكن هذه الكلمات هذه المرة. بل فهمه للحقيقة مهما كانت مشوهة.

كلانا مصروف إلى ليس هذه هي المشكلة. لم يكن يريد أن ينكرها بمحاولتها المسلووية في ممارسة الحب في المثلي في لندن. وخلافاً لصبره. لقد كان يشعر أن عجزه يمثل عقلاً كبيراً أمام زواجه بها. وما أراد أن يقدم لها أقل من ذلك. لقد كان مقتداً أن ليس لديه ما يعطيه ويكون ملصقاً ومغفلاً بالمسبة لها. لقد تذكر وبشكل مبهم كل ما فعلته هيلينا يوماً. ولكنها كانت فتية مثالية حيالية أيضاً. ربما كان الحب فقط للشباب. وعلى كل حال. لقد جاء إلى الفندق تلك الليلة لكي يراها ويودعها بالراحة. على الأقل كان يدين لها بذلك وهذا ما كان يفكر به في قرارة نفسه قبل مجيئه إلى فندق القصور الأربعة. كان

يعرف أن الطريقة التي تركها فيها تيلاً كانت غريبة للغاية، وما كانت تستحق
مسبه ذلك، وخاصة أنها الآن قد فُقدت نهدي. لقد أردت أن أودعه، ولئلا أقول
لك بأني أسف، ما كان يجب أن أضعه لك نهدي إلى لندن وأشعر أنها كانت
غلطتي من البداية.

لقد منعتني الحب الحقيقي الوحيد الذي أعطاني إياه رجل. قالت بلفس.
وهذا ليس شيئاً تدين لي باعتدائه لأجله يا بيل.

تأسفني أن لا أستطيع أن أكون أكثر مما أنا عليه... وكانت هناك
تمورغ في عينيه وقد نظر إليها ولمسك بيدها. أنا أفتح على كل هذا. قال لها
بحزن. وهذا صنعت إلى الأمل نحوه وبقية بينما كان جالساً في كرسيه فشدّها
إليه برفق وجلس في حسنه وهو يقبلها. لقد كانت قباحتها مليئة بالظن
والشك، وكسري كل ما كانا بروجولته وتوقاه ثم فقداه مريماً. وإذا علقها،
نسي لوهلة أنه قد رجولته، وشعر برغبة تنجّاح كبداه كسل الذي لا يمكن
لشيء أن يوقه أو يردّه إلى الوراء، ولم يكن في نية أي منها أن يفعل ذلك.
إن قوة ما كانا يشعران به كلاهما نحو بعضهما البعض كانت لا تقاوم وتوق
إزديتهما. وفجأة، وللحظة وحيدة ساحطة، لم يعد خافاً. تبادلوا القبل طويلاً وكثافاً
يلهثان وبنمنا شرح أو أية كلمة، ساعدته إلى الانتقال إلى الأريكة، ونزعت
عنه ثيابه برفق، وخلع عن كتفها ثوب النوم السكتي ورساه إلى الأرض.

تردد لوهلة صغيرة ولكنه لم يستطع أن يكبح جماح نفسه هذه المرة. فقد
كان يرغب فيها بكل جوارح جسده وروحه. وهذه المرة، لم يطرح أي سؤال
عسا حدثت. فلم يستطع أن يتكلم أنه طارح امرأة الحرام كما فعل معها، أو
يرغب بأي امرأة مثلاً. لقد كان هذا كل ما كانا يطمأن به، ويرغبان به، وقد
أظهر الشرق والسرعة والعاطفة التي لم يسبق أنه قد لعبها أبداً في حياته
حتى قبل الحادث، أو في فترة شبابه. لم يكن في العالم كله من هو مثلاً. لقد
جملته شعر بروجولته من جديد، وكانت الرغبة تحركهما.

بعد ذلك استلقى وقد أحاطها بدماعه وبخس. لقد تلاشت أسوأ مخاوفه

وانزلت بعمل حداثها وحسبها. وما حدث بينهما لثو كان لجميل مما كان
بتمسوره أي منهما. لقد كان واضحاً إذاً أن كل أعضائه قد تماثلت للشفاء.
وحتى لو لم يكن قدراً على أن يمشي على قدميه، إلا أنه شعر بنفسه سليماً
محقلي، وقد كان كذلك صلاً.

يا للروعة. قالت له برفقة بعد ذلك وقد التصقت به، فابتسم. لقد شعر
وكأنه صبي صغير من جديد بين ذراعها. لقد كان هذا مذهلاً.

أرئت أهنأ كذلك. ولكن بعد أن دفعت بجرته إلى الحمام بعد ساحة
وتركتة هناك، وارتدى ملابسه بشكل كامل بعد أربعين دقيقة، لمحت في عينيها
نظرة تآثرت فلقق عندها.

لقد كان جديراً مني أن أتى إلى هنا. قال لها بكتتاب، وقد وقع فريسة
الإحساس بالذنب ونوبات مخوفة. ما كان يجب أن أفعل ذلك. ما كان يريد
أن يضللها أو أن يعطيها أملاً كاذباً. لقد كان لا يزال مصمماً على فكرته بأنها
تستحق حياة أفضل من التي يقدمها لها، وممرسة الحب معها كل سبعة
الأسبوع على كفيها. أمضى نصف ساعة تحت رذاذ الدوش وهو يتعذب،
ويؤذّب نفسه، وفي الوقت نفسه كل شعر بالارتياح الشديد لما شاركها به قبل
الليل. لقد تأكد أنه لن يستخدم قدميه ما عاد ممكناً أبداً، ولكنه استعاد رجولته
بكل طاقته.

ألا فهم السبب الذي يجعلك تعتقد أنه ما كان عليها أن تفعل ذلك؟ قالت
إيزابيل بهوده. ففحص كلا راشدين، وسن أحرار. أنت مطلق، وأنا شبه
مطلقة فسيكون حلالي كلاً خلال بضعة أشهر. فليس لدينا أطفال صغير
يعترضون. وليس لنا أن سبب مشاكل ليست موجودة، فالحياء مقبلة بما فيه
الكافية دون أن نحاول أن نجعلها أسوأ. ثم قلت بجديّة وهي تنظر في عينيها،
إن الحياة شينة والصغيرة. كان من الممكن أن نموت معاً في لندن، أو أسوأ من
ذلك في موت أهدد مما. ولكن لم يحدث هذا. ولربما يجب ألا نهدد هذا الفهم
الذي أهرقت به الدماء علينا.

أنا لست نعيماً يا إيزابيل! قال وقد بدا المسم عليه. الحياة مع رجل في كرسي متوالب ليست نعيماً، بأي شكل من الأشكال.

الحياة بين شخصين متحابين هي نعيم حقاً. لقد ذهبنا إلى إثيوبيا الجحيم ثم عادنا على أقدامنا، وكانت إيزابيل تشعر أن لها الحق في أن ينمنا قليلاً بجزء من السماء معاً رغم أن الأمر قد يبدو غير عادي. لقد كانت تحبه تماماً كما كان يحبها، دون تردد أو تحفظ، وكانت على أتم الاستعداد لأن تنفق على جانبها طوال بقية حياتها، وتريد ذلك فعلاً.

ألا أستطيع أن أدعك تعلمين ذلك بنفسك يا إيزابيل! قال لها بحزم. إن أفعل ذلك، ليأ يكن ما حدث لثو هذا، ما كان ينبغي أن أسمح بحدوث هذا. لقد كان هذا من الجمالة والعدم المسؤولية من جهتي.

ولم يمانع بشري. هل تترك لنفسك مساحة لتعيش هكذا؟ ألا يمكن أن تسمح لنفسك بأن تكون سعيداً من فترة إلى أخرى وأن تنكف عن شرب نفسك حتى الموت؟ انتم لما قلته وهو يعلم أن بعضاً مما تقول، إن لم يكن كله، كان صحيحاً. لماذا تريد أن تجعل من الموضوع أمراً صعباً عليك في حين أنه ليس كذلك وليس من دأع لأن يكون هكذا نحن نحب بعضنا. ألا يمكنك أن تعتبر أن هذا يكفي؟ لقد كانت عقلانية أكثر منه.

أحياناً لا يكون الحب كافياً. أنت لا تعلمين يا إيزابيل حواشي هذا الأمر. بل أعلم. قالت له تجاهله. كانت الساعة لذلك قد قاربت على الساعة صباحاً، وكانت تعلم أن عليه أن يغادر عاجلاً. لقد أسمعته خمس عشرة سنة أعطني بشيدي. وأعرف ما يعني أن يهتم المرء ويحب شخصاً مريضاً حقاً. وأنت لست بمريض. أنت قوي البنية، أنت قوي البنية وفي صحة وعافية. لا تستطيع أن تمشي. ولكن هذا لا يشكل فرقاً بالنسبة لي وما كنت لأبالي لو عجزت عن ممارسة الحب من جديد. فهذا شيء جميل إنشائي محبوب، ولكنني على استعداد لأن أعيش دون ذلك أيضاً. فما يصعباً يعني لي أكثر من ذلك.

فما كان يجب أن أدعك! قال بحزم وقد بدأ يبدو متهماً. ولكنني لا

أستطيع أن أتركك تعلمين بذلك أيضاً. فطمت مستعداً لذلك. لقد جئت إلى هنا كي أودعك، وهذا ما يجب علينا أن نفعله.

هذا عمل لأخرق جداً وهذا الوقت. سوف إن أسمح لك بأن تفعل ذلك. ليس لك خيار في ذلك، فإنا لن أراك ثانية. وكان كلاهما يعرف أنه يستطيع ذلك.

ثم ماذا؟ أنت تحكم علينا أن نعيش في وحدة وعزلة ما بقي لنا من العمر. ونحن نفكر بما لدينا وقضاء، وأنه كان بإمكاننا الاحتفاظ به لو لم تكن عينيبي. وما الغاية من ذلك؟ ولي فتصالح هو هذا هل يمنحونا مكافآت في المستقبل. لماذا نذهب أنفسنا وبعضنا بعضاً لقاء حرمان أنفسنا؟ قد لا تكون الأمور بهذه الدلماً. وإن تكون "مثالية". ولكن ليس من شيء كامل في الحياة. وعسى أن يرى فلان ما بيننا ليس بالقبيء القليل، فلماذا لا تسمح لنا بأن نحصل على ما نحتاج ونريد؟ لقد حوالت بما فيه الكفاية، فكم من الأسى أيضاً سوف نضيفه إلى حزنك وإلى حياتي؟ لقد خسرت الكثير في حياتي وأنت أيضاً كذلك. فكن منطقياً معقولاً كرمي ش... والغرورقت عيناها بالدموع وسالت على وجنتيها وهي تنظر إليه، ولكنه لم يبتأثر.

أنا أسف! حس قاتلاً لها وقيل أعلى رأسها، ثم دفع بمجلات كرسية نحو الباب واستدار لينظر إليها.

لماذا فعلت ذلك؟ قالت وهي تبكي. ما الغاية من ذلك؟ هل نعلمنا كلاهما؟ لتفكر كل منا لأي درجة نحب بعضنا بعضاً ونفعل عن كل ذلك مرة أخرى حتى نعيش في الحزن والأسى إلى الأبد؟ لماذا، بينما نحن سعدان جداً معاً ونحب بعضنا البعض جداً؟ لماذا لا ندعنا نعيش بذلك؟ هل هذا صعب عليك جداً؟

ربما كنت لا أحب بما فيه الكفاية! قال لها بحزن. أو ربما لم أحب نفسي كفاية، أو ربما لأنك إن تكوني قادرة على أن تحبينني بالقدر الذي نطلبين.

"لا تصد المسألة. إنها ليست كذلك. أنا أحبك. وهذا هو المهم. ومهما أحببتني فهذا يكفي".

لمست كلياً وأهلاً لك، هذه هي المسألة برمتها، قال لها وقد بدا معذباً وهو يقف في مدخل الغرفة، ويبدو لو يعود إليها ويأخذها بين ذراعيه، ولكنه ما كان يسمح لنفسه بذلك.

"عني أنا من أقرر ذلك. ادعي أحد من أحب، ومن لا أحب. ليس لك الحق في أن تقرر بلينيبة عني".

"هل لي الحق؟" قال وهو ينظر إليها لأخر مرة، ثم دفع بمجلات كرسية خارجاً من الغرفة، وانغلق الباب وراءه بنفسه، في حين جلست إيزابيل تبكي على الأريكة ولم تتحرك من مكانها.

الفصل التاسع عشر

مكثت إيزابيل في واشنطن لأربعة أيام. وفاز السيناتور بالانتخابات وكانت مسرورة من أجل بيل. لقد رآته على التلفزيون في نشرة الأخبار يجلس إلى كرسية المدوب جانباً، فقد كان ذا نفوذ ولكن من وراء الكواليس. لم يتصل بها على الإطلاق، ولم تتصل به من جديد. لقد صارت تصدقه الآن. وكانت تعلم أنه، ومهما كانت أفكاره غفلة، إلا أن عليها أن تحترم مشاهره. لقد كان من الصعب أن يصدق للمرء إلى أي درجة كان بيل عنيداً حتى إنه حتى بكل ما كان لديهما، ولكنه بدا على استعداد لأن يتغلب عن كل ما كان بليكاتهما أن يحصل عليه معاً. لقد افطر قلبها لقبولها بذلك، ولكنها ما كانت لتجبره على العودة إليها. كان عليها أن تقول الخير الذي لجأ إليه مهما كانت تختلف عنه في الرأي إزاء ذلك. لقد كان هذا من حقه، تماماً كما أن من حقها أن تعتقد أنه كان بليكاتهما أن ينصا بحياة رافعة. لقد كانت لتفخر بأن تكون معه بكرسي مدوب لم لا. فما كانت لتأبه بذلك، لما هو بيلي. لقد كان له الحق أن يعيش بصحب لغيره.

تصلت بصوفي ليلة الثلاثاء بعد الانتخابات، وأخبرتها أنها عائدة إلى الديار. وبنت إيزابيل حزينة، ولم تسألها صوفي عن السبب. لقد كان لديهما أكثر من سبب. كانت صوفي قد جاهدت كي تغلب على صدمة خسارة أخيها، بقدر والفتها تقريباً.

"هل رأيت صديقك؟" سألتها وهي تحاول أن تسري عنها.

"نعم". قالت إيزابيل بهجوم. "إنه بخير".

"هل يعني من جديد؟"

"لا".

ليستخفى عن الطريق وقد ولقت قياتته. كان القامس بجولون وينزيون حولهما، ولكن لم يلبه أي منهما لذلك. كانت أمهاتهما قد ذلقت وقد راحا ينتظران إلى بعضهما بعضاً مطولاً. بدت إيزابيل شاحبة. وبدا هو وكأنه لم يتم منذ أيام. أنت تستحقين أفضل من ذلك.

أعرف أن هذا هو رأيك. قالت له، وهي تشعر أن قلبها ينقصر من جديد. كم من مرة يقول لها الأمر نفسه؟ ولكن ليس هناك أفضل من ذلك. فهذا أفضل ما يكون... لو انتقل على الأكل بالنسبة لي. لقد فقدت يدي. وفقدتك. وما عاد لدي ما أخضه بعد، ما عاد صوفي. لا أعتقد أنك تغابت على الحب بغير صعوبة، أو بالحري يجب أن لا يفعل أحد ذلك. فهو شيء ثمين ونادر جداً. ولكن من الواضح أنك هكذا. كنت تعلم أنه ما من شيء يمكن أن يثقله بتغيير رأيه. لقد كان له أن يفكر كما يحلو له، وهي كما تشاء.

أريد لك ما هو أفضل من ذلك. أريدك أن تحظى بحياة حقيقية مع رجل يستطيع أن يطاردك في أرجاء الغرفة ويرقص معك ليلة رأس السنة.

أريد أكثر من ذلك بكثير. أريد شخصاً أحبه ويحبني، شخصاً يستطيع أن أحترمه وأن أعطي به وأضحك معه ما حبيت. فأنا أستطيع أن أحب من سهولة. أما أنت فلا تقدر على ذلك. قالت ذلك وقد تغلبت الغدرة الذي كان قد اختاره لكليهما.

ما الذي يجعلك متأكدة على هذا النحو؟

هل كنت ستحبني لو كنت أنا مكانك في هذا الموضع؟ كانت قد صمعت تترقق من عينيها، وكان صوتها رقيقاً عذباً، فأولاً ولم يعلق بيتاً شقة. ثم أجابها، وفهم في نهاية الأمر.

نعم.

إذاً فلا تستغرب أن أستطيع أن أحبك وأنت في حالتك هذه.

لم يقل لها شيئاً بل الكفى بأن شدها إليه وأجلسها في حضنه ونظر إليها،

وأحلبها بتراعيه، وقبّل شفتيها، وكانت لاهة عندما توقفت.

ثم إذا فعلت ذلك؟ كان لا بد أن تسأل. هل كنت هذه تحية ترحيب لم وداع؟

أخبرني أنت. أنت تعلمين بما أفكر. إنني أحبك، ولك الحق أن تقرري كما تشقين. لقد كانت عيناها قد أخبرتته ذلك ومدت زمن طويل، وقد كانت على صواب، وأفكرت ذلك أخيراً. كان قد حاول أن يحمي إيزابيل، ولكن ما عاد يستطيعته ذلك. إن لها الحق في اختيار مصيرها بنفسها، وهذه المرة ربما مصيره هو الحياة.

أنت تعلم أنه إيزابيل وهست "هالو" فيما تلبثته وعانقها بقوة.